الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرد

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العبّاس المبرّد

بتحقيق

أبي الأشبال

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة

لناشـــــــريه

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

ووقف رجلٌ عليه مُقَطَّعاتٌ على الأَحْنَفِ بن قيسٍ يَسُبُّه ، وكان عَمرُو بن الأَهْتَمِ جعلَ له ألفَ درهمٍ على أن يُسَفِّهَ الأَحْنفَ ، فجعل لا يَألُو أن يسبه سبًّا يُغْضِبُ[1] ، والأحنفُ مُطْرِقٌ صامتٌ [لا يكلمه][2] ، فلما رآه لا يكلمه أقبلَ الرجلُ يَعَضُّ إبهامَيْهِ[3] . ويقولُ : يا سَوْأتاهْ ! واللهِ ما يمنعه من جوابي إلاّ هَوَاني عليه !

وفَعَلَ ذلك آخرُ ، فأمسكَ عنه الأحنفُ ، فأَكثرَ الرجلُ ، إلى أن أَراد الأحنفُ القيامَ للغَدَاء ، فأقبلَ على الرجل ، فقال له : ياهذا ! إن غَدَاءَنا قد حضَر ، فانْهَضْ بنا إليه إن شِئْتَ ، فإنك مُذُ اليومِ تَحْدُو بجَمَلٍ ثَفَالٍ !!

و « الثَّفَالُ » من الإبل : البطيءُ الثقيلُ الذى لا يكادُ ينْبَعِثُ .

وعُدَّتْ على الأحنفِ سَقْطةٌ فى هذا الباب ، وهو أن عَمرَو بن الأَهْتَمِ دَسَّ إليه رجلاً ليُسَفِّهَهُ ، فقال له : أبا بَحْرٍ[4] ! ما كان أبوكَ فى قومِه ؟ قال :

---

(١) فى س « يغضبه » .

(٢) الزيادة من ج و س و د . وفى ه « ساكت » بدل « صامت » .

(٣) فى ج و س و د و ه « إبهامه » .

(٤) فى ج و س و د و ه « يأبا بحر » .

كان من أوسطهم ، لم يَسُدْهُمْ ولم يتخلَّفْ عنهم ، فرجع إليه ثانيةً ، فَفَطَنَ[1] الأحنفُ أنه من قِبَلِ عمرٍو ، فقال : ما كان مالُ أبيك ؟ فقال : كانت له صِرْمَةٌ يَمْنَحُ منها ويَقْرِي ، ولم يك أَهْتَمَ سَلاَّحًا[2] .

وجُعِلَ لرجلٍ ألفُ درهم على أن يَسْئَلَ عمرَو بن العاصِ عن أُمِّهِ ، ولم تكن في موضعٍ مَرْضِيٍّ [إنما كانت من عَنَزَةَ ، ثم من بني جِلاَّنَ][3] ، فأتاه الرجلُ [فوقَفَ عليه][4] ، وهو بمصرَ أميرٌ[5] عليها ، فقال : أردتُ أن أعرفَ أمَّ الأمير ؟! فقال : نعم ، كانت [امرأةً][6] من عَنَزَةَ ، ثم من بني جِلاَّنَ ، تُسَمَّى لَيْلَى ، وتُلَقَّبُ النابغةَ ، اذْهَبْ وخُذْ[7] ما جُعِلَ لك ! !

وقال له مرةً المنذرُ بن الجارُودِ : أيُّ رجلٍ أنتَ لولا أمُّكَ[8] ؟ ! قال : فإني أَحْمَدُ اللهَ إليك ، إني فكَّرْتُ في هذا[9] البارحةَ ، فأقبلتُ أُنْقِلُها

---

(١) « فطن » من بابي « علم » و « نصر » .

(٢) قال المرصفي : « يعرض بأبي عمرو ، وهو سنان بن خالد بن منقر — بكسر فسكون — ولقب بالأهتم لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب . والسلاّح : كثير السلح » . وسقطة الأحنف أنه أجاب التحدي فشتم الموعز للسائل .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) في ج و س و د « أميراً » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) في ج و د و هـ « فخذ » .

(٨) في ج و د وحاشية ا « لولا أنَّ أُمَّكَ أُمُّكَ » . وفي س و هـ « لَوْلاَ أَنَّ أُمَّكَ أَمَةٌ » .

(٩) في ج و س و د و هـ « فيها » .

فى قبائلِ العربِ ، فما خَطَرَتْ لى عبدُ القيسِ على بالٍ[1] !!

ودخل عمرٌو مكةَ فرأى قوماً من قريشٍ قد جلسوا حَلْقةً ، فلما رأوه رَمَوْهُ بأبصارهم ، فَعَدَلَ إليهم فقال : أَحْسِبُكُمْ كنتم فى شىءٍ من ذكرى ؟ قالوا : أَجَلْ ، كنا نُمَيِّلُ[2] بينك وبين أخيك هشامٍ : أيُّكما أفضلُ ؟ فقال عمرٌو : إن لهشامٍ علىَّ أربعةً : أُمُّهُ ابنةُ هشامِ بنِ المغيرةِ ، وأُمِّي مَنْ قد عَرَفتم ، وكان أحبَّ إلى أبيه منّى ، وقد عرفتم معرفةَ الوالدِ بالولدِ ، وأسلمَ قبلى ، واسْتُشْهِدَ وبَقِيتُ .

☼

[قال أبو العباس][3] : وقد أكثر الناسُ فى البابِ الذى ذكرناه ، وإنما نَذكرُ من الشىء وجوهَهُ ونوادرَه :

قال رجلٌ لرجلٍ من آل الزبيرِ كلامًا أقْذَعَ له فيه ، فأعرضَ الزبيرىُّ عنه ، ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيرىُّ علىَّ بنَ الحسين ، فأعرضَ عنه ، فقال له الرجلُ الزبيرىُّ : ما يمنعك من جوابى ؟ فقال [له][4] علىٌّ ما منعكَ من جوابِ الرجلِ !

وقد رُوِىَ قولُ القائلِ : لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرًا ، فقال له : ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدةً .

---

(١) فى ج و س و د « ببال » .
(٢) فى ج و س و د « نُمَثِّلُ » .
(٣) الزيادة من ج و س . ولم يذكر فيهما قوله « وقد » .
(٤) الزيادة من س و ه .

قال الشاعرُ :

ولقد أمُرُّ على اللئيم يَسُبُّنى فأجوزُ ثم أقولُ لا يَعْنِينِى[1]

وقال رجلٌ لرجلٍ وسبَّه فلم يلتفتْ إليه — : إياكَ أعنِى ، فقال له الرجلُ : وعنكَ أُعْرِضُ .

فأما قولُ الشَّعْبِيِّ للرجلِ ما قال فِنْ غَيْرِ هذا البابِ ، وإنما مَخْرَجُه الدِّيانةُ ، وذاكَ أن رجلاً سبَّ الشعبيَّ بأمورٍ قبيحةٍ نسبه إليها ، فقال [له][2] الشعبيُّ : إن كنتَ كاذبًا فغفر اللهُ لك ، وإن كنتَ صادقًا فغفر اللهُ لى .

وقال أبو العباس : قال رجلٌ لأبى بكرٍ الصديقِ رحمه الله : لَأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يدخلُ معك قبرَكَ ! فقال: معكَ واللهِ يدخلُ لا مَعِى .

[ويُحدِّثُ ابنُ عائشةَ عن أبيه : أن رجلاً من أهل الشأْم دخلَ المدينةَ ، فقال : رأيتُ رجلاً على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا أحسنَ لِباسًا ولا أفْرَهَ مَرْكَبًا منه[3] ، فسألتُ عنه ؟ فقيلَ لى : الحسنُ بن على بن أبى طالبٍ ، فامتلأتُ له بُغْضًا ، فَصِرْتُ إليه ، فقلتُ : أنت ابنُ أبى طالبٍ ، فقال : أنا ابنُ ابنِه ، فقلتُ له : فيك وبك وبأبيك ، أَسُبُّهما ، فقال : أَحْسِبُكَ غريبًا ، قلتُ : أَجَلْ ، فقال : إن لنا منزلاً واسعاً ومَعونَةً على الحاجة ومالاً نُوَاسِى

---

(١) فى س « ثُمَّتَ قلتُ لا يعنينى » .

(٢) الزيادة من ع و س و د .

(٣) أى لا أنشط منه ، والفراهة الحدة والنشاط فى البغل أو الحمار ، ولا يوصف بها الفرس ، إنما يقال له جواد .

منه ! فانطلقتُ وما أجِدُ على وجهِ الأرضِ أحبَّ إليَّ منه] .

[قال أبو العباس][1] : ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ برجلٍ عن إرْثِ رجلٍ لا يُشَاكلُه ، ولايةِ رجلٍ لايشابهُه ، قال الشاعرُ :

بكتْ دارُ بِشْرٍ شَجْوَها أنْ تبَدَّلَتْ   هلالَ بن قعقاعٍ بِبِشْرِ بن غالبِ
وما هيَ إلاَّ كالعروسِ تنقَّلَتْ   على رَغمِها من هاشمٍ فى مُحَارِبِ[2]

وقال الفرزدقُ حين وَلِيَ العِراقَ عُمرُ بن هُبَيْرَةَ الفزاريُّ بِعَقِب مَسْلَمَةَ بن عبد المَلِكِ :

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيَّةً   فارْعَيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرَتْ   أنْ سوفَ يَطْمَعُ فى الإمارة أشْجَعُ[3]
فأرى الأمورَ تَنَكَّرَتْ أعلامُها   حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تُنْزَعُ[4]
عُزِلَ ابنُ بِشْرٍ وابنُ عمرٍو قبلَه   وأخـــو هَراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ[5]

فلما وَلِيَ خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ على عُمرَ بن هُبَيْرَةَ قال رجلٌ من بنى أسدٍ[6] يُجيب الفرزدقَ :

---

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) « محارب » قبيلة فيها ضعة كباهلة . فهو يضرب المثل بالعروس التى تنزل بعد زواجها من هاشمى إلى محاربىّ .

(٣) فى ج و د و هـ « أن سوف تطمع » .

(٤) فى س بدل « تُنْزَعُ » « تُشرِعُ » وفى هـ « تَفْزَعُ » .

(٥) أخو هراة : قال المرصفى : « هو سعيد بن الحرث بن الحكم بن العاص ، وكان عاملا على خراسان من قبل مسلمة بن عبد الملك » .

(٦) قال المرصفى : « هو إسمعيل بن عمار الأسدى » .

عَجِبَ الفرزدقُ مِن فَزارةَ أنْ رَأَى عنها أُمَيَّةُ بالمَشارقِ تُنْزَعُ[1]
فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وأُحْدِثَ بعدَه أمرٌ تَضِجُّ له القلوبُ وتَفْزَعُ[2]
بَكَتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها فاليومَ مِن قَسْرٍ تَذُوبُ وتَجْزَعُ
وملوكُ خِنْدِفَ ذَلَّلَتْنَا للعِدَى لله دَرُّ ملوكِنا ما تَصْنَعُ[3]
كانوا كتاركةٍ بَنِيها جانبًا سَفَهًا وغيرَهُمُ تَصُونُ وتُرْضِعُ

⁂

قال أبو العباس : وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعمرَ بن هُبيرةَ عند ولايته العراقَ ، وفى ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك [بن مروانَ][4] :

أميرَ المؤمنينَ وأنتَ بَرٌّ أمينٌ لستَ بالطَّبِعِ الحَرِيصِ
أَأَطْعَمْتَ العراقَ ورافِدَيْهِ فَزارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ[5]
تَفَهَّقَ بالعِراقِ أبو المُثَنَّى وعَلَّمَ قومَهُ أَكْلَ الخَبِيصِ[6]
ولم يَكُ قبلَها راعِي مَخاضٍ ليأْمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ

---

(١) فى ج و د « إذْ رَأَى » وفى س و هـ « إذْ نَأَى » .
(٢) فى هـ « وتُصْدَعُ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « أسلمونا للعدى » وبها طبعت نسخ مصر .
(٤) الزيادة من ف .
(٥) فى ج « أَأَطْعَمْتَ » وبها طبعت نسخ مصر . وفى د « أَوَلَّيْتَ » .
(٦) فى هـ « تَفَيْهَقَ » .

قوله « لستَ بالطَّبِـع الحريصِ » فـ« الطَّبِـعُ » الشديدُ الطَّمَعِ الذى لا يَفهمُ لشدةِ طمعِه[1] ، وإنما أُخِذَ هذا من « طَبَعِ السيفِ » يقال « طَبِـعَ السيفُ » يافتى ! و « هو سيفٌ طَبِـعٌ » إذا ركبه الصَّدَأُ حتى يُغَطَّى عليه . والمَثَلُ من هذا فى الذى طُبِـعَ على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ ، يقال « طَبَعَ اللهُ على قلب فلانٍ » كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ هذا الوقفُ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾[2] وكذلك « رِينَ عَلَى قلبه » و « غِينَ على قلبه » فـ« الرَّيْنُ » يكونُ من أشياءَ تألَّفُ عليه فتغطيه ! قال الله جل وعزَّ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3] وأما « غِينَ على قلبه » فهى غِشاوةٌ تعترِيه ، و « الغَيْنةُ » القطعةُ من الشجر الملتفُّ تُغطِّي ما تحتَها ، قال الشاعر :

كأنِّى بَيْنَ خافِيَتَىْ عُقَابٍ ... أصابَ حَمامةً فى يومِ غَيْنِ

وقال بعضُهم : أرادَ فى التفافٍ من الظُّلْمةِ ، وقال آخرونَ : أراد فى يومِ غيمٍ ، فأبدل من الميم نونًا ، لاجتماع الميم والنون فى الغُنَّةِ ، كما يقالُ للحيَّةِ « أيْمٌ »

---

(١) فى ج و هـ « طَبَعِهِ » وهو أجود .

(٢) سورة البقرة (٧) . وقد اشتبهت الآيات على أبى العباس ، فإن فى جميع نسخ الكامل « طبع » بدل « ختم » وهو مخالف للتلاوة . وهناك آيات أخرى فيها ﴿طبع الله على قلوبهم﴾ ولكنها ليست هـذه الآية ، منها : فى سورة التوبة (٩٣) وسورة النحل (١٠٨) وسورة محمد (١٦) وهى أجزاء من الآيات . وأما مسألة الوقف فما قال فيها أبوالعباس جيد . وانظر منار الهدى (ص ٢٣ من طبعة بولاق) .

(٣) سورة المطففين (١٤) .

و « أَيْنٌ » .واستجازت الشعراء أن تجمعَ الميمَ والنونَ فى القوافِى،لما ذكرتُ لك من اجتماعهما فى الغُنَّةِ ، قال الراجزُ :

بُنَيَّ إن البِرَّ شيءٌ هَيِّنْ ... اَلْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمْ[1]

وقال آخرُ :

ما تَنقِمُ الحربُ العَوَانُ مِنِّى ... بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّى[2]

* لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنِى أُمِّى *

و « العِرَاقَانِ » البصرةُ والـكوفةُ . و « الرَّافِدَانِ » دِجْلَةُ والفُراتُ . وقوله « أَحَذَّ يَدِ القميصِ » « الأَحَذُّ » الخفيفُ ، قال طَرَفَةُ .

* وَأَتْلَعَ نَهَّاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَمٌ *

وإنما نَسَبه بالخِفَّة فى يدِه إلى السَّرَقِ[3] .

وقوله « تَفَهَّقَ »[4] أى امتلأَ ماءً[5]، يقال بئر « تَفْهَقُ » وغَديرٌ « يَفْهَقُ » إذا امتلأَ ماءً ، قال الراجزُ :

لا ذَنْبَ لِى قد قلتُ للقومِ اسْتَقُوا ... والقَوْمُ فى عُرْضِ غَدِيرٍ يَفْهَقُ

---

(١) وفى هذا المعنى ، وإن لم يكن شاهداً، قول ابن عمر : « البر شىء هين ، وجه طليق وكلام لين » .

(٢) قال المرصفى : « البازل من الإبل ما استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة ، فاذا جاوز البزول قيل بازل عام وعامين ، وكذلك ما زاد ، فاذا قيل ذلك للرجل فانما يراد استكمال شبابه واستجماع قوته وكماله فى عقله وتجربته ، ولا يراد أنه مسنّ كالبازل ، ألا ترى قول الراجز : حديث سنى ! وحديث السن لايكون بازلا » .

(٣) فى ج و س و د « السرقة » .

(٤) فى هـ « تَفَيْهَقَ » وهى بمعنى « تفهق » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « امتلأ مالا » ولعله أجود.

وقال الأعشى فى مدحه المحلَّقَ بن حَنْتَمٍ أحدَ بنى أبى بكرِ بن كِلَابٍ .

فَفِى الدَّمِّ عن رَهْطِ المُحلَّقِ جَفْنَةٌ كجابيةِ الشيخِ العِرَاقِى تَفْهَقُ

هكذا روايةُ أبى عُبيدةَ .

وقوله :

« ولم يَكُ قَبْلَها راعِى مَخاضٍ لِيأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلوصٍ »

كانت بنو فَزارَةَ تُرْمَى بغِشْيانِ الإبلِ ، ولذلك قال ابنُ دَارَةَ :

لا تأمَنَنَّ فَزارِيًّا خَلَوْتَ به على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بأسْيارِ

⁂

فلما عُزِلَ ابنُ هُبَيْرَةَ وحبسَه خالدُ [بن عبد الله[1]] القَسْرِىُّ .

قال الفرزدقُ :

لعمرى لئن نابتْ فَزَارةَ نَوْبَةٌ لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تَحْسِبُها قَسْرُ

لقد حَبَسَ القَسرِىُّ فى سجنِ واسِطٍ فَتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فَتًى لم تُرَبِّهُ النصارَى ولم يكنْ غِذَاءٌ له لحمُ الخنازيرِ والخَمْرُ[2]

« الشَّيْظَمِىُّ » الطويلُ[3] ، قال ذو الرُّمَّةِ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى ج و س و د وحاشية ا « لم تُرَبِّيهِ » ، ويكون شاهدا لإثبات حرف العلة مع الجازم فى الفعل المعتل .

(٣) فى ج و س و د « قوله « فتًى شَيْظَمِيًّا الشَّيْظَمُ الطويلُ » .

إذا ما رَمَيْنا رَمْيَةً فى مَفازَةٍ … عَرَاقِيبَها بالشَّيْظَمِيِّ المُواشِكِ[1]

يريدُ : حاديًا يَسُوقُها .

وقوله « ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ » : ما يُحَرِّكه .

وقولُه « فتًى لم تُرَبِّبْهُ[2] النصارَى » يُنَبِّهُ به على أُمِّ خالدٍ ، وكانت نصرانيةً روميّةً ، وكان أبوه استَلَبها فى يوم عيدٍ للرُّومِ ، فأولدَها خالدًا وأسَدًا ، ولذلك يقولُ الفرزدقُ :

ألاَ قَطَعَ الرحمنُ ظهرَ مَطِيَّةٍ … أتَتْنا تَهادَى من دِمَشْقَ بخالدِ

وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَن كانتْ أُمُّهُ … تَدِينُ بأنَّ اللهَ ليس بواحِدِ[3]

بَنَى بِيعَةً فيها النَّصارَى لِأُمِّهِ … ويَهْدِمُ من كُفْرٍ مَنارَ المساجدِ

وقال :

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ … وأصحابِهِ لاطَهَّرَ اللهُ خالدَا

بَنَى بِيعةً فيها الصَّليبُ لأُمِّهِ … ويَهْدِمُ من بُغْضِ الصلاةِ المساجدَا

وكان سببُ هَدْمِ خالدٍ مَنارَ المساجدِ ، حتى حَطَّها عن دُورِ الناسِ — : أنه بلغه شعرٌ لرجلٍ من الموالِى ، موالِى الأنصارِ ، وهو :

ليتنى فى المُؤَذِّنينَ حَيَاتِى … إنهم يُبصِرونَ مَنْ فى السُّطوحِ

(١) « المواشك » : المستعجل .

(٢) فى ج و س و د وحاشية ا « لم تُرَبِّهِ » .

(٣) « يؤم » رسمت هكذا فى ج و س و د و هـ . ورسمت فى باقى الأصول المخطوطة « يَأُمُّ » .

فَيُشِيرونَ أو تُشِيرُ إليهم ... بالهَوَى كلُّ ذاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

فحطَّها عن دُورِ الناسِ .

ويُرْوَى عنه فيما رُوِيَ من عُتُوِّهِ : أنه استُعْفِيَ من بِيعَةٍ بناها لأمِّهِ ، فقال لملأٍ منَ المسلمين : قَبَحَ اللهُ دِينَهم إن كان شرًّا من دِينكم .

وقال الفرزدقُ لابنِ هُبَيْرَةَ حيثُ[1] نُقِبَ له السجنُ وهربَ وسارَ[2] تحت الأرض هو وابنُه حتى نَفَذَا :

لَمَّا رأيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظهرُها ... ولم يَبْقَ إلا بطنُها لك مَخْرَجَا[3]

دَعَوْتَ الذى ناداه يونُسُ بعدَ ما ... ثَوَى فى ثلاثِ مُظْلماتٍ فَفَرَّجَا

فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سِرْتَ سِيرةً ... وما سار سارٍ مثلَها حيثُ أَدْلَجَا[4]

خرجتَ ولم يَمْنُنْ عليك طَلَاقَةً ... سوى رَبِذِ التَّقْرِيبِ مِن آلِ أَعْوَجَا[5]

فقال ابنُ هُبَيرةَ : ما رأيتُ أشرفَ من الفرزدقِ ، هجانِي أميراً ، ومدحَنِي أسيراً .

قولُه « حيثُ أَدْلَجَا » تقولُ « أَدْلَجْتُ » إذا سرتَ من[6] أولِ الليلِ ،

---

(١) فى ج و س و د و هـ « حين » .

(٢) فى ج و د و هـ « فسار » .

(٣) فى س « قد ضاق ظهرها » .

(٤) فى ج و د و هـ « حين أدلجا » .

(٥) فى ج و د « من نسل أعوجا » . وقوله « سوى رَبِذ التقريب » قال المرصفى : « يريد : سوى فرس خفيف القوائم ، وأراد بالتقريب عَدْوَ الثعلبية : يرجم الأرض بيديه » .

(٦) فى ج و س و د « فى » .

و« أَدَّلَجْتُ » إذا سرتَ من آخرِه فى السَّحَرِ ، قال زُهَيْرٌ:

بَكَرْنَ بُكورًا وادَّلَجْنَ بسُحْرَةٍ   فَهُنَّ لِوَادِى الرَّسِّ كاليَدِ لِلفَمِ

و« أعْوَجُ » فرسٌ كان لَغَنِيٍّ ، وقالوا : كان لبنى كِلاَبٍ ، ولا يُنْكَرُ هذا ، لأن حَبِيبةَ[1] بنتَ رِيَاحٍ الغَنَوِيَّةَ ولَدَتْ بنى جعفرِ بن كلابٍ ، فلعله أن يكونَ صارَ إلى بنى جعفرِ بن كلابٍ من غَنِيٍّ .

والعربُ تَنْسُبُ الخَيلَ الجِيادَ إلى « أعْوَجَ » وإلى «الوَجيهِ» و « لاَحِقٍ » و « الغُرابِ » و « اليَحْمومِ » وما أشبهَ هذه الخيلَ من المتقدماتِ ، قال زَيْدُ الخَيْلِ [الطَّائِى[2]] :

جَلَبْنَا الخيلَ مِن أَجَإٍ وسَلْمَى   تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئَابِ[3]

جَلَبْنَا كلَّ طِرْفٍ أعْوَجِيٍّ   وسَلْهَبِةٍ كخافِيَةِ العُقَابِ[4]

⁂

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيبِ . قال أمرؤُ القيسِ فى طولِ الليل :

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها   بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فهذا فى ثَبات الليل وإقامته . و« المَصَامُ » المَقَامُ ، وقيل للممسك عن الطعامِ « صائم » لثباتِه على ذلك ، ويقال « صامَ النهارُ » إذا قامت الشمسُ ، قال امرؤُ القيس :

---

(١) فى ج و د « خُبَيْبَة » .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) « نزائعاً » جمع « نزيعة » وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه .

(٤) قال المرصفى : « سلهبة وسلهب : كلاهما الفرس الذكر ، وهو الطويل على وجه الأرض » .

فَدَعْها وسَلِّ الهَمَّ عنك بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرَا

وقال النابغةُ :

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العَجَاجِ وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا(١)

و « الأمراسُ » جمعُ « مَرَسٍ » وهو الحبلُ ، قال أبو زُبَيْدٍ يرثى غلامَه وتَعَرَّضَ للحرب فقُتِلَ(٢) :

إمَّا تَعَلَّقْ بِكَ الرِّماحُ فلا أَبكيكَ إلاَّ لِلدَّلْوِ والمَرَسِ(٣)

وقال فى ثَباتِ الليلِ :

فيالَكَ من ليلٍ كأَنَّ نُجومَهُ بكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

« المُغَارُ » الشديدُ الفَتْلِ ، يقالُ « أَغَرْتُ الحبلَ » إذا شددتَ فَتْلَه . و « يَذْبُلُ » جبلٌ بعينه .

وقال أيضاً :

كأَنَّ أَباناً فى أَفانِينِ وَدْقِهِ كَبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

« أبانٌ » جبلٌ وهما أبانانِ : أبانُ الأسْوَدِ ، وأبانُ الأبيضِ . قال مُهَلْهِلٌ(٤) ، وكان نَزَلَ فى آخِرِ حربِهم — حربِ البَسوسِ — فى جَنْبِ بنِ عَمْرِو بنِ عُلَةَ بنِ جَلْدِ بنِ مالكٍ ، وهو مَذْحِجٌ ، و « جَنْبٌ » حَىٌّ من أحيائهم وَضيعٌ ، فَخُطِبَتِ ابنتُه ومُهِرَتْ أُدَمًا ، فلم يقدر على الامتناعِ ، فزوَّجها ، وقال :

---

(١) فى هـ « وأخرى تعلك » .

(٢) فى ج و س و د « يرثى غلامه ويذكر تعرضه للحرب » .

(٣) فى ج و س و د « إمَّا تُقَارِنْ بكَ الرماحُ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « المهلهل » .

أنكحَها فقدُها الأراقِمَ فى جَنْبٍ وكان الحِباء من أَدَمِ[1]

لو بِأَبانَيْنِ جاء يخطُبُها ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ[2]

وقولُه « فى أفانِينِ وَدْقِهِ » يريد : ضُروبًا من ودقه ، و« الوَدْقُ » المطرُ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِن خِلالِهِ ﴾[3] .

وقال عامر بن جُوَيْنٍ الطائىُّ :

فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها

وقوله « كَبِيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ » يريدُ : مُزَمَّلاً بثيابه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يأَيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيلَ إلاَّ قليلاً ﴾[4] ، وهو « المُتَزَمِّلُ » [بثيابه][5] ، والتاء مدغمةٌ فى الزاى . وإنما وَصَفَ امرؤُ القيسِ الغيثَ ، فقال قومٌ : أراد أنَّ المطر قد خَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمِّلِ ، وقال آخرون : إنما أراد ما كَساهُ المطرُ من خُضرة النبتِ . وكلاهما حسَنٌ . وذَكَرَ الوَدْقَ لأن تلك الخضرةَ من عمله .

---

(١) « الأراقم » هم : جُشَم ومالك والحرث ومعاوية وثعلبة وعمرو بنو بكر بن حُبَيب بن غَنْم بن تغلب ، قاله المرصفى ، وقال : « الحباء فى الأصل : العطاء ، أراد به المهر ، يقول : إنهم لم يكونوا أرباب نعم فيمهروها الابل ، وجعلهم دباغين للأدم ، وهو الجلد » .

(٢) ضرج بالدم : أى لطخ ، و « ما » زائدة .

(٣) سورة النور (٤٣) وسورة الروم (٤٨) .

(٤) سورة المزمل (١ و ٢) وقوله فى الآية « المزَّمِّل » كتب فى ع و د « المزَمِّلُ » بتخفيف الزاى مع كسر الميم ، وهى قراءة مروية عن عكرمة ، كما فى شواذ القراءات لابن خالويه (ص ١٦٣) والبحر لأبى حيان (ج ٨ ص ٣٦٠) وقالوا : « أى المزمل نفسه أو جسمه » وفى ا « المزَمَّل » بتخفيف الزاى وفتح الميم ، وهى قراءة مروية عن بعض السلف كما نقل أبو حيان ، وقال : « أى الذى لف » .

(٥) الزيادة من ع و س و د .

وقال الراجزُ يصفُ غيمًا :

أَقْبَلَ فى المُسْتَنِّ من رَبابِهِ ... أَسْنِمَةُ الآبالِ فى سَحابِهِ

أراد : أن ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكله الإبل ، فتصيرُ شحومُها فى أسنمتها.

« والرَّبابُ » سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم من السحاب . قال المازنىُّ[1] :

كأَنَّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ ... نَعامٌ يُعَلَّقُ بالأَرْجُلِ

وقوله جل وعزّ : ﴿ إِنِّى أَرانِى أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[2] أى أعصرُ عِنَبًا فيصيرُ إلى هذه الحالِ .

وقال زُهَيْرٌ :

كأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كل مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

« الفَنا » شجرٌ بعينه ، يُثْمِرُ ثمرًا أحمرَ ، ثم يتفرَّقُ[3] فى هيئة النَّبِقِ الصِّغار . فهذا من أحسن التشبيه . وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أنماطِهِنَّ إذا نَزَلْنَ . و « العِهْنُ » الصُّوفُ المُلَوَّنُ[4] ، فى قول أكثرِ أهل اللغة ، وأما الأصمعىُّ . فقال : كلُّ صوفٍ عِهنٌ . وكذلك قال أهلُ اللغة : الحَنْتَمُ الخَزَفُ الأخضرُ ، وقال الأصمعىُّ : كلُّ خزَفٍ حنتمٌ ، قال القُرَشىُّ[5] :

مَنْ مُبْلِغ الحَسْناء أنَّ حَلِيلَها ... بمَيْسانَ يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ

(١) قال المرصفى : « هو كما ذكر الأصبهانى فى أغانيه : زهير بن عروة بن جلهمة ، الملقب بالسَّكْب ، شاعر جاهلى من أشراف بنى مازن وأشدائهم » .

(٢) سورة يوسف (٣٦) .

(٣) فى ج و س و د و ه « ويفرق » .

(٤) فى ج « الصوف المُزْرَقُ » . ولم أجد مايؤيدها فى كتب اللغة .

(٥) قال المرصفى : «هو النعمان بن عدى بن نضلة ، من بنى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب » .

وقال جريرٌ :

ما فى مَقامِ دِيارِ تَغْلِبَ مَسْجِدٌ وبها كَنائِسُ حَنْتَمٍ ودِنَانِ

[قال أبو العباس](١) : والتشبيهُ جارٍ كثيرٌ فى [الكلام ، أعنى](٢) كلامَ العربِ ، حتى لو قالَ قائلٌ : هو أكثر كلامِهِمْ — : لم يُبْعِدْ .

قال الله عز وجلَّ وله المَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ الزُّجَاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾(٣) . وقال : ﴿ طَلْعُها كأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ ﴾(٤) . وقد اعترضَ معترضٌ من الجَهَلَةِ المُلْحِدِينَ ، فى هذه الآية ، فقال : إنما يُمَثَّلُ الغائبُ بالحاضِرِ ، ورؤوس الشياطين لم نَرَها ، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها ؟ ! وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ولَمَّا يَأْتِهِمْ تأويلُهُ ﴾(٥) . وهذه الآيةُ قد جاء تفسيرُها فى ضربين(٦) : أحدُهما : أنَّ شجراً يقال له « الأَسْتَنُ »(٧) منكَرُ الصورةِ يقالُ لثمره « رؤوس الشياطين » ، وهو الذى ذكره النابغةُ فى قوله :

تَحِيدُ مِن أَسْتَنٍ سُودٍ أَسافِلُهُ [مِثْلُ الإِماءِ الغَوادِى تَحْمِلُ الحُزَمَا](٨)

---

(١) الزيادة من ج .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) سورة النور (٣٥) .
(٤) سورة الصافات (٦٥) .
(٥) سورة يونس (٣٩) .
(٦) فى ج و س و د و هـ « على ضربين » .
(٧) «الأستن» بفتح الهمزة والتاء المثناة الفوقية بينهما سين مهملة وآخره نون . قال أبو حنيفة الدينورى : « الأستن ، على وزن أحمر : شجر يفشو فى منابته ويكثر ، وإذا نظر الناظر إليه من بعد شبهه بشخوص الناس » .
(٨) الزيادة من هـ وكذلك ذكر البيت كله فى اللسان ، فى مادة (س ت ن) .

وزعم الأصمعيُّ أن هذا الشجرَ يسمى « الصَّوْمَ » . والقولُ الآخرُ ، وهو الذى يَسْبقُ إلى القلب : أن الله جلَّ ذكرُه شنَّعَ صورةَ الشياطينِ فى قلوب العبادِ ، وكأنَّ ذلك أبلغُ[1] من المعاينةِ ، ثم مثَّلَ هذه الشجرةَ بما تَنْفِرُ منه كلُّ نفسٍ .

[قال أبو العباس] : وحُدِّثْتُ فى إسنادٍ متصلٍ : أن أبا النَّجْمِ العِجْلِىَّ[2] أنشدَ هشامَ بن عبدِ الملك[3] [أُرْجوزتَه اللاميّةَ ، فلما قال][4] :

* والشمسُ قد صارتْ كعينِ الأَحْوَلِ *

لمّا ذهبَ به الرَّوِىُّ عن الفِكر فى عينِ هِشامٍ ، فأغضبَه ، فأَمَرَ بطردِه ، [فطُرِدَ[5]] ، فأمَّلَ أبو النجم رَجْعَتَهُ ، وكان يأوِى المساجدَ[6] ، فأَرِقَ هشامٌ ليلةً[7] ، فقال لحاجبه : ابْغِنِى رجلاً عربيًّا فصيحاً يحادثُنى ويُنْشِدُنى ، فَطَلَبَ له ما طَلَبَ ، فوَقَفَ على أبى النَّجم ، فأَتَى ، فلما دُخِلَ به إليه قال : أينَ تكونُ منذُ أقصيناكَ ؟ قال : بحيثُ أَلْقَتْنى رُسُلُكَ ، قال : فمَنْ كانَ أبا مَثْوَاكَ ؟ قال : رجلين ، كَلْبِيًّا وتَغْلِبِيًّا ، أتغدَّى عندَ أحدِهما ، وأتعشَّى عند

---

(١) فى ج و س و د و هـ « فكان ذلك أبلغ » .

(٢) أبو النجم اسمه « الفضل بن قدامة بن عبيد الله » وهو من رجاز الاسلام الفحول المقدمين ، وفى الطبقة الأولى منهم ، كما قال صاحب الأغانى ، وله ترجمة عنده (ج ٩ ص ٧٣ — ٧٨ ساسى) وفى طبقات الشعراء (ص ٣٨١ — ٣٨٦ أوربة) .

(٣) فى ج و س و د « أنشد هشاماً » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) الزيادة من د و هـ . وفى ج و س « فأمر به فطرد » .

(٦) فى ج و س و د « فكان يأوى المسجد » .

(٧) فى ج و د « ذات ليلة » .

الآخرِ ، فقال له : مالَكَ مِنَ الوَلَدِ ؟ قال : ابنتانِ ،قال : أَزَوَّجْتَهُما ؟ قال : زوَّجتُ إحداهما ، قال : فبِمَ أوصَيْتَها ؟ قال : قلتُ لها ليلةَ أَهْدَيْتُها :

سُبِّي الحَماةَ وابْهَتِي عليها   وإنْ أبَتْ فازْدَلِفِي إليها
ثم اقرَعِي بالوَدِّ مِرْفَقيْها(١)   وجَدِّدِي الحَلْفَ به عليها
* لا تُخْبِرِي الدهرَ بذاكَ ابنَيها *

قال : فأوصيتَها بغيرِ هذا (٢) ؟قال : نعم ، قلتُ :

أوْصَيْتُ مِن بَرَّةَ قلباً حُرًّا   بالكَلْبِ خيراً والحَماةِ شَرًّا
لاَ تسأَمِي نَهْكاً لها وضَرًّا(٣)   والحَيَّ عُمِّيهِمْ بِشَرٍّ طُرًّا
وإن كَسَوْكِ ذهباً ودُرًّا   حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياةِ مُرًّا

قال هشامٌ : ما هكذا أوْصَى يعقوبُ ولدَه ،قال أبوالنجم : ولا أنا كيعقوبَ ، ولا بنتي(٤) كولَدِه ! قال : فما حالُ الأُخرى ؟ قال : [قد](٥) دَرَجَتْ بين بيوتِ الحَيِّ ، ونفعتْنا(٦) فى الرسالةِ والحاجةِ ، قال : فما قلتَ فيها ؟ قال : قلتُ :

---

(١) «الود» بفتح الواو وتشديد الدال ، قال الجوهرى إنه «الوتد فى لغة أهل نجد ، كأنهم سكنوا التاء فأدغموها فى الدال» .

(٢) فى ه « قال : فهل قلت لها شيئا آخر » .

(٣) فى ه « لاتَسْأَمِنَّ نَهْياً لها وأمرا » .

(٤) فى ع و د « ولا بَنِيَّ » .

(٥) الزيادة من س و د و ه .

(٦) فى ع و س و د « وتَنْفَعُنا » .

كأنَّ ظَلاَّمَةَ أختَ شَيْبانْ   يَتيمــةٌ ووالِداهَا حيَّانْ
الرأسُ قَملٌ كلُّه وصِئْبَانْ   وليس فى الرِّجْلَيْنِ إلاَّ خَيْطَانْ
* فَهْيَ التى يُذْعَرُ منها الشيطانْ *

قال : فقال هشامٌ لحاجِبِه[1] : ما فعلتِ الدنانيرُ المختومةُ التى أمرتُك بقبضِها ؟ قال : هاهى عندى ، ووزنُها خمسُ مائةٍ ، قال : فادفعْها إلى أبى النجم ليجعلَها فى رِجْل[2] ظَلاَّمةَ مكانَ الخيْطَيْنِ .

أفلا تَراهُ[3] قال : « فهْيَ التى يُذْعَرُ منها الشيطانْ » وإنْ لم يَرَه ، لما قُرِّرَ فى القلوب من نَكارَتِه وشَناعَتِه . وقال آخرُ :

وفى البَقْلِ إنْ لمْ يَدْفعِ اللهُ شَرَّهُ   شَياطينُ يَعْدُو بَعْضُهُنَّ على بعضِ[4]

وزعَمَ أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمرِّدٍ من جنٍّ أو إنسٍ [أو سَبُعٍ أو حيّةٍ][5] يقال له « شيطانٌ » . وأنّ قولَهم « تَشَيْطَنَ » إنما معناه : تخبَّثَ وتنكَّرَ ، وقد قال الله جلّ وعزّ : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ ﴾[6] . قال الراجزُ :

أبْصرْتُها تَلْتَهِمُ الثُّعْبانَا   شيطانةً تَزَوَّجتْ شيطانَا

وقال امرؤُ القيسِ :

---

(١) فى ج و س و د و هـ « فقال هشام : ياغلام » .

(٢) فى ج و س و د « فى رِجْلَيْ » .

(٣) قوله « أفلا تراه » الخ ، هذا من كلام أبى العباس المبرد ، استدلالا على ما اختار من التفسير فى الآية .

(٤) فى ج و س و د و هـ « يَنْزُو بعضُهنَّ » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) سورة الأنعام (١١٢) .

أَتُوعِدُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أَغْوَالِ

و « الغُولُ » لم يُخْبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها .

ثم نرجعُ إلى تفسيرِ قولِ أبي النجم[1] :

قوله « سُبِّي الحماةَ وابْهَتِي عليها » إنما يريدُ : ابْهَتِيهَا ، فوضَعَ « ابْهَتِي » في موضع « اكْذِبِي » فمن ثَمَّ وَصَلَهَا « بِعَلَى »[2] .

والذي يُستعملُ في صِلَة الفعل اللامُ ، لأنها لامُ الإضافة ، تقول : « لِزيدٍ ضربتُ » و « لعمرو أكرمتُ » والمعنى : عمراً أكرمتُ ، فإنما[3] تقديرُه : إكرامي لعمرو ، وضربي لزيد ، فأجْرَى الفعلَ مُجْرَى المصدرِ .

وأحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّمَ المفعولُ ، لأن الفعلَ إنما يجيء وقد عَمِلَتِ

---

(١) في ج و د و هـ « شعر أبي النجم » .

(٢) يريد المبرد : أنه ضمن « ابهتي » معنى « اكذبي » فعداه بالحرف . لأن أصل الفعل « بهت الرجلَ » يتعدى بنفسه ، أي قال عليه مالم يقل . وقال الجوهري إن « على » مقحمة ، وردّ عليه ابن بري ، قال : « زعم الجوهري أن عَلَى في البيت مقحمةٌ ، أي زائدة ، قال : إنما عَدَّى ابْهَتِي بعَلَى لأنه بمعنى افْتَرِي عليها ، والبهتانُ افتراء . وفي التنزيل العزيز : ﴿ولا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾ قال : ومثلُه مما عُدِّي بحرفِ الجرّ حملاً على معنى فِعْلٍ يقارِبُه بالمعنى قولُه عزّ وجل : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ تقديرُه : يَخْرُجُون عن أمره ، لأن المخالفةَ خروجٌ عن الطاعة . قال : ويجبُ على قول الجوهريّ أن تجعل عن في الآية زائدةً ، كما جعل على في البيت زائدةً ، وعن وعلى ليستا مما يُزادُ كالباء » . هذا نص اللسان ، وكتب بحاشيته مانصه : « قوله : وابهتى عليها ، قال الصغاني في التكملة : هوتصحيف وتحريف ، والرواية : وانْهَتِي عليها ، بالنون من النهيت ، وهو الصوت » .

(٣) في ج و س و د و هـ « وإنما » .

اللامُ، كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾(١). وإن أُخِّرَ المفعولُ فعربي(٢) حسنٌ. والقرآنُ محيطٌ بكلِّ اللغاتِ(٣) الفصيحةِ، قال الله جل وعزّ: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٤) والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه: ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾(٥) ـ: إنما هو: رَدِفَكُمْ(٦). وقال كُثَيِّرٌ:

أُريدُ لِأَنْسَى ذِكْرَها فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سَبيلِ

وحروفُ الخفضِ يُبْدَلُ بعضُها من بعضٍ، إذا وقع الحرفانِ في معنًى في بعض المواضع، قال الله جل ذكره: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(٧). أي «عَلَى» ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطتْ دخلتْ «في»، لأنها للوعاء، يقال: «فلانٌ في النَّخْل» أي قد أحاطَ به. قال الشاعرُ:

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِيَّ في جِذْعِ نخلةٍ ... فلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلاّ بأجْدَعَا

وقال الله جل وعز: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾(٨). أي «عليه». وقال

---

(١) سورة يوسف (٤٣).

(٢) في ج و س و د «فهو عربي».

(٣) في ج و س و د و هـ «بجميع اللغات».

(٤) سورة الزمر (١٢).

(٥) سورة النمل (٧٢).

(٦) في اللسان: «رَدِفَهم الأمرُ وأَرْدَفَهم: أَهَمَّهُمْ» ثم ذكر الآية وقال: «يجوز أن يكون أراد [ردفكم] فزاد اللام، ويجوز أن يكون [ردف] مما يتعدى بحرف جرّ وبغير حرف جر» ثم نقل عن التهذيب أنه فسره بمعنى «قرب لكم».

(٧) سورة طه (٧١).

(٨) سورة الطور (٣٨).

تبارك وتعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾(١) . أي : بأمرِ الله . وقال ابنُ الطَّثْرِيَةِ(٢) :

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْفُضُ الطَّلَّ بعدَ مَا ‏ رأتْ حاجبَ الشمسِ استوَى فترَفَّعَا

وقال الآخرُ :

غَدَتْ مِن عليه بعدَ ما تَمَّ خِمْسُها ‏ تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بِزِيزَاءَ مَجْهَلِ(٣)

أي: من عنده . وقال العامريُّ :

إذا رضِيَتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ ‏ لَعَمْرُ اللهِ أَعجبني رِضَاها

وهذا كثيرٌ جدًّا .

وقوله « وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلِفِي إِلَيْهَا » يقول : تقَرَّبِي ، ومِن ذا سُمِّيت « المُزْدَلِفَةُ » . قال العَجَّاجُ(٤) :

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا ‏ طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوْقَفَا *

تقول(٥) « زُلْفَةٌ » و « زُلَفٌ » كقولك « غُرْفَةٌ » وغُرَفٌ » .

---

(١) سورة الرعد (١١) .

(٢) ضبط فى طبعة أوربة بسكون الثاء المثلثة . وضبطه صاحب القاموس بفتحها ، ولم أجد مايرجح أحدهما ، وإن كان السكون أرجح إذا كانت أمه سميت بذلك لولعها باخراج زبد اللبن الذى يسمى « الطثرة » ومنه « الطثر » الخير الكثير ، وكلاهما بالسكون . وابن الطثرية اسمه « يزيد بن سلمة بن سمرة القشيرى » نسب إلى أمه ، وهو شاعر مشهور .

(٣) البيت نسبه صاحب اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) لمزاحم العقيلى ، يصف القطا . وهو مزاحم بن عمرو ، شاعر إسلامى فصيح ، كان فى عصر جرير والفرزدق . قال ابن السكيت فى قوله « من عليه » : « من فوقه ، يعنى من فوق الفرخ . قال : ومعنى تصل ، أى هى يابسة من العطش » .

(٤) مضى هذا الرجز وشرحه فى الجزء الأول (ص ١٢٩ — ١٣١) .

(٥) فى ج و س و د و ه « يقال »

وقوله « بالكلب خيراً والحماةِ شرًّا » كلامٌ مَعيبٌ عندَ النحويين ، وبعضُهم لا يُجيزه، وذاكَ : أنه عَطَفَ[1] على عامِلَين : بالباء[2] وعلى الفعلِ ، ومَنْ قال هذا قال : ضربتُ زيدا فى الدارِ والحُجْرةِ عمرًا . [قال أبو العباس][3] : وكان أبو الحسنِ الأخفشُ [سعيدٌ][4] يراهُ ، ويقرأُ ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ ﴾[5] فعطَفَ على « إنَّ » وعلى « فى » . وقال عَدِيُّ بن زيدٍ :

أَكُلَّ امرِئٍ تَحْسِبِينَ امْرَأً ... ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نَارَا

فعطفَ على « كلّ » وعلى الفعل .

وأما قوله «غَدَتْ مِنْ عليه بعدَ ما تَمّ خِمْسُهَا»[6] فـ«الخِمْسُ» ظِمْءٌ من أظمائها ، وهو : أن تَرِدَ ثم تغبَّ ثلاثا ثم تَرِدَ ، فيُعْتَدُّ بيوْمَىْ وِرْدِها مع ظِمْئِها ، فيقال « خِمْسٌ » . و « الرِّبْعُ » كحُمَّى الرِّبْعِ . وقوله « تَصِلُّ » أى : تَسْمَعُ لأجوافِها صَليلاً من يُبْسِ العطَشِ ، يقال المسمارُ « يَصِلُّ » فى البابِ : إذا أُكْرِهَ فيه ، قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَتِهِ فى هِجائِهِ الفرزدقَ :

---

(١) فى س و هـ «وذلك لأنه عَطَفَ» وفى ع و د « وذلك لأنه عَطَفَ » .

(٢) فى هـ « على الباء » وهو أجود .

(٣) الزيادة من ع و س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) سورة الجاثية (٥) . والقراءة بخفض « آيات » هى قراءة حمزة والكسائى ، ولكن قرآ « وتصريف الريح » بالإفراد . وقرأ باقى السبعة « الرياح » بالجمع ، و « آيات » بالرفع . انظر التيسير (ص ١٩٨) وتوجيه الاعراب فى إعراب القرآن للعكبرى (ج ٢ ص ١٢٤) وتفسير أبى حيان (ج ٨ ص ٤٢ — ٤٣) .

(٦) فى رواية اللسان « بعد ماتم ظمؤها » .

لو كنتَ حينَ غُرِرْتَ بَيْنَ بُيُوتِنَا   لَسَمِعْتَ من وَقْعِ الحديدِ صَلِيلاَ

ويقال للحمارِ « المُصَلْصِلُ » إذا أخرج صوتَه من جوفه حادًّا خفيًّا . قال الأَعْشَى :

عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إذا حُرِّكَ السَّوْ   طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ[١]

وقال المفسرون فى قوله[٢] عز وجل : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾.[٣] قال[٤] : هو الطينُ الذى قد جَفَّ ، فإذا قَرَعَهُ شيءٌ كان له صَلِيلٌ ، وتفسيرُ ذلك عند العربِ التِّقْنُ[٥] الذى يَذهبُ عنه الماءُ فى الغُدرانِ فيتَشَقَّقُ ثم يَيْبَسُ .

و « القَيْضُ » قِشْرُ البَيْضِ[٦] الأعلَى ، والذى يَلْبَسُ البيضةَ فيكونُ ما بينَها وبينَ قشرِها الأعلَى يقالُ له « الغِرْقِئُ » يقال : ثوبٌ كأنه غِرْقِئُ بَيْضٍ[٧] .

و « الزِّيزَاءُ » ما ارتفعَ من الأرضِ ، وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة والنكرةِ ، إذا كان لمذكرٍ ، كالعِلْبَاءِ والحِرْبَاءِ[٨] ، وسنذكر هذا فى غير

---

(١) « العنتريس » الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة ، والنون فيه زائدة ، وهو مأخوذ من « العترسة » وهى النصب والغلبة والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة .

(٢) فى ج و س و د « فى قول الله » ..

(٣) سورة الحجر (٢٦ و ٢٨ و ٣٣) .

(٤) فى د و هـ « قالوا » وبها طبعت نسخ مصر .

(٥) « التقن » بكسر التاء وسكون القاف ، وهو اسم للطين الذى يذهب عنه الماء ، كما وصف المبرد .

(٦) فى ج و س و د « البيضة » وبها طبعت نسخ مصر .

(٧) فى ج و س « غرقئ البيضة » ، وفى د و هـ « غرقئ البيض » .

(٨) يعنى أن « الزيزاء » بكسر الزاى الأولى . وقد ضبطت فى البيت فى اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) بفتحها . ولكن صاحب اللسان ضبط الكلمة فى مادتها (زىز) بالكسر ، ونقل عن الفراء

هذا الموضع مُفَسَّرًا [إن شاء الله](١) ، على أنّا قد استقصيناهُ في الكتابِ (المُقْتَضَبِ) .

و « المَجْهَلُ » الصحراء التي يُجْهَلُ فيها ، فلا يُهْتَدَى لسَبيلِها .

ويقال للشيء إذا غَبَّ(٢) وتغيرت(٣) رائحتُه « صَلَّ » و « أَصَلَّ » فهو « صَالٌّ » و » مُصِلٌّ » . ويقال « نَتَنَ » و « أَنْتَنَ » . ويقال « خَمَّ » و « أَخَمَّ » ، وذاكَ إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ . ويقال إذا عَتُقَ اللحمُ فتغير « خَنِزَ » و« خَزِنَ »(٤) . وبيت طَرَفَةَ أحسنُ ما يُنْشَدُ [عليه](٥) :

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها إنما يَخْنُزُ لَحْمُ المُدَّخِرِ(٦)

ويقال لربِّ البيتِ وربَّةِ البيت اللَّذَين ينزلُ بهما الضَّيفُ « هي أُمُّ مَثْوَاهُ » و « هو أبو مَثْوَاهُ » . وأنشد أبو عُبيدةَ :

مِنْ أُمِّ مَثْوًى كريمٍ قد نَزَلْتُ بها إنَّ الكريمَ على عِلاَّتِهِ يَسَعُ

قال : « الزِّيزَاء من الأرض ممدود مكسور الأول ، ومن العرب من ينصب فيقول الزَّيزَاء وبعضهم يقول الزَّأْزَاء ، وكله : ما غلظ من الأرض » .

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « غب الطعام » بات ليلة ، أو : تغيرت رائحته .

(٣) في ج و س و د « فتغيرت » .

(٤) « خنز » و « خزن » ضبطا في طبعة أوربة بفتح عين الفعل فيهما وبكسرها معاً . والذي في كتب اللغة المعروفة أن « خنز » من باب « فرح » فقط وأن « خزن » من بابها وباب « نصر » ، ولكن ابن دريد أثبت في الجمهرة الفعلين من البابين (ج ٢ ص ٢١٨) .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) « يخنز » ضبطت في طبعة أوربة في الموضعين في البيت بضم النون ، جرى فيهما على أن الفعل من باب « نصر » ويؤيد صحته ما أثبته ابن دريد في الجمهرة ، كما قلنا .

وفى كتاب الله جل وعزّ : ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ ﴾[1]. معناه عند العرب: إضافتُه.

☼

ومن التشبيه المُطَّرِدِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيْرِ الناقةِ وحركة قوائمها ، قال الراجزُ :

كأَنَّها ليلةَ غِبَّ الأَزْرَقِ وقد مَدَدْنا باعَها للسَّوْقِ

* خَرْقاءُ بين السَّلَمَيْنِ تَرْتَقِى *

قوله « ليلةَ غِبَّ الأَزْرَقِ » إنما يعنى موضعاً ، وأَحْسِبُهُ[2] ماءً ، لأنهم يقولون « نُطْفَةٌ زَرقاءُ » وهى الصافيةُ . قال زهيرٌ :

فلمّا وَرَدْنَا الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِىَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ[3]

وقال آخرُ :

فأَلْقَتْ عصا التَّسْيارِ عنها وخَيَّمَتْ بأَرْجاءِ عَذْبِ الماءِ زُرْقٍ مَحافِرُهْ

وقوله « وقد مَدَدْنا باعَها للسَّوْقِ » يقول : استفرغنا ما عندَها من السَّيْرِ[4]، يقال « تبوَّعَتْ » و « انْباعَتْ » : إذا مَدَّتْ باعَها .

وقوله « خَرْقاءُ بين السَّلَمَيْنِ تَرْتَقِى » يقول : لكثرةِ حركةِ الخرقاء وقلةِ حِذْقِها بالصُّعود .

وقال الآخرُ :

---

(١) سورة يوسف (٢١) .

(٢) قال ياقوت فى البلدان : « وادى الأزرق بالحجاز . والأزرق ماء فى طريق حاج الشأم دون تيماء » .

(٣) قال المرصفى : « الحاضر : الذى نزل على ماء عدّ ، والمتخيم : البانى خيمته ليقيم فيها » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فى السير » .

كأنها نائحـــة تفجعُ تبكي لشجوٍ وسواها الموجع[1]

*

وقال الشماخ :

كأنْ ذِراعيها ذِراعا مُدِلَّةٍ بُعَيْدَ السِّبابِ حاولَتْ أن تَعَذَّرا
مِن البيضِ أعطافًا إذا اتَّصلَتْ دعَتْ فِراسَ بنَ غَنْمٍ أو لقيطَ بنَ يَعْمَرا
بها شَرَقٌ مِن زَعْفرانٍ وعَنْبرٍ أطارتْ من الحُسْنِ الرِّداءَ المُحَبَّرا[2]
تقولُ وَقد بَلَّ الدُّموعُ خِمارَها أَبَى عِفَّتي ومَنْصِبي أن أُعَــيَّرا
كأَنَّ بذِفْراها مَناديلَ فارَقَتْ أَكُفَّ رجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرا[3]
كأَنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِها إذا هو لم يَكْلِمْ بِنابَيْهِ ظَفَّرا

شَبَّهَ يديها بيدَىْ مُدِلَّةٍ بجمالٍ ومنصِبٍ قد سابَّتْ وأقبلتْ تعتذرُ وتشيرُ بيديها . فوَصَفَ جمالَها الذى به تُدِلُّ ، وَمَنْصِبَها المتصلَ بمن ذَكَرَتْه .

وقوله « أطارتْ من الحسن الرداءَ المحبَّرا » يقول : هي مُدِلَّةٌ بجمالها ، فلا تختَمِرُ فتَستُرَ شيئًا عن الناظر ، لأنها تبتهجُ بكل ما فى وجهها ورأسها .

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمرُ بن أبى رَبيعةَ المخزومىُّ حيثُ يقولُ :

فلما تَوَاقَفْنا وسَلَّمْتُ أقبلتْ وجُوهٌ زَهاها الحُسْنُ أن تَتَقَنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وقلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ فأَوْضَعا[4]

---

(١) فى س « تبكي بشجو » ، وفى ﻫ « تبكى لميت » .
(٢) « شرق » مصدر « شرق » الجسد بالطيب ، من باب « طرب » أى امتلأ .
(٣) في ج و س و د « قارَفَتْ » . وفى س « بأَيْدِى رِجالٍ » .
(٤) فى حاشية ا « لَمَّا رَأَيْنَنِى » . وفى ج و س و د « باغٍ أَضَلَّ » .

وقَرَّنَّ أسبابَ الهوَى لِمُقَتَّلٍ يَقيسُ ذِراعاً كلما قِسْنَ إصْبَعَا

[فقلتُ لِمُطْرِيهِنَّ ويحَكَ إنما ضَرَرْتَ فهل تَسطيعُ نَفعاً فتَنفعَا][1]

قوله :

« كأَنَّ بذِفْرَاها مناديلَ فارقتْ أكُفَّ رجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا »[2]

يقول: لسَوَادِ الذِّفْرَى ، وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بن حَجَرٍ :

كأَنَّ كُحَيْلاً مُعْقَدًا أو عَنِيَّةً على رَجْعِ ذِفْرَاها مِنَ اللِّيتِ واكِفُ

[« الكُحَيْلُ »[3] القَطِرانُ ، و « العَنِيَّةُ » ضربٌ منه] . وهذا معنًى يُسْئَلُ عنه ؟ لأن « اللِّيتَيْنِ » صفحتا العُنُقِ ، و « الذِّفْرَى » في أعلى القفا ، فكيف يَكِفُ على الذفرَى من اللِّيت ؟ والمعنى إنما هو : كأَنَّ كُحَيْلاً مُعْقَدًا أو عَنِيَّةً واكِفٌ على رَجْعِ ذِفْرَاها . وقوله « من اللِّيت » كقولك كموضِعِ دِجْلَةَ من بَغْداذَ » إنما هو للحَدِّ بينهما ، لا أنه وَكَفَ من شيء على شيء .

وأما قوله :

« كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيْه ظَفَّرَا »

يقول : ليستْ تَسْتَقِرُّ ، فكأَنَّ ابنَ آوَى يكلِمُها[4] بنابَيْهِ أو يَخْلِبُها[5]

---

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) في ج و س و د « فارقت » .

(٣) « الكحيل » بالتصغير ، ولا يستعمل في هذا المعنى إلا مصغراً ، كما نص عليه في اللسان وغيره.

(٤) في ج و س و د « يَعَضُّها » .

(٥) في ج و س و د و هـ « ويخلبها » .

بظُفُرِه ، فهي لا تستقرُّ . وقال أوس بن حَجَرٍ :

كأنَّ هِرًّا جَنِيباً تحتَ غُرْضَتِها ... والْتَفَّ دِيكٌ بحَقْوَيْهَا وخنزيرُ(١)

و « الغَرْضُ » و « الغُرْضَةُ » واحدٌ ، وهو حِزَام الرَّحْلِ .

*

وقال آخرُ :

كأنَّ ذِراعيها ذراعَا بَذِيَّةٍ ... مُفَجَّعَةٍ لاقَتْ خَلائِلَ عن عُفْرِ(٢)

سَمِعْنَ لها واستفرغَتْ فى حديثها ... فلا شئَ يَفْرِى باليدَيْنِ كما تَفْرِى

[قال أبو العباس : أنشدنيهما عبدُ الصمد بن المُعَذَّلِ . وأنشدنيهما سعيدُ بن سَلْمٍ](٣) . ولو قيل أن هذا مِن أبلغِ ما قيل فى هذا الوصفِ ما كان ذلك بعيداً . وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ(٤) وقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ونِيلَ منها ، ولقيَتْ خلائِلَها بعدَ زمانٍ ، وتلك الشكوى كامنةٌ فيها ، وأَصْغَيْنَ إليها يَتَسَمَّعْنَ(٥) .

و «الفَرْيُ»: الشَّقُّ ، يقال « فَرَى » أَوْ داجَهُ : أى قَطَع ، و « فَرَيْتُ » الأدِيم . وإذا قلتَ « أَفْرَيْتُ » فمعناه أصلحتُ . وقولُ الحجّاج : إنى والله

---

(١) فى ج و س و د و هـ وحاشية ا « ديك برجليها » .

(٢) فى ج و د و هـ « بذيئة » . وقوله « خلائل » جمع « خليلة » وهن اللاتى أصفين لها الودّ . و « عن عفر » أى بعد عفر — بضم العين وسكون الفاء — وهو طول العهد . أفاده المرصفى .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « بذيئةٌ » .

(٥) فى ج و د « لها » . وفى ج و س و د « فلسمعن » ، وفى هـ « يسمعن » .

ما أَهَمُّ إلاَّ مَضَيْتُ ولا أَخْلُقُ إلاَّ فَرَيْتُ ، يقول : إذا قَدَّرتُ قطعتُ . يقال « فَرَيْتُ » القِرْبةَ والمَزادةَ ، فهما « مفرِيَّتانِ » . قال ذو الرمة :

* كأنه مِن كُلَى مَفرِيَّةٍ سَرَبُ *

وقال امرؤُ القيسِ :

كأَنَّ الحَصَى مِن خلفِها وأمامِها إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أَعْسَرَا[1]
كأَنَّ صَلِيلَ المَرْوِ حِينَ تُشِذُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا[1]

قوله « خَذْفُ أعسَرَ » يريد أنه يذهبُ على غير قصدٍ ، وقوله «صَلِيلُ زُيُوفٍ » يقال أن « الزَّيْفَ[2] » شَديدُ الصوتِ صَافيه .

وقال آخر :

كأَنَّ يَدَيْها يَدَا ـماتِحٍ أتى يوم وِرْدٍ لِغِبٍّ زَرُودَا[3]
يخافُ العِقابَ وفى نفسِه إذا هو أَنْهَلَ أَلاَّ يَعُودَا

---

(١) قال المرصفى : « نجلته رجلها تنجله ــ بالضم ــ نجلا : نزعته بمنسمها ورمت به . والخذف : كالضرب ، وهو الرمى باليد . والأعسر : من يعمل بيساره . يريد : أن رميها غير منتظم إلى جهة واحدة ، كخذف الأعسر ... وتشذه : من أشذ الشىء نحاه وأقصاه . وزيوف جمع زيف ، وهو من الدراهم مافيه غش . وينتقدن : ينقرن بالأصابع . وعبقر : ذكر ياقوت أنهم قالوا فى فسره : عبقر من أرض اليمن . وهذا يدل على أنه موضع مسكون به صيارف وغيرهم . قال : ولعل هذا كان قديما وخرب » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « الزَّائِفَ » .

(٣) « مايح » هكذا رسمت فى طبعة أوربة بنقطتين فوق الحرف الأول ونقطتين تحته ؛ نقلا عن الأصول المخطوطة ، لتقرأ الكلمة « ماتح » و « مايح » . فالماتح بالفوقية : المستقى بالدلو من أعلى البئر . والمايح بالتحتية ، وتقلب همزة ، هو الذى يملأ الدلو من أسفل البئر . وفى اللسان : « تقول العرب : هو أَبْصَرُ من المائحِ بِاسْتِ المَاتِحِ . تعنى : أن الماتح فوق المائح ، فالمائح يرى الماتح ويرى استه » . وفى ج و س و د و هـ « ماتح » بالفوقية .

يقول : هـذا الساقى يخافُ العقابَ إن قصَّرَ ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيةً ، فهى تُسْقَى سَقْيَةً[١] فى مرةٍ واحدةٍ .

وقد أكثروا فى هذا . فمن الإفراطِ فى السرعةِ قولُ ذِى الرُّمَّةِ :

كأنّه كوكبٌ فى أثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ فى سوادِ الليل مُنْقَضِبُ

يقال « عِفْرِيتٌ » و« عِفْرِيَةٌ » فى معنًى واحدٍ ، والتاء فى « عِفريتٌ » زائدةٌ ، وهو ملحقٌ بـ« قِنديلٍ » يقال : فلانٌ [« عِفْرِيَةٌ زِبْنِيَةٌ » و « الزِّبْنِيَة » المُنْكَرُ[٢] ، وجمعه « زَبَانِيَةٌ » ، وأصلُه من الحركة ، يقال « زَبَنَهُ » إذا دَفَعَهُ . ويقال] : « عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ » على التوكيدِ ، [و « عِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ » ويقال « عُفَارِيَةٌ » ولم يُتْبَعْ « بِنُفَارِيَةٍ[٣] »] .

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئَةِ :

وإن نَظَرَتْ يومًا بمُؤْخِرِ عينِها إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له أبْعَدِ

ومن الإفراط قولُه :

---

(١) فى هـ « فهو يستسقى » . وفى ج و س و د « فهو يَسْتَقِى سقيَهُ » .

(٢) هكذا قال أبو العباس . والذى فى اللسان أن الزبنية : كل متمرد من الجن والإنس ، وأنه أيضا : الشديد . وقال قتادة : الزبانية عند العرب : الشرط ، وكله من الدفع ، وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار اليها . وقال الزجاج : الزبانية : الغلاظ الشداد .

(٣) هذا الذى أنكره أبو العباس أثبته غيره ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ . ففى اللسان : «ورجل عِفْرٌ نِفْرٌ ، وعِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ ، وعِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ ، وعُفَارِيَةٌ نُفَارِيَةٌ : إذا كان خبيثاً ماردًا . قال ابن سيده : ورجلٌ عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ ، فجاء بالهاء فيهما . والنِّفْرِيتُ إتْبَاعٌ للعفريتِ وتوكيدٌ » .

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الْحُبارَى كأنه ... بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ[1]

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأَطْواء أَطْواء ضَارِجٍ ... تُساقِطُنى والرَّحْلَ مِن صوتِ هُدْهُدِ

وقال آخرُ :

مَرُوحٌ برجليها إذا هى هَجَّرَتْ ... ويمنعُها مِن أن تَطِيرَ زِمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَرُوحٌ تَغْتَلِى فى البِيدِ حَرْفٌ ... تَكاد تَطِيرُ مِن رَأْىِ القَطِيعِ

وكذلك الأعرابىُّ الذى يقول :

* لو تُرْسَلُ الرِّيحُ لِجِئْنا قبلَها *

وقد مضى خَبَرُهُ .

وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأَجْوَدُهُ قولُ امرئ القيسِ [بن حُجْرٍ الكِنْدِىُّ][2] :

وقَدْ أَغْتَدِى والطَّيْرُ فى وُكُناتِهَا ... بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْدِ .

وحُدِّثْتُ أن رجلاً نظر إلى ظبيةٍ تَرُودُ ، فقال له أعرابىٌّ : أتحبُّ أن تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطنى أربعةَ دراهمَ حتى أردَّها إليك ، ففعل ، فخرجَ يَفْحَصُ[3] فى إِثْرِها ، فَجَدَّتْ وجَدَّ ، حتى أخذ بقَرْنَيْها ، فجاء بها ، وهو يقولُ :

---

(١) « القردد » ماغلظ من الأرض وارتفع .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) فى س و د و هـ « يَمْحَصُ » .

وَهْيَ على البُعْدِ تُـلَوِّى خَدَّها　　　تُرِيـغُ شَدِّى وأُرِيـغُ شَدَّها

* كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّها *

⁂

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ التشبيه وقريبِـه ، وصريحِ الـكلامِ [وبليغِه] ـ :[1] قولُ ذى الرُّمَّةِ .

ورَمْلٍ كأوراكِ العَذارَى قطعتُه　　　وقد جَلَّلَتْهُ المُظْلِماتُ الحَنادِسُ

« الحِنْدِسُ » اشتداد الظُّلْمة ، وهو توكيدٌ لها ، يقال ليلٌ حِنْدِسٌ ، ولَيْلٌ أَلْيَلُ ، [ويومٌ يَمٍ ، كما يقال : ليلٌ][2] مُظْلِمٌ .

وقال الشَّمَّاخُ فى صفة الفَرس :

مُفِجُّ الحَوَامِى عن نُسورٍ كأنَّها　　　نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

قوله « مُفِجُّ الحَوَامِى » يريد مُفَرِّقُ الحَوَامِى ، فالحوامى : نواحى الحافر . و « النُّسُورُ » واحدُها « نَسْرٌ » وهى نُـكْتَةٌ فى داخل الحافرِ ، ويُحْمَدُ الفرسُ إذا صَلُبَ ذلك منه ، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْبِ[3] . و « تَرَّتْ » سقطتْ . و « الجَرِيمُ » المَصْرُومُ . و « المُلَجْلَجُ » الذى قد لُجْلِجَ مَضْغًا فى الفمِ ثم قُذِفَ لصلابتِه .

وقوله « مُفِجٌّ » ليس يريدُ الذى هو شديدُ التَّفرقة ، ولكن الانفصالِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) قال المرصفى : « أخرجه مخرج المبالغة ، جعل أوراك العذارى مشبها به ، والمألوف تشبيهها بالرمل » .

(٣) « القسب » بفتح القاف وسكون السين المهملة ، وهو التمر اليابس يتفتت فى الفم ، ونواه أصلب النوى .

عن النَّسْرِ ، فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفلُه فذلك «الرَّحَحُ[1]» ، وهو مذمومٌ في الخيل ، وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له « مُصْطَرٌ » وكان عيباً قبيحًا . قال حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ :

لا رَحَحٌ فيها ولا اصْطِرَارُ   ولم يُقَلِّمْ أرضَها البَيْطارُ

* [ولا لِحَبْلَيْهِ بها حَبَارُ] *

« الحَبَارُ » الأَثَرُ][2] . ويُروى « ولم يُقَلِّبْ » وتأويلُ ذلك : أن حوافرَها لا تَتَشَعَّثُ فيُقَلِّمَها البَيْطارُ ، لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شيءٌ بعدَ شيءٍ فمحقها . وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ .

لا فِي شَظاها ولا أَرْساغِها عَنَتٌ   ولا السَّنابِكُ أفناهنَّ تَقْلِيمُ

وإنما يُحْمَدُ الحافرُ المُقَعَّبُ ، وهو الذى هَيئتُه كهيئة القَعْبِ ، وإن كان كذلك قيلَ « حافرٌ وأْبٌ » . قال ابنُ الخَرِعِ :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوَلِيـــدِ يَتَّخِذُ الفَأْرُ فيه مَغارَا

يريدُ : لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ ، كقول القائل : « فَأَتَى بجَفْنَةٍ يقعُدُ عليها عشَرةٌ » أى : لو قَعَدَ عليها عشرةٌ لَصَلَحَ . وقال الراجزُ :

* وَأْبٌ حَمَتْ نُسورُهُ الأَوْقارَا *

[يقال « حافرٌ مَوْقورٌ » وهو أن يُصيبه داءٌ يشبهُ الرَّهْصةَ][3] وفى كلِّ

---

(١) « الرحح » بحاءين مهملتين ، وهو انبساط الحافر فى رقة .

(٢) الزيادة من حاشية ع .

(٣) الزيادة من س . و « الرهصة » و « الرهص » بسكون الهاء : أن يصيب باطن حافر الدابة شيء يوهنه ، أو ينزل فيه الماء من الإعياء .

حافرٍ حاميَتانِ ، وهما حرفاهُ [مِنْ](١) عَنْ يمينٍ وشِمالٍ ؟ ومُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ ، ومُؤَخَّرُهُ الدَّابِرَةُ .

ومثل قوله « عن جَرِيمٍ ملجلج » قولُ عَلْقمةَ بن عَبَدَةَ :

سُلاَّءةٌ كَعَصَا النَّهْدِىِّ غُلَّ بها ذُو فَيْئَةٍ مِن نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ(٢)

شَبَّهها بالشَّوْكَةِ من شَوْكِ النخل ، لأن الفرسَ الأنثى يُحْمَدُ منها أن يَدِقَّ صدرُها ثم يَنخرِط على امتلاء إلى مؤخَّرها ، والحَمَامُ يُحْمد منهنَّ أن يَعْرُضَ الصَّدرُ ثم يَنخرطَ إلى ذَنَبِهِ ضُمورًا ، فيقال في صفتِه « كأنه جَلَمٌ » .

وقوله « كَعَصَا النَّهدى » يريدُ في الصلابة ، كما قال :

* وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِرَاوَةِ صِلْدِمِ *

وقوله « ذو فَيْئَةٍ من نَوَى قُرَّانَ » يقول : ذُو رَجْعةٍ ، يقولُ : مَضَغَتْهُ الإبلُ فلم تَكْسِرْه ثم بعَرَتْهُ صِحاحًا . و « معجوم » مَمْضُوغٌ ، يقالُ « عَجَمْتُهُ أَعْجُمُهُ [عَجْمًا](٣) » إذا مضغتَه ، فـ « العَجْمُ » المَضْغُ ، ويقال للنَّوَى من كلِّ شيءٍ « العَجَمُ » متحرِّكُ العينِ(٤) . قال الأعشى :

* وجُذْعَانُها كَلَقِيطِ العَجَمْ *

وقال النابغةُ :

وظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا في حَالِكِ اللَّوْنِ صَدْقٍ غيرِ ذِى أَوَدِ

---

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) قال المرصفى : هذا البيت بعد قوله : لاقى شظاها الخ . وسلاءة ــ بضم فتشديد لام ممدودة ــ واحدة سلاء النخل ، وهو شوكه » .

(٣) الزيادة من ع و س و د .

(٤) فى ع و س و د « متحرك الجيم » . وهو بمعنى ماهنا ، لأن المراد بالعين وسط الكلمة على اصطلاحهم فى وزن الكلمات كلها بمثال « فعل » ومايشتق منه .

ومثلُ البيت الأولِ قولُ عُقْبةَ بن سابقٍ العَنْبَرِيِّ :

لهُ بَيْنَ حَوَامِيهِ   نُسُورٌ كَنَوَى القَسْبِ

فهذا تشبيه مقارِبٌ جداًّ .

⁂

ومن التشبيه الحسنِ قولُ الشاعرِ [هو الشَّمّاخُ][1] :

كأنَّ المَتْنَ وَالشَّرْخَيْنِ منه   خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ

يريدُ سهماً رُمِيَ به فأنفذَ الرَّمِيَّةَ وقد اتّصلَ به دَمُها . و«المَتْنُ» متن السهم . و«شَرْخُ» كلِّ شيء : حَدُّهُ ، فأرادَ شَرْخَيِ الفُوقِ ، وهما حرفاه . و«المَشِيجُ» اختلاطُ الدَّمِ بالنُّطفة ، هذا أصلُه . قال الشَّمّاخُ :

طَوَتْ أحشاءَ مُرْتَجَةٍ لِوَقْتٍ   على مَشَجٍ سُلالَتُهُ مَهِينُ

وقال الله جل وعز : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾[2] . وفي الحديث : « اقتُلُوا مَسَانَّ المشركين واسْتَبْقُوا شَرْخَهُمْ »[3] أي الشَّبابَ ، لأنَّ الشَّرْخَ الحَدُّ . قال حَسَّانُ [بن ثابتٍ][4] :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـ   ـوَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنُونا

(١) الزيادة من د .
(٢) سورة الانسان (٢) .
(٣) « المسان » الكبار . والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب بلفظ : « اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم » . وهو حديث صحيح . قال ابن الأثير : « أراد بالشيوخ الرجال المسانّ أهل الجلد والقوة على القتال ، ولم يرد الهرمى . والشرخ : الصغار الذين لم يدركوا » .
(٤) الزيادة من ج و س و د .

[قال أبو العباس][1] : وأنْشَدَنا عمْرُو بن مرزوقٍ[2] قال : أنشَدنا شُعْبَةُ[3] قال : أنشدنا سِماكُ بن حَرْبٍ[4] فى هذا الحديثِ :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ تألَفُهُ البيــــضُ وشَيْبُ القَذَالِ شىءٌ زَهيدُ

فأما قولُ الشَّنْفَرَى :

كأنَّ لها فى الأرض نِسْيًا تقُصُّهُ على أَمِّهَا وإنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ

ـ : فإنما أرادَ شدَّةَ استحيائِها ، يقول : لا تَرْفَعُ رأسَها ، كأنَّها تطلبُ شيئًا فى الأرضِ . و « النِّسْيُ » على ضربين : أحدُهما : ما تقادمَ عَهْدُهُ حتى يُنْسَى ، والآخرُ : ما أضَلَّهُ أهلُهُ فيُطْلَبُ ويُطْمَعُ[5] فيه . و « تَقُصُّهُ » تَتَّبِعُهُ . قال الله جل وعز : ﴿وقالتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[6]. أى اتبِعِي أَثَرَهُ . و « الأَمُّ » القصدُ . وقولُه « وإن تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ » تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائِها .

وأُنْشِدَ بَشَّارُ بن بُرْدٍ الأعمى قولَ كُثَيِّرٍ :

أَلاَ إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تَلِينُ

قال : فقال : للهِ أبو صَخْرٍ ! جعلَها عصًا ، ثم يَعْتَذِرُ لها ؟! واللهِ لو جعلَها عصًا

---

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) هو عمرو بن مرزوق الباهلى البصرى ، روى عن شعبة ومالك وغيرهما . قال ابن معين : ثقة مأمون صاحب غزو وقرآن وفضل ، وحمده جداً . وكان كثير الحديث عن شعبة . روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما ، مات فى صفر سنة ٢٢٤

(٣) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى ، إمام أهل الحديث غير مدافع ، قال أحمد بن حنبل : كأن شعبة أمةً وحده فى هذا الشأن ، يعنى فى الرجال وبصره بالحديث وتثبته وتنقيته للرجال . ولد سنة ٨٢ ومات بالبصرة فى جمادى الآخرة سنة ١٦٠ . وفى ج و د و هـ «عن شعبة» .

(٤) هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلى البكرى ، من ثقات التابعين . مات سنة ١٢٣

(٥) فى ج و س و د « فيُطْمَعُ » .

(٦) سورة القصص (١١) .

من مُخٍّ[1] أو زُبْدٍ لكان قد هجَّنها بالعصا ، ألاَّ قال كما قلتُ :

وبيضاء المَحَاجِرِ من مَعَدٍّ كأنَّ حديثَها قِطَعُ الجِنَانِ
إذا قامتْ لسُبْحَتِها تثنَّتْ كأنَّ عظامَها من خَيْزُرانِ[2]

و « الخيزُرانةُ » كلُّ غُصْنٍ ليِّنٍ يتثنَّى ، ويقال للمُرْدِيِّ خيزرانةٌ إذا كان يثنَّى إذا اعتُمِدَ عليه . قال النابغةُ :

يَظَلُّ من خوفِهِ المَلاَّحُ مُعْتَمِدًا بالخَيْزُرانَةِ بعد الأَيْنِ والنَّجَدِ[3]

« الأَيْنُ » الإعياء . و« النَّجَدُ » العَرَقُ .

⁂

وقد عاب بعضُ الناس قولَ كُثَيِّرٍ :

فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثَها وعَرَارُها
بمُنْخَرَقٍ من بَطْنِ وادٍ كأنَّما تلاقَتْ به عَطَّارَةٌ وتِجارُها
بأطْيَبَ من أرْدانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

وحكى الزُّبيريون : أن امرأةً مدينيةً عَرَضَتْ لكُثَيِّرٍ فقالت : أأنتَ[4] القائلُ هذين البيتين ؟ قال : نعم ، قالت : فَضَّ اللهُ فاكَ ! أرأيتَ لو أنّ زِنْجيةً بَخَّرَتْ أردانَها بمَنْدَلٍ رَطْبٍ أمَا كانت تَطِيبُ ؟ ! ألاَّ قلتَ كما قال [سيِّدُكَ][5] امرؤُ القيس :

---

(١) في ج و س و د و هـ « عصًا مُخٍّ » .
(٢) « السبحة » بضم السين : صلاة النافلة .
(٣) في ج و س و د « مُعْتَصِمًا » بدل « معتمداً » . والشطر الثاني في هـ « بالخيزُرانَةِ من جَهْدٍ ومن رَعَدِ » .
(٤) في س و د « أنت » وفي ج « ءآنت » .
(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا ... وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وإن لَمْ تَطَيَّبِ[1]

قوله « جَثْجَاثُهَا وعَرَارُها » « اَلْجَثْجَاثُ » رَيْحَانَةٌ طَيِّبَةُ الرِّيحِ بَرِّيَّةٌ مِن أحرارِ البَقْلِ . قال جريرٌ يهجو خالِدَ عَيْنَيْنِ العَبْدِيَّ :

كَمْ عَمَّةٍ لكَ يا خُلَيْدُ وخالَةٍ ... خُضْرٍ نَوَاجِذُها من الكُرَّاثِ

نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فطابَ لِرِيحِهَا ... ونَأَتْ عن القَيْصُومِ والجَثْجَاثِ

وإنما هجاه بالكُرَّاثِ ، لأن عبدَ القيس يسكنون البَحْرَيْنِ ، والكُرَّاثُ من أطعمتهم ، والعامَّة يُسَمُّونَهُ « الرَّكْلَ » و « الرَّكَّالَ » . قال أحدُ العَبْدِيِّينَ :

أَلَا حَبَّذَا الأَحْسَا وطِيبُ تُرَابِها ... ورَكَّالُهَا غادٍ علينا ورائحُ[2]

وقولُ كُثَيِّرٍ « وعَرَارُها » فالعَرَارُ البَهَارُ البَرِّيُّ ، وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طَيِّبُ الرِّيحِ . قال الأعشى :

بَيْضَاءُ ضَحْوَتَهَا وصَفْـــرَاءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارَهْ[3]

وقولُه « مَوْهِنًا » يريد : بعدَ هَدْءٍ [من الليل][4] ، يقالُ : أتانا بعد هَدْءٍ

---

(١) هنا بحاشية ا مانصه : « قوله ألا قلت الخ : إنما رجح قول امرئ القيس على قوله لأن امرء القيس أثبت لها طيبا وإن لم تطيب . بخلاف كثير فانه أثبت لها الطيب إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها . لايخفى فرق مابين الحالتين » .

وهــذه المرأة التى جادلت كثيراً ليست مدينية كما زعم أبو العباس ، بل هى قطام زوج عبد الرحمن بن ملجم قاتل على عليه السلام ، وكان كثير شيعيا ، فلذلك قست عليه فى النقد . وقصتها معه مفصلة فى الأغانى (١٤ : ٥٧ ساسى) والموشح للمرزبانى (ص ١٥١ — ١٥٣) .

(٢) « الأحساء » مدينة مشهورة بالبحرين ، وهى بالمدّ ، وإنما قصرها لضرورة الوزن . والبيت فى اللسان (١٣ : ٣١٣) وفيه وفى ج و س « اَلْأَحْسَاءُ طيبُ تُرَابِها » .

(٣) قال المرصفى : « معناه : أن المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيض بالغداة ببياض الشمس ، وتصفر بالعشىّ باصفرارها » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

من الليلِ وبعد وَهْنٍ [من الليل [1]]، أى : بعدَ دخولنا فى الليل .
وأنشدَ أبو زيدٍ :

هَبَّتْ تلومُكَ بعد وَهْنٍ فى النَّدَى ... بَسْلٌ عليكِ ملامَتى وعِتابِى

و « المَنْدَلُ » العُودُ يقال له « المَنْدَلُ » و « المَنْدَلِىُّ » . قال الشاعرُ :

أمِنْ زَيْنبَ ذِى النَّارُ ... قُبيلَ الصبحِ ما تَخْبُو
إذا ما خَمَدَتْ يُلْقَى ... عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس: «ذِى» معناه «ذهْ» يقال : ذَا عبدُ الله ، وذِى أَمَةُ الله ، وذِهْ أمَةُ الله ، وتِهْ أمَةُ الله ، وتَا أَمَةُ الله . فإذا قلتَ : هذا عبـــدُ الله ـ : فالِاسمُ « ذا » و « ها » للتنبيه . وعلى هذا تقول : هٰذِى أَمَةُ الله [وهٰذه أَمَةُ الله [2]] . وإن شئتَ أسكنْتَ فى الوصلِ فقلتَ : هٰذِهْ أَمَةُ الله . وإذا [3] قلتَ : هٰذِهِى أَمَةُ الله ـ : فالياءُ زائدةٌ ، لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لفظِ المضمرِ [4] شبَّهوها به فى زيادةِ الياء ، نحو : مررتُ بِهِى يا فتى ! [و] [5] لا يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءَ فى « هٰذه » على قولِ مَنْ قال : مررتُ بِهُوْ ، لأن هاءَ الإضمارِ أصلُها الضمُّ ، تقولُ : رأيتهُو [6] يا فتَى ! ورأيتُهُم يا فتى ! وهذه الهاءُ ليستْ من هٰذِه ، إنما هى مشبَّهةٌ . وتقولُ : هاتِهِ هندٌ ، وهاتِى هندٌ ، و هاتَا هندٌ ، على زيادة « ها » للتنبيه . قال جريرٌ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .
(٢) فى ج و س و د « فاذا » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) فى هـ « فى اللفظ كهاء المضمر » .
(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٦) كتبت بالواو لإظهار الضمة واضحة . وكتبت فى ج و س و د و هـ « رأيته » .

هٰذِى التى جَدَعَتْ تَيْماً مَعَاطِسَهَا ثُمَّ اقْعُدِى بعدَها يا تَيْمُ أو قُومِى

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ :

وليس لعَيشِنَا هذا مَهَاهٌ وليستْ دارُنَا هَاتَا بِدَارِ

قال أبو العباس : النحويون يُثْبِتُون الهاء فى الوصلِ ، فيقولون «مَهَاهٌ» وتقديرُه « فَعَالٌ » ومعناه اللَّمْعُ والبَهَاءُ[1] ، يقال : وَجْهٌ له مَهَاهٌ يا فتى ! والأصمعيُّ يقولُ « مَهَاة » تقـديرُها « حَصَاةٌ » ، يجعلُ الهاءَ زائدةً ، وتقـديرُها[2] « فَعَلَةٌ » و « المَهَاةُ » البِلَّوْرَةُ ، و « المَهَاةُ » البقرةُ الوحشيَّةُ ، وجمعُها « المَهَا » [حَكَى يعقوبُ بن السِّكِّيتِ « مَهَاةٌ » من أسماء الشمس ، وأنشدَ :

ثُمَّ يَجْلُو الظلامَ رَبٌّ رَحيمٌ بِمَهَاةٍ ضِياؤُها مَنْشُورُ][3]

فإذا صغَّرتَ « ذِهْ » قلتَ « تَيَّا » ، كأَنك صغَّرتَ « تا » ، ولا تُصَغَّرُ « ذِهْ » على لفظِها ، لأنك إذا صغَّرتَ « ذَا » قلتَ « ذَيَّا » ، فلو صغَّرتَ « ذِى » فقلتَ « ذَيَّا » ـ : لَالْتَبَسَ المؤنَّثُ بالمذَكرِ ، فصغَّرُوا ما يخالفُ فيه المؤنثُ المذكَّرَ .

وهذه المبهَمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغيرَ سائرِ الأسماء . وسنذكر ذلك فى بابٍ نُفْرِدُه له إن شاء الله .

---

(١) فى ع و س و د « والصفاء » .
(٢) فى طبعات مصر زيادة « فى قوله » ، وهى ثابتة فى ب وليست فى سائر الأصول .
(٣) الزيادة من حاشية ع .

*

عادا القولُ إلى التشبيه .

وأنشدَتْني[١] أمُّ الهَيْثَمِ[٢] فى صفة جَمَلٍ :

كأنَّ صوتَ نابهِ بنابهِ صَريرُ خُطَّافٍ عَلَى كُلاَّبِهِ

أرادتِ الصريفَ، وهو أن يَحُكَّ أحد نابَيْهِ بالآخرِ. وقوله «صريرُ خطافٍ على كُلاَّبِه» ، فـ «الخُطَّافُ» ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ ، و «الكُلاَّبُ» ما وَلِيَه .

وقد قال النابغةُ :

مقذوفةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[٣]

«القَعْوُ» ما تدورُ عليهِ البَكْرَةُ إذا كان من خَشَبٍ ، فإن كان من حديدٍ فهو «خُطَّافٌ»، وإن دارتْ على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى «الدَّرَكَ» .

وقوله «مقذوفةٍ» يقول : مَرْمِيَّةٌ باللحم . و «الدَّخِيسُ» الذى قد رَكِبَ بعضُهُ بعضاً . و «النَّحْضُ» اللَّحْم . و «بازِلُهَا» نابُها ، ومعنى «بَزَلَ» و «فَطَرَ» واحدٌ ، وهو أن ينشقَّ النابُ . قال ذو الرُّمَّةِ :

كأَنَّ على أَنيابِها كُلَّ سُدفةٍ صِياحَ البَوَازِى من صَرِيفِ اللَّوائِكِ[٤]

يقولُ : ممـا تَلُوكُهُ . ويقال فى الغضَبِ : تركتُ فلاناً يَصْرِفُ نابُهُ عليكَ ،

---

(١) فى ج و س و د «أنشدتنى» بحذف الواو ، وبها طبعت نسخ مصر .

(٢) مضى ذكرها فى الجزء الأول (ص ٧) وأن أبا الحسن قال : «هى أم الهيثم الكلابية ، من ولد المحلق ، وهى راوية أهل الكوفة» .

(٣) فى ج و د «مقذوفة» بالرفع .

(٤) «السدفة» ظلمة فيها ضوء . أو هى الظلمة فى لغة نجد ، والضوء فى لغة غيرهم . و «البوازى» جمع «بازى» وهو نوع من الصقور التى تصيد . و «اللوائك» يريد : من صريف أنيابه التى تلوك وتمضغ . أفاده المرصفى .

وَيَحْرِقُ ويَحْرُقُ ، ورأيته يَعَضُّ عليك الأُرَّمَ . قال زهيرٌ في مدحِه حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ [بن بَدْرٍ الفَزَارِيّ](١) :

أَبَى الضَّيْمَ والنُّعمانُ يَحْرِقُ نابُهُ عليه فأَفْضَى والسُّيوفُ مَعاقِلُهْ

وقال آخرُ :

نُبِّئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى أَنَّما ظَلُّوا غِضَابًا يَعْلُكُونَ الأُرَّمَا

وقال بعضُ النحويين : يعني الشِّفاهَ ، وقال بعضُهم : يعني الأصابعَ .

فأما قولُهم « عَضَّ على ناجذِه » وهو آخِرُ الأسنانِ - : فيكونُ على وجهين : أحدُهما : أنه قد احتَنَكَ وبَلَغَ ، والآخرُ : أن يكونَ للإطْراقِ والتَّشَدُّدِ . ويُروى عن على بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقولُ : إذا لقيتُم القومَ(٢) فأَجْمِعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّواجِذِ ، فإن ذلك يَنْبِي(٣) السيوفَ عنِ الهامِ .

*

ثم نعود إلى التشبيه .

قال الراجزُ [وهو أبو النَّجْمِ](٤) :

كأنَّها حين تناهَى الْبَاسُ جِنِّيَّةٌ في رأسِها أَمْرَاسُ(٥)

---

(١) الزيادة من س و د .
(٢) في هـ زيادة « في الحرب » .
(٣) في ج و س و د و هـ « يُنْبِي » .
(٤) الزيادة من ج و س و د .
(٥) في ج و س و د « كأنها حين بناها الناس » .

بها سُكونٌ وبها شِماسُ ... يَخرُجُ منها الحَجَرُ الكُبَاسُ[1]

يَمُرُّ لا يَحبِسُهُ حَبَّاسُ ... لا نَافِذُ الطَّعْنِ ولا تَرَّاسُ

يصفُ المَنْجَنيقَ. و«الأمراسُ» الحِبالُ، الواحدُ «مَرَسَةٌ[2]». و«الكُبَاسُ» الضخم، يقال: هامةٌ «كَبْسَاء» يافتى؛ ورأسٌ «أَكْبَسُ». و«الحَبَاسُ»: الذى من شأنه أن يَحْبِسَ، يقال: رجلٌ ضاربٌ: للذى يضربُ، كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً، فإذا قلتَ «ضَرَّابٌ» و«قَتَّالٌ» فإنما يُكَثِّرُ الفعلَ، ولا يكونُ للقليل.

قال الراجزُ:

أَخْضَرُ مِن مَعْدِنِ ذى قُسَاسِ ... كأنه فى الحَيْدِ ذى الأَضْراسِ

* يُرْمَى به فى البلدِ الدَّهَّاسِ *

يصفُ مِعْولاً. و«ذو قُسَاسٍ» مَعدِنٌ للحديد الجيِّد، وهو يقرُبُ من بلاد بنى أسَدٍ. و«الحَيْدُ» ماأشرفَ من الجبلِ أو غيرِ ذلك، يقال للطُّنُفِ «حَيْدٌ» وهو الذى يسميه أهلُ الحَضَرِ «الإفْرِيزَ» يقالُ: طَنِّفْ حائِطَك، ويقالُ للنَّاتِئِ [فى][3] وسطِ الكَتِفِ «حَيْدٌ» و«عَيْرٌ» وكذا النَّاتِئُ فى القَدَمِ. وقوله «ذى الأضراسِ» يريدُ الموضعَ الضَّرِسَ الخَشِنَ ذا الحجارةِ، فيقولُ: هذا المِعْوَلُ لِحِدَّتِهِ يَقَعُ فى الخشونةِ فيَهْدِمُها كما يهدِمُ الدَّهَّاسَ. و«الدَّهَّاسُ»

---

(١) «الشماس» بكسر الشين، و«الشموس» بضمها: جموح الدابة ونفورها.

(٢) فى ج و س و د و ه «مَرَسٌ».

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه.

ما لانَ من الرملِ . قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ [وهو أعمى][1] في يوم حُنَيْنٍ : أينَ مُجْتَلَدُ القومِ ؟ فقالوا : بأَوْطاسٍ ، فقال : نِعْمَ مَجالُ الخيلِ ، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولا لَيِّنٌ دَهِسٌ .

وقال العَجّاجُ يصفُ حماراً :

كأنَّ فيه إذا ما شَحَجا   عُودًا دُوَينَ اللَّهَواتِ مُولَجَا[2]

هذا يوصف به العَيْرُ[3] الوحشيُّ إذا أسَنَّ[4] ، تَراه لا يشتدُّ نَهيقُهُ ، وكأنه يعالجه عِلاجاً . قال الشَّمّاخُ :

إذا رَجَّعَ التَّعشيرَ عَجًّا كأَنه   بناجِذِه مِن خَلْفِ قارِحِهِ شَجِي

فأما قولُ عَنْتَرَةَ :

بَرَكَتْ على ماءِ الرِّدَاعِ كأَنَّما   بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

ـ : فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها ، يقالُ أنه يخرجُ منها كأَشْجَى[5] صوتٍ ، فإنما شبَّهه بالزَّمِيرِ، وأراد القَصَبَ الذي يُزْمَرُ به ، قال الأصمعيُّ : هو الذي يقال له بالفارسية « نَايْ »[6] ، قال الراعِي يصفُ الحادِيَ :

زَجِلُ الحُدَاءِ كأَنَّ في حَيْزُومِهِ   قَصَبًا ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجُولاَ

---

(١) الزيادة من س و د .

(٢) « الشحيج » بالشين المعجمة والحاء المهملة والجيم : صوت البغل والحمار إذا أسن .

(٣) فى ع و س و د و هـ « يصف العير » .

(٤) فى ع و س و د « الذى قد أسن » .

(٥) رسمت فى الأصول « كأشجا » بالألف .

(٦) فى ع و د « نَرْمَنَايْ » . والذى فى المعرب للجواليقى وشفاء الغليل للخفاجى « نَايْ نَرْم » ورواه فى بيت للاعشى .

« المُقْنِـعُ » الرافعُ رأسَه ، فى هذا الموضع ، ويقال فى غيره : الذى يَحُطُّ رأسَه ، استخذاءً(١) وندمًا . قال الله جل وعز : ﴿مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾(٢) . ومن قال : هو الرافعُ رأسَه ـ : فتأويلُه عندنا : أنه يتطاولُ فينظرُ ثم يُطَأْطِئُ رأسَه ، فهو بَعْدُ يَرجعُ إلى الإغْضاء والانكسارِ .

⁂

والبعيرُ يَحِنُّ كأشدِّ الحنينِ إلى الأَلْفِ إذا أُخِذَ من القطيع . قال : وأكثَرُ ما يَحِنُّ عند العطشِ ، قال الشاعرُ :

[وتفرَّقُوا بعدَ الجميعِ لِنيَّةٍ لا بُدَّ أن يتفرَّقَ الجِيرانُ](٣)
لاتصبرُ الإبلُ الجِلاَدُ تفرَّقَتْ بعدَ الجميعِ ويَصْبِرُ الإنسانُ(٤)

وقال آخرُ :

وهل رِيبةٌ فى أن تَحِنَّ نَجِيبةٌ إلى إلْفها أو أن يَحِنَّ نَجِيبُ

وإذا رَجَّعَتِ الحنينَ كان ذلك أحسنَ صوتٍ يهتاجُ له المُفارِقون ، كما يهتاجون لنَوْحِ الحمامِ ، ولِالْتِياحِ البُرُوقِ .

وقال عَوْفُ بن مُحَلِّمٍ وسمع نَوْحَ حمامةٍ :

أَلاَ يا حَمامَ الأَيْكِ إلفُكَ حاضِرٌ وغُصْنُكَ ميَّالٌ فَفِيمَ تَنُوحُ(٥)

---

(١) فى س و هـ « استحياء » .
(٢) سورة إبرهيم (٤٣) .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) فى ج و س « الإبل الجياد » وفى س « لفرقة » بدل « تفرقت » .
(٥) فى ج و س ود و هـ « وغصنك مَيَّادٌ » . وبها طبعت نسخة الشيخ المرصفى ، من غير إشارة الى باقى الأصول الأخرى .

أَفِقْ لاتَنُحْ مِن غيرِ شيء فإنَّنى ... بكيتُ زمانًا والفؤادُ صحيحُ
وَلُوعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دارُ زينبٍ ... فها أنا أَبْكِى والفؤادُ قَرِيحُ

وكلُّ مُطَوَّقةٍ عند العرب حمامةٌ ، كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إلا حمامةٌ ... دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّمَا(١)
إذا شئتُ غَنَّتْنِى بأجزاعِ بِيشَةٍ ... أو النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أو بِيَلَمْلَمَا
مُطَوَّقةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا ... دَنَا الصيفُ وانجالَ الربيعُ فأَنْجَمَا(٢)
مُحَلَّاةُ طَوْقٍ لم يَكُن مِّن تَميمةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْهِ دِرْهَمَا
تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحةٍ فى شَجْوِها مُتَلَوَّمَا(٣)
إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أو مال مَيْلَةً ... تغنَّتْ عليه مائلاً ومُقَوَّمَا
عجبتُ لها أنَّى يكونُ غِناؤُها ... فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا
فلم أَرَ مثلِي شاقَهُ صوتُ مثلِها ... ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أَعجَمَا

وقال [عدىُّ](٤) بن الرَّقاعِ وذكَرَ حمامةً(٥) :

---

(١) فى ج و هـ « غيرُ حمامةٍ » وفى ج . و س و د و هـ « دعتْ ساقَ حُرٍّ فى حمامٍ تَرَنُّمَا » .

(٢) فى هـ « مطوَّقةٌ غرَّاء تَصْدَحُ » . وفيها « وأنْزَالَ » بدل « وانجال » . وفى ج و س و د وحاشية ا « وانْزَاح » .

(٣) فى حاشية ا « غُصْنٍ ضُحَيًّا » . وفى ج و س و د و هـ وحاشية ا « فى نوحها » .

(٤) الزيادة من د .

(٥) فى ف « قال أبوالحسن : الصحيح أنه لنصيب » .

[ومما شَجانِى أننى كنتُ نائمًا أُعَلَّلُ من بَرْدِ الكَرَى بالتَّنَسُّمِ
إلى أنْ بكَتْ ورقاءُ فى غُصْنِ أَيْكَةٍ تُرَدِّدُ مَبْكاها بحُسْنِ الترنُّمِ][1]
فلو قَبْلَ مَبْكاها بكيتُ صَبابَةً بسُعْدَى شَفَيْتُ النفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ[2]
ولكنْ بكَتْ قبلِى فهاجَ لى البُكا بُكاها فقلتُ الفَضْلُ للمتقدِّمِ

أما قولُ حميدٍ « دَعَتْ ساقَ حُرٍّ » فإنما حَكَى صَوْتَها . ويقال للواحدِ ذكرًا كان أو أنثى « حمامةٌ » والجمعُ « الحَمامُ » وَ « الحَماماتُ » . فإذا كان ذكرًا قلتَ « هذا حمامةٌ » وإذا كانت أُنثى قلتَ « هذه حمامةٌ » . وكذلك « هذا بَطَّةٌ » و « هذه بَطَّةٌ » . ويقال « بقرةٌ » للذكر والأنثى ، و « دجاجةٌ » لهما ، فإذا قلتَ « ثَوْرٌ » أو « ديكٌ » بيَّنْتَ الذَّكَرَ واستغنيتَ عن تقديم التذكير .

ويقال للحمامة : تغَنَّتْ وناحتْ ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيرُ مفهومٍ ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا . قال قيسُ بن مُعاذٍ :

ولو لم يشقْنِى الظاعنونَ لَشاقَنِى حمائمُ وُرْقٌ فى الديارِ وُقُوعُ
تجاوَبْنَ فاستَبْكَيْنَ مَن كانَ ذا هوًى نَوائِحَ ما تجْرِى لهنَّ دموعُ

وقوله « وانجالَ الربيعُ » يقال « انجالَ عنَّا » أى أَقْلَعَ ، ومثلُ ذلك « أَنجمَ عنَّا » . وإن قلتَ « أَنجَمَ » فمعناه لَزِمَ ووقع ، فهو خلافُ « أَنجَمَ » . وإن قلتَ « انجابَ » فمعناه انشقَّ ، يقال « المِجْوَبُ » للحديدةِ التى يُثْقَبُ بها

(١) الزيادة من حاشية ج .
(٢) فى ج و س و د و هـ « بليلى » بدل « بسعدى » .

العَسِيبُ ، ويقال « جُبْت البلادَ » أى دخلتُها وطوَّفتُها . وفى القرآن :
﴿وثَمُود الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[١] أى شقّوهُ .

وقوله « لم يَكُن مِّن تَميمةٍ » « التَميمةُ » المعاذةُ وقد مضى هذا[٢] .
وقوله « ولم تفغَرْ بمنطِقِها فمًا » يقولُ : لم تَفتَحْ ، يقال « فَغَرَفاه » إذا فتَحه
[حكى ثعلبٌ « فغَرَفاه » و « فَغَرَ نَفْسُه » وكذلك « شَحَا فاه[٣] » و « شَحَا[٣]
نَفْسُهُ »][٤] . وقوله « ولا عَرَبيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجَمَا » يقولُ : لم أفهم ما قالتْ ،
ولكنى استحسنتُ[٥] صوتَها واستَحْزَنْتُه ، فحَنَنْتُ له .

ويُرْوَى أنَّ بعضَ الصالحين كان يسمعُ الفارسيّةَ تَنُوحُ ولا يدرى
ما تقولُ ، فيُبكيه ذلك ويُرَقّقُهُ ، ويذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له .

[قال أبو العباس[٦]] : وحُدِّثْتُ أن بعض المُحْدَثين[٧] سمع غِناءً
بخُراسان بالفارِسيَّة فلم يَدْرِ ماهو ، غيرَ أنه شَوَّقَهُ لِشَجَاهُ وحُسْنِهِ ، فقال
فى ذلك :

حَمِدْتُكِ ليلةً شَرُفَتْ وطابَتْ أقام سُهادُها ومَضَى كَرَاها[٨]
سمعتُ بها غِناءً كان أَوْلَى بأن يَقْتَادَ نفسِى من غِنَاها

---

(١) سورة الفجر (٩) .
(٢) مضى فى (ص ٥١٧) .
(٣) « شحا » رسمت فى الأصل « شحى » بالياء .
(٤) الزيادة من حاشية ج .
(٥) فى ج و د « استَشْجَيْتُ » .
(٦) الزيادة من ج و س .
(٧) فى ف « قال أبو الحسن : هو لأبى تمام » وكذلك قال المرصفى .
(٨) فى ج « ونَفَى كَرَاها » .

« الغِناء » الأولُ المدودُ[١] من الصوت ، والذى ذكره بعدُ فى القافية من المالِ مقصورٌ .

ومُسْمِعَةٍ يَحارُ السَّمْعُ فيها ولا تُضْمِمْهُ لا يَصْمَمْ صَدَاهَا[٢]
مَرَتْ أوتارَها فَشَفَتْ وشَاقَتْ فلو يَسْطِيعُ حاسِدُها فَدَاهَا
ولم أفهم معانِيَهَا ولٰكِنْ وَرَتْ كَبِدِى فلم أجْهَلْ شَجَاهَا
فكنتُ كأنَّنِى أعْمَى مُعَنًّى بِحُبِّ الغَانِياتِ وما رَآهَا[٣]

[وقال عَبْدُ بنى الحَسْحَاسِ :

وَرَاهُنَّ رَبِّى مثلَ ما قد وَرَيْنَنِى وأحْمَى على أكبادِهِنَّ المَكَاوِيَا][٤]

[قال أبو العباس][٥] : والشىءُ يُذْكَر بالشىء ، وإن كان دونَه ، فَنَجْرِى[٦] لاحتواءِ البابِ والمعنَى عليهما .

وفى شعرِ حُمَيدٍ هذا ما هو أحْكَمُ مما ذكرنا وأوعظُ ، وأحْرَى أن يتمثَّل به الأشرافُ ، وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ ، وهو قولُه :

أرَى بَصرِى قدرَابَنِى بعدَ صِحَّةٍ وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا

---

(١) فى ج « ممدود » .
(٢) فى ج و د « ومسمعةٍ » . وقوله « لايصمم صداها » قال المرصفى : « يدعو لها بطول العمر . والعرب تقول : أصم الله صداه ، تريد : أهلكه . وإذا مات قالت : صمَّ صداه . والصدى : ماتسمعه عقيب صياحك راجعا إليك من جبل أو مكان مرتفع » .
(٣) فى ج و س و هـ « وما رءاها » .
(٤) الزيادة من هـ .
(٥) الزيادة من ج و س و هـ .
(٦) فى ج و س و د « فيجرى معه» . وفى ف « قال أبوالعباس : والشىء بالشىء يذكر لاحتواء الباب عليهما » .

ولا يَلْبَثُ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَفَى بالسَّلاَمَةِ داءً »[١] .

⁂

ثم نرجعُ إلى التشبيه :

[قال أبو العباس][٢] : والعربُ تُشَبِّهُ على أربعةِ أضرُبٍ : فتشبيهٌ مُفْرِطٌ، وتشبيهٌ مُصِيبٌ، وتشبيهٌ مُقارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه، وهو أَخْشَنُ[٣] الكلام .

فمن التشبيه المفرطِ المتجاوزِ قولُهم للسَّخِيِّ : هو كالبَحْرِ . وللشجاع : هو كالأسدِ . وللشريفِ : سَمَا حتى بَلَغَ النجم . ثم زادُوا فوقَ ذلك ، فمن ذلك قولُ بعضِهم [وهو بَكْرُ بن النَّطّاحِ يقوله لأبي دُلَفَ القاسمِ بن عيسى][٤] :

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبارِها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ

له راحةٌ لو أَنَّ مِعْشارَ جُودِها على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحرِ

ولو أنَّ خَلْقَ اللهِ في مَسْكِ فارسٍ وبارَزَهُ كانَ الخَلِيَّ من العُمْرِ[٥]

---

(١) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (برقم ٦٢٣٤) ونسبه للديلمى فى مسند الفردوس، وأشار إلى أنه حديث ضعيف .

(٢) الزيادة من ج و س .

(٣) « أخشن » بالخاء والشين المعجمتين ، وفى س و د و هـ و ا « أحسن » بالمهملتين .

(٤) الزيادة من س و د .

(٥) « مسك » بفتح الميم وسكون السين ، وهو الجلد . يعنى : أن الناس جميعا لو اجتمعوا فصاروا فارساً واحداً وبارزه لظفر به أبو دلف .

وقد قيل أن امرأةَ عِمْرَانَ بن حِطَّانَ قالت له : أما زعمتَ أنك لم تكذب في شعرٍ قَطُّ ؟ ! قال : أوَ فعلْتُ ؟ قالت : أنت القائلُ :

فهُناك مَجْزَأَةُ بن ثَوْ رٍ كان أشْجَعَ من أُسامَهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ ؟ ! قال : فقال : أنا رأيتُ مجزأةَ [بن ثورٍ][1] فتح مَدينةً ، والأسدُ لا يفتحُ مدينةً[2] .

ومن عجيب التشبيه في إفراطٍ ، غيرَ أنه خرَجَ في كلامٍ جيدٍ ، وعُنِيَ به رجلٌ جليلٌ[3] ، فخَرَجَ من باب الاحتمالِ إلى باب الاستحسانِ ، ثم جُعِلَ لجَوْدَةِ ألفاظِه وحسنِ رَصْفِهِ واستواءِ نظمِه في غاية ما يُسْتَحْسَنُ ــ : قولُ النابغةِ يعني حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ [بن بَدْرِ بن عَمرِو الفَزَارِيّ][1] :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهمْ وكيفَ بحِصْنٍ والجِبالُ جُنُوحُ[4]

ولم تَلفِظِ الموْتَى القبورُ ولم تَزُلْ نجومُ السماءِ والأدِيمُ صَحيحُ

فعمّا قليـــلٍ ثُمَّ جاء نَعيُّهُ فظَلَّ نَدِيُّ الحَيِّ وهو يَنُوحُ

ومن تشبيههم المتجاوِزِ الجَيِّدِ النَّظْمِ ما [قد][5] ذكرناه ، وهو قولُ أبي الطَّمَحانِ [القَيْنِيِّ][6] :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) سبقت القصة بنحو هذا ، في (ص ٥٦٠) .

(٣) في ج و س و د « وعنى به رجلا جليلاً » .

(٤) يعني : تأبى نفوسهم أن يخبروا بموته ، إعظاماً له .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) الزيادة من د . والبيت مضى ضمن أربعة أبيات ، في (ص ٤٦ ــ ٤٧) منسوبة لأبي الطمحان. وأما ابن قتيبة فنسبها للقيط بن زرارة ، ولفي نسبتها لأبي الطمحان ، وانظر =

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجُوهُهُمْ ... دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُه(١)

ويروى عن الأصمعي : أنه رأى رجلاً يختالُ في أُزَيْرٍ(٢) في يوم قُرٍّ في مِشْيَتِه ، فقال له : ممن أنتَ يا مَقْرُورُ ؟ فقال : أنا ابنُ الوَحِيدِ ، أمشي الخَيْزَلَى(٣) ، ويُدْفِئُنِي حَسَبِي ! !

وقيل لآخرَ في هذه الحالِ : أمَا يُوجِعُكَ البَرْدُ ؟ فقال : بَلَى واللهِ ، ولكنِّي أذْكُرُ حَسَبِي فأدْفَأُ ! !

وأصْوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذي سُئِلَ في يوم قُرٍّ عمّا يَجِدُ ؟ فقال : ماعليَّ منه كبيرُ مؤونةٍ ، وقيل(٤) : وكيفَ [ذلك](٥) ؟ فقال : دَامَ بِي العُرْيُ ، فاعْتَادَ بَدَنِي ما تعتادُه وجوهُكم !

ومن التشبيهِ القاصدِ(٦) الصحيح قولُ النابغةِ :

وَعِيدُ أبِي قابُوسَ في غيرِ كُنْهِهِ ... أتانِي ودُونِي رَاكِسٌ فالضَّوَاجِعُ(٧)

فَبِتُّ كأنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقِعُ(٨)

= طبقات الشعراء (ص ٤٤٧) وعيون الأخبار (٤ : ٢٤) لابن قتيبة ، وانظر أيضاً لباب الآداب بتحقيقنا (ص ٣٦٧) وأمالي الشريف المرتضى (١ : ١٨٦) .

(١) « الجزع » بفتح الجيم ، ويجوز كسرها ، وهو ضرب من الخرز ، وقيل : هو الخرز اليماني ، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين ، وقد ضبطت الكلمة في طبعة أوربة فيما مضى بفتح الجيم ، وهنا بكسرها ، وضبطناها بالوجهين .

(٢) « أزير » تصغير إزار .

(٣) « الخيزلى » مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك ، وهي نوع من التبختر .

(٤) في ج و س و د « فقيل » .

(٥) الزيادة من د .

(٦) « القاصد » المستقيم السهل ، يقال : طريق قاصد : سهل مستقيم ، وسفر قاصد: سهل قريب .

(٧) « أبو قابوس » هو النعمان بن المنذر . و « راكس » واد . و « الضواجع » موضع ، وكلاهما بديار غطفان .

(٨) « ساورتني » من المساورة ، وهي المواثبة . و « الضئيلة » الحية الدقيقة . و « الرقش » جمع

يُسَهَّدُ من نومِ العِشاء سَليمُها ... لِحَلْيِ النساء فى يَدَيْهِ قَعاقِعُ(١)

تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ من سُوءِ سُمِّها ... تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُرَاجِـعُ(٢)

فهذه صفةُ الخائف المهمومِ . ومثلُ ذلك قولُ الآخَرِ :

تَبِيتُ الهُمُومُ الطارِقاتُ يَعُدْنَنِي ... كما تعتَرِي الأَوْصابُ رأسَ المُطَلَّقِ

و « المُطَلَّقُ » هو الذى ذكره النابغةُ فى قوله :

* تُطَلِّقُه طورًا وطورًا تُرَاجِـعُ *

وذاك : أن المنهوشَ إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارةً وأَمْسَكَ عنه تارةً فقد قارب أن يُوءَسَ من بُرْئِه .

وإنما ذَكَرَ خوفَه من النعمانِ وما يَعْتَرِيه من لَوْعَةٍ فى إِثْرِ لوعةٍ ، والفَتْرَةَ بينهما ، والخائفُ لا ينامُ إلاّ غِرَارًا(٣) . فلذلك شبَّهه بالملدوغ المسَهَّدِ .

وقوله « لِحَلْيِ النساء فى يديه قَعَاقِعُ » لأنهم كانوا يُعلِّقون حُلِيَّ النساءِ على الملدوغ ، يزعمون أن ذلك من أسبابِ البُرْءِ ، لأنه يسمعُ تقعقُعَها فيمنعُه النومَ فلا ينامُ فَيَدِبَّ فيه السُّمُّ ، ويُسَهَّدُ لذلك .

« رقشاء » وهى التى فيها نقط سود وبيض . و « الناقع » الثابت المجتمع .

(١) فى س و ج و د « يُسَهَّدُ فى لَيْلِ التِّمامِ » وزعم المرصفى أنها الرواية الصحيحة . و « التمام » بكسر التاء : أطول ليالى الشتاء .

(٢) « تناذرها الراقون » أى : أنذر بعضهم بعضا .

(٣) فى ج و س و د « وما يعتريه من لوعةٍ فى إثْرِ فَتْرةٍ ، والفَترةُ سِياَ الخائفِ ، ولا ينامُ إلاّغِرارًا » .

وقال الآخرُ :

كأنَّ فِجاجَ الأرضِ وهي عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كِفّةُ حابلِ

يُؤَتَّى إليه أنَّ كلَّ ثَنيَّةٍ تيَمَّمَها تَرْمِى إليه بقاتلِ[1]

يقال لكل مستطيل « كُفّةٌ » يقال « كُفّةُ الثوبِ » لحاشيته ، و « كُفّةُ الحابلِ » إذا كانت مستطيلةً . ويقال لكل شيء مستديرٍ « كِفّةٌ » ويقال « ضَعْهُ في كِفّةِ الميزان » فهذه جملة هذا . وكُفّةُ الحابل : صاحبَ الحِبالَةِ التي يَنْصِبُها للصَّيدِ .

*

وأما التشبيهُ البعيدُ الذي لا يقومُ بنفسِه فكقوله :

بل لو رَأتْنِي أُخْتُ جِيرانِنا إذْ أنا في الدارِ كأنِّي حمارْ

فإنما أراد الصحةَ ! فهذا بعيدٌ ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيرِه . وقال الله جل وعز ، وهذا البيِّنُ الواضحُ : ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ . و « السِّفْرُ » الكتابُ . وقال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ ﴾[2] في أنهم قد تَعامَوْا عنها ، وأَضْرَبُوا عن حدودِها وأمْرِها ونهيِها ، حتى صاروا كالحمار الذي يَحْمِلُ الكتبَ ولا يَعلمُ ما فيها .

وهَجَا مروانُ بن سليمانَ بن يَحْيَى بن أبي حَفْصةَ قومًا [يَدَّعُونَ العِلْمَ][3]

---

(١) « يؤتّى » بتشديد التاء المفتوحة ، من « التأتية » يريد : يأتيه الظن والوهم ، فيخيل اليه .

(٢) سورة الجمعة (٥) .

(٣) الزيادة من ه .

من رواةِ الشِّعر ، بأنهم لا يعلمون ما هو ، على كثرةِ استكثارِهم روايتَه ، فقال :

زَواملُ للأشعارِ لا عِلْمَ عندَهم بجيِّدِها إلاّ كعِلْمِ الأَباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يدْرِى البَعيرُ إذا غَدَا بأوساقِهِ أو رَاحَ ما فى الغَرائِرِ

❊

والتشبيهُ كما ذكرنا مِن أكثرِ كلام الناسِ . وقد وَقَع على أَلْسُنِ الناسِ من التشبيهِ المستحسَنِ عندَهم ، وعن أصلٍ أخَذُوه ـ : أنْ شَبَّهُوا[١] عينَ المرأةِ والرجلِ بعينِ الظّبْيِ[٢] أو البقرةِ الوحشيَّةِ ، والأَنْفَ بحَدِّ السيفِ ، والفَمَ بالخاتَمِ ، والشَّعَرَ بالعَنَاقيدِ ، والعُنُقَ بإبريقِ فضةٍ ، والساقَ بالجمَّارِ[٣] . فهذا كلامٌ جارٍ على الأَلْسُنِ .

وقد قال سُراقةُ بن مالك بن جُعْشُمٍ : « فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وسَاقَاهُ باديتانِ فى غَرْزِهِ كأنهما جُمَّارتان ، فأَرَدْتُه فوقَعْتُ فى مِقْنَبٍ[٤] مِن خَيْـلِ الأنصار ، فقَرَّعُونِى بالرِّماح . وقالوا : أين تريدُ »[٥] .

(١) فى ع و س و د و هـ « يشبهوا » .
(٢) فى ع و س و د « الظبية » .
(٣) فى ع و س و د و هـ « بالجمارة » .
(٤) « المقنب » بكسر الميم : جماعة الخيل والفرسان ، وقيل : هو دون المائة .
(٥) الحديث رواه ابن إسحق فى السيرة عن الزهرى ، وهو فى سيرة ابن هشام (ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ طبعة أوروبة) ورواه من طريقه ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة سراقة .

وقال كعبُ بن مالكٍ الأنصاريُّ : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ تبلَّجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه البَدْرُ »[١] .

وعينُ الإنسانِ مشبَّهةٌ بعينِ الظبي والبقرةِ في كلامهم المنثورِ ، وشعرِهم المنظومِ ، مِنْ جاري ما تكلمتْ به العربُ ، وكَثُرَ في أشعارِها ، قال [الشاعرُ][٢] :

فَعَيْناكِ عَيْناها وجِيدُكِ جِيدُها ... ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيقُ[٣]

[وقال ذو الرُّمَّة :

أَرَى فيكِ مِن خَرْقاءَ ياظَبْيَةَ اللِّوَى ... مَشابِهَ جُنِّبْتِ اعْتِلاَقَ الحَبائِلِ

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ... ولونُكِ إلاَّ أنها غيرُ عاطلِ][٤]

وقال الآخرُ :

فلم تَرَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

طَلَعْنَ بأَعْناقِ الظِّباءِ وأَعْيُنِ الْـ ... ـجَآذِرِ وامْتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادِفُ[٥]

ويقالُ للخطيبِ : كأنَّ لِسانَه مِبْرَدٌ . فهذا الجاري في الكلام ، كما يقال

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه ، وهو قصة طويلة في تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك وتوبته من ذلك (٢ : ٣٢٩ ـ ٣٣٢) ورواه أيضا البخاري في مواضع متعددة من الصحيح ، ولفظهما في الموضع الذي روى المبرد : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر » .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) في س و د « رقيق » .

(٤) نقل مصحح طبعة أوروبة عن ديوان ذي الرمة أن فيه : « ولَوْنُكِ لَوْنُها وجيدُكِ إلَّا أنها غيرُ عاطِلِ » . وكذلك نقل المرصفي أن أبا العباس الأحول رواه هكذا .

(٥) في هذا البيت إقواء ، كما قال المرصفي .

للطويلِ : كأنه رُمحٌ . ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكرَم : كأنه غصنٌ تحتَ بارِحٍ .

ومِن مليح التشبيه[1] قولُ القائلِ :

لَعينَيْكَ يومَ البَيْنِ أسْرَعُ واكِفاً ... من الفَنَنِ المَمْطُورِ وهو مَرُوحٌ[2]

وذاك : أن الغُصْنَ يقعُ المطرُ فى وَرَقِهِ فيصيرُ منها فى مِثْلِ المَدَاهِنِ ، فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تُقَطِّرَهُ .

⁂

ثم نذكرُ بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحْدَثين ومَلاَحَاتِهِم ، فقد شرطناه فى أول الباب ، إن شاء الله .

قال أبو العباس : ومِن أكثرهم تشبيهاً ، لاتِّساعِه فى القولِ ، وكثرة تَفَنُّنِهِ[3] ، واتِّساع مذاهِبِه[4] - : الحسنُ بن هانِئٍ[5] . قال فى مَديحه الفَضْلَ بن يحيى [بن خالد بن بَرْمَكٍ][6] :

وكُنَّا إذا ما الحائِنُ الجَدِّ غَرَّهُ ... سَنَا بَرْقِ غاوٍ أو ضَجيجُ رِعادِ[7]

---

(١) فى ج و س و د « ومن عجيب التشبيه » .

(٢) فى ج و د « لَعَيْنُكَ يومَ البَيْنِ » وقد غير الشيخ المرصفى الكلمة فجعلها « لَعَيْنَاكَ » من غير أن يشير إلى الأصل .

(٣) فى ج « وكثرةِ تَقَلُّبِهِ » .

(٤) فى ج و د « مذهبه » .

(٥) فى حاشية د مانصه « ش : هو أبو نواسٍ ، غير مهموزٍ » .

(٦) الزيادة من د . وزيدت فى طبعات مصر من غير إشارة إلى ذلك .

(٧) فى ج و س و د « سَنَا بَرْقِ غَادٍ » .

تَرَدَّى له الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدٍ　　بماضِي الظُّبَي أزهاهُ طُولُ نجادِ

أمامَ خَمِيسٍ أرْجُوانٍ كأنَّه　　قميصٌ محُوكٌ من قناً وجيادِ

فما هو إلاّ الدّهرُ يأْتِي بصَرْفِهِ　　على كل مَنْ يَشْقَى به ويُعَادِي

قوله « الحائنُ الجَدِّ » يقال « حانَ الرجلُ» إذا دَنَا موتُه ، ويقال رجلٌ حَائنٌ » والمصدرُ « الحَيْنُ » . و « الجَدُّ » الحظُّ ، و « الجَدُّ » و «الجِدَّةُ» مفتوحَان ، فإذَا أردتَ المصدرَ من « جَدَدْتُ » فى الأمْرِ قلتَ « أجِدُّ جِدًّا » مكسورَ الجِيم ، ويقال «جَدَدْتُ النخلَ أجُدُّهُ جدًّا [وجَدَادًا]»(١) إذَا صَرمْتَهُ ، ويقال « جَذَذْتُهُ جَذًّا » وتركتُ الشيءَ « جُذَاذًا » إذا قطَعْتَهُ قِطعًا. ويُرْوَى هذا البيتُ لجرِيرٍ على وجهين :

آلُ المُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابِرَهم　　أضْحَوْا رَماداً فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى « جَدَّ »(٢). وقرأ بعضُ القُرَّاء ﴿ عَطاء غيْرَ مَجْدُود ﴾(٣). فأما قوله: ﴿ فَجَعلَهُمْ جُذَاذًا ﴾(٤) فلم يُقْرأْ بغيرِه. ويقالُ : كَمْ جِذاذُ نَخْلِكَ ، أى : كم

---

(١) الزيادة من ر .

(٢) « جذ» فى البيت بالمعجمة ، والرواية الأخرى فيه بالمهملة ، ووضع تحت الدال فى طبعة أوروبة نقطة ، على طريقة المتقنين من المتقدمين فى وضع علامة تحت الحرف المهمل ضبطاً لإهماله . وفى ج و س و د بعكس ذلك ، أى بإهمال الحرف فى البيت وإعجامه فى الرواية الثانية .

(٣) « مجدود » فى هذه القراءة بدالين مهملتين ، ووضع تحت كل منهما نقطة فى طبعة أوروبة ، وطبعت فى طبعات مصر بالمعجمتين ، وهو خطأ من مصححيها ، لأنه لا يكون شاهداً للقراءة التى يشير اليها أبو العباس. والآية فى سورة هود (١٠٨) وهذه القراءة التى حكى المبرد بإهمال الدالين لم أجدها عند غيره قط .

(٤) سورة الأنبياء (٥٨) .

تَصْرِمُ منها(١) . ويروى فى قول الله جل وعز : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾(٢) عن أنس بن مالكٍ : غِنَى رَبِّنَا . وقرأ سعيدُ بن جبيرٍ : « جَدًّا رَبُّنا » ولو قرأ قارئٌ « جِدًّا ربُّنا » على معنى : جِدٌّ رَبِّنا ، ولم(٣) يُقْرَأْ به ، لتغيُّرِ الخَطِّ ، وكذا قراءةُ سعيدٍ مخالِفةُ الخَطِّ(٤) . وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر :

أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ ليلةً فتَرْقُدَها مَعَ رُقَّادِهَا

ومثلُه [قولُ الأعشى](٥) :

---

(١) فى ج و س و د : « كم جِدَادُ أرضِك ؟ أى كم صُرِمَ منها » .

(٢) سورة الجن (٣) . وقوله « وأنه » كتب فى طبعة أوروبة بكسر الهمزة فقط . وكتبناه بالفتح والكسر ، لأن الفتح قراءة ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى ، والكسر قراءة باقى السبعة .

(٣) هكذا فى الأصول بإثبات الواو ، وهو الصحيح ، وقد حذفت فى طبعات مصر وجواب « لو » محذوف .

(٤) فى شواذ القراءات لابن خالويه (ص ١٦٢) أن عكرمة قرأ « جَدٌّ ربُّنا » . وهو خطأ فى الضبط من مصحح الكتاب ، كما سترى . وهاهى الروايات التى رواها أبو حيان فى البحر بلفظه (٨ : ٣٤٧ — ٣٤٨) قال : : « وقرأ عكرمة جَدٌّ منونا رَبُّنَا مرفوع الباء ، كأنه قال : عظيم هو ربنا ، فربنا بدل ، والجد فى اللغة العظيم . وقرأ حميد بن قيس جُدُّ بضم الجيم مضافاً ، ومعناه : العظيم ، حكاه سيبويه ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمعنى : تعالى ربنا العظيم . وقرأ عكرمة جَدًّا رَبُّنَا بفتح الجيم والدال منونا ورفع ربنا ، وانتصب جَدًّا على التمييز المنقول من الفاعل ، أصله : جد ربنا . وقرأ قتادة وعكرمة أيضا جِدًّا بكسر الجيم والتنوين نصبا رَبُّنَا رفع . قال ابن عطية : نصب جَدًّا على الحال ، ومعناه : تعالى حقيقة ومتمكنا . وقال غيره : هو صفة لمصدر محذوف ، تقديره : تعاليا جدا ، وربنا مرفوع بتعالى وقرأ ابن السميفع : جَدَا رَبِّنَا أى : جدواه ونفعه » . وقوله « جـدا » رسم فى البحر « جدى » بالياء وصوابه بالألف كما رسمناه ، لأنه واوىّ .

(٥) الزيادة من س .

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحمدٍ رسولِ الإلهِ حينَ أوْصَى وأشْهَدَا[١]

لأن معناه : أَجِدًّا منك ، على التوقيف[٢] ، وتقديرُه في النصبِ «أَتجِدُّ جِدًّا» ويقال : امرأةٌ « جَدَّاء » إذا كانت لا ثَدْىَ لها ، فكأنَّه قُطِعَ منها ، لأنَّ أصلَ « الجَدِّ » القطعُ ، ويقال « بلدةٌ جَدَّاء » إذا لم تكن بها مياهٌ ، قال الشاعرُ :

وجَدَّاءِ ما يُرْجَى بها ذا هَوَادَةٍ لِعُرْفٍ وَلاَ يَخْشَى السُّماةَ رَبِيبُها

[القَرابةُ والهَوادةُ في المعنى واحدٌ][٣]. [قال أبو الحسن : « السُّماة » هم الصَّادَةُ نصفَ النهارِ ، وَرُوِيَ عن بعض أصحابنا عن المازنىِّ قال : إنما سُمِّي «سامياً» بالسماةِ ، وهو خُفٌّ يَلْبَسُهُ لئلاَّ يَسمعَ الوحشُ وَطْأَه ، وهوعندي من « سَمَا للصيدِ »][٤] ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أن يَبِيدَا وَأصبحَ حَبْلُها خلَقاً جَديدَا[٥]

يقولُ : أصبحَ خَلَقاً مَقْطُوعاً ، لأنَّ « جـديداً » في معنى « مَجْدودٍ » أي

---

(١) في ج و س و د « نَبِيِّ الإلهِ » .

(٢) أي أنه جار على ماوقفهم عليه شيوخهم وعلماؤهم وبينوه لهم .

(٣) الزيادة من حاشية ا وقد روى الشيخ المرصفي البيت من كتاب سيبويه بلفظ :

وجداء مايرجى بها ذو قرابة لعطف ومايخشى السماة ربيبها

ثم قال : « وكأن راوى الكتاب اطلع على هذه الرواية فزعم أن الهوادة في معنى القرابة ، وهو كاذب في زعمه !! وذلك أن الهوادة ليس لها معنى في اللغة سوى اللين ومايرجى به الصلاح بين القوم ، والمراد هنا الأول » . وهـذا منه قول شديد ، والنقل ينقضه ، ففي اللسان : « والهوادة : الحرمة والسبب » . وفي القاموس : « وتهود : صار يهوديا ، و: توصل برحم أو حرمة » ومن هذا يفهم أن للهادة أصلا في معنى القرابة .

(٤) الزيادة من س

(٥) في ج « أبي حبي لسلمى »

مقطوع ، كما تقولُ «قتيلٌ ومقتولٌ » و« جَرِيحٌ وَمَجْرُوحٌ ». ويقال فى غير هذا المعنى : رجلٌ « مَجْدُودٌ » إذا كان ذَا خَطرٍ[1] أى حَظٍّ . وفى الدعاء « ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ منك الجَدُّ ، أى : مَنْ كان له حظٌّ فى دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد اللهُ به . ولو قال قائلٌ : ولا ينفعُ ذا الجِدِّ منكَ الجِدُّ ، يريدُ الاجتهادَ ـ : لكان وجهاً .

وقوله « سَنَا بَرْقٍ غاوٍ[2] » و « السَّنَا » من الضِّياء مقصورٌ ، قال الله جل وعز : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[3] و « السَّناء » من من المَجْدِ ممدودٌ . وقال الشاعرُ :

وهم قومٌ كرامُ الحَيِّ طُرًّا لهم خَوَلٌ إذا ذُكِرَ السَّناء

وضَربه الحسنُ[4] ههنا مَثَلاً . وجَمَعَ « الرَّعْدَ » فقال « رِعادٌ » كقولك « كَلْبٌ وكِلَابٌ » و « كَعْبٌ وكِعابٌ » .

وقوله « بِمَاضِي الظُّبَي » « ظُبَةُ » كلِّ شيء : حَدُّهُ ، يقال : وخَزَهُ بظُبَةِ السيفِ ، يرادُ بذلك : حَدُّ طَرَفِهِ .

وقوله : « أزهاهُ طولُ نِجادِ » « النِّجَادُ » حَمَائلُ السيف ، و« أزهاه » رفَعَه وأعْلاهُ ، والرجلُ يُمْدَحُ بالطُّولِ ، فلذلك يُذْكَرُ طولُ حمائله ، قال مَرْوانُ بن أبى حَفْصةَ يمدحُ المَهْدِيَّ :

---

(١) فى ه « ذاجد »

(٢) فى ج و د « غاد » ورسمت فى س بالدال وفوقها واو ، لتقرأ « غاد » و « غاو » على الروايتين أو النسختين

(٣) سورة النور (٤٣)

(٤) يريد أبا نواس الحسن بن هانئ

قَصُرَتْ حمائِلُهُ عليه فقَلَّصَتْ ولقد تَأَنَّقَ قَينُهَا فأَطالَهَا[١]

وقال الحسنُ بن هانئ يمدحُ محمداً الأمينَ :

سَبْطُ البَنانِ إذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ غَمَرَ الجَمَاجِمَ والسِّماطُ قِيام

وقال جريرٌ للفرزدقِ :

تَعالَوْا ففاتُونا فَفِي الحُكْمِ مَقْنَعٌ إلى الغُرِّ من أَهْلِ البِطاحِ الأَكارِمِ[٢]

فإِنِّى لأَرْضَى عَبْدَ شمسٍ وماقضَتْ وأَرْضَى الطِّوَالَ البِيضَ من أهلِ هاشمِ[٣]

وقال الآخرُ[٤] :

لَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ القَنَا نِهَالاً وأَسْبابُ المَنَايا نِهالُهَا[٥]

تَبَيَّنَ لى أنَّ القَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وأَنَّ أَشِدَّاءَ الرجالِ طِوَالُهَا

وقولُهُ « أَمَامَ خَمِيسٍ » « الخَمِيسُ » ههنا الجيشُ ، وكذلك قال رَبِيئَةُ أهلِ خَيْبَرَ لَمَّا أَطَلَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عليهم[٦] : محمدٌ والخَمِيسُ[٧] ، أى : والجيشُ . وقال الشاعرُ ، وهو طَرَفَةُ :

وأىُّ خَمِيسٍ لا أَفَأْنَا نِهَابَهُ وأسيافُنَا يَقْطُرْنَ من كَبْشِهِ دَمَا

« أَفَأْنَا » رَدَدْنَا ، يقال « أَفاءَهُ يُفِيءُ » إذا رَدَّ . و « الأُرْجُوَانُ » الأحمرُ ،

---

(١) فى هـ « ولقد تَنَوَّقَ » .

(٢) فى هـ « فقاضونا » . وفيها أيضاً « من آل البطاح » .

(٣) فى د « الطوال الغرّ » .

(٤) مضى البيتان وشرحهما مع ثالث فى الجزء الأول (ص ٨٢ — ٨٣) وكذلك بيتا جرير .

(٥) فى ج و س و د و هـ « ولما التقى » وهو موافق لما مضى .

(٦) فى ج و س و د و هـ « لما أطل عليهم رسول الله » .

(٧) انظر (باب غزوة خيبر) من البخارى (٧ : ٣٥٦ — ٣٥٩ من الفتح) .

قال الشاعرُ :

عَشِيَّةَ غادرَتْ خَيْلِي حُمَيْدًا كأنَّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوَانِ

و « الجِيادُ » الخيلُ ، وفى القرآن : ﴿ إذْ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيادُ[1] ﴾ .

ومن تشبيهه [أى الحسن بن هانئ][2] الجيِّدِ فى هذا الشعر الذى ذكرنا قولُه :

تَرَى الناسَ أفواجًا إلى باب دارِه كأنهمُ رِجْلَا دَبًا وجَرَادِ[3]

فَيَوْمٌ لإلحاقِ الفقيرِ بذى الغِنَى ويومٌ رِقابٍ بُوكِرَتْ لِحَصَادِ[4]

ومن التشبيهِ الجيدِ قولُه [أى أبى نُواسٍ الحسنِ بن هانئ[2]] :

فكأنِّى بما أُزَيِّنُ منها قَعَدِىٌّ يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا

وكان سببُ هذا الشعرِ : أن الخليفة تشَدَّدَ عليه فى شربِ الخمر ، وحَبَسه من من أجل ذلك حبساً طويلاً ، فقال :

أيُّها الرائحانِ باللَّوْمِ لُومَا لا أذوقُ المُدامَ إلاَّ شَمِيمَا

نالَنِي بالمَلاَمِ فيها إمامٌ لا أرَى لى خِلاَفَهُ مُسْتَقِيمَا

فاصْرِفَاها إلى سِوَاىَ فإنِّى لستُ إلاَّ على الحَدِيث نَدِيمَا

---

(١) سورة ص (٣١) .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) « الدبا » مقصور ، وهو بفتح الدال المهملة ، وهو الجراد قبل أن يطير .

(٤) فى ج و س و د و ه « بحصاد » .

كُبْرُ حظِّى منها إذا هى دارتْ أَنْ أَراها وأن أَشَمَّ النَّسِيما
فكأنّى بما أُزيِّنُ منها قَعَدِىٌّ يُزَيِّنُ التَّحكيما[1]
لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ السِّلاحَ إلى الحَرْ بِ فأَوصَى المُطِيقَ ألاَّ يُقِيما

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحدٌ[2] .

قال : وحُدِّثتُ أن العُمَانِىَّ[3] الراجزَ أنشد الرشيدَ فى صفةِ فرسٍ :

كأَنَّ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا قادمةً أو قَلَماً مُحرَّفَا

فعلِمَ القومُ كلُّهم أنه قد لَحَنَ ، ولم يهتدِ منهم أحدٌ لإصلاح البيتِ إلا الرشيدُ ، فإنه قال له : قلْ : « تَخالُ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا » . والراجزُ وإن كان [قد][4] لَحَنَ فقد أحسنَ التشبيه .

ويُروى أن جريرًا دخلَ إلى الوليدِ وابنُ الرِّقاعِ العاملىُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدةَ التى يقولُ فيها :

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوليدُ سَمَاحَةً وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وسَادَهَا

قال جرير : فحسدتُه على أبياتٍ منها ، حتى أنشد فى صفة الظَّبيةِ :

* تُزْجِى أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

---

(١) « قعدى » هو الذى يرى رأى القعد من الخوارج . و « القعد » بالقاف والعين المهملة المفتوحتين : الخوارج الذين يرون التحكيم ولا يخرجون إلى القتال .

(٢) فى ﻫ « فهذا التشبيه والمعنى الذى لم يسبقه إليه أحد » .

(٣) « العمانى » قال المرصفى : « ذكره الأصبهانى فى أغانيه قال : اسمه محمد بن ذؤيب بن محجن بن قدامة الحنظلى البصرى ، وإنما قيل له العمانى — وليس هو ولا أبوه من عمان — لأنه كان شديد صفرة اللون . وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، ليس كأمثاله من شعراء الدولة العباسية » .

(٤) الزيادة من س و د و ﻫ .

قال: فقلتُ في نفسي: وَقَعَ واللهِ، مايَقْدِرُ أن يقولَ أو يُشَبِّهَ به، قال: فقال:

* قَلَمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقيمَ حتى انصرفتُ[1].

ومن تشبيهه[2] الحسنِ الذى نَستطرِفُه قولُه:

تُعَاطِيكَهَا كَفٌّ كَأَنَّ بَنَانَهَا إذا اعْتَرَضَتْهَا العَيْنُ صَفُّ مَدَارِى

ومن التشبيه المليح قولُه:

وكَأَنَّ سُعْدَى إذْ تُوَدِّعُنَا وقد اشْرَأَبَّ الدَّمْعُ أَنْ يَكِفَا[3]

رَشَأٌ تَوَاصَيْنَ القِيَانُ به حتى عَقَدْنَ بأُذْنِهِ شُنُفَا

[يقال «اشْرَأَبَّ» لأن يكلمنى: إذا تهيَّأ لكلامِك. «واشْرَأَبَّ» الدمعُ: إذا تهيَّأ للوَكْفِ[4]].

وفى هذا الشعرِ من التشبيهِ [الجَيِّدِ قوله][5]:

خَبِّرْ فُؤَادَكَ أو سَتُخْبِرُهُ قَسَمًا لَيَنْتَهِيَنَّ أو حَلَفَا[6]

اَلْحُبُّ ظَهْرٌ أنت راكِبُهُ فإذا صرفْتَ عِنانَهُ انْصَرَفَا

---

(١) قصيدة ابن الرقاع ذكرها المرصفى وشرحها، وانظر شرحه (٧: ٤٨ — ٥٠).

(٢) فى ع و س و د و هـ «ومن التشبيه».

(٣) فى ع و س «وكأن سَلْمَى».

(٤) الزيادة من هـ.

(٥) الزيادة من س.

(٦) «لينتهين» بالياء التحتية، وفى طبعات مصر بالتاء المثناة الفوقية. وفقط الحرف فى د بالتقطين.

و[له](١) من التشبيهِ الجيدِ قولُه :

إليكَ رَمَتْ بالقَوْمِ خُوصٌ كأَنَّما جَماجِمُها فوقَ الحِجاجِ قُبُورُ

وله أيضًا :

سأَرْحَلُ من قُودِ المَهارَى شِمِلَّةً مُسَخَّرَةً ما تُسْتَحَثُّ بِحَادِي(٢)

معَ الرِّيحِ ماراحتْ فإنْ هِيَ أَعْصَفَتْ نَهُوزٌ برأسٍ كالعَلاَةِ وَهَادِي(٣)

« العَلاَةُ » السِّنْدانُ(٤) . قال جريرٌ :

أَيفخَرُ بالمُحَمِّمِ قَيْنُ لَيْلَى وَبالكِيرِ المرقَّعِ والعَلاَةِ(٥)

وقال الحسن بنُ هانئٍ في صفةِ السفينةِ :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ وَلاَءَمَ بَيْنَها طَبَقَانِ من قِيرٍ ومن أَلْوَاحِ(٦)

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) قال المرصفى : « القُودُ : جمع قَوْدَاء ، وهى الطويلة الظهر والعنق . والمهارى : بتخفيف الياء مع كسر الراء وفتحها ، مثل المنقوص والمقصور ، والأصل فى يائها التشديد : جمع مهرية ، بفتح فسكون ، منسوبة إلى مهرة بن حَيْدان ، بسكون الياء ، وهو أبو حىّ من العرب » .

(٣) « نهوز » قال المرصفى : « صيغة مبالغة من النهز ، وهو الدفع ، يريد أنها تدفع برأسها فى سيرها » وقوله « كالعلاة وهادى » قال المرصفى أيضاً : « وقد تشبه الناقة فى خلقها بالعلاة ، يراد صلابتها . والهادى : العنق » .

(٤) « السندان » ضبطت فى الأصول كلها بكسر السين ، وضبطها صاحب القاموس بالفتح ، وتبعه الشيخ المرصفى .

(٥) فى ج و د « أَتَفْخَرُ بالمحمِّمِ قَيْنَ ليلَى » . و « المحمم » هو الفحم . و « القين » الحداد . و « الكير » الزق الذى ينفخ فيه الحداد .

(٦) فى ج « على قَدْرٍ » . وفى د « وَلأَّمَ » .

فكأنَّها والماءُ ينطَحُ صَدْرَها ... والخيزُرانةُ فى يدِ المَلّاحِ[1]

جَوْنٌ من العِقْبانِ يَبْتَدِرُ الدُّجَى ... يَهْوِى بِصَوْتٍ واصْطِفاقِ جَناحِ

وقال فى شعرٍ آخرَ ، يصفُ الخمرَ ، ويذكرُ صفاءها ورِقَّتَها ، وضياءها وإشراقها :

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلْتَهُ ... يُقَبِّلُ فى داجٍ من الليلِ كَوْكبا

فأما قوله :

بَنَيْنا عَلَى كِسْرَى سماءَ مُدامَةٍ ... جَوانِبُها مَحْفُوفَةٌ بنُجومِ

فلو رُدَّ فى كِسْرَى بنِ ساسانَ رُوحُهُ ... إذًا لاصْطَفانِى دونَ كلِّ نديمِ

ـ : فإنما كانت صورةُ كسرى فى الإناء . وقولُه « جوانبُها محفوفةٌ بنجومِ » فإنما يريد ما تَطَوَّقَ به من الزَّبَدِ .

وقد قال فى أخرى [أولُ الشعرِ من غيرِ الأُمِّ[2] :

وَدارِ نَدامَى خلَّفوها وأَدْلَجُوا ... بها أَثَرٌ منهم جَدِيدٌ ودارِسُ

مَساحِبُ من جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرَى ... وأضغاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ ويابِسُ

حَبَسْتُ بها صَحْبِى فألَّفْتُ شملَهم ... وإنِّى على أمثالِ تلك لَحابِسُ][3]

---

(١) « الخيزرانة » والخيزران » : السُّكَّان ، وهو كَوْثَلُ السفينة ، أى ما يسمى الآن بالعامية : الدفة .

(٢) يريد بقوله « الأم » أصل الكتاب الذى ألفه أبو العباس ، ونقل عنه الناسخون . وهكذا كانوا يسمون كل أصل ثابت من أصول الكتب .

(٣) الزيادة من حاشية ع .

أقمنا بِها يومًا ويومًا وليلة ويومًا له يومُ التَّرَحُّلِ خامِسُ[(١)]

تدارُ علينا الرَّاحُ فى عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ[(٢)]

قرارَتُها كِسْرَى وفى جَنَبَاتها مَهًا تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوارِسُ[(٣)]

فلِلْخَمْرِ مازُرَّت عليه جُيُوبُها وللمـاء مادَارَتْ عليه القَلَانِسُ

« العسجديةُ » منسوبةٌ إلى « العَسْجَدِ » وهو الذَّهب . وقال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ :

قالت ألا لاتَشْتَرِي ذاكُمُ إلَّا بما شِئْنَا ولم يُوجَـدِ

إلَّا بِبَدْرَىْ ذهبٍ خالصٍ كلَّ صَباحٍ آخِـرَ المُسْنَدِ

مِن مالِ مَنْ يَجْبِي ويُجْبَى له سبعون قِنطارًا من العسجدِ

وقوله « تَدَرَّيها » أى : تَخْتِلِها ، يقال « دَرَيْتُ » الصَّيدَ : إذا ختلته . قال الأخطلُ :

وإن كنت قد أقْصَدتنى إذ رَمَيْتِنِى

بِسهمِكِ والرامي يصيدُ وما يَدْرِي[(٤)]

---

(١) بحاشية ا « وثالثاً » بدل « وليلة » .

(٢) فى ع « تُرَاح علينا » . وفى ﻫ « بألوان التصاوير » .

(٣) « قرارتها » بالرفع ، وضبطه المرصفى بالنصب على الظرفية . وقوله « تدريها » فى ع و د و ﻫ « تدريه » .

(٤) فى ع و د « بسَهْمَيْك » .

*

وقال الحسنُ بن هانئ :

مَاحَطَّكَ الواشونَ من رُتْبةٍ   عندى ولا ضَرَّكَ ما اغتابوا(١)

كأنهم أثْنَوْا ولم يَعْلَمُوا   عليكَ عندِى بالذى عابُوا(٢)،

وهذا المعنى عندى مأخوذٌ من قول النُّعمانِ بن المُنْذِر لجَحْلِ بْن نَضْلَةَ(٣)، وقد ذَكر معاويةَ بنَ شَكَلٍ(٤)، فقال : أبيْتَ اللَّعْنَ ، إنَّهُ لَقَعْوُ الأَلْيَتَيْنِ ، مُقْبَلُ النَّعلينِ ، فَجِجُ الفَخِذَيْنِ ، مَشَّاءٌ بأَقْرَاءٍ ، تَبَّاعُ إماءٍ ، قَتَّالُ ظِباءٍ . فقال النعمانُ : أَردتَ أَن تَذِيمَهُ فَمَدَحْتَهُ .

قوله « مُقْبَلُ النعلين » يقولُ : لنعله قِبَالٌ ، يَنْسُبُهُ إلى التَرَفُّهِ(٥) . و « تَبَّاعُ إماء » و « قَتَّالُ ظِباء » من ذلك . و « القَعْوُ ماتَدُورُ فيه البَكَرةُ إذا كان من خَشَبٍ . وقوله « تَذِيمَهُ » معناه : تَذُمَّه . يقال « ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا و « ذَامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْمًا » و « ذَأَمَه يَذْأَمُهُ ذَأْمًا » والمعنى واحدٌ . قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ أُخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَدْحُورًا ﴾(٦) وقال الحَرِثُ بن خَالدٍ المخزُومىُّ لعبد الملكِ :

---

(١) فى س و د و هـ « ولا ضرك مُغتابُ » .

(٢) فى ج و س و دو هـ « كأنما أثنوا » . وفى هـ « ولم يشعروا » .

(٣) « جحل » بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة . وفى س و د و هـ « حجل » بتقديم الحاء ، وعليها نسخة المرصفى ، وهو خطأ . وجحل بن نضلة شاعر ، ذكره المرزبانى فى المؤتلف (ص ٨٢) . وذكر فى الشعراء لابن قتيبة (ص ٣٠) بتقديم الحاء ، وهو خطأ أيضاً . وهناك شاعر آخر اسمه « جحل بن حنظلة » ذكره صاحب القاموس والذهبى فى المشتبه (ص ٩٤) . وأما « حجل » بتقديم الحاء فاسم آخر ، ذكر فى القاموس والمشتبه .

(٤) « شكل بفتحتين . وضبط فى ج بسكون الكاف .

(٥) فى ج و س « إلى التُّرْفَةِ » .

(٦) سورة الأعراف آية ١٨ .

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عليها غِشَاوَةٌ فلمَّا انجلَتْ قَطَّعْتُ نفسِي أَذِيمُهَا

وقوله « فَمَدَهْتَهُ » يريدُ : مَدَحْتَهُ . فأبدلَ من الحاء هاءً لِقُرْبِ المَخْرَجِ . وبنو سَعْدِ بنِ زَيدِ مَنَاةَ بن تَميمٍ كذلك تقولُ ، ولَخْمٌ ومَن قَارَبَهَا . قال رُؤْبة :

لِلّهِ دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي(١)

يريد : المُدَّحِ . وفي هذه الأُرْجُوزَةِ :

* بَرَّاقُ أَصْلَادِ الجَبِينِ(٢) الأَجْلَهِ *

يريد : الأَجْلَحِ . والعربُ تقولُ « جَلَحَ الرجُلُ يَجْلَحُ جَلَحًا » و « جَلِهَ يَجْلَهُ جَلَهًا » و « جَلِيَ يَجْلَى جَلًى » والمعنى واحدٌ(٣) . قال العجاجُ :

* مَعَ الجَلَا ولَائِحِ القَتِيرِ *

ومثلُ بيتِ الحسنِ وكلامِ النعمانِ قولُ عَمرِو بن مَعْدِي كَرِبَ :

كأَنَّ مُحَرِّشًا في بيتِ سُعْدَى يُعَلُّ بِعَيْبِهَا عِندِي شَفِيعُ(٤)

وفي قصيدةِ الحَسَنِ هذه :

(١) في ج « مِن تَدَلُّهِي » .

(٢) « أصلاد الجبين » أي : لاشعر في جبينه ، تشبيهاً بالحجر الصلد .

(٣) نقل المرصفي عن أبي عبيد قال : « الأنزع : الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته ، فاذا زاد قليلا فهو أجلح ، فاذا بلغ النصف ونحوه فهو أجلى ، ثم هو أجله » .

(٤) في ج و د « يعل » بفتح الياء وضم العين ، وزاد المرصفي أيضاً فيها كسر العين . وقال : « من العل والعلل — بفتحتين — وهو السقية الثانية ، والأولى تسمى النهل . يريد : يذكر عيبها له مرة بعد مرة » .

إنْ جئتُ لم تأتِ وإن لمْ أجِئْ   جئتَ فهــذا منكَ لِي دابُ
كأنما أنتَ وإنْ كنتَ لا   تــكْذبُ : فى الميعادِ كذّابُ

وهذا كلامٌ طريفٌ .

⁂

ومن حَسَنِ تشبيه المحْدَثِينَ قولُ بَشّارِ [بن بُرْدٍ][1] :

وكأنَّ تحتَ لسانِهــا   هاروتَ ينْفِثُ فيه سحْرَا
وتخــالُ ما جمَعَتْ عليــه   بنَانُهَا ذَهَبًا وعِطْرَا[2]

وهذا التشبيهُ الجامعُ .

ونظيرُه فى جمع شيئين لمعنيين ماذكرتُ لكَ من قولِ مُسْلِمِ بن الوليدِ :

* كأنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامَا *

ومن حَسَنِ التشبيه من قولِ المُحْدَثِين قولُ عباسِ بن الاحْنَفِ :

أُحْرَمُ منكم بمـا أقولُ وَقَدْ   نالَ به العاشقونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كأنِّى ذُبالةٌ نُصِبَتْ   تُضِىءُ للناسِ وَهْىَ تحْتَرِقُ[3]

فهذا حسنٌ فى هذا جدًّا .

ومن حَسَنِ ما قالوا فى التشبيهِ قولُ إسمٰعيلَ بن القاسمِ أبى العتاهيَة للرَّشيدِ :

---

(١) الزيادة من س و هـ .

(٢) فى ج و س و د « ما ضَمَّتْ » . وفى ج و د و هـ « ثِيابَهَا » .

(٣) فى ج « وُقِدَتْ » بدل « نُصِبَتْ » .

أمينَ اللهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ　　عليك من التُّقَى فيه لِبَاسُ

تُسَاسُ من السَّماء بِكلِّ فَضْلٍ　　وأنتَ به تَسُوسُ كما تُسَاسُ[1]

كأنَّ الخَلقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ　　له جَسَدٌ وأنت عليه رَاسُ

وقد أخذَ هذا المعنى عليُّ بن جَبَلَةَ، فقال فى مدحه حُمَيْدَ بنَ عبدِ الحَميدِ، وزادَ فى الشَّرح والترتيب، فقال :

يَرْتُقُ ما يَفْتُقُ أعـــداؤُهُ　　وَلَيْسَ يَأْسُـــو فَتْقَهُ آسِي

فالناس جِسمٌ وإمامُ الهُدَى　　رأسٌ وأنتَ العَيْنُ فى الرَّاسِ

والعربُ تَخْتَصِرُ فى التشبيه، وربَّمـا أومَأَتْ به إيمـاء، قال أحـدُ الرُّجَّازِ :

بِتْنَا بِحَسَّانَ ومِعْزَاهُ تَئِطْ　　مازِلْتُ أَسْعَى بينهم وأَلْتَبِطْ[2]

حتى إذا كان الظَّلامُ يختَلِطْ　　جَاؤُا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ[3]

يقول فى لَونِ الذئب. واللَّبَنُ إذا جُهِدَ وخُلِطَ بالمـاء ضَرَبَ إلى الغُبْرةِ. وأَنشدَ الأصمعىُّ :

وَتَشْرَبُهُ مَحْضًا وَتَسقِى عِيالَهَـا　　سَجَاجًا كأَقْرَابِ الثَّعالبِ أَوْرَقَا

« السَّجَاجُ » الرقيقُ المَذْوقُ. و« القُرْبَانِ » الجَنْبانِ، والواحدُ « قُرْبٌ »،

---

(١) فى ع و س و د « بكلِّ برٍّ ».

(٢) « تئط » من الأطيط، وهو صوتُ الأمعاء من الجوع. و« ألتبط » أى أعدو وأثب، والالتباط: العدو والوثوب. يريد بذلك طلب الغذاء.

(٣) قال المرصفى: « صوابه: إذا كاد » يعنى بدل « إذا كان ». ولكن أين الدليل النقلى؟ أما المعنى على ما فى الأصل فصحيح.

[والجَمِيعُ «أقرابٌ[(١)]»] من ذلك قول عمرَ بن الخطابِ رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد شاورَ فى رجل جَنَى جِنايَةً، وجاء قومُه يَشْفَعونَ له، فشَفَع له قومٌ آخرون، فقال له عمرُ: يارسولَ الله، أَرَى أن تُوجِعَ قُرْبَيْهِ، فقال القومُ: يارسول الله، إنَّك لن تَشْتَدَّ على أُمَّتِكَ بقولِ عمرَ. فنزل إليه جبريلُ صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثًا: يامحمدُ، القولُ قولُ عُمرَ، شُدَّ الإسلامَ بعمرَ. فخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فضَرَبَ الرَّجلَ.

و «الأَوْرَقُ» لونٌ بين الخُضْرَةِ والسَّوادِ يقال «جَمَلٌ أَوْرَقُ بَيِّنُ الوُرْقَةِ» وهو أَلأَمُ أَلوانِ الإبلِ عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا.

ومِن مَليحِ التشبيهِ [لِلْمُحْدَثِينَ[(٢)]] قولُ عبد الصَّمد بنِ المُعَذَّلِ فى صفة العقربِ:

تُبْرِزُ كالقَرْنَيْنِ حين تُطْلِعُهْ ... تُزْحِلُهُ مَرًّا وَمَرًّا تَرْجِعُهْ[(٣)]

فى مِثْلِ صَدْرِ السِّبْتِ خَلْقٌ تُقْطِعُهْ ... أَعْصَلُ خَطَّارٌ تَلوحُ شُنْعَهْ[(٤)]

---

(١) الزيادة من ج و س.

(٢) الزيادة من ج و س و د.

(٣) «تزحله» أى: تنحيه وتباعده.

(٤) قال المرصفى: «السبت بالكسر: الجلد المدبوغ. وخلق: مخلوق، يريد ذنبها. وتقطعه: بتاء المخاطب، يقول: تراه قطيعاً. شبه دقة خلقتها من جهة الذنب بصدر جلد الحيوان من جهة الرقبة. أعصل: من العصل، بالتحريك، وهو الالتواء فى الشئ. وخطار: كثير الحركة يمينا وشمالا. ثم إن بحاشية نسخة ف ما نصه: «الصواب * فى مثل صدر السيف حلو مقطعه * لكنه وقع فى الأمهات كما فى داخل الكتاب، وهو تصحيف. وقد أتى به صاحب كتاب التشبيهات على الصواب، كما ذكرته أولاً».

أَسْوَدُ كالسُّبْجَةِ فيه مِبْضَعُهْ   لاتَصْنَعُ الرَّقْشَاءُ مالا يَصْنَعُهْ[١]

وفى هذه الأُرجوزةِ أيضًا :

بَاتَ بِهَا حَيْنُ حُبَيْشٍ يَتْبَعُهْ   وَبَاتَ جَذْلَانَ وَثِيرًا مَضْجَعُهْ[٢]

ذَا سِنَةٍ آمِنَ مَا يُرَوِّعُهْ   حَتَّى دَنَتْ منه لِحَتْفٍ تُزْمِعُهْ

فَاظَتْ تَجُمُّ سَمَّهَا وَتَجْمَعُهْ   يابُؤْسَ لِلْمُودَعِ مايُودَعُهْ[٣]

فَشَرَعَتْ أُمُّ الحِمَامِ إِصْبَعَهْ   أَنْحَتْ عليه كالشِّهابِ تَلْدَغُهْ[٤]

عَطَّكَ سِرْبَالَ حَرِيرٍ تَخْلَعُهْ   فَكُلُّ خَلٍّ ظاهِرٍ تَفَجُّعُهْ[٥]

يَزْدادُ مِنْ بَغْتِ الحِمَامِ جَزَعُهْ   واليأْسُ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَوَقُّعُهْ

وكذلك قال يَزيدُ بن ضَبَّةَ[٦] : [أو العَرْجَمُ[٧] . قال أبو الحسن : شَكٌّ

---

(١) « السبجة » بضم السين وسكون الباء وبالجيم ، هى بردة من صوف فيها سواد وبياض ، شبه لون ذنب العقرب بها . وقوله « مالا يصنعه » فى ج و د « مالاتصنعه » وكتبه الشيخ المرصفى « ما قد يصنعه » . وليس فى شىء من النسخ . ثم إن بحاشية ف مانصه : « السبجة بالجيم : ثوب أسود » ، ووقع فى أكثر الأمهات بالحاء غير المعجمة ، على التصحيف » .

(٢) « الحين » الهلاك . و « حبيش » اسم اللديغ .

(٣) « فاظت » أى قاءت . و « تجم » بمعنى تجمع . وفى ج « لِلْمُودَعِ ما تُوَدِّعُهْ » .

(٤) « شرعت » أى دنت . و « أم الحمام » المنية . ومعناه : دنت إصبعه من أم الحمام .

(٥) فى ج و س و د « سربال حرير تقلعه * وكل خل » . وقوله « عطك » الخ قال المرصفى : « عطك : بالنصب على التشبيه . والعط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين . . . يريد : لدغته فشقت إصبعه مثل شق سربال من حرير » .

(٦) هو يزيد بن ضبة الثقفى . وضبة أمه ، واسم أبيه مقسم . له ترجمة فى الأغانى (٦ : ١٤١ — ١٤٥ ساسى) .

(٧) « العرجم » فى كل الأصول بالجيم . وزعم المرصفى أنه غلط من الناسخ ، صوابه « العرهم » بالهاء ، وأنه شاعر أموىّ مذكور فى النقائض ! ولكن هل هذا كاف فى إثبات أن هذا الشاعر هو ذاك ؟ ولم تحصر المصادر التى بين أيدينا أسماء الشعراء .

أبو العباس فى أنه لأحدِهما ، أعنى هذا البيتَ[1]] :

ولكنّهم بانُوا ولم أدْرِ بغْتَةً ... وَأَفْظَعُ شىء حين يَفْجَؤُكَ البَغْت

ومن أحسنِ التشبيه[2] ومَليحِهِ قولُ رجلٍ يَهْجُو رَجُلا برَثَاثَةِ الحالِ :

يأتيكَ فى جُبَّةٍ مُخرَّقةٍ ... أطْوَلُ أعمارِ مِثْلِهَا يَوْمُ

وَطَيْلَسَانٍ كالآلِ يَلْبَسُهُ ... على قَيصٍ كأنَّهُ غَيْمُ

⁂

والتشبيهُ كثيرٌ . وهو بابٌ كأنه لا آخِرَ له . وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلوَ هذا الكتابُ من شىء من المعانِى .

ونَختِمُ ما ذكرنا من أشعار المُحْدَثين ببيتين أو ثلاثةٍ من الشعرِ الجيِّدِ . ثم نأخذُ فى غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقْرِيبُهُ المَرَطَيْ والجَوْزُ مُعْتَدِلٌ ... كأنه سُبَدٌ بالماء مَغْسُولُ[3]

« السُّبَدُ » طائرٌ بعينه . وقد قالوا : الخَصَفَةُ التى تُوضعُ عندَ البئرِ ، وهو بالطائرِ أشبهُ[4] ، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ ، وخيرُ الخيل مالم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِئْ ، فإذا جاء فى وقته شَمِلَهُ .

---

(١) الزيادة من د .

(٢) فى ج و س و د و هـ « ومن حسن التشبيه » .

(٣) البيت فى وصف فرس . و « التقريب » ضرب من العدو ، يرفع يديه معاً ويضعهما معاً . و « المرطى » ضرب من العدو أيضاً ، وهو فوق التقريب . وقوله « والجوز » بالزاى ، كما فى ج و س و د . وهو وسط الظهر هنا ، وجوز كل شىء : وسطه . وفى باقى النسخ « والجون » بالنون ، وهو خطأ . وقوله « تقريبه » هكذا بضمير المذكر فى كل النسخ واللسان (٤ : ١٨٦) . وفى اللسان (٩ : ٢٧٨) « تقريبها » بضمير المؤنث .

(٤) هكذا يقول أبو العباس ، وهو من معانى « السبد » ولكن قال فى اللسان فى شرح البيت

قال الرَّاجزُ :

كأنَّه والطَّرْفُ منه سامِى ... مُشْتَمِلٌ جاء مِنَ الحَمَّامِ

وقال الأعشَى :

يُعَادِي النَّحُوصَ ومِسْحَلَهَا ... وعِفْوَهُمَا قبلَ أنْ يَسْتَحِمّ[1]

« النَّحُوصُ » جماعُها « نُحُصٌ » وهي التي لم تَحْمِلْ في عامِها . و « المِسْحَلُ » العَيْرُ . و « العِفْوُ » الوَلَدُ ، وجمعُه « عِفَاءٌ » فاعلمْ . وهو أسْمى له إذا لم يكن لعامِهِ . و « يَسْتَحِمُّ » يَعْرَقُ .

وفي حديثِ أُمِّ[2] زَرْعٍ : « مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ الشَّطْبَةِ[3] ، وتَكْفِيهِ ذِرَاعُ الجَفْرَةِ[4] » . ومعناه : أنه خَمِيصُ البطنِ[5] . وهذا تَمَدَّحُ به العربُ وتَستحسنه . فأما قولُ مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ :

* فتًى غيْرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَوْرَما[6] *

فإنما أرَادَ أنه لا يَسْتَعجِلُ بالعَشاء ، لانتظارِه الضيفَ . كما قال :

(٤ : ١٨٦) : « السبد : ثوب يسد به الحوض المركوّ، لئلا يتكدر الماء ، يفرش فيه وتسقى الإبل عليه ، وإياه عنى طفيل » .

(١) في ج و س و د وحاشية ا « يبارى » بدل « يعادى » .

(٢) هو حديث طويل في البخارى (٩ : ٢٢٠ ــ ٢٤١ من فتح البارى) والجملة الشاهد هنا في (ص ٢٣٤) بلفظ « كمسل شطبة ، ويشبعه ذراع الجفرة » .

(٣) « الشطبة » بسكون الطاء : السعفة التي تشطب من الجريد ، وقيل : السيف . تريد : أن مضجعه الذي ينام فيه في الصغر كقدر مسلّ شطبة واحدة ، أو كالسيف سل من غمده .

(٤) « الجفرة » ما بلغ أربعة أشهر من ولد الشاء .

(٥) أي : ضامر البطن .

(٦) « المبطان » العظيم البطن من كثرة الأكل .

وضَيْفٍ إذا أَرْغَى طَرُوقاً بَعِيرَهُ وعَانٍ ثَناهُ الوَفْدُ حتى تَكَنَّعا[١]

وقالوا فى قول الخَنْساء :

يُذَكِّرُنِى طُلوعُ الشمسِ صَخْراً وأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُروبِ شَمسِ

قالوا : أرادتْ بطلوعِ الشمسِ وقتَ الغارَةِ ، وبغروبِ الشمسِ وقتَ الأضيافِ .

وقال رجلٌ لابنٍ[٢] له : واللهِ ما أنتَ بِعَظيمِ الرأسِ فتكونَ سَيِّدًا ، ولا بأَرْسَحَ[٣] فتكونَ فارساً . وقال رجلٌ من بنى أَسَدٍ لرجلٍ من قَيْسٍ : واللهِ ما فُتِقْتَ فَتْقَ السَّادَةِ ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ .

فهذه كلُّها نعوتٌ قد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنَّها سِماتٌ لهم [وكانوا يقولون[٤]] : يَنْبَغِي للفارسِ أن يكونَ[٥] مُهَفْهَفَ الخَصْرَيْنِ[٦] . مُتَوَقِّدَ العينينِ ، حَمْشَ الذِّراعينِ[٧] . وأنشد الأصمعىُّ :

* كأنما ساعِداهُ ساعِدَا ذِيبِ *

[و][٨] قالوا : ومن نعتِ السَّيِّدِ أن يكونَ لَحِيماً ، ضَخْمَ الهامةِ ،

(١) قال المرصفى : « أرغى بعيره : حمله على أن يرغو ليسمع رغاؤه فيضاف . وقد يفعل ذلك الكريم ليميل إليه ابن السبيل . ومنه المثل : كفى برغائها مناديا . والطروق : الإتيان ليلاً . وتكنع الأسيرُ فى قدّه : تقبض واجتمع .

(٢) فى ج و س و د « لبعض أهله » .

(٣) الأرسح : قليل لحم الفخذين والأليتين .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٥) فى هذه النسخ المذكورة « ينبغى أن يكون الفارس » .

(٦) مهفهف الخصرين : أى ضامرهما .

(٧) حمش الذراعين : أى دقيقهما .

(٨) الزيادة من ج و س و ه .

جهيرَ الصَّوْتِ ، إذا خطا أبْعَدَ ، وإذا تُؤمِّلَ مَلأَ العيْنَ . لأنَّ حقّه أن يكونَ في صدرِ مجلسٍ ، أو ذِرْوَةِ مِنْبر ، أو منفرداً في مَوْكِبٍ .

وكانوا يقولون في نعتِ السيِّد : يملأُ العَيْنَ جمالاً ، والسَّمعَ مَقالاً .

وقال أبو عليٍّ دِعْبل [بنُ عليّ[1]] في رجلٍ نَسَبهُ[2] إلى السُّودَدِ ، يقوله لُمعاذِ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، وهو من ولد حُمَيْدِ بنِ عبد الرحمنِ الفقيهِ[3] :

فإذا جالَسْتَهُ صَدَّرْتَهُ ... وتَنَحَّيْتَ له في الحاشيهْ
وإذا سايَرْتَهُ قَدَّمْتَهُ ... وتأخَّرْتَ معَ الْمُسْتأْنِيَهْ
وإذا ياسَرْتَهُ صادفْتَهُ ... سَلِسَ الْخُلْقِ سَلِيمَ النَّاحِيَهْ
وإذا عاسَرْتَهُ صادفتَه ... شَرِسَ الرَّأْيِ أبِيًّا داهِيَهْ
فاحْمَدِ اللهَ على صُحْبتِهِ ... واسْأَلِ الرَّحمنَ منه العافيَهْ

وهذا المعنى قد أجمله جَرِيرٌ في قوله [الفائقِ الرائقِ[4]] :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إنْ عاسَرْتَهُ ... عَسِرٌ وعندَ يَسارِهِ مَيْسورُ[5]

---

(١) الزيادة من د .

(٢) في ج و س و د و هـ « ينسبه » .

(٣) حميد هذا بصري من فقهاء التابعين ، كان ابن سيرين يقول هو أفقه أهل البصرة . وهو غير « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري » التابعي ، وغير « حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي » المتأخر المتوفى بعد سنة ١٩٠ وللثلاثة تراجم في التهذيب . وأما معاذ بن جبل الحميري فلم أجد ترجمة له . ومن أول قوله « يقوله » إلى هنا وضعه المرصفي بين قوسين أمارة أنه زيادة ، وليس ذلك صحيحاً ، بل هو من أصل الكتاب .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) بشر هو ابن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

باب

تَجتمعُ فيه طَرائفُ من حَسَنِ الكلامِ ، وجيِّدِ الشعرِ ، وسائرِ الأمثالِ ، ومأثورِ الأخبارِ ، إن شاء اللهُ .

[قال أبو العباسِ (١)] : كان الحَجّاجُ بنُ يوسفَ يَسْتَثْقِلُ زِيادَ بن عَمْرٍو العَتَكيَّ ، فلما أَثْنَتِ الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليدِ بن عبد الملكِ ، والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زيادُ بن عَمْرٍو : يا أميرَ المؤمنين : إنَّ الحجاجَ سيفُكَ الذي لا ينْبُو ، وَسَهْمُكَ الذي لا يَطيشُ ، وَخادِمُكَ الذي لا تأْخُذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ . فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أَخَفَّ على قلبِ الحجاجِ منه .

ولزيادٍ يقول ابنُ قَيْسِ الرُّقَيّاتِ في معاتبتِه المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ :

أَبْلِغا جارِيَ المُهَلَّبِ عَنِّي ... كُلُّ جارٍ مُفارِقٌ لا مَحالَهْ
إنَّ جاراتِكَ اللَّواتِي بِتَكْرِيـ ... ـتَ لِتَنْبِيذِ رَحْلِهِنَّ مَقالَهْ (٢)
لو تَعَلَّقْنَ مِن زيادِ بن عمرٍو ... بِحِبالٍ لَما ذَمَمْنَ حِبالَهْ
غَلَبَتْ أُمُّهُ أَباهُ عليـ ... ـه فَهُوَ كالكابُلِيِّ أَشْبَهَ خالَهْ (٣)
ولقد غالَني يَزيدُ وكانتْ ... في يَزيدٍ خِيانَةٌ ومَغالَهْ (٤)
عَتَكِيٌّ كأَنَّهُ ضَوْءُ بَدْرٍ ... يَحْمَدُ الناسُ قَوْلَهُ وَفَعالَهْ (٥)

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) « تكريت » بلدة مشهورة بين بغداد والموصل .

(٣) « كابل » بضم الباء ، ثغر من ثغور طخارستان . كأنه يتهمه بأنه أشبه بالعجم . وفي بعض النسخ بعد الأبيات زيادة « قال أبو العباس : كانت أم يزيد من سبي كابل » .

(٤) « المغالة » الخيانة .

(٥) المعنى في الأبيات فيه شيء من الاضطراب . ولذلك رجح المرصفي أن صواب ترتيبها أن يكون =

[قال أبو العباس][1] : وقال أسماء بنُ خارجةَ الفَزَارىُّ : لا أُشاتِمُ رجلاً ، ولاَ أَرُدُّ سائلاً ، فإنما هو كريم أَسُدُّ خَلَّتَهُ ، أو لئيم أشترِى عِرضى منه .

وقال سَهْلُ بن هرون[2] : يجب[3] على كلِّ ذى مَقالةٍ أن يَبْدَأَ بحمدِ اللهِ قبلَ استفتاحِها ، كما بُدِئَ بالنعمةِ قبل استحقاقِها[4] .

وكان يقولُ عند التعزيةِ : التَّهْنِئةُ بآجِلِ الثوابِ أَوْلَى[5] من التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

وأراد رجلٌ الحجَّ فأَتَى شُعْبةَ بنَ الحجاجِ يُوَدِّعُهُ ، فقال له شعبةُ : أَمَا إنك إنْ لم تَرَ الحِلْمَ ذُلاًّ ، والسَّفَهَ أَنَفاً ـ : سلِمَ لك حَجُّكَ .

= هذا البيت رابعاً والذى قبله خامساً ، وأن يكون السادس الأخير قوله « غلبت أمه » . وبذلك يظهر المعنى بينا صحيحاً .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سهل بن هرون فارسىّ الأصل ، دخل البصرة ، ثم اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة ، وكان أديباً شاعراً كاتباً ، وكان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب ، شديداً فى ذلك ، بخيلا مشهوراً بالبخل . له مصنفات منها (كتاب ثعلة وعفراء) يعارض به كليلة ودمنة . مات سنة ٢١٥

(٣) فى ج و س و هـ « وجب » وفى د « واجب » .

(٤) قريب من هذا المعنى وأبلغ منه وأعلى قول الشافعىّ فى الرسالة (رقم ٢) : « والحمدُ لله الذى لا يُؤَدَّى شُكْرُ نعمةٍ من نِعَمِهِ إلاَّ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوجِبُ عَلَى مُؤَدِّى مَاضِى نِعَمِهِ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حادثةً يجبُ عليه شكرُه بها » . وقوله أيضاً (رقم ٤٧) « فنسألُ اللهَ المبتدِئَ لنا بنعمهِ قبلَ استحقاقها ، المُدِيمَهَا علينا ، مع تقصيرِنا فى الإتيان على ما أَوجبَ به مِن شكرِه بها » الخ .

(٥) فى س « أوجبُ » .

وقالَ أُوَيْسٌ القَرَنِيُّ: إنَّ حقوقَ اللهِ لم تَتْرُكْ عند [عَبْدٍ(١)] مُسْلِمٍ دِرْهَماً.

وقال دِعْبلُ بنُ عليٍّ الخُزاعِيُّ يذُمُّ رجلاً :

رأيتُ أبا عِمْرانَ يَبْذُلُ عِرْضَهُ … وخُبْزُ أبى عمرانَ فى أحْرَزِ الحِرْزِ
يَحِنُّ إلى جاراتِهِ بعـد شِبْعِهِ … وجاراتُهُ غَرْثَى تَحِنُّ إلى الخُبْزِ

وقال آخرُ(٢) :

قَوْمٌ إذا أكلوا أخْفَوْا كلامَهُمُ … وَاسْتَوْثَقُوا من رِتاجِ البابِ والدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِمُ … ولا تَكُفُّ يَدٌ عن حُرْمَةِ الجارِ

[أظنُّ تمامَه :

حتى إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ … قالوا لِأُمِّهِمُ بُولِي على النّارِ(٣)
قامتْ بأحْمَرِها تَنْدَى مَشافِرُهُ … كأنّه رِئَةٌ فى كَفِّ جَزّارِ](٤)

وقال رجلٌ مِن طَيِّئٍ ، وكان رجلٌ منهم ، يقال له زيدٌ ، من وَلَدِ عُرْوَةَ بن زَيْدِ الخَيْلِ ، قَتَلَ رجلاً من بنى أَسَدٍ يقال له زيدٌ ، ثم أُقِيدَ به بَعْدُ :

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ .

(٢) أخطأ الشيخ المرصفى رحمه الله هنا خطأ غريباً ، فادّعى أن صاحب الحماسة نسب هذا الشعر لدعبل . والذى فى الحماسة « قال بعض آل المهلب » . ثم جاء التبريزى فى الشرح فقال : « قال دعبل : هو عبد الله بن عبد الرحمن ولقبه أبو الأنوار » . فنقل طابع الحماسة كلمة التبريزى فى المتن ، ووضعها بين قوسين أمارة زيادتها . فظنها الشيخ من كلام أبى تمام ، ثم أخطأ قراءتها فظن أن الشعر منسوب لدعبل ، مع أن دعبلاً نسبه لأبى الأنوار . انظر الحماسة (٢ : ٢٠٦ طبعة محمود توفيق سنة ١٣٣٤) وشرح التبريزى (٤ : ٩٠ طبعة التجارية) .

(٣) نسب المرصفى هذا البيت للأخطل . وأن أوله فى ديوانه « قوم إذا استنبح » ، وقال عن الذى بعده « لا نعلم قائله » . ولعل هذا الشاعر أخذ البيت عن الأخطل فغيره ، أو أخذه عنه الأخطل ، فإنى لم أجد ترجمة أبى الأنوار هذا ، ولا فى أىّ عصر كان .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

عَلاَ زَيْدُنا يومَ الحِمَى رأسَ زَيْدِكُمْ   بأَبْيَضَ مَصْقُولِ الغِرَارِ يَمَانِ (١)

فَإِنْ تَقْتُلُوا زَيْدًا بِزَيْدٍ فَإِنَّما   أَقادَكُمُ السُّلْطانُ بعدَ زَمَانِ

[قال أبو الحسن : وأَنشدَنا غيرُه :

عَلاَ زيدُنا يومَ النَّقَى رأسَ زيدِكُمْ   بأَبْيَضَ مِن ماءِ الحديدِ يَمَانِ (٢)]

قال : [وقد (٣)] كلَّمَ شَمْعَلُ التَّغْلَبِيُّ عبدَ المَلِكِ كلامًا لم يَرْضَهُ ، فرمَاهُ عبدُ المَلِكِ بالجُرْز (٤) فَخَدَشَ وَهَشَمَ ، فقال شَمْعَلٌ :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بالرِّجْلِ مِنِّى تَباشَرَتْ   عُدَاتِى فلا عَيْبٌ علىَّ ولا سُخْرُ

فإنَّ أميرَ المؤمنين وسَيْفَهُ   لَكَالدَّهْرِ ، لاعارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ (٥)

وقال الحجاجُ [بنُ يوسفَ (٦)] : البُخْلُ على الطعام أَقْبَحُ من البَرَصِ على الجسدِ .

وقال زِيادٌ : كَفَى بالبخيلِ عاراً أنَّ اسمَه لم يَقَعْ فى حَمْدٍ قَطُّ ، وكَفَى بالجَوادِ مَجْداً أنَّ اسمه لم يقع فى ذمٍّ قطُّ

وقال آخرُ :

أَلاَ تَرَيْنَ وقد قَطَّعْتِنِى عَــذَلا   ماذا من الفَضْلِ بينَ البُخْلِ والجُودِ

(١) فى ج و س و د و ﻫ و ف وحاشية ا « مشحوذ الغرار » .
(٢) الزيادة من حاشية ﻫ .
(٣) الزيادة من ج .
(٤) « الجرز » بضم الجيم مع سكون الراء وضمها : عمود من حديد . وفى ج و س و د « بجرز » .
(٥) فى ج و س و د و ﻫ و ف « وإن » بدل « فإن » . وفى س « وفعله » بدل « وسيفه » .
(٦) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ أفْعَلُهُ ‏ ‏ إمَّا نَوالاً وإمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ
إلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يوماً أُرَاحُ به ‏ ‏ لِلْخَابِطِينَ فإنى لَيِّنُ العُودِ (١)

قولُه « إلّا يَكُنْ وَرَقٌ » يريدُ المالَ ، وضَرَبه مَثَلاً . ويقال « أَتَى فلانٌ فلانا يَخْتَبِطُ ما عندَه » و « الاخْتِبَاطُ » ضربُ الشجرِ لِيَسْقُطَ الورقُ ، فجعلَ « الخابِطَ » الطالِبَ ، و « الوَرَقَ » المالَ . كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مَانِعَ ذِى قُرْبَى ولا رَحِمٍ ‏ ‏ يوماً ولا مُعْدِماً مِن خَابِطٍ وَرَقَا (٢)

وَيُرْوَى : أنَّ ضيفاً نَزلَ بالحُطَيْئَةِ ، وهو يَرْعَى غنماً له ، وفى يده عصاً ، فقالَ [له (٣)] : الضيفُ : يارَاعِيَ الغَنَمِ [ما عندكَ (٤)] ؟ فأومأَ إليه الحطيئةُ بعصاهُ ، وقال : عَجْرَاءُ من سَلَمٍ (٥) فقال الرجلُ : إنّى ضَيْفٌ ، فقال الحطيئةُ: للضِّيفَانِ أَعْدَدْتُها ! !

وقال دِعْبِلٌ :

وابنُ عِمْرَانَ يَبْتَغِى عَرَبِيًّا ‏ ‏ لَيس يَرْضَى البَنَاتِ للأَكْفَاءِ
إنْ بَدَتْ حاجةٌ له ذَكرَ الضَّيْـ ‏ ‏ ـفَ ويَنْسَاه عندَ وقتِ الغَدَاءِ

وقال أيضاً :

أُضيافُ سالِمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَةٍ ‏ ‏ وفى شَرَابٍ ولحمٍ غـيرِ ممنوعِ

---

(١) « أراح » بفتح أوله ، فعل مضارع مسند للمتكلم . من قولهم « راح يراح » كخاف يخاف ، أى نشط للمعروف وأخذته له خفة .

(٢) فى ج و س و هـ « ذى قربى ولا نسب » . وفى د « وذى نسب » . وفى ج و س و هـ « ولا معدم » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) الزيادة من س .

(٥) « العجراء » العصا التى فيها عقد . و « السلم » شجر من العضاه .

وَضَيْفُ عَمْرٍو وَعَمْرٌو يَسْهَرَانِ مَعًا ... عَمْرٌو لِبِطْنَتِهِ والضَّيْفُ للجُوعِ

وقال دِعْبِلٌ [أيضًا](١) .

ما يَرْحَلُ الضيفُ عَنِّي بعدَ تَكْرِمَةٍ ... إلاّ بِرِفْدٍ وَتَشْيِيعٍ وَمَعْذِرَةِ

وقال أيضًا :

لم يُطِيقُوا أَنْ يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا ... وصَبَرْنَا على رَحَى الْأَسْنَانِ(٢)

صوتُ مَضْغِ الضُّيوفِ أحسنُ عِندي ... مِن غِناءِ القِيَانِ بِالعِيدَانِ

وقال القُرَشيُّ من بنى أُمَيَّةَ(٣)

إِذَا ما وُتِرنَا لم نَنَمْ عَنْ تِرَاتِنَا ... ولم نَكُ أَوْغالاً نُقيمُ الْبَوَاكِيَا(٤)

ولَكِنَّنا نُمْضِي الجِيادَ شَوازِبًا ... فَنَرْمِي بِها نحوَ التِّراتِ المَرامِيَا(٥)

وقال جَرِيرٌ :

إنَّ الذى حَرَمَ الخِلافةَ تَغْلِبًا ... جَعَلَ النُّبُوَّةَ والخِلافةَ فِينَا

مُضَرٌ أَبِي وَأَبو الملوكِ وَهَلْ لَكم ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ مِن أَبٍ كأَبِينَا(٦)

هذا ابنُ عَمِّي فى دِمَشْقَ خَليفةٌ ... لو شِئْتُ ساقَكُمُ إِلَيَّ قَطِينَا(٧)

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فصبرنا » .

(٣) فى ج و د و هـ «وقال آخر من بنى أمية » . وفى س «وقال رجل من بنى أمية» .

(٤) « التراث » جمع « ترة » وهى الثأر ، وقوله « وترنا » أى أصابنا مايوجب الثأر . و « الأوغال» جمع «وغل» بفتح الواو وسكون الغين المعجمة ، وهو النذل الضعيف .

(٥) « الشوازب » من الخيل : الضوامر .

(٦) فى ج و س و د و هـ « فهل لكم » . و « الخزر » ضيقو الجفون ، يصفهم بالعداوة ينظرون بمآخير العيون .

(٧) القطين : الخدم والمماليك .

إنَّ الفرزدقَ إذْ تَحَنَّفَ كارِهاً ... أضْحَى لِتَغْلِبَ والصَّلِيبِ خَدِينَا

ولقد جَزِعْتَ إلى النصارَى بَعْدَما ... لَقِيَ الصليبُ مِنَ العذابِ مُهِينَا

هَلْ تَشْهَدُونَ من المَشاعِرِ مَشْعَراً ... أو تَسْمعونَ من الأذانِ أذِينَا(١)

قال أبو العباس: حدثني عُمارةُ بنُ عَقيلِ بن بِلالِ بنِ جَرير. قال: لمَّا بلغَ الوليدَ قولُهُ(٢):

هذا ابنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَليفةٌ ... لو شئتُ ساقَكُمُ إلَيَّ قَطِينَا

قال الوَلِيدُ: أمَا وَاللهِ لو قال « لو شاء ساقكم » لفعلتُ ذاكَ به، ولكنه قال « لو شئتُ » فجعلني شُرْطِيًّا له.

وَيُرْوَى: أن بِلالاً قَعد يومًا ينظرُ بين الخصومِ، ورجلٌ منهم ناحيةً يَتَمَثَّلُ قولَ الأخطلِ على غيرِ معرفة:

وابنُ المَراغَةِ حابسٌ أعْيارَهُ ... مَرْمَى القَصِيَّةِ ما يَذُقْنَ بِلالاَ

فسمعه بلالٌ، فلمَّا تقدَّمَ مع خَصْمِهِ قال له بلالٌ: أعِدْ [عليَّ](٣) إنْشَادَكَ، فَغَمَزَه بعضُ الجلساءِ، فقال الرجلُ: إنِّي واللهِ ماأدري مَنْ قاله، ولا فيمن قِيلَ، فقال بلالٌ: أجَلْ! هو أشْيَرُ من ذاكَ، هَلُمَّا(٤) فَاخْتَصِمَا.

وقال جريرٌ:

---

(١) في ج و س و د و ه « من المشاهد ». وفي د « مشهداً » و « الأذين » الأذان. ويطلق أيضاً على المؤذن.

(٢) في ج و س و د و ه « قول جرير ».

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه.

(٤) في ج و د و ه « هلم ».

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ فما رَأَيْنَا ... كَدَارٍ بين تَلْعَةَ والنَّظِيمِ[1]

عَرَفْتُ المُنْتَأَى وعرفتُ منها ... مَطَايَا القِدْرِ كَالحِدَإِ الجُثُومِ[2]

وقال آخَرُ :

لقد تَبَلَتْ فُؤَادَكَ إِذْ تَوَلَّتْ ... ولم تَخْشَ العُقوبَةَ فى التَوَلِّى[3]

عَرَفْتُ الدارَ يومَ وَقفتُ فيها ... بِرِيحِ المِسْكِ تَنْفَحُ فى المَحَلِّ

(١) « تلعة » اسم ماء . و « النظيم » أرض تمسك الماء . وكلاهما فى جهة اليمامة .

(٢) « الجثوم » جمع « جاثمة » على غير قياس .

(٣) فى ج و س و د و هـ « يومَ وَلَّتْ » . وقوله « تبلت » أى : أسقمت فؤاده من الحبّ .

باب من أخبار الخوارج[١]

قال أبو العباس: ذَكر أهلُ العِلم من الصُّفْرِيَّة[٢] أنّ الخوارجَ لمّا عَزَموا على البَيْعَةِ لعبدِ الله[٣] بن وهبٍ الرّاسِبيِّ مِن الأَزْدِ تَكَرَّهَ ذلك، فأَبَوْا مَنْ سِوَاهُ[٤]، ولم يُرِيدُوا غيرَه. فلمّا رأى ذلك منهم قال: ياقومِ! استَبِيتُوا الرأيَ. أيْ دَعوهُ يَغِبُّ[٥]. وكان يقول: نعوذُ بالله من الرأيِ الدَّبَرِيِّ.

قوله «استَبِيتو الرأيَ» يقول: دَعُوا رَأيَكم تَأْتِ[٦] عليه ليلةٌ ثم تَعَقَّبُوه، يقال «بَيَّتَ فلانٌ كذا وكذا» إذا فَعَلَه ليلاً. وفي القرآن: ﴿ إذْ يُبَيِّتُونَ مالا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ ﴾[٧] أيْ أَدَارُوا ذلك ليلاً[٨] بينهم. وأَنشدَ أبو عُبيدةَ:

---

(١) «الخوارج» طائفة خرجت على أئمة المسلمين، ونزعوا الطاعة من أعناقهم، وقاتلوا أهل الإسلام. زعماً أنهم أعرف بالحق منهم، وفعلوا إثماً كبيراً.

(٢) «الصفرية» بضم الصاد وسكون الفاء، نسبة إلى زعيم منهم يدعى «زياد بن الأصفر»، ويقال لهم «الزيادية» أيضاً. وهذا هو الذى نص عليه السمعانى فى الأنساب، والجوهرى فى الصحاح. وزعم بعضهم أنهم سموا بذلك لصفرة ألوانهم. وزعم غيره أن اسمهم «الصِفرية» بكسر الصاد وسكون الفاء، وأنهم نسبوا على غير قياس إلى «عبد الله بن صفار» بفتح الصاد وتشديد الفاء. والأول هو الصحيح.

(٣) «عبد الله» بالتكبير. وفى نسخة الشيخ المرصفى «عبيد الله» بالتصغير، وهو خطأ ومخالف لكل النسخ، وللثابت فى التاريخ.

(٤) «من» موصولة. وفى ا «من» حرف جرّ. وهو جيد أيضاً، فإن الفعل «أبى» كما يتعدى بنفسه يتعدى بحرف «من» يقال «أبى فلان من شرب الماء» وتعديته بالحرف تكثر فى لسان العلماء من أهل الأندلس، كما رأيت ذلك كثيراً فى كتب ابن حزم وغيره من علمائهم.

(٥) «يغبّ» أى: يبيت.

(٦) فى ج و د و هـ «تأتى». وفى س «يأتى».

(٧) سورة النساء آية ١٠٨.

(٨) فى ج و س و هـ «بينهم ليلاً».

أَتَوْنِي فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا ... وكانوا أَتَوْنى بأَمْرٍ نُكُرْ
لِأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِراً ... وهل يُنْكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لِحُرّْ

« والرَّأْيُ الدَّبَرِيُّ » : الذى يَعْرِضُ مِن بعدِ[1] وُقوعِ الشىءِ[2] ، كما قال جرير :

ولا يَعرِفونَ الشرَّ حتى يُصيبَهم ... ولا يعرفونَ الأَمْرَ إلاَّ تَدَبُّرا

وكان عبدُ الله بنُ وَهْبٍ ذا رأْيٍ وفَهْمٍ[3] ، ولسانٍ وَشجاعةٍ ، وإنما لَجَؤُوا إليْهِ وَخلَعُوا مَعْدَانَ الإيادِيَّ لقول معدانَ :

سَلامٌ على مَنْ بايَعَ اللهَ شارِياً ... وليس على الحِزْبِ المُقيمِ سَلامُ[4]

فَبَرِئَتْ منه الصُّفْرِيَّةُ ، وقالوا : خالفتَ ، لِأَنَّكَ بَرِئْتَ من القَعَدِ[5] .

[قال أبو العباس][6] : والخوارجُ فى جميع أصنافِهَا تبرأ من الكاذب ، ومِن ذِى المعصيةِ الظّاهرةِ .

وَحُدِّثْتُ : أَنَّ واصِلَ بن عَطاء أبا حُذَيْفَةَ أَقْبَلَ فى رُفْقةٍ ، فَأَحَسُّوا الخوارِجَ ، فقال واصلٌ لأهلِ الرفقة : إِنَّ هذا ليس من شأْنِكم ، فاعْتَزِلُوا وَدَعُونِى وإيّاهم ، وكانوا قد أَشْرَفُوا على العَطَبِ ، فقالوا [له][7] : شَأْنَكَ ،

(١) فى ج و س و د و هـ « بعد » بحذف « من » .
(٢) « الدبرىّ » بفتح الباء ، منسوب إلى « الدبر » بسكونها ، وهو آخر الشىء ، وفتح الباء من تغييرات النسب ، كما فى اللسان .
(٣) بحاشية ا « يقال : فَهْمٌ وفَهَمٌ . ورجل فَهِمٌ من قوم فُهَمَاءَ » .
(٤) « شاريا » أى : بائعاً نفسه فى سبيل الله .
(٥) « القعد » : الذين لا يمضون إلى القتال ، الواحد « قعدىّ » . والمراد هنا فريق من الخوارج ، يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .
(٦) الزيادة من ج .
(٧) الزيادة من س .

فَخَرجَ إليهم ، فقالوا : ما أنتَ وأصحابُكَ ؟ قال : مُشْرِكونَ مُستَجيرونَ ، لِيَسْمَعُوا كلامَ الله ، ويَعْرِفُوا(١) حُدُودَه ، فقالوا : قدأجَرْنَاكم ! قال: فعَلِّمُونا، فجعلوا يعلمونه أحكامَهم ، وَجَعل يقول : قد قبلتُ أنا ومَن(٢) معى ، قالوا : فامْضُوا مُصَاحِبِينَ ، فانكم إخوانُنا ! قال : ليس ذلك لكم ، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وإنْ أحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثم أبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(٣) فأبْلِغُونَا مَأْمَنَنَا(٤)، فنظر بعضُهم إلى بعضٍ ، ثم قالوا : ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم(٥) حتى بَلَّغُوهم المَأْمَنَ .

وَذَكر أهلُ العلمِ مِن غيرِ وجهٍ :أنَّ عليًّا رضى الله تعالى عنه لما وَجَّهَ إليهم عبدَ الله بن عبَّاسٍ(٦) رحمة الله عليه لِيُنَاظِرَهم ، قال لهم: ماالذى نَقِمْتُم(٧) على أميرِ المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميراً ، فلمَّا حَكَّمَ فى دِينِ الله خَرجَ من الإيمَانِ ، فَلْيَتُبْ بعدَ إقرارِه بالكفر نَعُدْ لَهُ ! فقال ابنُ عباسٍ : لاينبغى(٨) لمؤمنٍ لم يَشُبْ إيمَانَهُ شَكٌّ أن يُقِرَّ على نفسه بالكفرِ. قالوا : إنه

---

(١) فى ج و س و د و هـ « ويفهموا » .
(٢) فى س « أنا وأصحابى » .
(٣) سورة التوبة آية ٦
(٤) فى ا « مَأْمَنَّا » بالإدغام ، وهو جائز .
(٥) فى ج و د و هـ « بجمعهم » .
(٦) فى ج و د و س و هـ « عبد الله بن العباس » .
(٧) فى حاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : نَقَمْتُ على فلانٍ كذا وكذا ، ونَقِمْتُ . وقد قُرِئَ بهما جميعاً : ﴿ وما نَقَمُوا منهم ﴾ ﴿ ومانَقِمُوا ﴾ . وفلان ناقمٌ على فلانٍ » .
(٨) فى ج و س و د و هـ « ما ينبغى » .

قد حَكَمَ ، قال : إن اللهَ عزّ وجلّ قد أمرَنا بالتحكيم في قتلِ صَيدٍ ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم[١] ﴾ فكيف في إمامةٍ قد أشكلتْ عَلَى المسلمين ؟ ! فقالوا : إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ . فقال : إنّ الحكومةَ كالإمامةِ ، ومتى فَسَقَ الإمامُ وَجَبَتْ معصيتُه ، وكذلك الحَكَمَان ، لمّا خالفا نُبِذَتْ أقاويلُهما[٢] . فقال بعضُهم لبعضٍ : لا تَجعلوا احتجاجَ قريشٍ حُجّةً عليكم ! فإنّ هذا من القومِ الذين قال اللهُ عزّ وجلّ فيهم : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٣] وقال عزّ وجلّ : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾[٤] .

٭

وَالشَّيْءُ يُذْكَرُ بالشيء ، وجاء في الحديث . أن رجلاً أعرابيًّا أَتَى عمرَ بْنَ الخطاب رضي الله عنه فقال : إني أَصَبْتُ ظَبْيًا وأنا مُحْرِمٌ ؟ فالتفتَ عمرُ إلى عبدِ الرحمن بن عَوْفٍ ، فقال : قل ، فقال عبدُ الرحمن : يُهْدِي شاةً[٥] ، فقال عمرُ : أَهْدِ شاةً ، فقال الأعرابيُّ : واللهِ ما دَرَى أميرُ المؤمنين مافيها حتى اسْتَفْتَى غيرَهُ ! فَخَفَقَهُ عمرُ رضوانُ الله عليه بالدِّرّةِ ، وقال : أَتَقْتُلُ في الحَرَمِ وتَغْمِصُ

(١) سورة المائدة آية ٩٥

(٢) في ج « أقوالهما » .

(٣) سورة الزخرف آية ٥٨

(٤) سورة مريم آية ٩٧ وهنا في حاشية ا « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمر : اللَّدَدُ : شدة الخصومة . والرجلُ أَلَدُّ ، والقومُ لُدٌّ . وكذا فسر في القرآن » .

(٥) بحاشية ا « يقال : أهديتُ إلى الكعبة . والهَدْيُ : ما أُهدِيَ إلى الكعبة . واحدتُها : هَدْيَةٌ » .

الفُتْيا[1] ؟! إنّ اللهَ عزّ وجلّ قال : ﴿ يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم[2] ﴾ فأنا عمرُ بن الخطاب ، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ .

[قال أبو العباس[3]]: وفى هذا الحديثِ ضُروبٌ من الفقه: منها ماذكروا أنَّ عبد الرحمن بن عوفٍ قال أوّلاً ليكون قولُ الإمام حُكماً قاطعاً . ومنها أنه رأى أنّ الشاةَ مثلُ الظبيةِ ، كما قال اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ فَجَزاءٌ مِثْلُ[4] ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾[5] . وأنه لم يسأله : أخطأً قتلَه[6] أم عَمْداً ؟ وجعل الأمرين[7] واحداً . ومنها أنه لم يسأله : أقتَلْتَ صيداً قبلَه وأنتَ مُحْرِمٌ ؟ لأن قومًا يقولون : إذا أصابَ ثانيةً لم يُحْكَمْ عليه ، ولكنّا نقولُ [له[8]] : اذهبْ فاتّقِ اللهَ ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ منه ﴾[9] .

[قال أبو العباس[10]] : مِنْ طَريفِ أخبارِ الخوارجِ قولُ قَطَرِيِّ بن الفُجاءةِ المازنيِّ لأبى خالد القَنَانِيِّ ، وكانَ مِن قَعَدِ الخَوارِجِ :

(١) بحاشية ا « ابنُ شاذان : يقال : غَمَصَ نِعْمَةَ اللهِ يَغْمِصُها غَمْصاً : إذا كفرها . وغَمَصْتُ الرجلَ : إذا طعنتَ فيه » .
(٢) سورة المائدة آية ٩٥
(٣) الزيادة من ج و س .
(٤) فى ج « فجَزَاءُ مِثْلِ » بالإضافة ، وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . وأما تنوين « جزاء » ورفع « مثل » فهو قراءة باقى السبعة .
(٥) سورة المائدة آية ٩٥
(٦) فى ج و د و ه « قتله » .
(٧) فى ج و س و د و ه « الأمر » .
(٨) الزيادة من س و د و ه .
(٩) سورة المائدة آية ٩٥ وهنا بحاشية ا « ابن شاذان : معنى قولهم انتقم الله منه ، أى : عاقبه . والنقم معروفة ، الواحدة نقمة » .
(١٠) الزيادة من ج و س .

أبا خالدٍ يا نْفِرْ فلستَ بخالدٍ ... وما جعلَ الرحمنُ عذراً لقاعدِ[(1)]

أتَزْعُمُ أنَّ الخارجيَّ على الهُدَى ... وأنت مُقيمٌ بين لصٍّ وجاحدِ

فكتب إليه أبو خالدٍ :

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حُبًّا ... بناتِيَ ، إنهنَّ مِن الضِّعَافِ[(2)]

أُحاذِرُ أنْ يَرَيْنَ الفقرَ بَعْدِي ... وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعدَ صَافِ[(3)]

وأنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِيَ الجَوارِي ... فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجَافِ[(4)]

ولولا ذاكَ قد سَوَّمْتُ مُهْرِي ... وفي الرحمنِ للضُّعَفاءِ كافِ

[أَبانا مَنْ لنا إنْ غِبْتَ عنَّا ... وصارَ الحَيُّ بعدكَ في اختلافِ[(5)]]

وهذا خلافُ ما قال عِمْرانُ بن حِطَّانَ ، أحدُ بني عَمرِو بن شَيْبانَ بن ذُهْلِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بن عليِّ بن بَكْرِ بنِ وائلٍ ، وقد كان[(6)] رأسَ القَعَدِ من الصُّفْرِيَّةِ وخَطيبَهم وشاعِرَهم ، قال لمَّا قُتِلَ أبو بِلالٍ ، وهو مِرْداسُ بن أُدَيَّةَ ، وهي جدَّتُه ، وأبوه حُدَيْرٌ ، وهو أحدُ بني رَبيعةَ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مالكِ بنِ زيدِ مَناةَ بنِ تَميمٍ ، قال عِمرانُ بنُ حِطَّانَ :

---

(1) في ج و س و هـ « أبا خالدٍ إنْفِرْ » . وفي د « أنْفِرْ » . وهذه من قولهم « أنفره » : إذا نصره .

(2) في ا « بناتِيْ » بهمزة مفتوحة ، ولم أعرف وجهه . وفي ج « أنهنَّ » .

(3) بحاشية ا « ابنُ شاذانَ : الرَّنْقُ ، الكَدَرُ ، رَنِقَ يَرْنَقُ رَنَقاً ، وهو ماءٌ رَنِقٌ » .

(4) « العجاف » جمع « عجفاء » وهو جمع شاذ . والعجفاء : المهزولة التي ذهب سمنها .

(5) الزيادة من ج و س و د .

(6) في ج و س و د و هـ « وكان » .

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بُغْضاً | وحُبّاً للخروجِ أبو بِلالِ
أُحاذِرُ أن أموتَ على فِراشي | وأَرْجُو الموتَ تحتَ ذُرَى العَوالِي
ولو أنِّي عَلِمْتُ بأنَّ حَتْفِي | كحَتْفِ أبي بِلالٍ لم اُبالِ
فمَنْ يكُ هَمُّهُ الدنيا فإنِّي | لَها واللهِ ربِّ البيتِ قالِي

وفيه يقول[1] :

ياعَيْنُ بَكِّي لِمِرْداسٍ ومَصْرِعِهِ | يارَبَّ مِرْداسٍ اجْعَلْني كَمِرداسِ
تركْتَني هائماً أبكي لِمرْزِئَتي | في منزلٍ مُوحِشٍ من بعدِ إيناسِ
أنكرتُ بعدَكَ مَنْ قد كنتُ أعْرِفُهُ | ماالناسُ بعدَكَ يامِرْداسُ بالناسِ[2]
إمّا شرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوَّلُها | على القُرونِ فذاقُوا جُرْعةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يَذُقْها شاربٌ عَجِلاً | منها بأنفاسٍ ورِدٍ بعدَ أنْفاسِ

☆

[قال أبو العباس[3]] : وكان من حديث عِمرانَ بن حِطّانَ فيما حدثني العباسُ بن الفَرَجِ الرِّيَاشيُّ عن محمد بن سَلّامٍ : أنه لمّا أَطْرَدَهُ الحجاجُ كان ينتقلُ في القبائل ، فكان إذا نزل في حَيٍّ انْتَسَبَ نَسَباً يَقْرُبُ منه ، ففي ذلك يقولُ :

نَزَلْنا في بَني سَعْدِ بن زيدٍ | وفي عَكٍّ وعامِرِ عَوْبَثانِ[4]

---

(١) في طبعات مصر زيادة « أيضاً » وليست في الأصول .

(٢) في بعض النسخ « ماقد كنت » وعليها طبعات مصر .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) في ج و س و د و ه و ف « عوثبان » بتقديم الثاء المثلثة على الباء الموحدة وفي س زيادة نصها : « عامرُ عَوْثَبانَ قبيلةٌ من الأَزْدِ . والعَدَانُ من بني مُدْلِجِ من وَلَدِ زاهرِ بن مُرادٍ . وقد قيل هو عوثبانُ بن زاهر بن مراد بن مُحابِر ، وهو مُرادٌ . ويقال عوبثانُ بتقديم الباء ، فَوْعَلانُ من عَبَثَ » .

وفى بَكرٍ وحَىٍّ بنى العَدَان[١]   وفى لَخمٍ وفى أُدَدِ بنِ عَمرِو

ثُمَّ خَرج حتى نَزل عند روح بن زِنباعٍ الجُذامِىّ، وكان رَوْحٌ يَقرِى الأضيافَ، وكانَ مسامِراً لعبد الملك بن مروانَ أثيراً عنده[٢]، فانتَمَى له من الأزدِ. وفى غيرهذا الحديث: أنّ عبدالملك ذكر رَوْحا فقال: مَنْ أُعطِيَ مثلَ ما أُعطِيَ أبو زُرعةَ؟ أُعطِيَ فِقْهَ أهل الحجازِ، ودَهاءَ أهلِ العراقِ، وطاعة أهل الشأمِ. رَجَعَ الحَدِيثُ: وكان رَوحُ بنُ زِنباعٍ لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك فيسألُ عنه عِمْرانَ بن حِطَّانَ إلاَّ عَرَفه وزادَ فيه، فذكر ذلك لعبد الملك، فقال: إن لى جاراً من الأزدِ ما أسمعُ من أمير المؤمنين خبَرَاً ولا شعراً إلاَّ عَرَفَهُ وزاد فيه، فقال: خَبِّرْنى ببعض أخبارِه، فَخَبَّرَهُ وأنشده، فقال: إن اللغةَ عَدْنانيةٌ، وإنّى لأَحْسِبُهُ عمرانَ بنَ حطانَ، حتى تذاكروا ليلةً قول عِمرانَ بن حطان يمدحُ ابن مُلْجَم لعنه الله:

يا ضَرْبةً مِنْ تَقِىٍّ ما أرادَ بها   إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِى العرش رِضْوانا
إنّى لأذكُره حيناً فأَحْسِبُهُ   أوْفَى البَرِيَّةِ عنـــدَ اللهِ ميزانا

[قَلَبه الفقيهُ الطَبرِى[٣] فقال:

---

(١) زعم الشيخ المرصفى أن صوابه « بنى الغدانى » نسبة إلى « غدانة » بضم الغين المعجمة، وهى قبيلة من سليم بن منصور، وقال: « فأما العدان، بالعين المهملة المفتوحة، فاسم موضع ليس من القبائل فى شىء ». وهذا النفى البات ليس بشىء، فقد ثبت مما نقلنا عن نسخة س أن بنى العدان قبيلة من بنى مدلج.

(٢) أثيراً، أى مكرماً، آثره بالكرامة.

(٣) قال المرصفى: « هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الشافعى ». وأبو الطيب هذا شيخ أبى إسحق الشيرازى. ولد سنة ٣٤٨ ومات سنة ٤٥٠ فى ٢٠ ربيع الأول ببغداد.

يا ضربةً من شقيٍّ ما أرادَ بها ... إلاَّ ليَهْدِمَ مِن ذِى العرش بُنْيانَا
إنِّى لأذكُره يوما فأَلْعَنُهُ ... إيهًا وأَلْعَنُ عمرانَ بنَ حِطَّانَا

قال محمدُ بن أحمد الطَّيِّبُ يَرُدُّ على عمران بن حطانَ :

يا ضربَةً من غدورٍ صارَ ضاربُهَا ... أشْقَى البَرِيَّةِ عندَ الله إنسانَا
إذا تفكَّرْتُ فيه ظَلْتُ أَلْعَنُهُ ... وأَلْعَنُ الكَلْبَ عمرانَ بن حطانا[1]]

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لِمَنْ هو ، فرجَع روحُ إلى عمرانَ بن حطانَ ، فسأله عنه ، فقال عمرانُ : هذا يقولُه عمرانُ بن حطانَ يمدح به عبدَ الرحمن بن مُلْجَمٍ قاتلَ عليّ بن أبي طالبٍ ، فرجَع روحٌ إلى عبد الملك فأخبره ، فقال له عبدُ الملك : ضَيْفُكَ عمرانُ بن حطانَ ، اذهَبْ فجئْنى به ، فرجَع إليه ، فقال: إن أميرَ المؤمنين قد أحبَّ أن يراكَ ، قال [له[2]] عمرانُ : قد أردتُ أن أسألك ذلك فاستحييتُ منكَ ، فامْضِ فإنى بالأَثَرِ ! فرجَع روحٌ إلى عبد الملك فأخبره[3] ، فقال [له[4]] عبدُ الملك : أمَا إنَّكَ سترجعُ فلا تجدُه ! فرجع وقد ارتحلَ عمرانُ[5] ، وخلَّفَ رُقْعةً فيها :

يا رَوْحُ كم من أخِي مَثْوًى نزلتُ به ... قد ظَنَّ ظَنَّكَ من لَخْمٍ وَغسَّانِ
حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ منزلَهُ ... مِن بَعْدِ ما قيلَ عمرانُ بنُ حِطَّانِ
قد كنتُ جارَكَ حَوْلاً ماتُرَوِّعُنِي ... فيه رَوائعُ من إنْسٍ ومِنْ جانِ[6]

---

(١) الزيادة من حاشية د .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) فى ج و س و د و هـ : « فخبره » .
(٤) الزيادة من ج و هـ .
(٥) فى ج و س و د و هـ : « فرجع وعمران قد احتمل » .
(٦) فى ا « ولا جان » .

حتى أردتَ بِىَ العُظْمَى فأدركنى ... ماأَدْرَكَ الناسَ من خوف ابنِ مَرْوَانِ[1]

فاعْذِرْ أخاكَ ابْنَ زِنباعٍ فإنَّ له ... فى النائباتِ خُطوبًا ذاتَ ألوانِ

يومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لَقيتُ مَعَدِّيًا فَعَدْنانِى

لو كنتُ مستغفراً يومًا لطاغيةٍ ... كنتَ المُقَدَّمَ فى سِرِّى وإعْلانِى

لكنْ أبَتْ لِىَ آياتٌ مُطهَّرةٌ ... عند الولاية فى طَهَ وَعِمْرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزُفَرَ بن الحرثِ الكِلاَبِىِّ ، أحدِ بنى عَمرو بن كلابٍ ، فانتسبَ له أوْزاعِيًا ، وكان عمرانُ يُطيلُ الصلاةَ ، وكان غِلْمانٌ من بنى عامرٍ يضحكونَ منه ، فأتاه رجلٌ يومًا ممّن رآه عند رَوْحِ بن زِنْباعٍ فسلَّمَ عليه ، فدعاه زُفَرُ فقال : منْ هذا ؟ فقال : رجلٌ من الأزْدِ رأيتُه ضيفاً لرَوْحِ بن زنباعٍ ، فقال له زُفَرُ : ياهذا ! أزْدِيًّا[2] مرةً وأوْزاعيًّا مرةً[3] ؟! إن كنتَ خائفاً آمَنّاكَ[4] ، وإن كنتَ فقيراً جَبَرْنَاكَ ، فلما أمْسَى هَرَبَ وخَلَّفَ فى منزله رُقْعةً فيها :

إنَّ التى أصبحتْ يَعْيَى بها زُفَرٌ ... أعْيَتْ عَياءً على رَوْحِ بنِ زِنباعِ

قال أبو العباس: أنشدنيه الرِّيَاشِىُّ * أعْيَا عَيَاهَا على رَوْحِ بن زِنْباعِ * وأنكره كما أنكرناه ، لأنه قَصَرَ الممدودَ ، وذلك فى الشعرِ جائز ، ولا يجوز مَدُّ المقصورِ .

---

(١) فى ع : « فأوجَسَنِى ما يُوجِسُ الناسَ » .

(٢) فى هـ « أأزديا » . وفى ع و د « ءآزديا » .

(٣) فى س و د زيادة « أخرى » .

(٤) فى س و د و هـ « أمَّنَّاكَ » .

ما زالَ يَسأَلُنى حَوْلاً لِأُخْبِرَهُ ... والناسُ من بين مَخْدوعٍ وخَدَّاعِ
حتى إذا انقطعتْ عنى وَسائِلُهُ ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولعْ بإهْلاعِى
فاكْفُفْ كما كَفَّ عَنِّى إننى رجلٌ ... إمَّا صَميمٌ وإما فَقْعةُ القاعِ
واكْفُفْ لسانَكَ عن لَوْمى ومَسْئَلَتى ... ماذا تُريدُ إلى شَيْخٍ لِأَوْزاعِ
أما الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكِها ... كُلُّ امْرِئٍ للذى يُعْنَى به ساعِى (١)
أَكْرِمْ برَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وأُسْرَتِهِ ... قومٌ دَعَا أَوَّلِيهِمْ للعُلَى داعِى
جاوَرْتُهُمْ سَنَةً فيما أُسَرُّ به ... عِرْضى صحيحٌ ونَوْمى غيرُ تهجاعِ
فاعْمَلْ فإنك مَنْعِيٌّ بواحدةٍ ... حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشَّيْبِ من ناعِى

ثم ارتحل حتى أتى عُمانَ ، فوجدهم يُعَظِّمونَ أمرَ أبى بلال ويُظهرونه ، فأَظْهَرَ أمرَهُ فيهم ، فبلغ ذلك الحجَّاجَ ، فكتبَ إلى أهل عُمانَ (٢) ، فارْتحلَ عمرانُ هارباً (٣) ، حتى أَتَى قومًا من الأَزْدِ فلم يَزَلْ فيهم حتى ماتَ . وفى نزوله بهم يقولُ :

نَزَلْنا بحمدِ اللهِ فى خيرِ مَنْزِلٍ ... نُسَرُّ بما فيه من الأُنْسِ والخَفَرْ
نَزَلْنَا بقومٍ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ ... وليس لهم عُودٌ سِوَى المَجْدِ يُعْتَصَرْ
مِن الأَزْدِ إنَّ الأَزْدَ أَكْرَمُ مَعْشَرٍ ... يَمانِيَةٌ طابوا إذا نُسِبَ البَشَرْ (٤)
فأصبحتُ فيهم آمِنًا لا كَمَعْشَرٍ ... أَتَوْنِى فقالوا من رَبِيعةَ أَوْ مُضَرْ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « فإنى لست تاركها * كل امرئ فى الذى » الخ .
(٢) فى هـ « إلى عامل عمان » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فهرب عمران » .
(٤) فى هـ وحاشية ا « أَكْرَمُ أُسرةٍ » .

أمِ الحيُّ قحْطان؟ فتِلـكُمْ سَفاهةٌ كما قال لِي رَوْحٌ وصاحِبُهُ زُفَرْ
وَمَا مِنهما إلاَّ يُسَرُّ بِنُسْبَةٍ تُقَرِّبُني مِنْهُ وَإِنْ كانَ ذا نَفَرْ[١]
فَنَحْنُ بَنُو الإسْلاَمِ وَاللهُ وَاحِدٌ وأَوْلَى عِبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ[٢]

قوله « يا رَوْحُ كم مِن أخِي مَثْوَى نَزَلْتُ به » قد مرَّ تفسيرُه ، يقالُ « هذا أبو مَثْوايَ » وللأنثى « هــذه أُمُّ مثْوايَ » ومنزِلُ الضِّيافةِ[٣] وما أشْبَهها « المَثْوَى » وكذلك قال المفسرون في قول الله عزوجل : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[٤] أيْ : إضافَتَه ، ويقالُ مِن هذا « ثَوَى يَثْوِي ثُوِيًّا » كقولك « مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا » ، ويقال « ثواءً » و « مَضاءً » كما قال [الشَّمّاخُ][٥] :

طالَ الثَّوَاءُ على رَسْمٍ بِيَمْؤُودِ أَوْدَى وكلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِي

وقوله « فيه رَوَائِعُ مِن إنسٍ ومِن جَانٍ » الواحدةُ « رائِعة » يقال « راعَنِي يرُوعُني رَوْعًا » أي : أفزَعَنِي . قال اللهُ تعالى ذِكْرُهُ : ﴿فلمَّا ذَهَبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ﴾[٦] . ويكونُ « الرائعُ » الجميلَ يقال : جَمالٌ رائعٌ ، يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما ، وأَحْسِبُ الأصلَ فيهما واحدًا : أنه يُفْرِطُ حتى يَرُوع ، كما قال اللهُ جل ثناؤُهُ :﴿يَكادُ سَنَا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأبصارِ﴾[٧] للإفراط في ضيائِه ، و« الرائعُ » مهموزٌ ، وكذلك كلُّ فعلٍ من الثلاثة مما

---

(١) ع و د و هـ « كما قال رَوحٌ لي » .
(٢) « بنسبة » ضبطت في كل الأصول المخطوطة بضم النون ، وهي القرابة ، كالنسبة بكسرها . وضبطها الشيخ المرصفي بالكسر فقط .
(٣) في ع و س و د « ومنزل الإضافة » .
(٤) سورة يوسف آية ٢١
(٥) الزيادة من هـ .
(٦) سورة هود آية ٧٤
(٧) سورة النور آية ٤٣

عينُه واواً أو ياءٌ ، إذا كانت معتلةً ساكنةً ، تقولُ « قال يقول » و « باع يبيع » و « خافَ يخافُ » و «هاب يهاب» يعتلُّ اسمُ الفاعلِ فيُهمزُ موضع العين ، نحو « قائل »و «بائع » و « خائفٍ» و « هائبٍ » . فإن صَحَّت العين فى الفعل صحَّتْ فى اسم الفاعل ، نحو «عَوِرَ الرجلُ فهو عاوِرٌ» و «صَيِدَ فهو صايِدٌ» ، و «الصَّيَدُ » داءٌ يأخذُ فى الرأس والعينين والشؤون . وَإنما صحت فى « عَوِرَ» و «حَوِلَ»و « صَيِدَ » لأنه منقولٌ من « احْوَلَّ» و « اعْوَرَّ » . وقد أحكمنا تفسيرَ هذا فى الكتاب المُقْتَضَب .

وقوله :

« يومًا يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ وإن لقيتُ مَعَدِّيًّا فعَدْنانِى »

يُريد : أنا يومًا يمانٍ ، ولولا أنَّ الشعر لايصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا ، على معنى : أتنقَّلُ[1] يومًا كذا ويومًا كذا ، والرفع حسنٌ جميلٌ . وهذا الشعرُ يُنْشَدُ نصبًا .

أَفِى السِّلْمِ أعيارًا جَفاءً وغِلْظةً وفى الحرب أمثالَ النساءِ العوارِكِ[2]

« العوارِكُ » هُنَّ الحوائضُ . وكذلك قوله :

أَفى الولائمِ أولادًا لِواحدةٍ وفى المحافلِ أولادًا لِعَلَّاتِ

قال . « العَلاتُ » سُمِّيتْ لأن الواحدةَ « تُعَلُّ » بعدَ صاحبتِها ، وهو من «العَلَلِ» وهو الشُّربُ الثانى ، أى يختلفون ويتحوَّلون فى هذه الحالاتِ . ومن

(١) فى ج و س « انتقل » .

(٢) الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

كلام العرب : أتميميًّا مرةً وقيسيًّا أخرى ؟ وكذلك إن لم تستفهم وأخبرت قلتَ : تميميا مرةً عَلِمَ اللهُ وقيسيًّا أخرى . أى : تنتقِلُ . ومن ثَمَّ قال له زُفَرُ بنُ الحرثِ : أزديًّا مرةً وأوْزاعيًّا أخرى ؟ والرفع على « أنتَ » جَيِّدٌ بالغٌ .

وقولهُ : « لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيةٍ » يكون على وجهين : لنفسٍ طاغيةٍ ، والآخرُ للمذكَّر ، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة ، كما يقالُ : رجلٌ راويةٌ وعَلاّمةٌ وَنَسّابةٌ ، وكلاهما وَجْهٌ . ويقال : جاءت طاغيةُ الرُّوم ، يرادُ الجماعةُ الطاغيةُ ، كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ »[(١)]

وقوله « عندَ الوِلاية » إذا فتحتَ فهو مصدرُ « الوَلِيّ » وفى القرآنِ المجيدِ[(٢)] : ﴿ ما لَكُمْ مِّن وَّلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ ﴾[(٣)] . والوِلايةُ مكسورةٌ نحو السياسة والرِياضة والإيالةِ ، وهى الوِلايةُ ، وأصلُه من الإصلاحِ ، يقال « آلَهُ يَؤُولُهُ أوْلاً » إذا أصلَحه . قال عمرُ بن الخطابِ : قد أُلْنَا وَإِيلَ علينا . تأويلُ ذلك : قد ولِينا ووُلِيَ علينا . وهذه كلمةٌ جامعةٌ ، يقول : قد وَلِينا فعَلِمنا ما يُصْلِحُ الوالِيَ ، ووُلِيَ علينا فعَلِمنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ .

---

(١) هذا معنى حديث متواتر معروف ، فى شأن عمار بن ياسر . وفى البخارى من حديث ابن عباس مرفوعاً : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار » . انظر فتح البارى (٦ : ٢٣) .

(٢) فى س « العظيم » .

(٣) سورة الأنفال آية ٧٢

وقوله «حتى إذاما انْقَضَتْ مِنِّى وَسائِلُه» [«الوسائلُ» واحدُها «وَسِيلَةٌ»[1]] وهى : الذَّرِيعةُ والسَّبَبُ . يقال : قد تَوَسَّلْتُ إلى فلانٍ ، قال رؤْبَةُ بنُ العَجَّاج :

والناسُ إنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصائِلا   كلٌّ إلينا يَبْتَغِي الوَسائِلا

وقوله : «ولم يُولَعْ بإهْلاَعِي» أى : بإفزاعى وترويعِي . والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاةِ الأقرانِ ، يقال : نعوذ بالله من الهَلَعِ . ويقال : رجلٌ هَلُوعٌ إذَا كانَ لا يَصْبِرُ على خيرٍ ولا شَرٍّ ، حتى يفعلَ فى كل واحدٍ منهما غيرَ الحَقِّ ، قال اللهُ وهو أصدقُ القائلين[2] : ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً﴾[3] . وقال الشاعرُ :

وَلِى قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو   وَنَفْسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاَعِ

وقوله . «إمَّا صَمِيمٌ وَإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» «الصَّمِيمُ» الخالصُ من كل شيء ، يقال : فلانٌ من صميم قومِه ، أى : من خالصهم . وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك :

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى   شُؤُونُ الرأسِ مُجْتَمِعَ الصَّمِيمِ

وقوله «وإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له : هو فَقْعَةٌ بِقَاعٍ ، وذلك لأن الفقعةَ لا عُروقَ لها ولا أغصانَ ، والفَقْعَةُ الكَمْأَةُ البيضاء ، ويقال : حَمَامٌ فَقِيعٌ : لِبَيَاضِه . ومن ذا قولُ الشاعرِ :

---

(١) الزيادة من س . وأثبتت فى طبعات مصر من غير إشارة إلى زيادتها ، وهو تصرف غير جيد .

(٢) فى ج و س و د و هـ «جل وعز» .

(٣) سورة المعارج آيات ١٩ ـ ٢١

قومٌ إذا نُسِبُوا يَكونُ أبُوهُمُ ... عند المَنَاسِبِ فَقْعةً فى قَرْقَرِ(١)

وقال بعضُ القُرشيين :

إذا ما كنتَ مُتَّخِذًا خليلاً ... فلا تَجْعَلْ خليلَكَ من تَميمِ

بَلَوْتُ صَميمَهُمْ والعبدَ منهم ... فما أدْنَى العَبيدَ من الصَّميمِ

وقوله « نُسَرُّ بمَا فيهِ منَ الأُنْسِ والخَفَرِ » فأصل « الخَفَرِ » شِدَّةُ الحياء يقال « امرأةٌ خَفِرَةٌ » إذا كانت مستترةً لاستحيائها . قال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نِسْوةٍ خَفِرَاتِ

وقوله « إنَّ الأزْدَ أكْرَمُ أسْرَةٍ »(٢) يقولُ : عصابةٍ وقبيلةٍ ، ويقالُ للرجلِ : من أىِّ أسْرةٍ أنتَ ؟ وأصلُ هــذا من الاجتماعِ ، يقال للقَتَبِ « مأسُورٌ » وقد مضى تفسيره .

ويُنْشَدُ « يَمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ »(٣) يريدُ « قَرُبُوا » . وهذا جائزٌ فى كلِّ شَىْءٍ مضمومٍ أومكسورٍ إذا لم يكن من(٤) حركات الإعرابِ ، تقولُ فى الأسماء فى « فَخِذٍ » « فَخْذٌ » وفى « عَضُدٍ » « عَضْدٌ » . وتقولُ فى الأفعالِ « كَرْمَ عبدُ الله » أى كَرُمَ ، و « قد عَلْمَ اللهُ » أى عَلِمَ اللهُ .

قال الأخْطَلُ :

---

(١) القرقر : الأرض المطمئنة اللينة ، أو الصحراء البارزة . والمناسب : قال المرصفى : « كان واحده منسب ، كمقعد ، يريد : عند التفاخر بالأنساب » .

(٢) هكذا ذكر بعض البيت هنا . وإنشاده هناك (ص ٩٠٠) « إن الأزد أكرم معشر » . وأما « أسرة » فانها نسخة فى هـ وحاشية ا .

(٣) يريد أن فى بعض الروايات « قربوا » بسكون الراء ، بدل « طابوا » .

(٤) فى ج و س و د « فى » بدل « من » .

فان أَهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بازِلٌ من الإبْلِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهِلُهُ[1]

وقال آخرُ :

عَجِبْتُ لمولودٍ وليس له أَبٌ وذى وَلَدٍ لم يلْدَهُ أَبَوَانِ

وَلا يجوزُ فى « ضَرَبَ » ولا فى « جَمَلٍ » أن يُسكَّنَ ، لخفة الفتحة .

وقوله « أَتَوْنى فقالُوا مِن ربيعةَ أو مُضَرْ » يقول : أَمِنْ رَبيعةَ أم من مُضَرَ ؟ ويجوزُ فى الشعر حذفُ ألفِ الاستفهامِ[2] ، لأن « أم » التى جاءتْ بعدَها تدلُّ عليها . قال ابنُ أبى ربيعةَ :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنْ كُنتُ دَارِيًا بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أمْ بِثَمَانِ

يريدُ : أبِسَبْعٍ ؟ وقال التَّميمىُّ :

لَعَمْرُكَ ما أَدرِى وإنْ كنتُ دارِيًا شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بنِ مِنْقَرِ[3]

---

(١) البازل من الإبل : الذى يبزل نابه ، أى يشق فى السنة التاسعة ، وربما بزل فى الثامنة . والدبر بفتحتين : الجرح يكون فى ظهر الدابة . والصفحتان : الجانبان . وقوله « وكاهله » كذا هو فى جميع نسخ الكامل . ولكن الشيخ المرصفى كتبه فى طبعته مع شرحه « وغاربه » . وتبع فى ذلك الجوهرى فى مادة « ض ج ر » .

(٢) أكثر النحويين يقيدون جواز حذف الهمزة التى للاستفهام بالشعر . وأجازه الأخفش وغيره مطلقا ، وهو الصحيح ، وقد ورد فى الأحاديث الثابتة الصحيحة ، وخرجت عليه بعض الآيات الكريمة . قال ابن مالك فى شواهد التوضيح والتصحيح (ص ٥٨ — ٦٠) : « وقد كثر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها كقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ قال أبو الفتح وغيره : أراد : أو تلك » . وذكر له شواهد أخرى من الكتاب والسنة . وقد أكثر الشافعى من ذلك فى كتبه ، الرسالة وغيرها ، وهو عربى فصيح ، لغته حجة . انظر شواهد ذلك من الرسالة ، فى المواضع التى أشرنا إليها فى الفهرس السابع لها ، فى النوع السادس عشر .

(٣) فى ج و س و د « شعيب » .

الروايةُ على وجهين : أحدُهما « مِن[1] رَبِيعة أم مُضَرْ . أم الحيٌّ قَحْطانٌ[2] » يريدُ : أذا أم ذا ؟ والأصلحُ[3] في الرواية « مِن ربيعةَ أو مضرْ . أم الحيٌّ قحطانٍ[2] » لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ ، فأرادَ مِن أحد هذين أم الحيٌّ قَحْطانَ ، لِأنَّه إذا قال : أزيدٌ عندَكَ أم عمرٌو ؟ فالجوابُ : نَعَمْ ، أو : لا ، لأنَّ أحدَ هذين عندَكَ[4] ، ومعنى الأولِ : أيُّهما عندكَ ؟ ويُرْوَى ـ وحدَّثَنيه المازنيُّ : أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلِبِ أتاها رجلٌ ، فقال لها : أينَ الزُّبَيْرُ ؟ قالت : ومَا تُرِيدُ إليه؟ قال : أُرِيد أنْ أُبَاطِشَهُ ؛ فقالت : ها هو ذاكَ ، فصار إلى الزبير فباطشه ، فغلبه الزبيرُ ، فمرَّ بها مَفْلُولاً[5] ، فقالت صفيةُ :

كيف رأيتَ زَبْرَا * أأَقِطًا أو تَمْرَا * أم قُرَشِيًّا صَقْرَا

لم تَشْكُكْ بينَ الأَقِطِ والتَّمر فتقولَ أيُّهما هو ؟ ولكنها أرادتْ : أرأيتَهُ طعاماً أم قرشيًّا صقرًا ؟ أي أأَحدَ هذين رأيتَهُ أم صقرًا ؟ ولو قالت : أأقطًا أم تمرًا ـ : كَانَ[6] محالا على هذا الوجه .

وقوله : «وما مِنهما إلاَّ يُسَرُّ بِنُسْبةِ» معناه : وما منهما واحدٌ، فَحَذَفَ

---

(١) هكذا في ج و س و هـ و د « من » بدون الهمزة ، وهو الذي في البيت ، والذي يتزن به الشعر . وفي بعض النسخ « أمن » بالهمزة ، وعليها طبعات مصر ، وليست بجيدة .

(٢) « قحطان » ضبطناها بالخفض والتنوين كرواية البيت ، لأن الشاعر صرفها للضرورة . وضبطت في كل النسخ بالمنع من الصرف ، وهو لا يوافق الوزن ، والمؤلف يحكي رواية البيت . وكذلك « مضر » ضبطت في النسخ بفتح الراء . وهي في البيت بسكونها .

(٣) في ج و س و هـ « والأملح » .

(٤) في س و د و هـ « لأن المعنى : أأحد هذين عندك » .

(٥) « مفلولا » بالفاء ، أي مهزوما . وفي س و هـ « مغلولا » بالغين ، وهو خطأ ، وبه طبعت بعض طبعات مصر .

(٦) في ج و س و د و هـ « لكان » .

لعلم المخاطَب . قال الله جلّ اسْمُه : ﴿ وإن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[1] . أي: وإنْ أحَدٌ . ومعنى « إنْ » معنى « ما » قال الشاعرُ:

وما الدّهرُ إلاَّ تارَتانِ فمنهما أموتُ وأُخرى أبْتغي العيشَ أكْدَحُ

يريدُ : فمنهما تارةٌ ،

وقوله :

«فنَحْنُ بنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ وأوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ»

يقولُ : انقطعت الوَلايةُ إلاَّ وَلايةَ الإسلامِ ، لأن وَلايةَ الإسلامِ قد قاربتْ بين الغُرَباء . وقال الله عزّ وجلّ :﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ ﴾[2] . وقال عزّ وجلّ فباعَدَ به بينَ القَرابةِ : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إنَّه عَمِلٌ غَيْرُ صالِحٍ ﴾[3] وقال نَهارُ بن تَوْسِعةَ اليَشْكُرِيُّ :

دَعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ لِيُلْحِقَهُ بذِى الحَسَبِ الصَّميمِ

أَبِى الاسلامُ لا أَبَ لِى سِوَاهُ إذا افتَخَروا بقيسٍ أو تَميمِ

٭

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبارِ : إنّ أولَ مَنْ حَكَّمَ عُرْوةُ بن أُدَيّةَ ، وأُدَيّةُ جَدّةٌ له جاهليةٌ[4] ، وهو عروةُ بن حُدَيرٍ ، أحدُ بنى ربيعةَ بن حنظلةَ .

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩

(٢) سورة الحجرات آية ١٠

(٣) سورة هود آية ٤٦. وقوله « عمل غير صالح » ضبط فى الأصول بالقراءتين : قراءة يعقوب والكسائى «عمل » بكسر الميم فعل ماض ، و « غير » بالنصب مفعول . وقراء باقى العشرة « عمل » بفتح الميم مصدر منون ، و « غـير » بالرفع . وانظر النشر (٢ : ٢٧٨) والتيسير (ص ١٢٥) .

(٤) فى ع و هـ « فى الجاهلية » .

وقال قومٌ : بل أولُ مَنْ حَكَّمَ رجلٌ يقال له سَعِيدٌ من بنى مُحارِب بنِ خَصَفةَ بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ . ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهْبٍ الراسِبِيِّ ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ إلى غيره ، فلم يَقْنَعُوا إلاَّ بِه ، فكان إمامَ القومِ ، وكان يُوصفُ بالرَّأْىِ .

[قال أبو العباس][1] : فأما أولُ[2] سيفٍ سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةَ ، وذلك : أنه أقبلَ على الأَشْعَثِ[3] فقال: ماهذه الدَّنِيئةُ[4] يا أشعثُ ؟ وما هذا التحكيمُ ؟ أشَرْطٌ أَوْثَقُ من شَرْطِ الله عزَّ وجلَّ ؟ ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ والأشعثُ مُوَلٍّ ، فضربَ به عَجُزَ البغلةِ ، فَشَبَّتِ البغلةُ فَنَفَرَتِ اليمانيةُ ، وكانوا جُلَّ أصحابِ علىٍّ صلواتُ الله عليه ، فلما رأى ذلك الأَحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قُدامةَ ومسعودُ بن فَدَكِيٍّ بن أَعْبَدَ وشَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ — : إلى الأشعثِ ، فسألوه الصَّفْحَ ، ففعلَ .

وكان عروةُ بن أُدَيَّةَ نجا مِن حربِ النَّهْرَوانِ ، فلم يَزَلْ باقياً مدةً من خلافة معاوية ، ثم أُتِيَ به زيادٌ ومعه مولًى له ، فسأله عن أبى بكرٍ وعمرَ ، فقال خيراً ، ثم سأله فقال : ما تقولُ فى أمير المؤمنين عثمانَ بن عفَّانَ وأبى تُرابٍ علىِّ بن أبى طالبٍ ؟ فتولَّى عثمانَ سِتَّ سنينَ من خلافتِه ، ثم شَهِد عليه بالكفرِ ! وفعلَ فى أمرِ علىٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ ، ثم شهد عليه بالكفرِ ! ثم سأله عن

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) فى ج « فأول » .

(٣) هو الأشعث بن قيس الكندى .

(٤) فى ج « الدَّنيَّةُ » . وفى هـ « الدُّنَيَّةُ » .

معاويةَ ؟ فسبَّه سَبًّا قبيحاً ! ثم سأله عن نَفْسِه ؟ فقال : أوَّلُكَ لِزِنْيَةٍ[1] وآخِرُكَ لِدِعْوَةٍ[2] ، وأنتَ بعدُ عاصٍ لربك ! ثم أمَرَ به فضُرِبَتْ عنقُه ، ثم دعا مولاه فقال : صِفْ لى أمورَه ؟ فقال : أأُطْنِبُ أم أختَصِرُ ؟ فقال : بل اخْتَصِرْ ، فقال : ما أتيتُه بطعامٍ بنهارٍ قطُّ ، ولا فرشتُ له فِراشاً بليلٍ قطُّ .

وكان سببُ تسميتِهم الحَرُورِيَّةَ : أن عليًّا لمَّا ناظرهم بعد مناظرةِ ابن عباس رحمه الله إيّاهم ، فكان مما[3] قال لهم : ألاَ تعلمون أنَّ هؤلاء القومَ لمَّا رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم أن هذه مَكِيدةٌ ووَهْنٌ ، وأنهم لو قصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحفِ لم يأتونِي ثم سألونِي التحكيمَ ، أفَعلِمْتُمْ أنه كان منكم أحدٌ أكْرَهَ لذلك مِنِّي ؟ قالوا : اللهمَّ نَعَمْ . قال : فهل علمتُمْ أنكم استكرهتُمونِي على ذلك حتى أجبتُكم إليه ، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكَمَا بحُكْمِ الله عزَّ وجلَّ ، فإنْ خالفاه[4] فأنا وأنتم من ذلك بُرَآء ، أوَأنتم[5] تعلمون أنَّ حكمَ اللهِ لا يَعْدُونِي ؟ قالوا : اللهم نعم — وفيهم فى ذلك الوقت ابنُ الكَوَّاء[6] — وهذا مِن قَبْلِ أن تَذبحوا عبدَ الله بنَ خَبَّابٍ ؟ فإنما ذَبحوه بكَسْكَرَ فى الفُرْقةِ الثالثةِ — : فقالوا : حَكَّمْتَ فى دِينِ الله

---

(١) يشير إلى أنه غير معروف النسب .

(٢) يشير إلى أن معاوية ادعى أنه أخوه ، وأن أباه أبا سفيان ادعى أنه ابنه من سمية .

(٣) فى هـ « كان مما » . وفى ج و د « كان فيما » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فتى خالفاه » .

(٥) فى النسخ المذكورة « وأنتم » بدون الهمزة .

(٦) هو عبد الله بن الكواء . واسم الكواء : عمرو بن النعمان بن ظالم ، من بنى يشكر بن بكر بن وائل . وهنا فى حاشية ا ما نصه : « قال ابن دريد : رجل كواء : خبيث اللسان ، شتام للناس » . وانظر الجمهرة لابن دريد (١ : ١٨٧) .

برأينا ، ونحن مُقرّونَ بأنّا قد كفَرنا ، ونحن تائبون ! فأَقْرِرْ بمثل ما أقررنا [به[١]] ، وتُبْ نَنْهَضْ معك إلى الشأمِ !! فقال : أَمَا تعلمونَ أن الله جلَّ ثناؤه قد أَمَرَ بالتحكيم فى شِقاقٍ بين رجلٍ وامرأةٍ[٢] ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ فابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا[٣] ﴾ وفى صيدٍ أُصِيبَ فى الحَرَمِ ، كأرنب يساوى رُبْعَ دينارٍ[٤] ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ[٥] ﴾ فقالوا : إن عَمْراً لمّا أَبَى عليكَ أن تقولَ فى كتابك « هذا ما كتبه عبدُ اللهِ علىٌّ أميرُ المؤمنين » مَحَوْتَ اسمكَ من الخلافَة ، وكتبتَ « علىُّ بنُ أبى طالبٍ » فقال لهم رضى الله عنه : لِى برسول الله صلى الله عليه وسلم إِسْوَةٌ ، حيثُ أَبَى عليه سُهَيْلُ بن عَمرٍو أن يكتبَ « هذا كتابٌ كتبه محمدٌ رسولُ الله وسهيلُ بن عمرٍو » فقال : لو أقررنا[٦] بأنك رسولُ الله ما خالفناك[٧] ، ولكنِّى أُقدِّمك لفضلِك ، ثم قال : اكْتُبْ « محمدُ بن عبد الله » فقال لى : يا علىُّ ، امْحُ « رسولَ الله » فقلتُ : يارسول الله ، لا تَسْخُو نفسى بِمَحْوِ اسمِك من النبوّة ، فقال عليه السلام : قِفْنِى عليه[٨] ، فمحاهُ بيدِه صلى الله

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج و س و د و ه « وامرأته » .
(٣) سورة النساء آية ٣٥
(٤) فى ج و س و د و ه « تساوى ربع درهم » .
(٥) سورة المائدة آية ٩٥
(٦) فى ج و س و د و ه « لو أقررتُ » .
(٧) فى هذه النسخ « ما خلفتك » .
(٨) فى هذه النسخ « فقفنى عليه » .

عليه وسلم ، ثم قال اكتُبْ « محمدُ بنُ عبد الله » ثم تبسَّم إلىَّ فقال : ياعليُّ ، أمَا إنكَ ستُسامُ مِثلَها فتُعْطِي[1]. فرَجَعَ معه منهم ألفانِ من حَرُوراءَ[2] ، وقد كانوا تجمَّعوا بها ، فقال لهم عليٌّ صلواتُ الله عليه : مانُسَمِّيكُم ؟ ثم قال : أنتم الحَرُورِيَّةُ ، لاجتماعِكم بحَرُوراء .

والنَّسبُ إلى مثلِ « حَرُوراء » « حَرُوراوِيٌّ » فاعْلَمْ ، وكذلك كلُّ ما كان فى آخره ألفُ التأنيثِ الممدودةِ ، ولكنه نُسِبَ إلى البلد بحذف الزوائد ، فقيل « الحَرُورِيُّ » .

⁂

وقال الصَّلَتانُ العَبْدِيُّ فى كلمةٍ له :

أرَى أُمَّةً شهَرَتْ سيفَها ... وقد زِيدَ فى سَوْطِها الأصْبَحِي

بنَجْدِيَّةٍ وحَرُورِيَّةٍ ... وأزْرَقَ يدْعُو إلى أزْرَقِ

فمِلَّتُنا أنَّنا المسلمونَ ... على دِينِ صِدِّيقِنا والنَّبِي

وفى هذا الشعرِ ممّا يُستحسَنُ قولُه :

أشابَ الصغيرَ وأفْنى الكبيرَ ... مُرُورُ اللَّيالِى وكَرُّ العَشِى[3]

إذا ليلةٌ هرَّمَتْ يومَها ... أتَى بعدَ ذلك يومٌ فَتِي

نَروحُ ونَغْدُو لِحاجاتِنا ... وحاجةُ مَنْ عاشَ لاتَنْقَضِي

---

(١) يشير إلى أمر الهدنة فى عمرة الحديبية . وانظر سيرة ابن هشام (ص ٧٤٠ — ٧٥١ طبعة أوربة) وتاريخ ابن كثير (٤ : ١٦٤ — ١٧٧) .

(٢) حروراء : قرية قريبة من الكوفة .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ « مَرُّ الغَداةِ وكَرُّ العَشِى » .

تموتُ مع المَرْء حاجاتُه وتَبْـقَى له حاجة مَّا بَقِي

قوله « وقد زِيدَ فى سوطها الأَصْبَحِى » ، فإنه تُسمَّى هذه السياطُ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ « الأَصْبَحِيَّةَ » وتُنْسَبُ إلى ذى أَصْبَحَ الْحِمْيَرِىّ ، وكان مَلِكا من ملوك حِمْيَرَ ، وهو أوّلُ من اتخذها ، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه .

« والنَّجْدِيَّةُ » تُنسَبُ إلى نَجْدةَ بن عُوَيْمِرٍ ، وهو عامرٌ الحنفىُّ ، وكان رأساً ذا مَقالةٍ منفردةٍ[1] من مَقالاتِ الخوارجِ ، وقد بَقِىَ من أهلها قومٌ كثيرٌ . وكان نَجْدةُ يصلِّى بمكّةَ بحذاء عبد الله بن الزُّبَير فى جَمْعِهِ فى كل جُمُعَةٍ ، وعبدالله يَطْلُبُ الخِلافةَ ، فيُمْسِكانِ عن القِتالِ من أجْلِ الحَرَمِ . قال الرّاعِي يخاطبُ عبدَ المَلِكِ :

إنِّى حَلَفْتُ على يمِينٍ بَرَّةٍ لا أَكْذِبُ اليومَ الخَلِيفةَ قِيلا
ما إنْ أَتَيْتُ أبا خُبَيْبٍ وافِدًا يومًا أُريد بِبَيْعَتِي تَبْدِيلا[2]
ولا أَتيتُ نُجَيْدةَ بنَ عُوَيْمِرٍ أَبْغِي الهُدَى فيزيدَنى تَضْليلا
مِن نِعْمةِ الرحمنِ لا مِن حِيلتِي إنِّى أُعَــدُّ له علىَّ فُضولاَ

وفى هذه القصيدة :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعوا حَيْزُومَهُ بالاصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاَ[3]

---

(١) فى ج و س و د و ه « مفردة » .
(٢) « أبو خبيب » بالتصغير : كنية عبد الله بن الزبير .
(٣) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة ، يعرف منه أحوالهم . فهو فعيل بمعنى فاعل ، وجمعه « عرفاء » . والحيزوم : الصدر .

قوله « وأَزْرَقَ يدعُو إلى أَزْرَقِي » يريدُ مَن كان من أصحاب نافع بن الأزرقِ الحنفيّ ، وكانَ نافعٌ شجاعًا مُقَدَّمًا فى فِقْهِ الخَوَارج . وله ولعبد الله بن عباسٍ مسائلُ كثيرةٌ ، وسنذكرجملةً منها فى هذا الكتاب ، إن شاء الله .

وقوله « عَلَى دينِ صِدِّيقنا والنبى » فالعربُ تفعلُ هذا ، وهو فى الواو جائز ، أن تَبْدَأَ بالشىء ، وغيرُهُ المُقَدَّمُ[1] . قال الله عزّ اسمُه : ﴿هو الَّذِى خلقَكم فمنكم كافرٌ ومنكم مُؤْمِنٌ[2]﴾ وقال : ﴿يامَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ[3]﴾ وقال : ﴿واسْجُدِى وارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ[4]﴾ وقال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّهِ عَلِىٌّ ومنهم أحمــدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى : بنى هاشمٍ . ومن كلامِ العرب رَبيعةُ ومُضَرُ وَقيْسٌ وخِنْدِفُ وسُلَيْمٌ وعامرٌ . وأصحابُ نافعِ بن الأزرقِ هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ[5] ، وهم الذين أحاطوا بالبصرةِ حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلها منها ، وكان الباقون على التَّرَحُّلِ[6] ، فقَلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم ، فهزَمهم إلى الفراتِ ، ثم هزمهم إلى الأَهْوَازِ ، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ ، ثم أخرجهم إلى كِرْمَانَ . وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحربِ التى صاحِبُها صاحِبُ الزِّنجِ بالبَصْرَةِ[7] ، يَرْثِى البلدَ ، ويذكر

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ « والمقدم غيره » .

(٢) سورة التغابن آية ٢ .

(٣) سورة الرحمن آية ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ٤٣ .

(٥) الحد بفتح الحاء المهملة : البأس والنفاذ فى النجدة . والجد بكسر الجيم : الاجتهاد والسرعة فى الأمر . قاله المرصفى .

(٦) فى ج و س و د « على الرِّحْلَةِ » .

(٧) قال المرصفى : « صاحب الزنج رجل ظهر أيام المهتدى بالله ، يزعم أنه على بن محمد ، من ولد على =

المنْقَبَةَ التى كانتْ لهم . [قال الأَخفشُ : أنشدنيه يَزيدُ المُهَلبىُّ لنفسه] :

سَقَى اللهُ مِصْرًا خَفَّ أهلوهُ من مصْرِ   وماذا الذى يَبْقَى على عُقَبِ الدَّهْرِ (١)
ولو كنتُ فيه إذْ أُبِيحَ حَرِيمُهُ   لَمُتُّ كَرِيمًا أو صَدَرْتُ على عُذْرِ
أُبيحَ فلم أمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةٍ   تُهيبُ بها أنْ حارَدَتْ لَوْعةُ الصَّدْرِ (٢)
ونحن رَدَدْنا أهلَها إذْ تَرَحَّلُوا   وقد نُظِمَتْ خَيْلُ الأَزارِقِ بالجَسْرِ (٣)
ومَن يَخْشَ أَطْرافَ المَنايا فإنَّنا   لَبِسْنا لَهُنَّ السّابِغاتِ من الصَّبْرِ
فإنَّ كَرِيهَ المَوْتِ عَذْبٌ مَذَاقُهُ   إذا ما مَزَجْناهُ بِطِيبٍ من الذِّكْرِ
وما رُزِقَ الانسانُ مِثْلَ مَنِيَّةٍ   أَراحتْ من الدنيا ولم تُخْزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعر [يقول (٤)] :

لِيَشْكُرْ بنو العباسِ نُعْمَى تَجَدَّدَتْ   فقد وَعَدَ اللهُ المَزِيدَ على الشُّكْرِ

= بن الحسين بن على بن أبى طالب . وجمهور النسابين اتفقوا على أنه على بن محمد بن عبدالرحيم، من بنى عبد القيس . دعا الناس إلى طاعته ، واستمال عدداً كثيراً من الزنوج ، يستعين بهم على العيث والفساد ، فأمر زنوجه وجنوده أن يلحوا على أهلها ، فانتشروا فى سكك البصرة يقتلون كل من وجدوه، ودخلوا المسجد الجامع فأحرقوه» . ثم ذكر أن ذلك كان سنة ٢٧٠

(١) « عقب الدهر » : نوبه .

(٢) فى س « فلم أملك سوابق عبرة » . و «العبرة» الدمعة . وقوله «تهيب بها» أى تدعوها. وقوله « حاردت » بتقديم الراء : مستعار من قولهم «حاردت الناقة» إذا قل لبنها أو انقطع . وبحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : يقال حاردت الناقة : إذا قل لبنها حرادا » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : الجَسْرُ بفتح الجيم ، وتسمِّيه العامةُ جِسْراً . قال : وجمع الجَسْرِ جُسُورٌ » . والذى فى اللسان وغيره أنه بفتح الجيم وكسرها ، لغتان . ونقل المرصفى عن ياقوت : « أنهم إذا أطلقوا الجسر ولم يضيفوه إلى شىء فإنما يريدون به الجسر الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة على الفرات ، وكان أهل الحيرة يعبرونه إلى ضياعهم » .

(٤) الزيادة من س .

لقد جَنَّبَتْـكُمْ أُسْرةٌ حَسَدَتْـكُمُ ... فَسَلَّتْ على الإسلام سَيفًا من الكُفْرِ (١)
وقد نَغَّصَتْهُمْ جَوْلَةٌ بعدَ جَوْلَةٍ ... يُبِيتون فيها المسلمينَ على ذُعْرِ (٢)

وقال عبدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

ألا طَرَقَتْ مِن أهلِ بَيْبَةَ طارِقَهْ ... على أنَّها مَعْشوقةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ (٣)
تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بيْني وَبَينها ... وَسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْهُ الأَزارِقَهْ (٤)
إذا نحنُ شِـئْنا صادَفَتْنا عِصابةٌ ... حَرورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِن الدِّينِ مارِقَهْ

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ عليٌّ صلوات الله عليه منهم بالنَّهْرَوانِ ألفين وثمانِيَ مائةٍ ، فى أصحِّ الأقاويلِ ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف ، وكان منهم بالـكوفة زُهاءِ ألفين ممن يُسِرُّ أمْرَهُ ولم يَشْهَدِ الحربَ ، فخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قال عليٌّ رضوان الله عليه : ارْجِعُوا وادْفَعُوا إلينا قاتِلَ عبد الله بن خَبَّابٍ ، فقالوا : كُلُّنا قَتَلَهُ وشَرِكَ فى دَمِهِ ! ثم حَمَلَ منهم رجلٌ على صَفِّ عليٍّ ، وقد قال عليٌّ : لا تَبْدَؤُوهم بقتالٍ ، فقَتَلَ من أصحاب عليٍّ ثلاثةً وهو يقولُ :

أَقْتُلُهُمْ ولا أَرَى عَلِـيًّا ... ولو بَدَا أَوْجَرْتُهُ الخَطِيَّا

فخرج إليه عليٌّ صلوات الله عليه فقتله ، فلما خالطه السيفُ قال : حَبَّذا

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ « لقد حَبَّبَتْـكُمْ ».

(٢) فى هذه النسخ « وقد بَغَّضَتْهُمْ » . وفى ج « على وِتْرِ » . وفى س و د و ﻫ « على وَتْرِ » .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ « من أهل بَثْنَةَ » .

(٤) « سولاف » قرية من أرض خوزستان . و « الرستاق » ويقال « الرزداق » بضم أوله وسكون ثانيه فيهما : اسم للسواد والقرى .

الرَّوْحةُ إلى الجنةِ ، فقال عبد الله بنُ وَهْبٍ : ماأدْرِى أإلَى الجنةِ أم إلى النار ؟ فقال رجلٌ من [بَنِى[1]] سعدٍ : إنَّما حَضَرْتُ اغتراراً بهذا ، وأُراه قد شَكَّ ! ! فانخزَلَ بجماعةٍ من أصحابه ، ومال ألفٌ إلى ناحية أبي أيوبَ الأنصاريِّ ، وكان رحمه الله على مَيْمنةِ عليٍّ ، وجعل الناسُ يتسلَّلونَ ، وقد قال عليٌّ ، وقيلَ له : إنهم يريدونَ الجِسْرَ ؟ فقال : لن يبلغوا النُّطْفَةَ ، وجعل الناسُ يقولون له فى ذلك ، حتى كادوا يَشُكُّونَ ، ثم قالوا : قد رَجَعُوا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، ثم خرج إليهم فى أصحابه ، وقد قال لهم : إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ، ولا يُفْلِتُ منهم عشرةٌ ، فقَتَلَ من أصحابه تسعةٌ ، وأفْلَتَ منهم ثمانيةٌ .

❁

قال أبو العباس : وقيل : أولُ مَنْ حَكَّمَ ولَفَظَ بالحكومة ولم يُشِدْ بها رجلٌ من بنى سَعْدِ بن زيدِ مَناةَ بن تميم بن مُرٍّ ، من بنى صَرِيمٍ[2] ، يقال له الحَجَّاجُ بنُ عبد الله ، ويُعْرَفُ بالبُرَكِ ، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلْيَتِهِ ، فإنه لمَّا سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْنِ قال : أيُحَكَّمُ فى دِينِ الله ؟ لاحُكْمَ إلاَّ لِلهِ ! فسمعه سامعٌ فقال : طَعَنَ واللهِ فأنْفَذَ[3] .

وأوَّلُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَّيْنِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ ،

---

(١) الزيادة من س .

(٢) فى هـ « ثم من بنى صريم » .

(٣) قال المرصفى : « مستعار من : طعنه برمحه فأنفذه . يريد : أصاب بقوله فلم يخطئ المرمى » .

فإنه كان فى أصحاب علىٍّ ، فحَمَل على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً ، ثم مَرَقَ بين الصفَّين فحَكَّمَ ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية ، فكثروهُ ، فرجَع إلى ناحية علىٍّ صلوات الله عليه ، فحَمَل على رجل منهم ، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله ، فقال شاعرُ هَمْدانَ :

ما كان أغنَى اليَشْكُرِيَّ عن التى تَصَلَّى بها جَمْرًا من النار حامِيَا

غَداةَ يُنَادِى والرِماحُ تنوشُهُ خَلَعْتُ عليًّا بادِيًا ومُعاوِيَا[1]

وجاء فى الحديث ، أن عليًّا رضى الله عنه تُلِيَ بحضرته : ﴿ قُلْ هل نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنونَ صُنْعًا[2] ﴾ فقال علىٌّ : أهلُ حَرُوراء منهم .

ورُوِىَ عن علىٍّ صلوات الله عليه : أنه خَرج فى غَداةٍ يُوقِظُ الناسَ للصلاةِ فى المسجد ، فمرَّ بجماعةٍ تحدثُ ، فَسَلَّمَ وسَلَّموا عليه ، فقال وقبَضَ على لحيته : ظننتُ أنَّ فيكم أشْقَاهَا ، الذى يَخْضِبُ هذه من هذه . وأوْمأَ بيَدِهِ إلى هامَتِهِ ولِحيَتِهِ .

ومن شعرِ علىِّ بن أبى طالبٍ [أميرِ المؤمنين[3]] الذى لا اختلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُرَدِّدُهُ : أنَّهُمْ لَمَّا سامُوهُ[4] أن يُقِرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسيرُوا معه إلى الشأمِ ، فقال : أَبَعْدَ صُحْبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتَفَقُّهِ فى الدِّين أرْجِعُ كافراً ! ؟

(١) « تنوشه » أى : تناله .
(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) فى د « سألوه » .

ياشاهِدَ اللهِ علىَّ فاشْهَدِ ... أنّى على دِينِ النبيِّ أحمَــــدِ

* مَنْ شكَّ فى اللهِ فإنّى مُهْتَدِى *

ويُرْوَى : * أنّى تولَّيْتُ وَلِيَّ أحمدِ *

ويُروى : « أن رجلاً أسودَ شديدَ بياضِ الثياب وقفَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقْسِمُ غنائم خَيْبَر، ولم تكن إلاّ لِمَنْ شهد الحُدَيْبِية فأقبلَ ذلك الأسودُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال : ماعَدَلْتَ مُنْذُ اليومِ ! فغضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رُوِّيَ الغضبُ فى وجهه. فقال عمرُ بن الخطاب : ألاَ أقتلُه يارسولَ الله ؟ فقال رسولُ الله : إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبأٌ ».

وفى حديثٍ آخرَ: «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له : وَيْحَكَ ! فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أعْدِلْ ؟ ثم قال لأبى بكرٍ : اقتُلْه ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُه راكعاً ، ثم قال لعمرَ : اقتُلْهُ ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُهُ ساجِداً ، ثم قال لعليٍّ : اقتُلْه ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! لم أرَهُ ، فقال رسولُ الله : لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنانِ فى دِينِ الله » .

قال أبو العباس : وحدثنى إبرٰهيمُ بن محمد التَّيْمِيُّ قاضِى البَصْرةِ[1] فى

(١) هو إبرهيم بن محمد بن عبدالله بن عبيد الله التيمى المعمرى ، يكنى أبا إسحق. روى عن يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدىّ وغيرهما ، وروى عنه أبو داود والنسأى . مدحه أحمد ووثقه النسأى والدارقطنى . ولى قضاء البصرة سنة ٢٣٩ ومات سنة ٢٥٠ وهو على القضاء .

إسْنادٍ ذكره : « أن عليًّا رضى الله عنه وَجَّهَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذَهَبة من اليمنِ ، فقَسَمها أرْبَاعًا ، فأعطى رُبُعًا للأقْرَعِ بن حابسٍ المُجاشِعِيِّ ، ورُبُعًا لزَيْدِ الخَيْلِ الطائىِّ ، ورُبُعًا لعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ الفزارىِّ ، ورُبُعًا لعَلْقَمَةَ بن عُلاَثَةَ الكِلاَبِىِّ . فقام إليه رجلٌ مُضْطَرِبُ الخَلْقِ ، غَائرُ العينين ، ناتِئُ الجبهةِ ، فقال [له[1]] : لقد رأيتُ قِسمةً ما أُرِيدَ بها وَجْهُ اللهِ ! ! فغضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تورَّدَ خَدَّاهُ ، ثم قال : أيَأمَنُنِى اللهُ عزَّ وجلَّ على أهل الأرضِ ولا تأمَنُونِى ؟ فقام إليه عمرُ فقال : ألاَ أقتلُه يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنه سيكونُ من ضِنْضِئِ[2] هذا قومٌ يَمْرُقونَ من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ ، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ فلا ترَى شيئًا ، وتَنظرُ فى الرِّصافِ فلا ترَى شيئًا ، وتَتَمارَى فى الفُوقِ[3] » .

قوله صلى الله عليه وسلم « مِنْ ضِنْضِئِ هذَا » أى : من جنس هذا : يقال : فلانٌ مِن ضِنْضِئِ صِدْقٍ ، ومِن مَحْتِدِ صِدْقٍ[4] ، وفى مُرَكَّبِ صِدْقٍ . وقال جَرِيرٌ للحَكَمِ بن أيُّوبَ بن الحَكَمِ بن أبى عَقيلٍ ، وهو ابنُ عمِّ الحجاج ، وكان عامِلَهُ على البصرةِ :

---

(١) الزيادة من ح .

(٢) هنا بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ . قال الاموىُّ : الضِّنْضِئُ : الأصلُ » .

(٣) هذه الأحاديث التى ذكرها المؤلف ورد شئ من معناها فى كتب السنة . والحديث الأخير ورد معناه بقريب منه من حديث أبى سعيد الخدرى ، رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهما . وانظر المنتقى للمجد بن تيمية (رقم ٤١٢٤ ــ ٤٢١٩) وشرحه نيل الأوطار للشوكانى (٧ : ٣٣٨ ــ ٣٥٣) .

(٤) فى ح و س و د و ه « وفى محتد صدق »

أَقْبَلْنَ مِن ثَهْلاَن أو وَادِي خِيَمْ   على قِلاَصٍ مثلِ خِيطَانِ السَّلَمْ

إذا قطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ   حتى أَنَخْنَاهَا إلى باب الحَكَمْ

خَلِيفةِ الحَجّاجِ غيرِ المتَّهَمْ   فى ضِنْضِىءِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

ويقال « مَرَقَ السهمُ من الرمِيَّة » إذا نَفَذَ منها ، وأكثر ما يكونُ ذلك أن لا يَعْلَقَ به من دَمِها شىء ، وأقطعُ ما يكونُ السيفُ إذا سَبَقَ الدمَ . قال امرؤُ القيس بن عابسٍ الكِنْدِىُّ :

وقد أَخْتَلِسُ الضَّرْبَـ   ـةَ لا يَدْمَى لها نَصْلِى

فأمّا ماوضَعه⁽¹⁾ الأصمعىُّ فى كتاب الاختيارِ فعلى غَلَطٍ وُضِع . وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعرَ لإسحق بن سُوَيْدٍ الفقيه⁽²⁾ ، وهو لأعرابىّ لا يَعرِفُ المقالاتِ التى يَميلُ إليها أهلُ الأَهْواء ، أنشدَ الأصمعىُّ :

برِئتُ من الخوارجِ لَستُ منهم   مِنَ الغَزّالِ منهم وابنِ بَابِ

ومِنْ قومٍ إذا ذَكَروا عَلِيًّا   يَرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ

ولكنّى أُحِبُّ بكلّ قلبى   وأَعْلَمُ أنَّ ذاكَ من الصَّوابِ

رسولَ الله والصِّدِّيقَ حُبًّا   به أرجُو غدًا حُسْنَ الثّوابِ

فإنّ قولَه « من الغَزّال منهم » يعنى واصِلَ بن عَطاء ، وكان يُكْنَى أباحُذَيْفَةَ ، وكان معتزليًّا ، ولم يكن غزّالاً ، ولكنه كان يُلَقَّبُ بذلك ، لأنه كان يَلْزَم

---

(1) فى ع و د « وصفه » .

(2) هذا الذى نسبه المبرد للأصمعىّ نقله عنه الجاحظ فى البيان والتبيين (١ : ٣٥) قال : « قال أبو عثمان : فمن ذلك ما أخبرنا به الأصمعىّ قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان لإسحق بن سويد العدوىّ » . فذكر الأبيات الآتية .

الغزّالين ، ليعرفَ المتعفّفاتِ من النساء ، فيجعلَ صدقتَهُ لهنّ ، وكان طويلَ العُنُقِ . ويُروَى عن عمرِو بن عُبَيْدٍ ، أنه نظرَ إليه من قبلِ أن يكلّمَه ، فقال : لا يُفلِحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُقُ !

وقال بَشّارُ بن بُرْدٍ يهجُو واصلَ بن عَطاء :

ماذا مُنيتُ بغزّالٍ له عُنُقٌ   كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلّى وإنْ مَثَلا(١)
عُنْقَ الزّرافةِ ما بَالِي وبالُكُمُ   تُكَفّرونَ رجالاً أكفَروا رَجُلاً(٢)

ويُرْوَى ، لا بَلْ كأنه لا يَشُكُّ فيه : إن بَشّاراً(٣) كانَ يتعصّبُ للنّارِ على الأرضِ ، ويُصَوِّبُ رأيَ إبليسَ — لعنه الله — في امتناعِه من السجودِ لآدمَ عليه السلام ، ويُرْوَى له(٤) :

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ   والنارُ مَعْبودةٌ مُذْ كانتِ النارُ

فهذا ما يَرويه المتكلمونَ .

وقتَلَهُ [أميرُ المؤمنين(٥)] المَهْدِيُّ على الإلحادِ . وقد رَوَى قومٌ أن كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شيءٌ مما كان يُرْمَى به ، وأُصيبَ له كتابٌ

(١) « النقنق » بكسر النونين وبفتحهما : الظليم . و « الدو » بفتح الدال وتشديد الواو : الفلاة الواسعة . و « مثل » بفتح الثاء المثلثة وبضمها ، « يمثل » بضم الثاء : أي أقام .

(٢) في س « كفروا رجلا » . وهنا في حاشية ا ما نصه : « الزرافة : الجماعة . وإنما سميت به هذه الزرافة لأنها تجمع أشياء من خلق البهائم » .

(٣) في ج « كأنه لا يُشَكُّ فيه أنّ بشاراً » .

(٤) قال المرصفي في قوله « ويروى لا بل الخ » : « هذه عبارة سخيفة ! يريد : أن السبب في هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبة الكفر إلى أصحابه ، إذ نسبوه إلى واصل ، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله بفضل النار وبصوب رأي إبليس . وكلمة : كأنه لا يشك فيه : معترضة » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

فيه : إِنِّى أردتُ هِجاء آل سُلَيمانَ بن علىّ ، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَمسَكْتُ منهم [إلاَّ أنِّى قلتُ :

دِينارُ آلِ سُلَيْمانٍ وَدِرْهَمُهُمْ ... كَبَابِلِيَّيْنِ حُفَّا بالعفاريتِ

لا يُرْجَيانِ ولا يُرْجَى نَوَالُهما ... كما سَمِعْتَ بهارُوتٍ ومارُوتِ][1]

وحدثنى المازِنىُّ قال : قال رجلٌ لبَشّارٍ : أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبايِنٌ لدِيانَتِك ؟! يَذْهَبُ [به[2]] إلى أنه ثَنَوِىٌّ ! قال : فقال بَشّارٌ : ليسوا يَدْرُون أنَّ [هذا[2]] اللَّحمَ يَدْفَعُ عنى شَرَّ هذه الظُّلْمَةِ .

وكان واصلُ بنُ عطاءٍ أحدَ الأَعاجيبِ ، وذلك أنه كان أَلْثَغَ قبيحَ اللُّثْغةِ فى الرَّاء ، فكان يُخَلِّصُ كلامَه من الراء ، ولا يُفْطَنُ بذلك[3] ، لاقتدارِه وسهولةِ ألفاظِه . ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة ، يمدحُه بإطالته الخُطَبَ واجتنابِهِ الراءَ ، على كثرة تردُّدِها فى الكلام ، حتى كأنها ليستْ فيه :

عَلِيمٌ بإِبدالِ الحُروفِ وقامِعٌ ... لكلِّ خَطيبٍ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ

وقال آخرُ :

ويَجْعَلُ البُرَّ قَمْحاً فى تَصَرُّفِهِ ... وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ للشِّعَرِ[4]

ولم يُطِقْ مَطَراً والقولُ يُعْجِلُهُ ... فعاذَ بالغَيْثِ إشْفاقاً من المَطَرِ

---

(١) الزيادة من حاشية ا .

(٢) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٣) فى ج و س و ه « بذلك » .

(٤) فى نسخة بحاشية ا « وجانَبَ الراءَ » .

ومما يُحْكَى[1] عنه قولُه ، وذَكَرَ بَشاراً : أَمَا لهذا الأعمى المُكْتَنِي بأَبِي مُعاذٍ مَنْ يَقْتُلُه ؟ ! أَمَا واللهِ لولا أنَّ الغيلةَ خُلُقٌ من أخلاقِ الغاليةِ[2] لَبَعَثْتُ إليه مَنْ يَبْعَجُ بطنَه على مَضْجَعِهِ ، ثم لا يكونُ إلاّ سَدُوسِيًّا أو عُقَيْلِيًّا .

فقال « هذا الأعمى » ولم يقل بَشَّاراً ، ولا ابنَ بُرْدٍ ، ولا الضَّريرَ . وقال « من أخلاقِ الغالية » ولم يقل المُغيريَّةِ ، ولا المَنْصوريةِ . وقال « لبعثتُ إليه » ولم يقل لأرسلتُ إليه . وقال « على مَضْجَعِه » ولم يقل على فِراشِهِ ، ولا مَرْقَدِهِ . وقال « يَبْعَجُ » ولم يقل يَبْقُرُ . وذكر « بنى عقيل » لأنَّ بشاراً كان يَتَوالَى إليهم . وذكر « بنى سَدُوسٍ » لأنه كان نازلاً فيهم .

واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ .

قال : ولمَّا سقطت ثَنايا عبدِ المَلِكِ [بنِ مروانَ فى الطَّسْتِ[3]] قال : واللهِ لولا الخُطْبةُ والنساءُ ما حَفَلْتُ بها .

قال : وخطب الجُمَحِيُّ ، وكان مَنْزوعَ إحدَى الثَّنِيَّتَيْنِ ، وكان يَصْفِرُ إذا تكلَّمَ ، فأجاد[4] الخُطْبَةَ ، وكانت لِنكاحٍ ، فردَّ عليه زيدُ بن عليِّ بن الحسين كلامًا جيِّداً ، إلاّ أنه فَضَلَهُ بتمكُّنِ الحروفِ[5] وحُسْنِ مَخارجِ الكلامِ ،

---

(١) فى ج و س و د و هـ « حُكِيَ » .

(٢) « الغيلة » القتل غدرا من حيث لا يشعر المقتول . و « الغالية » طائفة من الشيعة جاوزوا الحدّ فى حق أئمتهم .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « وأجاد » .

(٥) فى هذه النسخ « بتمكين الحروف » .

فقال عبدُ الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفرٍ يذكرُ ذلك :

صَحَّتْ مَخارِجُها وتمَّ حُروفُها ... فَلَهُ بذاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

« المزِيَّةُ » الفضيلةُ .

وأمَّا قولُه « وابنُ بابٍ » فإنه[1] ، عَمرُو بن عُبَيْدِ بن بَابٍ ، وكان[2] مَوْلَى بَنِي العَدَوِيَّةِ ، مِن بنى مالك بن حَنْظَلَة . فهذان مُعْتَزِليَّانِ ، وليسا مِن الخوارجِ ، ولكن قَصَدَ إسحقُ بن سُوَيدٍ إلى أهل البِدَعِ والأهواء ، ألاَ تَرَاه ذَكر الرافضةَ معهما ، فقال :

ومِن قَوْمٍ إذا ذَكَرُوا عَلِيًّا ... أشارُوا بالسَّلامِ على السَّحابِ

ويُرْوَى : * يَرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ *

⁂

ثم نرجع إلى ذِكر الخوارِج .

قال [أبو العباس[3]] : فلما قَتَلَ عليٌّ [بنُ أبي طالبٍ[4]] أهلَ النَّهْرَوَانِ ، وكان[5] بالكوفةِ زُهاءِ ألفينِ من الخوارِجِ ، ممن لم يَخْرُجْ مع عبد الله بن وهبٍ ، وقومٌ ممن استَأْمَنَ إلى أبي أيوبَ الأنصاريِّ ، فتجمعوا وأَمَّروا عليهم رجلاً من طَيِّئٍ ، فوَجَّهَ إليهم عليٌّ صلوات الله عليه رجلاً ، وهم بالنُّخَيْلَةِ ،

(١) فى ج و س و د و هـ « فهو » بدل « فانه » .
(٢) فيها أيضاً « وهو » بدل « وكان » .
(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ . وفيها « لما » بدل « فلما » .
(٤) الزيادة من ج و س و هـ .
(٥) فى ج و س و د و هـ « كان » بدون الواو ، وبها طبعت طبعات مصر .

فدعاهم ورَفَقَ بهم ،فَأَبَوْا، فعاوَدَهُم فَأَبَوْا، فَقُتِلُوا جميعاً. فخرجتْ طائفةٌ منهم نَحْوَ مكةَ ، فَوَجَّهَ(١) معاويةُ مَنْ يُقِيمُ للناسِ حَجَّهم ، فَناوَشَــهُ هؤلاء الخوارجُ ، فبَلَغَ ذلك معاويةَ فوجه بُسْرَ بن أَرْطاةَ ، أحدَ بنى عامرِ بن لُؤَيٍّ ، فَتَوافَقُوا وتَراضَوْا بعدَ الحرب بأن يصلِّيَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَةَ ، لئلا يفوتَ الناسَ الحجُّ ، فلمّا انقضى نَظَرَتِ الخَوارجُ فى أمرها ، فقالوا : إن عليًّا ومعاويةَ قد أفسدا أمرَ هذه الأُمةِ ، فلو قتلناهما لعادَ الأَمرُ إلى حَقِّهِ ! وقال رجلٌ مِن أَشْجَعَ : واللهِ ما عَمرٌو(٢) دونهما ، وإنه لَأَصْلُ هذا الفسادِ. فقال عبدُ الرحمن بن مُلْجَمٍ [المرَادِىُّ لعنةُ الله عليه(٣)] : أنا أقتلُ عليًّا ، فقالوا : وكيفَ لكَ به ؟ قال : أَغْتالُهُ . فقال الحجّاجُ بنُ عبد الله الصَّرِيمِىُّ ، وهو البُرَكُ : وأنا أقتلُ معاويةَ . وقال زاذَوَيْهِ مَوْلَى بنى العَنْبَرِ بن عَمرِو بن تميمٍ : وأنا أقتلُ عَمْراً . فَأَجْمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قتلُهم فى ليلةٍ واحدةٍ ، فجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحدى وعشرينَ مِن شهر رمضانَ ، فخرج كلٌّ واحدٍ منهم إلى ناحيةٍ ، فأتى ابن مُلْجَمٍ الـكوفةَ ، فَأَخْفَى نفسَه وتزوَّجَ امرأةً يقالُ لهـا قَطامِ بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبابِ ، وكانتْ تَرَى رأْىَ الخوارِجِ ، والأحاديثُ تختلفُ ، وإنمـا يُؤْثَرُ صحيحُها ، ويُرْوَى فى بعضِ الأحاديثِ(٤) أنها قالتْ : لا أَقْنَعُ منكَ إلاَّ بِصَدَاقٍ أُسَمِّيه لكَ ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ ،

(١) فى النسخ المذكورة « وقد وجه » .

(٢) يعنى عمرو بن العاص .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى ع و س و ه « فى بعض الحديث » .

وعبدٌ وأَمَةٌ ، وأن تَقتُلَ عليًّا ! فقال لهـا : لَكِ ما سألتِ ، فكيفَ[1] لى به ؟ قالت : تَرُومُ ذلك غِيلَةً ، فإنْ سَلِمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شَرٍّ ، وأقمتَ مع أهلِكَ ، وإنْ أُصِبْتَ سِرْتَ[2] إلى الجنةِ ونعيمٍ لا يزولُ ! فأنعمَ لهـا[3] [بذلك[4]] . وفى ذلك يقولُ[5] :

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وَقَيْنَةٌ ... وَضَرْبُ علىٍّ بالحُسامِ المُصَمِّمِ

فلا مَهْرَ أغلَى من علىٍّ وإنْ غلَا ... ولا فَتْكَ إلَّا دُونَ فَتْكِ ابنِ مُلْجَمِ

[قال أبو العباس[6]] : وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معاويةَ يزيدُ بن مُلْجَمٍ ، والقاصدَ إلى عَمرٍو آخرُ من بَنِى مُلجَمٍ ، وأنَّ أباهم نهاهم ، فلمّا عَصَوْهُ قال : استَعِدُّوا[7] للموتِ ، وأنَّ أمَّهُمْ حَضَّتْهُمْ على ذلك . والخبرُ الصحيحُ ما ذكرتُ لك أولَ مرَّةٍ .

فأَقامَ ابنُ مُلجَمٍ ، فيقالُ : أنَّ امرأتَه قَطام لامَتْهُ ، وقالت : ألَا تَمْضِى لمـا قَصَدْتَ [له[8]]؟ لَشَدَّ ما أَحْبَبْتَ أهلَكَ[9] ! قال : إنِّى قد وَعَدْتُ صاحِبَيَّ

(١) فى س و د و هـ « وكيف » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « خرجتَ » .
(٣) « أنعم لهـا » أى : قال لهـا : نعم .
(٤) الزيادة من س .
(٥) قال المرصفى : « بل قائله ابن أبى مياس المرادىّ » .
(٦) الزيادة من ج .
(٧) فى س و د و هـ « فاستَعِدُّوا » .
(٨) الزيادة من ج و س و د هـ .
(٩) فى س و د « أَجَبْتَ » .

وقتاً بعينه . وكان هنالك رجلٌ من أَشْجَعَ ، يقال له شَبِيبٌ ، فَوَاطأَهُ عبدُ الرَّحمن .

ويُرْوَى : أنَّ الأشعَثَ نظرَ إلى عبد الرحمن متقلداً سيفاً فى بنى كِنْدَةَ ، فقال : ياعبدَ الرَّحمن ، أَرِنى سيفك ، فأراهُ [إياه][1] ، فرَأى سيفاً حديداً ، فقال : ماتقلُّدُكَ [هذا][2] السيفَ وليس بأَوَانِ حَرْبٍ ؟ فقال : إنى أردتُ أن أنْحَرَ بِهِ جَزُورَ القَرْيَةِ ! فَرَكِبَ الأشْعَثُ بغلتَه وأتى عليًا صلوات الله عليه فَخَبَّرَهُ ، وقال له : قد عرفتَ بَسَالة ابنِ مُلجمٍ وفَتْكَه ، فقال علىٌّ : ماقتَلنى بَعْدُ !!

وَيُرْوَى : أنَّ عليًّا رضوان الله عليه كان يخطبُ مَرَّةً وَيذْكُرُ أصحابَهُ ، وابنُ مُلجمٍ تلْقاءَ المِنْبَرِ ، فَسَمِعَ وهو يقولُ : والله لأُرِيحَنَّهُمْ منكَ ! فلمّا انصرفَ علىٌّ صلوات الله عليه إلى بيته أُتِىَ به مُلَبَّبًا ، فأشْرَفَ عليهم ، فقال : ما تريدونَ ؟ فخبَّرُوهُ بما سمعوا ، فقال : ما قتلنى بَعْدُ! فخَلَّوْا عنه .

ويُرْوَى : أن عليًّا كان يَتمثَّلُ إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْدِى كَرِبَ فى قَيْسِ بن مَكْشُوحٍ المُرَادِىِّ ، والمكشوحُ هُبَيْرةُ ، وإنما سُمِّي بذلك لأنه ضُرِبَ على كَشْحِهِ :

أُرِيدُ حِباءَهَ ويُرِيدُ قَتْلِى   عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ من مُرَادِ[3]

(١) الزيادة من هـ .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) فى د « أُرِيدُ حياتَهُ »

فينتفي من ذلك ، حتى أُكْثِرَ عليه ، فقال له المُرادِيُّ : إنْ قضِيَ شيءٌ كانَ .
فقيلَ لعليٍّ : كأنكَ قد عرفتَه وعرفتَ ما يُريدُ بك ، أفلاَ تقتلُه ؟ فقال :
كيف أقتلُ قاتلِي ؟ !

فلمَّا كان ليلةَ[1] إحدَى وعشرِين من شهرِ رمضانَ ، خَرجَ ابنُ مُلْجَم وشَبيبٌ الأشْجَعِيُّ ، فاعْتوَرَا البابَ الذى يدخلُ منه عليٌّ رضىالله عنه، وكان [عليٌّ يَخْرُجُ[2]] مُغَلِّساً ، ويُوقِظُ الناسَ للصلاةِ ، فخرج كما كان يفعلُ ، فضربه شَبيبٌ فأخطأَه ، وأصابَ سيفُهُ البابَ ، وضربه ابنُ مُلْجَمٍ على صُلْعَتِه[3] ، فقال عليٌّ : فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ! شأنَكُمْ بالرَّجُلِ . فيُرْوَى عن بعضِ مَن كان بالمسجدِ[4] من الأنصار قال : سمعتُ كلمةَ عليٍّ ، ورأيتُ بريقَ السيفِ . فأمّا ابنُ مُلْجَمٍ فحمَلَ على الناسِ بسيفِه فأفْرَجُوا له ، وتلَقَّاهُ المُغيرةُ بن نَوْفَلِ بن الحرثِ بن عبد المطَّلِبِ بقَطِيفَةٍ ، فرَمَى بها عليه، واحتَمَلَه فضَرب به الأرضَ ، وكان المغيرةُ أيِّداً[5] ، فقَعَدَ على صدرِه . وأمّا شَبيبٌ فانتزَع السيفَ منه رجلٌ مِن حَضرَمَوْتَ ، وصرَعَهُ وقعد على صدرِه . وكَثُرَ

(١) فى ج « فلما كانت ليلة » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) « الصَّلَعَةُ » و « الصُّلْعَةُ » موضع الصلع من الرأس ، فتح الصاد مع فتح اللام ، وضم الصاد مع سكون اللام . وأما فتح الصاد مع سكون اللام — كما فى طبعات مصر — فخطأ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فى المسجد » .

(٥) « الأيد » بفتح الهمزة وكسر الياء المشددة : القوى .

الناسُ ، فجعلوا يَصيحون : عليكم صاحبَ السيفِ، فخاف الحَضْرَمِيُّ أن يُكِبُّوا عليه ولا يَسْمعُوا عُذْرَه ، فرَمَى بالسيفِ ، وانْسَلَّ شَبيبٌ بينَ الناسِ . فدُخِلَ [بابنِ مُلْجَمٍ[١]] على عليٍّ رضوان الله عليه ، فأُوصِرَ فيه ، فاختلفَ الناسُ فى جوابِه ، فقال عليٌّ : إنْ أَعِش فالأَمْرُ إلىَّ[٢] ، وإن أُصَبْ[٣] فالأمرُ لكم ، فإن آثَرْتُم[٤] أن تَقْتَصُّوا فضَرْبةً بضربةٍ ، وأَنْ تَعفُوا أقْرَبُ للتقْوَى . وقال قومٌ : بل قال : وإنْ أُصِبْتُ فاضربوه ضربةً فى مقْتَلِهِ[٥] . فأقام عليٌّ يومين ، فسَمع ابنُ مُلْجَمٍ الرَّنَّةَ من الدارِ ، فقال له مَنْ حَضَره . أىْ عَدُوَّ اللهِ ! إنه لا بأسَ على أميرِ المؤمنين ، فقال : أَعَلَى مَنْ تَبْكِى أُمُّ كُلْثومٍ ؟ أَعَلَىَّ ؟ أَمَا واللهِ لقد اشتريتُ سيفى بألفِ درهمٍ ، وما زِلْتُ أُعْرِضُهُ ، فما يَعيبُه أحدٌ إلاَّ أصْلَحْتُ ذلك العيبَ ، ولقد أَسقيتُه[٦] السُّمَّ حتى لَفَظَهُ ، ولقد ضربتُهُ ضربةً لو قُسِمَتْ على مَنْ بالمشرق لأَتَتْ عليهم . ومات عليٌّ صَلواتُ اللهِ

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فالأمر لى » .

(٣) فى س و د « أُصِبْتُ » .

(٤) هنا بحاشية ا ما نصه : « قال الشيخُ : أخبرنى ابنُ شاذانَ عن أبى عَمْرٍو عن ثعلبٍ قال : يقالُ : أَثِرْتُ أن أفعل كذا ، أى عزمتُ ، بكسر الثاء . وأخبرنى ابنُ رَباحٍ عن ابنِ دُرَيْدٍ قال : يقالُ : آثَرْتُ فلانًا بكذا أو كذا ، أُوثِرُهُ إيثارًا : إذا فَضَّلْتُهُ ، فأنا مُؤْثِرٌ ، وهو مُؤْثَرٌ » .

(٥) فى ج و س و د « وإن أُصَبْ فاقتلوه بضربةٍ فى مقتله » .

(٦) فى س و هـ « سقيته » .

ورضوانُه عليه ورحمتُه فى آخرِ اليوم الثالث ، فدعا به الحسنُ[1] رضى الله عنه ، فقال : إنّ لك عندى سِرًّا ! فقال الحسنُ رضوان الله عليه : أتدرونَ ما يريدُ ؟ يريدُ أن يَقْرُبَ من وجهى فيَعَضَّ أُذُنى فيقطعَها ، فقال : أَمَا والله لو أمْكَنْتَنِى منها لاقتلعتُها من أصلِها ! فقال الحسنُ : كلا والله ، لأَضْرِبَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيكَ إلى النارِ ، فقال : لو علمتُ أنّ هذا فى يدَيْكَ[2] ما اتَّخذتُ إلهًا غيرَكَ ، فقال عبدُ الله بن جعفر : يا أبا محمدٍ ، ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسِى منه . فاختلفوا فى قتله ، فقال قومٌ : أُحْمِىَ له مِيلَيْنِ وكَحَلَهُ بهما ، فجعل يقول : إنك يا ابنَ أخِى لتَكْحَلُ عمَّكَ بمُلْمُولَيْنِ[3] مَضَّاضَيْنِ[4] ، وقال قومٌ : بل قَطَعَ يديه ورجليه ، وقال قومٌ : بل قطع رجليه ، وهو فى ذلك يذْكر الله عزّ وجلّ ، ثم عَمَدَ إلى لسانه ، فشَقَّ ذلك عليه ، فقيل له : لِمَ تَجْزَعْ مِن قطع يديك ورجليك ونَرَاكَ قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك ؟ فقال : نعم ، أحببتُ أن لَّا يزالَ فِى بذكرِ الله رَطْباً ، ثم قتَله .

ويُرْوَى : أنّ عليًّا رضى الله عنه أُتِىَ بابنِ مُلْجَمٍ وقيل له : إنّا قد سمعنا من هذا كلامًا فلا[5] نأمنُ قتلَه لك[6] ؟ فقال : ما أَصنعُ به ؟ ثم قال علىٌّ رضوان الله عليه .

(١) فى ج و س و د و هـ « فدعا عبد الرحمن بالحسن » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فى يدك » .

(٣) « الملمول » بضم الميمين وبينهما لام ساكنة ، هو الميل الذى يكتحل به ، وهو من الأوزان النادرة ، وزن « مفعول » بضم الميم . وفى بعض نسخ الكامل بفتح الميم الأولى ، وهو خطأ .

(٤) أى : حارّين .

(٥) فى ج و س و د و هـ « ولا » .

(٦) فى د « إياك » .

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ فإنَّ الموتَ لا قِيكا[1]

ولا تَجْزَعْ من الموتِ إذا حَلَّ بِوادِيكا

والشعرُ إنما يَصِحُّ[2] بأن تَحذفَ « اشْدُدْ » فتقولَ :

حَيازِيمَك للمـوتِ فإنَّ المـوتَ لا قِيكا

ولكنَّ الفصحاء من العرب يَزِيدون ماعليه المعنى ، ولا يَعْتَدُّونَ به فى الوزنِ، ويحذفون من الوزنِ ، عِلْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يَزِيدونه ، فهو إذا قال « حيازِيمَك للموتِ » فقد أَضمر « اشْدُدْ » فأَظهرَه ، ولم يَعْتَدَّ به . قال : وحدثنى أبو عثمانَ المازِنِىُّ قال : فصحاء العرب يُنشِدون كثيراً :

لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَابِ إذا غدَا أَحَبُّ إلينا مِنْكَ فَا فَرَسٍ حَمِرْ

وإنما الشِّعْرُ * لَعَمْرِى لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَاب إذا غَدَا[3] *

⁂

وأَما الحجَّاجُ بن عبد الله الصُّرَيْمِىُّ ، وهو البُرَكُ ـ : فإنه ضَرَبَ معاويةَ مُصَلِّيًا فأَصاب مَأْكَمَتَهُ[4] ، وكان معاويةُ عظيمَ الأَوْراكِ ، فقطع منه عِرْقًا

---

(١) هنا بحاشية ا ما نصه: « الْمُهَلَّبِىُّ : الحَيْزُومُ : مااشتَمَلَ عليه الصدرُ ، وجمعُه حَيَازِيمُ . ويقال للرجل : اشْدُدْ حيازِيمك لهذا الأمرِ : وَطِّنْ نفسَك عليه » .

(٢) فى س « يصلح » .

(٣) قال المرصفى : « هو لامرئ القيس يعير من خاطبه بنتن فمه » .

(٤) بفتح الكاف وكسرها . وبحاشية ا ما نصه : « قال الْمُهَلَّبِىُّ ، المأْكَمَتَانِ : اللَّحْمَتَانِ اللتانِ على رؤوس الوَرِكَيْن ، الواحدةُ مأْكَمَةٌ . ويقال : رجل مُؤَكَّمٌ ، وامرأةٌ مُؤَكَّمةٌ ، عن الأصمعىّ » .

يقالُ [أنه[1]] عِرْقُ النِّكاح ، فلم يُولَدْ لمعاويةَ بعد ذلك ولدٌ ، فلما أُخِذَ قال : الأَمَانُ والبِشَارَةُ ، قُتِلَ عليٌّ في هذه الصَّبِيحة ، فاسْتَوْنَى[2] به حتى جاء الخبرُ ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجله ، فأقام بالبصرة ، فبلغ[3] زياداً أنه قد وُلِدَ له ، فقال : أيُولَدُ له وأميرُ المؤمنين لا يُولَد له ، فقتله . هذا أحدُ الخبرين .

ويُرْوَى : أن معاويةَ قطع يديه ورجليه ، وأمَرَ باتِّخاذِ المقصورةِ ، فقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك : ما تأويلُ المقصورةِ ؟ فقال : يخافون أن يَبْهَظَهُمُ[4] الناسُ .

وأمّا زَاذَوَيْهِ : فإنه أَرْصَدَ لِعَمرٍو ، واشتكى عَمرٌو بطنَه ، فلم يخرج للصلاة ، وخرج [إلى الصلاة[5]] خارِجةُ[6] ، وهو رجلٌ من بني سَهْمِ بن عَمْرِو بن هُصَيْصٍ ، رَهْطِ عَمرو بن العاصي ، فضربه زَاذَوَيْهِ فقتلَه ، فلما دُخِلَ[7] به على عَمرٍو فرآهم يخاطبونه بالإِمْرَةِ قال : أَوَمَا قَتَلْتُ عَمْراً ؟ قيل :

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ . وفى س « له » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قوله استونى ، من الاناء ، وهو الانتظارُ والتأْخيرُ ، ممدودٌ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « ثم بلغ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذان : يقال بَهَظَهُمْ الأمرُ يَبهَظُهُمْ بَهْظًا : إذا غلبهم ، والأمرُ باهظٌ ، والمفعول : مبهوظٌ » . وهى بالظاء المعجمة . وفى لغة قليلة بالضاد المعجمة بدل الظاء .

(٥) الزيادة من س .

(٦) هو خارجة بن حذافة بن غانم ، له صحبة ، شهد فتح مصر واختط بها ، وكان على شرطة مصر فى إمرة عمرو بن العاص .

(٧) فى س و د « فلما دخلوا به » .

لا ، إنما قتلتَ خارجةَ ، فقال : أردتُ عمراً واللهُ أراد خارجةَ[١] .

*

وقال أبو زُبَيْدٍ الطائيُّ[٢] يَرْثي عليَّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه :

إنَّ الكرامَ عَلَى ما كان من خُلُقٍ ... رَهْطُ امْرِئٍ خارَهُ للدِّين مُخْتَارُ

طَبٌّ بَصيرٌ بأَضْغَانِ الرجالِ ولم ... يُعْدَلْ بحَبْرٍ رسولِ الله أَحْبارُ[٣]

وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إذْ حانَ مَوْعِدُهَا ... وكلُّ شيءٍ له وقتٌ ومِقْدارُ

حتى تنَصَّلَهَا فى مسجدٍ طُهُرٍ ... على إمامِ هُدًى إنْ مَعْشَرٌ جارُوا

حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّاتٍ أبو حَسَنٍ ... وأُوجِبَتْ بعدَه للقاتلِ النارُ

قوله « خارَهُ » إنما هو[٤] : اختاره ، وهو « فَعَلَهُ » و « اختاره » « افْتَعَلَهُ » كما تقول : قَدَرَ عليه واقْتَدَرَ عليه .

وقوله « بَصيرٌ بأَضْغَانِ الرِّجالِ » ، فهى أسرارُها و مُخَبَّآتُها . قال الله تعالى : ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أَضْغَانَكُم[٥]﴾ . و «الحَبْرُ» العالِمُ . ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مَرَّ بيهوديٍّ يسأل مُسْلماً عن شيءٍ من أمرِ الدِّين ، فقال له عليٌّ : اسألنى ودَعِ الرجلَ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ! أنت حَبْرٌ ،

---

(١) فى ج و د و هـ « وأراد الله خارجة » .

(٢) اسمه حرملة بن المنذر .

(٣) « طب بصير » بالرفع فى كل النسخ على الاستئناف ، وضبطهما الشيخ المرصفى بالجرّ ، تبعا لامرئٍ ، وهو وإن كان صحيحا فى العربية ، إلا أنه مخالف لرواية الكتاب .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إنما يعنى » .

(٥) سورة محمد آية ٣٧ وهكذا فسر المبرد الأضغان بالأسرار ، والذى فى كتب اللغة كلها أن الأضغان الأحقاد . إلا أن يريد المبرد هنا معنى مجازيا ، لأن الأضغان أسرار مخبأة فى القلوب

أى : عالِمٌ ، قال علىٌّ : أنْ تَسْأَلَ عالِمًا أَجْدَى لك[1]

وقوله « حتّى تنصّاها » يريدُ : استخرجها .

وقوله « حُمَّتْ » معناه قُدِرَتْ .

قال الكُمَيْتُ :

والوَصِىُّ الذى أمالَ التَّجُوبِـ ... ىُّ به عَرْشَ أُمَّةٍ لِانْهِدامِ
قتَلُوا يومَ ذاكَ إذْ قتَلوه ... حَكَمًا لا كَغابِرِ الحُكَّامِ
الإمامَ الزَّكِىَّ والفارِسَ المُعْـ ... ـلَمَ تحتَ العَجاجِ غيرَ الكَهامِ
راعيًا كان مُسْجِحًا ففقدْنا ... هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ[2]

قوله « الوَصِىُّ » ، فهذا شىءٌ كانوا يقولونه ويُكثرون فيه . قال ابنُ قيْسِ الرُّقيّاتِ :

نحنُ منّا النبىُّ أحمدُ والصِّدِّ ... يقُ منّا التَّقِىُّ والحُكَماءُ[3]
وعلىٌّ وجعْفَرٌ ذُو الجناحَيْـ ... ـنِ هُناكَ الوَصِىُّ والشُّهداءُ

وقال كُثَيِّرٌ لمّا حبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمدَ بن الحَنَفِيَّةِ فى خمسةَ عشرَ رجلاً من أهله فى سِجْنِ عارمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنكَ عائذٌ ... بَلِ العائذُ المحبوسُ فى سِجْنِ عارِمِ
وصِىُّ النبىِّ المصطفَى وابنُ عَمِّهِ ... وفَكّاكُ أعناقٍ وقاضِى مَغارِمِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أجدى عليك » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : أَسْجَحَ الرجلُ إسجاحًا فهو مُسْجِحٌ : سَهْلٌ » .

(٣) فى ج و د « النبىءُ » .

أرادَ : ابن وَصِيِّ النبيِّ ، والعربُ تُقيمُ المضافَ إليه فى هذا الباب مُقامَ المضافِ ، كما قال الآخرُ :

صَبَّحْنَ مِنْ كاظِمَةَ الخُصَّ الخرِبْ   يَحْمِلْنَ عبَّاسَ بْنَ عبدِ المطَّلِبْ

يريدُ : ابنَ عباس رضى الله عنه ، وقال الفرزدقُ لسليمانَ بنِ عبد الملك :

وَرِثْتُمْ ثيابَ المَجدِ فهْىَ لَبوسُكمْ   عن ابنَىْ منافٍ عبدِ شمْسٍ وهاشمِ

يريد : ابنَىْ عبدِ منافٍ .

وقال أبو الأَسْودِ :

أُحِبُّ مُحمَّدًا حبًّا شـــديدًا   وعبَّاسًا وحَمْزةَ والوَصِيَّا

أُحبهـــمُ لِحُبِّ اللهِ حتى   أجىء إذا بُعِثْتُ عَلَى هَوَيَّا

هوًى أُعطيتُهُ منذ استدارَتْ   رَحَى الإسْلام لم يَعْدِلْ سَوِيَّا

[« السَّوِىُّ » و « السَّوَاء » الذى قد سَوَّى اللهُ خَلْقَهُ ، لا زَمانةَ به ولا دَاء . وفى القرآن : ﴿ بَشَرًا سَوِيًّا[1] ﴾ . وتقولُ : ساويتُ ذاكَ بهذا الأَمرِ ، أى : جعلتُه مِثْلاً له[2]] .

يقول الأَرْذلونَ بنو قشَيْرٍ   طوَالَ الدَّهرِ ما تَنْسَى عليًّا[3]

بنو عَمِّ النَّـــبىِّ وأَقْرَبُوهُ   أَحَبُّ الناسِ كلِّهِـمُ إليَّا

فإن يَكُ حبُّهمْ رُشْدًا أُصِبْهُ   وليس بمُخْطِئٍ إنْ كَانَ غيًّا

(١) سورة مريم آية ١٧

(٢) الزيادة من حاشية ا .

(٣) فى كل نسخ الكتاب « يقول » ولكن الشيخ المرصفى كتبها « تقول » بالفوقية ، وهو مخالف لكل الأصول .

[ويروى « ولستُ[١] »] وكان بنو قُشَير عُثْمانيَّةً ، وكان أبو الأسودِ نازِلاً فيهم ، فكانوا يَرْمُونَه بالليلِ ، فإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاهم مرةً ، فقالوا [له[٢]] : مانحنُ نَرْمِيك ، ولكنَّ اللهَ يرميكَ ! فقال : كذبتم واللهِ ، لوكان اللهُ يَرميني لما أخطأَني .

[قال : وكان نَقْشُ خاتَمِهِ :

يا غَالِبي حَسْبُكَ مِن غالبِ   ارْحَمْ عليَّ بن أبي طالبِ][٣]

وقوله « غيرَ الكَهَامِ » فالكهامُ : الكَليلُ من الرجال والسيوفِ ، يقال سيفٌ كَهامٌ . وقوله :

« رَاعِيًا كان مُسْجِحًا فقدنا   هُ وفَقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ »

فالمُسِيمُ : الذى يُسيمُ إبلَه أو غنمه تَرْعَى ، وكذلك كلُّ شيءٍ من الماشيةِ ، فجَعَلَ الراعِيَ للناسِ كصاحب الماشِيَة الذى يُسيمها ويَسوسُها ويُصْلحها ، ومتى لم يَرْجِعْ أمرُ الناسِ إلى واحدٍ فلا نظامَ لهم ، ولا اجتماعَ لأُمورِهم .

قال ابنُ قيس الرُّقيَّاتِ :

أيها المُشْتَهِي فَناءَ قُرَيْشٍ   بيدِ اللهِ عُمْرُها والفَناءُ
إن تُوَدِّعْ من البلادِ قُرَيْشٌ   لا يَكُنْ بَعْدَهم لحيٍّ بقاءُ
لو تُقَفَّى ويُتْرَكُ الناسُ كانوا   غَنَمَ الذِّئْبِ غابَ عنها الرِّعاءُ[٤]

---

(١) الزيادة من حاشية ا .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) الزيادة من س و د و ه .
(٤) فى ج و س و د و ه « وَتَـتْرُكُ النَّاسَ » .

وقال الحِمْيَرِىُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه :

كان المُسيمَ ولم يكن إلا لِمَنْ   لَزِمَ الطريقةَ واسْتَقامَ مُسِيمَا

ولمَّا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءهم « لا حُـكْمَ إلاَّ للهِ » قال : كلمةٌ عادِلةٌ يُرادُ بها جَوْرٌ ، إنما يقولون لا إمَارة ، ولا بُدَّ مِن إمارةٍ ، بَرَّةٍ أو فاجرةٍ .

⁂

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السلامُ لمَّا أوصى إلى الحسن فى وَقْفِ أموالِه وأن يَجْعَلَ فيها ثلاثةً مِن مَواليه وَقَفَ فيها عينَ أبى نَيْزَرَ[1] والبُغَيْبِغَةَ . وهذا[2] غلطٌ ، لأن وَقْفَهُ لهذين[3] الموضعين لِسَنَتَيْنِ من خِلافته .

[قال أبو العباس[4]] : حدثنا أبو مُحَلِّمٍ محمدُ بن هِشَامٍ[5] فى إسنادٍ ذَكره آخرُه أبو نَيْزَرَ ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعضِ ملوكِ الأعاجِمِ ، قال : وصَحَّ عندى بعدُ أنه مِن وَلَدِ النَّجاشىّ ، [يعنى أبا نَـيْزَرَ[6]] ، فرَغِبَ فى الإسلامِ صغيراً ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكان معه فى بيوته ، فلما

---

(١) هكذا ضبط فى أكثر أصول الكتاب بفتح النون وضبط فى ا بكسرها ، وهو الموافق لما فى الإصابة للحافظ ابن حجر (٧ : ١٩٥) . ولكنه ضبط فى الكتاب فى المواضع الآتية كلها بفتح النون .

(٢) فى ج و س و د « فهذا » .

(٣) فى ج و س « هذين » .

(٤) الزيادة من ج و س .

(٥) « محلم » بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة . وأبو محلم هذا كان عالما باللغة والعربية والشعر وأيام الناس ، وكان رافضياً . ولد سنة ١٤٨ ومات سنة ٢٤٥ وقيل سنة ٢٤٨ .

(٦) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

تُوُفِّىَ رسولُ الله صار مع فاطمةَ وولدِها عليهم السلام، قال أبو نَيْزَرٍ[1]: جاءنى علىٌّ بن أبى طالب [أميرُ المؤمنين[2]] وأنا أقومُ بالضَّيْعتَيْنِ: عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبِغَةِ، فقال لى: هل عندكَ من طعامٍ؟ فقلتُ: طعامٌ لا أرضاه لأمير المؤمنين، قَرْعٌ من قَرْعِ الضَّيْعَة صنعتُه بإهالةٍ سَنِخَةٍ[3]، فقال: عَلَىَّ به، فقام إلى الرَّبيعِ، وهو جَدْوَلٌ، فغَسل يده[4]، ثم أصاب من ذلك شيئاً، ثم رجع إلى الرَّبيع، فغَسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما، ثم ضَمَّ يديه كلَّ واحدةٍ منهما إلى أُختها، وشَرِبَ بهما حُسًا[5] من ماء الرَّبيع، ثم قال: يا أبا نَيْزَرَ! إن الأَكُفَّ أنظفُ الآنيةِ، ثم مَسَح نَدَى ذلك الماء على بطنِه، وقال: مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ، ثم أخذ المِعْوَلَ وانْحَدَرَ فى العَيْن، فجعل يَضربُ، وأبطأ عليه الماء، فخرجَ وقد تَفَضَّجَ جبينُهُ عَرَقًا، فانْتَكَفَ العَرَقَ عن جَبينِه[6]، ثم أخذ المِعْوَلَ وعادَ إلى العين، فأقبلَ يَضربُ فيها، وجعل يُهَمْهِمُ

---

(١) أبو نيزر هذا ذكره الحافظ فى الإصابة. وقال: «ذكره الذهبى مستدركا، وقال: يقال أنه من ولد النجاشى جاء وأسلم». ثم نقل الحافظ قصته التى هنا من كتاب الكامل. ويظهر لى أنه غير معروف عند المحدثين، وأنه من الناس الذين يذكرون فى الأخبار فقط، ولو كان هذا ممن أسلم فى عهد النبى ماترك علماء الحديث ذكره أو الرواية عنه.

(٢) الزيادة من س و د.

(٣) الإهالة: ماأذيب من الشحم، والسنخة: المتغيرة الريح.

(٤) فى س و د و هـ «يديه».

(٥) الحسا — بضم الحاء — جمع حسوة، بضم الحاء وبفتحها، وهى الشربة ملء الفم.

(٦) بحاشية ا مانصه: «ابنُ شاذانَ، انفَضجَ الشىءُ: إذا عرض... مُنْشَدِخٌ وتَفَضَّجَ بَدَنُ الناقةِ إذا تخَدَّدَ لحمُها. قال: قال ابنُ الأعرابىِّ: النَّكْفُ: القَطْعُ، يقالُ: نَكَفَ اللهُ الغيثَ أى قطعه. المُهَلَّبِىّ: النَّكْفُ. تَنْحيتُكَ الدُّموعَ عن خَدِّكَ بإصبعِكَ». وفى اللسان: «تفضج عرقا: أى سال». وكذلك «انفضج فلان بالعرق: إذا سال به». وكله بالجيم فى آخره، ويقال أيضاً بالخاء المعجمة.

فانثالَتْ كأنها عُنُقُ جَزُورٍ[١] ،فخرجَ مُشْرِعًا ، فقال أشْهِدُ اللهَ أنها صَدَقَةٌ ، عليَّ بدواةٍ وصحيفةٍ ، قال : فَعَجَّلْتُ بهما إليه ، فكَتَب :بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تَصَدَّقَ به عبدُ الله عليٌّ أميرُ المؤمنين ، تَصَدَّقَ بالضَّيْعَتين المعروفتين بِعَيْنِ أبي نَيْزَرَ وَالْبُغَيْبِغَةِ ، على فقراء أهلِ المدينةِ وابنِ السَّبيلِ ، لِيَقِيَ اللهُ بهما وجهَه حَرَّ النارِ يومَ القيامةِ ، لا تُباعَا ولا تُوهَبَا ، حتى يَرِثَهُما اللهُ وهُو خَيْرُ الوارثِينَ ، إلاَّ أن يَحتاجَ إليهما الحسنُ أو الحسينُ فهما طِلْقٌ[٢] لهما ، وليس لأحدٍ غيرِهما .قال محمدُ بن هشامٍ : فركبَ الحسينَ رضي الله عنه دَيْنٌ، فحَمَلَ إليه معاويةُ بعَيْنِ أبي نَيْزَرَ مائتي ألفِ دينارٍ ، فأَبَى أن يَبِيعَ ، وقال : إنَّمَا تَصَدَّق بها أبي لِيَقِيَ اللهُ بها وجهه حَرَّ النار ، ولستُ بائِعَهَا بشيء .

وتَحدَّثَ الزُّبَيْرِيُّون : أَنَّ معاويةَ كَتَب إلى مروانَ بن الحَكَمِ ، وهو وَالِي المدينةِ : أمَّا بعدُ ، فإن أميرَ المؤمنين أُحَبَّ أن يَرُدَّ الأُلْفَةَ ، ويَسُلَّ السَّخِيمةَ ، وَيَصِلَ الرَّحِمَ ، فإذا وَصلَ إليكَ[٣] كتابي [هذا[٤]] فاخْطُبْ إلى عبدِالله بن جعفر ابْنَتَه أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى يَزِيدَ بنِ أميرِ المؤمنين ، وارْغَبْ لَهُ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ . حدثني أبو عمر عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ قال : انثال الرملُ انثيالاً : تبع بعضُه بعضًا ، مثـــلُ انهالَ وانهارَ وانهامَ ، وانـــكالَ » .

(٢) طلق — بكسر الطاء وسكون اللام — أي : حلال .

(٣) في ج و س و د و هـ « فإذا ورد عليك » .

(٤) الزيادة من س و هـ .

فى الصَّدَاقِ ، فوَجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية[1] ، وأعلمه بما[2] فى رَدِّ الأُلفةِ من صَلاح ذاتِ البَيْنِ ، واجتماع الدَّعْوة[3] ، فقال عبدُ الله : إنَّ خالَها الحسينَ بينْبُعَ ، وليس ممن يُفْتَاتُ عليه بأمرٍ ، فأنظِرْنى إلى أن يَقْدَمَ ، وكانت أمُّها زينبَ بنتَ علىِّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فلما قَدِمَ الحسينُ ذَكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ ، فقام مِن عندِه فدخَل إلى الجارية ، فقال : يا بُنَيَّةُ ! إنّ ابنَ عَمِّكِ القاسمَ بنَ محمدِ بن جعفرِ بن أبى طالبٍ أحقُّ بكِ ، ولعلكِ ترْغَبين فى كَثْرةِ الصَّدَاق وقد نحلْتُكِ البُغَيْبِغَاتِ ، فلمّا حضرَ القومُ للإِمْلاكِ[4] تكلّم مروانُ بن الحَكَمِ ، فذَكر معاويةَ وما قَصَدَه من صِلَةِ الرَّحِمِ وجَمْعِ الكلمةِ ، فتكلّم الحسينُ فزَوَّجها من القاسمِ [بن محمدٍ[5]] ، فقال له مروانُ : أغَدْراً يا حُسَيْنُ ؟! فقال : أنتَ بَدَأْتَ ؛ خَطَبَ أبو محمدٍ الحسنُ بن علىٍّ عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بنِ عفَّانَ ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمتَ أنتَ فزوّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، فقال مروانُ : ما كان ذلك ،

---

(١) فى ج « كتاب أمير المؤمنين » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « ما » بدل « بما » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « أخبرنى أبو يعقوبَ بنُ خُرَّزَاذَ قال : أخبرنى ابنُ رَبَاحٍ عن ابن دُرَيْدٍ فى كتاب الجَمهرَةِ قالَ : الدَّعْوَةُ ، مصدرُ دَعَا يَدْعُو دَعْوًا وَدُعَاء واستجابَ اللهُ دُعَاءهُ وَدَعْوَتَهُ ، وَالدَّعْوَةُ فى النَّسَبِ . قال : وَأخبرنى ابنُ شاذانَ عن أبى عُمَرَ عن ثَعْلَبٍ قال : الدِّعْوَةُ بكسرِ الدَّالِ فى النَّسَبِ ، وَالدَّعْوَةُ إلى الطعامِ وغيرِه بفتح الدالِ » . وما نقل عن الجمهرة انظره فيها (٢ : ٢٨٣) .

(٤) الإملاك عقد النكاح .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

فالتفتَ الحسينُ إلى محمد بن حاطبٍ فقال : أَنْشُدُكَ اللهَ ، أكان ذاك ؟ قال : اللهم نَعَمْ . فلم تَزَلْ هذه الضَّيْعَةُ في يدَىْ[١] بني عبدِ الله بن جعفرٍ ، من ناحية أمِّ كلثومٍ ، يتوارثونها ، حتى مَلَكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ ، فذُكِرَ ذلك له ، فقال : كلَّا ، هذا وَقْفُ عليِّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فانتزَعها من أيديهم ، وعوَّضهم عنها ، وردَّها إلى ما كانتْ عليهِ .

⁂

قال أبو العباس : رَجَعَ الحديثُ إلى ذكرِ الخوارجِ وأمرِ عليِّ بن أبي طالب .

قال : [و[٢]] يُرْوَى : أن عليًّا في أوّل خُروج القومِ عليه دَعا صَعْصَعةَ بنَ صُوحَانَ العبديَّ ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم ، وزيادَ بنَ النَّضْرِ الحارثيَّ[٣] مع عبد الله بن العباس ، فقال لصعصعةَ : بأيِّ القومِ رأيتَهم أشدَّ إطافةً ؟ فقال : بيزيدَ بنِ قيْسٍ الأَرْحَبِيِّ ، فركب عليٌّ إليهم إلى حَرُوراء ، فجعل يتخَلَّلُهُمْ ، حتى صار إلى مَضْرَبِ يزيدَ بن قيسٍ ، فصلى فيه ركعتين ، ثم خرجَ فاتَّكأَ على قوسِه ، وأقبلَ على الناسِ ، ثم قال : هذا مَقامُ مَنْ فَلَجَ فيه فَلَجَ يومَ القيامة ، أَنْشُدُكُمُ اللهَ[٤] ، أعَلِمْتُم أحداً منكم كان أكْرَهَ للحكومةِ

---

(١) في ج و د و هـ « في أيدى » .
(٢) الزيادة من ج و س و هـ و د .
(٣) في النسخ المذكورة : « وقد كان وجه اليهم زياد بن النضر الحارثى » .
(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : نَشَدْتُكَ اللهَ فأنا أَنْشُدُكَ اللهَ ، أى ذكَّرْتُكَ اللهَ وعَرَّفْتُكَ » .

مِنِّى ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قبلتُها ؟ قالوا : اللهم نعَمْ ، قال : فَعَلامَ خالفتُمونى ونَابَذْتُمونى(١) ؟ قالوا : إنَّا أتينا ذَنْباً عظيماً ، فتُبْنَا إلى الله ، فتبْ إلى الله منه واستغفره نَعُدْ لَكَ ! فقال علىٌّ : إنِّي أستغفرُ اللهَ من كل ذَنْبٍ ، فرجعوا معه ، وهم ستةُ آلافٍ . فلما استقرُّوا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما يَنتَظِرُ أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكُرَاعُ ويُجْبَى المالُ فيَنْهَضَ إلى الشَّأمِ ، فأتَى الأشعثُ بن قَيْسٍ عليًّا عليه السلامُ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ الناسَ قد تحدَّثوا أنك رأيتَ الحكومةَ ضلالاً والإقامةَ عليها كُفْراً ! ! فخطَب علىٌّ الناسَ فقال : مَنْ زَعمَ أنِّى رَجعْتُ عن الحكومةِ فقد كَذَبَ ، ومن رآها ضلالاً فهو أضَلُّ ، فخرجتِ الخوارجُ من المسجد ، فحَكَّمتْ ، فقيلَ لعلىٍّ : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أُقاتِلُهم حتى يقاتلونى ، وسيفعلون ، فَوَجَّهَ إليهم عبدَ الله بنَ العباسِ ، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرَموه ، فرأى منهم جِباهاً قَرِحَةً(٢) لطُولِ السُّجودِ ، وأيدِيًا كثَفِنَاتِ الإبل(٣) ، [و](٤) عليهم

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شَاذَانَ : نَبذْتُ الشيء أنْبِذُه نَبْذًا : أَلْقَيْتُهُ ، فهو نَبِيذٌ ومنبوذٌ ، وبه سُمِّيَ النَّبِيذ ، لأَنَّ التَّمْرَ كانَ يُلْقَى فى الجَرِّ وفى غيرِه » .

(٢) قرحة : أى فيها قروح أو مايشبهها .

(٣) ثفنات الإبل : مايصيب الأرض منها إذا بركت ، كالمرفقين والركبتين : والمراد أنهم كانوا يكثرون الصلاة وهم كما قال رسول الله فيهم : « يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم » .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ[١] ، وهم مُشَمِّرونَ ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباسِ ؟ فقال : جئتُكم مِن عندِ صِهْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وابنِ عمِّه ، وأعلَمِنا بِرَبِّه وسُنَّةِ نبيه ، ومِن عندِ المهاجرين والأنصارِ ، قالوا : إنَّا أتينا عظيماً[٢] حين حَكَّمْنا الرجالَ في دينِ الله ، فإنْ تابَ كما تُبْنا ونَهَضَ لمجاهدةِ عدُوِّنا رجَعنا ، فقال ابنُ عباسٍ : نَشَدْتُكُمُ اللهَ إلاَّ ما صَدَقْتُم أنفُسَكُم ! أمَا علِمتُم أنَّ اللهَ أمَرَ بتحكيمِ الرجال في أرْنَبٍ تُساوي رُبْعَ درهمٍ تُصادُ في الحَرَمِ ، وفي شِقاقِ[٣] رجلٍ وامرأتِه ؟ فقالوا : اللهم نَعَمْ ، فقال : فأَنْشُدُكم اللهَ ، هل[٤] علِمتم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمْسَكَ عن القتالِ للهُدْنَةِ[٥] بينه وبين أهلِ الحُدَيْبيَةِ ؟ قالوا : نَعَمْ ، ولكنَّ عليًّا مَحا نفسَه مِن إمارة المسلمين ، قال ابنُ عباسٍ : ليس ذلك بِمُزِيلِها عنه ، وقد مَحا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اسمَه من النُّبُوَّةِ وقد أخَذَ عليٌّ على الحَكَمَيْنِ أن لا يَجُورا ، وإنْ يَجُورا فعليٌّ أولَى مِن معاويةَ وغيرِه ، قالوا : إنَّ معاوية

(١) بحاشيه ما نصه : « رَحَضْتُ الثَّوْبَ أرْحَضُهُ رَحْضاً : إذا غَسَلْتَهُ ، وثوب رَحِيضٌ ومرحُوضٌ والمِرْحَاضُ : خَشَبَةٌ يُضرَب بها الثَّوْبُ فيُغْسَلُ » .

(٢) في س « إنا أتينا ذنباً عظيماً » :

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذان : الشِّقَاقُ : المُعَادَاةُ والمغالطة ، شاقَقْتُهُ مُشاقَّةً وَشِقاقاً » .

(٤) في ع و س و ه « فهل » :

(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : الهُدْنَةُ : السُّكونُ ، هَدَّنْتُ الرجلَ تهديناً وَهادَنْتُهُ مُهادَنَةً ، وَالاسْمُ الهُدْنَةُ » .

يَدَّعِي مثل دَعْوَى عليٍّ ، قال : فأَيُّهما رأيْتُمُوه أَوْلَى فَوَلُّوه ، قالوا : صدقتَ ، قال ابنُ عباسٍ : [و](١) متَى جَارَ الحَكَمَانِ فلا طاعةَ لهما ولا قبولَ لقولهما ، قال : فاتَّبَعه منهم أَلفانِ وبَقِيَ أربعةُ آلافٍ ، فصلى بهم صَلَوَاتِهِمُ ابنُ الكَوَّاء ، وقال(٢) : مَتَى كانَتْ حَرْبٌ فرئيسُكم شَبَثُ بن رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ ، فلم يَزَالُوا على ذلك يومين ، حتى أَجْمَعُوا على البَيْعَةِ لعبدالله بن وَهْبٍ الرَّاسِبِيِّ ، قال : وَمَضَى القومُ إلى النَّهْرَوَانِ ، وكانوا أرادوا المُضِيَّ إلى المَدَاين(٣) . [قال الأخفشُ : كذا كان يقول المبرد « النَّهْرَوَانُ » بكسرِ النونِ والراء ، وإنما هو « النَّهْرَوَانُ »(٤) بالفتح ، وأنشدَ للطِّرِمَّاحِ :

* قَلَّ فى شَطِّ نَهْرَوَانَ اغْتِمَاضِى *](٥)

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) فى ج و د و هـ « وقالوا » .

(٣) انظر رواية أخرى لمناظرة ابن عباس مع الخوارج فيما مضى فى هذا الجزء (ص ٨٩٢ — ٨٩٣)

(٤) كذا قال الأخفش ، وهو المشهور ، وهو الذى اقتصر عليه صاحبا اللسان والصحاح : ولكن قال ياقوت فى البلدان : « وأكثر ما يجرى على الألسنة بكسر النون » : وفى القاموس : « بفتح النون وتثليث الراء ، وبضمهما » : ففيها لغات مختلفة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

(٥) الزيادة من حاشية ا وكان فى كلمة «اغتماضى» شىء من اللبس على مصحح النسخة الأوروبية فحذف الألف والغين من أولها ، ووضع بدلهما نقطاً ، وكانت الغين غير منجمة ، ثم اشتبهت عليه التاء والميم فى الرسم فظنهما قافا ، فكتب بعد النقط كلمة «قاضى» وبذلك طبعت فى نسخ مصر من غير بحث ، وأما الشيخ المرصفى رحمه الله فخرج من ذلك بالسكات ، فحذف الكلمة كلها ، وأشار إلى القصيدة التى منها البيت فيما مضى من شرحه ، فوجدناها فيه(٢ : ١٨٤ — ١٨٦) وهذا الشطر هو أولها .

*

قال أبو العباس : فمن طَرِيفِ أخبارهم : أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًّا ، فقَتَلوا المسلمَ وأَوْصَوْا بالنصرانِي ، فقالوا : احفظوا ذِمّةَ نَبِيِّكم !!

ولَقِيَهم عبدُ الله بن خَبَّابٍ وفى عُنُقِه مصحفٌ ، ومعه امرأتُه وهى حاملٌ ، فقالوا [له(١)] : إنّ هذا الذى فى عُنُقِكَ ليأمُرُنا أن نقتُلَكَ ! قال(٢) : ما أَحْيَا القرآنُ فأَحْيُوه ، وما أماتَه فأَمِيتُوه ، فوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطَبَةٍ فوضَعها فى فِيه ، فصاحوا به فلَفَظَها تَوَرُّعًا ، وَعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضربه الرجلُ فقتلَه ، فقالوا : هذا فَسادٌ فى الأرضِ !! فقال عبدُالله بن خَبَّابٍ : ما علىَّ منكم بأسٌ ، إنِّى لَمُسْلِمٌ ، قالوا له : حَدِّثْنا عن أبيك ؟ قال : سمعتُ أبى يقولُ : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تكون فتنةٌ يموتُ فيها قَلْبُ الرجلِ كما يَموتُ بدنُه ، يُمْسِى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافراً ، فَكُنْ عبدَ الله المقتولَ ، ولا تكنِ القاتلَ » . قالوا : فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعُمَر ؟ فأَثْنَى خيراً ، فقالوا : فما تقولُ(٣) فى علىٍّ [أميرِ المؤمنين(٤)] قبل التَّحْكيمِ ، وفى عثمانَ سِتَّ سنينَ ؟ فأَثْنَى خيراً ، قالوا : فما تقولُ فى الحُكومةِ والتَّحكيمِ ؟ قال : أقول : إنّ عليًّا أَعْلَمُ بكتاب الله منكم(٥) ، وأَشَدُّ تَوَقِّيًا على دِينِه ، وأَنْفَذُ

(١) الزيادة من ج و د و هـ .
(٢) فى ج « ليأمرنا بقتلك ، فقال » .
(٣) فى ج « فقالوا له : ماتقول » .
(٤) الزيادة من س و د و هـ .
(٥) فى س و د و هـ « أعلم بالله منكم » .

بصيرةً(١) ، قالوا : إنك لستَ تتَّبِـعُ الهُدَى ، إنما تتَّبِـعُ الرجالَ على أسمائها ! ثم قرَّبوه إلى شاطئ النهرِ ، فذبحوه ، فامْذَقرَّ(٢) دَمُهُ ، أى : جرَى مستطيلاً على دِقَّةٍ(٣) . وساموا رجلاً نصرانيًّا بنخلةٍ له ، فقال : هِيَ لـكم ، فقالوا : ما كنَّا لنأخذَها إلاَّ بثمنٍ ! قال : ما أعْجَبَ هذا ، أتقتلونَ مثلَ عبدِ الله بن خَبَّابٍ ولا تقبَلُونَ منَّا جَنَى نخْلةٍ(٤) ؟

---

(١) فى س و د و هـ « أبْعَدُ بَصِيرَةً » .

(٢) فى ج « فابْذَقرَّ » بالباء بدل الميم .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ: قالَ أبو عمرَ عن ثعلبٍ: المُبْذَقِرُّ والمُمْذَقِرُّ : المختلِطُ. وقال : ثعلبٌ : فى حديث عبد الله بن خَبَّابٍ : فما امْذَقَرَّ دَمُهُ ، بالميم ، أى : فما اختلطَ بالماءِ » .

(٤) عبد الله بن خباب بن الأرت ، مدنىّ ، حليف بنى زهرة ، كان من سادات المسلمين ، ولد فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أول مولود ولد فى الإسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب . أشار الحافظ فى التهذيب والإصابة إلى قصة مقتله . وأما السياق الذى ساقه المبرد فلم أجده بنصه فى كتب الحديث ، ولـكن روى أحمد فى المسند (٥ : ١١٠) من طريق حميد بن هلال : « عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم ، قال : دخلوا قرية ، فخرج عبد الله بن خباب ذعرا يجرُّ رداءه ، فقالوا : لم تُرَعْ ، قال : والله لقد رعتمونى ، قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه ؟ قال : نعم ، سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، قال : فإن أدركتَ ذاك فكن عبدالله المقتولَ — قال أيوب : ولا أعلمه إلا قال : ولا تكن عبد الله القاتلَ — قالوا : =

ومن طَريفِ أخبارِهم : أن غَيْلانَ بن خَرَشَةَ الضَّبِّيَّ سَمَرَ ليلةً عند زِيادٍ ومعه جماعةٌ ، فَذُكِرَ أمرُ الخَوارجِ ، فأَنْحَى[1] عليهم غيلانُ ، ثم انصرف بعد لَيْلٍ إلى منزلِه ، فلقيه أبو بلال مِرْداسُ بن أُدَيَّةَ ، فقال له : يا غَيْلانُ ! قد بَلَغَنى ما كان منك الليلةَ عندَ هذا الفاسقِ ، مِن ذِكرِ هؤلاء القومِ الذين شَرَوْا أنفسَهم وابتاعوا آخِرتَهم بدنياهم ، ما يُؤَمِّنُكَ[2] أن يلقاكَ رجلٌ منهم ، أحْرَصُ والله على الموتِ منكَ على الحياة ، فيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ[3] برُمْحِهِ ؟ فقال غَيْلانُ : لن يَبْلُغَكَ أنِّى ذكَرتُهم بعدَ [هذه[4]] اللَّيلةِ .

ومِرْدَاسٌ تَنْتَحِلُه جماعةٌ من أهلِ الأهواءِ ، لِقَشَفِهِ وبَصيرتِه ، وصحةِ

= أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ، ما ابذقر ، و بقروا أم ولده عما فى بطنها» . ثم رواه مرة ثانية وزاد «ما ابذقر يعنى : لم يتفرق » .

وهذه الرواية ذكرها الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧ : ٣٠٢ — ٣٠٣) ونسبها لأحمد وأبى يعلى والطبرانى ، وزاد فى أولها شيئا عن الطبرانى ، ثم قال : « ولم أعرف الرجل الذى من عبد القيس ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١) رسمت فى النسخ المخطوطة « فأنحا » بالألف . على الرسم القديم .

(٢) فى ع و س و هـ « من يؤمنك » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عمرَ : الحِضْنَانِ : نَاحِيَتا الإنسانِ ، والجميعُ أحْضَانٌ ، ونَوَاحِى كلِّ شىء أحضانُهُ . ويقال : حَضَنَتِ الدَّجاجَةُ البَيْضَ وغيرَها : إذا جعلَتْها تحتَ حِضْنِها » .

(٤) الزيادة من س .

عبادته ، وظهورِ ديانته ، وبيانِه . تنتحلهُ المنزلةُ ، وتزعُمُ أنه خرج منكِراً لجَوْرِ السلطانِ ، داعياً إلى الحقّ . وتحتجُّ له بقوله لزيادٍ حيثُ قال على المِنْبَر: والله لآخُذنَّ المحسِنَ منكم بالمسِيء ، والحاضِرَ منكم بالغائبِ ، والصَّحيحَ بالسَّقيمِ ، [والمطيعَ بالعاصى[1]] ، فقام إليه مرداسٌ فقال : قد سمعنا ما قلتَ أيُّها الإنسانُ ، وما هكذا ذَكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيه إبرٰهيمَ عليه السلام ، إذْ يقولُ : ﴿ وإبْرٰهِيمَ الَّذِى وَفَّى ، ألاَّ تزرُ[2] وازرةٌ وِزْرَ أُخْرَى[3] ، وأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إلاَّ مَاسَعَى ، وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثم يُجْزاهُ الجَزاءَ الأَوْفَى[4] ﴾ وأنتَ تزعمُ أنك تأخـــذُ المطيعَ بالعاصِي ، ثم خرجَ في عَقِبِ هذا اليومِ .

والشِّيَعُ تنتحلهُ ، وتزعمُ أنه كَتب إلى الحسينِ بن عليٍّ صلواتُ الله عليه: [أمَا[5]] إنِّى لَسْتُ أرى رَأْىَ الخوارِجِ ، وما أنا إلاَّ عَلَى دِينِ أبيكَ .

وهـــذا رأىٌ قد استَهْوَى جماعةً من الأشْراف . يُرْوَى : أنَّ المُنْذِرَ بنَ الجَارُودِ كان يرَى رأىَ الخوارجِ . وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراهُ[6] . وكان صالحُ بنُ عبد الرحمنِ صاحبُ دِيوانِ العِراقِ يراه . وكان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه ، منهم عِكْرِمةُ مولى ابنِ عباسٍ . وكان

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) « تزر » بالرفع ، لأن « أن » هى المخففة من الثقيلة . وضبطت فى طبعة أوربة بالنصب ، وهو خطأ من المصحح ، فإنه لاتوجد قراءة بذلك ، ولا فى القراءات الشاذة .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ ، الوِزْرُ الإثمُ » .

(٤) سورة النجم ، الآيات ٣٧ ــ ٤١

(٥) الزيادة من د .

(٦) بحاشية ا مانصه « قال الشيخ : لم يكن يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ، وإنما كان أخاه من الرضاعة وكاتبه ، وقتل بإفريقية » .

يقالُ ذلك فى مالكِ بن أنسٍ ، [ولعلَّ هذا يكون باطِلا[1]] . ويَرْوِى الزُّبَيْرِيُّونَ : أنَّ مالكَ بن أنسٍ المَدِينِّى كان[2] يَذْكُر عثمانَ وعليًّا وطَلْحةَ والزُّبَيْرَ ، فيقولُ : واللهِ مااقْتَتَلوا إلاَّ على الثَّرِيد الأَعْفَرِ[3] !

فأمَّا أبو سَعيد الحسن البَصْرىُّ فإنه كان يُنكِرُ الحكومةَ ، ولا يَرَى

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « أن مالكا كان » .

(٣) قال المرصفى : الثريد الأعفر : الأبيض ليس بالشديد البياض ، يريد الثريد المتلىء بالإدام » .

ثم إن هنا بحاشية ج مانصه : « وُجِدَ على نسخةٍ من هذا الكتاب فى هذا المحلّ ماصُورتُه ، مالكُ بن أنسٍ بن مِسْمَعٍ البَكْرِىُّ ثم البَصرىُّ أحدُ رؤساء أهل البَصرةِ ، وأعظمُ قُدَّامِها فى زمانِه ، لِشرفِ بيتِهِ ، وتقدُّمِه فى معرفةِ كلِّ فَنٍّ ، وشُهرةِ زُهْدِهِ ، وكثرةِ تهجُّدِهِ ، لكنَّه كان مُتهمًا برأى الخوارج ، ولم يُوقَفْ لأمره على حقيقةٍ ، اللهُ أعلمُ أىُّ ذلك كانَ . وقد ذكره المبرِّد فى الكامل ، وذَكَر أنه يَرَى رأىَ الخوارج ، وذكر عنه مقالةً فى حقِّ علىٍّ وعُثمانَ وطلحةَ والزُّبيرِ ، رضوانُ الله عليهم ، فأوهمَ أنه مالكُ بن أنسٍ الأَصبحىُّ صاحبُ المذهبِ . انتهى ماوُجِدَ » .

ووجد أيضاً بحاشية ف حاشية طويلة بهذا المعنى ، دافع فيها كاتبها عن الإمام مالك بن أنس ، ومدحه مدحا عظيما . وسمى فيها الشخص الآخر « مالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكرى ثم البصرى » . وقد بحثت كثيرا عن ترجمة مالك البكرى هذا فلم أجده . بل وجدت أن الحافظ ابن الجوزى ذكر فى كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر (ص ٣٣٢) فى باب المتفق والمفترق مانصه : « مالك بن أنس : اثنان ، أحدهما : مالك بن أنس بن مالك الأصبحى ، إمام أهل المدينة فى الفقه . والثانى : مالك بن أنس الكوفى ، يروى عن هانىء بن حزام ، وقيل حرام ، عن عمر بن الخطاب » . ولو كان لهما ثالث لذكره إن شاء الله . ثم إن قول أبى العباس « ويروى الزبيريون أن مالك بن أنس المدينى » الخ يعين أنه يريد الإمام مالك صاحب المذهب .

رأيَهم ، وكان إذا جلسَ فتمكّن فى مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فترَحّمَ عليه ثلاثاً ، ولعَن قتَلتَه ثلاثاً ، ويقولُ : لو لم نَلْعنهم للُعِنّا ، ثم يَذكر عليّا فيقولُ : لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين علىٌّ رحمه الله يتعرّفُهُ النّصْرُ(١) ، ويساعدُه الظَّفَرُ ، حتى حَكّمَ ، فلِمَ تُحَكِّمُ(٢) والحقُّ معكَ ؟ ألا تمضِى قُدُماً لا أبالَك وأنتَ عَلَى الحَقّ ؟!

⁂

قال أبو العباس : وهذه كلمة فيها جَفاءٌ ، والعربُ تستعملها عند الحثّ على أخذِ الحقّ والإغراء ، وربما استعملتْها الجُفاةُ من الأعْرابِ عندَ المسألة والطّلَب ، فيقولُ القائلُ للأميرِ والخليفةِ : انظر فى أمر رعيتك لا أبالَكَ ! وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملكِ رجلاً من الأعراب فى سَنَةٍ جَدِيبَةٍ(٣) يقولُ:

رَبَّ العِبادِ مَالَنا ومَالَكا   قد كنتَ تَسْقِينا فما بَدَا لَكا

* أَنْزِلْ علينا الغَيْثَ لا أَبَالَكا *

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مَخْرَجٍ ، فقال : أشهدُ أنه لا أَبَالَه(٤) ولا وَلَدَ ولا صاحبةَ ، وأشهدُ أن الخَلْقَ جميعاً عِبادُه(٥) . وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أبْعَدَ مِن هذه الكلمة لبعض قومِه :

---

(١) فى ج و س و د و ه « يتعرّفُ النَّصْرَ » .

(٢) فى هذه النسخ « وَلِمَ تُحَكِّمَ » .

(٣) فى هذه النسخ « جدبة » .

(٤) فى س و د « لا أب له » .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « قال الزمخشرىّ فى الأساس : هذه كلمة يراد بها الحثّ والحضّ ، ومن لم يدر معناها كفر من قال : ربّ العباد . الأبيات » . وهذا الذى نقل عن الأساس ليس فيه بهذا النص ، ولكن فيه إشارة إليه .

أَبَنِي عُقَيْلٍ لا أَبَا لِأَبِيكُمُ ... أَيِّي وأَيُّ بَنِي كِلابٍ أَكْرَمُ

وقال رجلٌ من طَيِّئٍ ، أنشده أبو زيدٍ الأنصاريُّ :

يا قُرْطُ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أَبالكمُ ... يا قُرْطُ إِنِّي عليكم خائفٌ حَذِرُ

أَأَنْ رَوَى مِرْقَشٌ واصْطافَ أَعْنُزُهُ ... مِنَ التِّلاعِ التي قد جادَها المطرُ[1]

قُلتم له اهْجُ تَمِيماً لا أَبالكم ... في كَفِّ عبدِكُمُ عن ذاكُمُ قِصَرُ

فإنَّ بيتَ تَمِيمٍ ذُو سَمِعْتَ به ... فيه تَنَمَّتْ وأَرْسَتْ عِزَّها مُضَرُ

قوله « يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ » نَصْبُهما معاً أكثرُ على ألسنةِ العربِ ، وتأويلُهما[2] : أنهم أرادوا « يا قُرْطَ حُيَيٍّ » فأقحموا « قرطًا » الثانيَ توكيداً ، وكذلك لجريرٍ :

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أَبالكمُ ... لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوْءَةٍ عُمَرُ

ومثلُه لعُمَرَ بن لَجَإٍ :

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ ... تَطاوَلَ الليلُ عليكَ فانْزِلِ

فإن لم تُرِدِ التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلاّ رفعُ الأولِ « يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملاتِ » و « يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ » كما تقولُ « يا زيدُ أخا عمرٍو » على النعت . ومثلُ الأولِ في التوكيد « يا بُؤْسَ للحربِ » أراد : يا بؤسَ الحربِ ، فأقحمَ اللامَ

---

(١) في ج و س و د و هـ « مرقس » بدون ضبط . وفي القاموس : « مَرْقَسٌ كَمَقْعَدٍ ، لقبُ شاعرٍ طائيٍّ ، واسمه عبدُ الرحمن ، أحدُ بني مَعْنِ بن عَقُودٍ » .

(٢) في ج و د و هـ « وتأويله » .

توكيداً ؛ لأنها توجب الإضافةَ . وعلى هذا جاء « لاأَبَالك » و « لا أَبَالزيدٍ » ولولا الإضافةُ لم تثبت الألف فى الأَبِ ؛ لأنك تقول : رأيتُ أباكَ ، فإذا أفردتَ قلتَ : هذا أَبٌ صالحٌ . وإنما كانت « لا أَباكَ » كما قال الشاعرُ :

أَبِالمَوْتِ الذى لا بُدَّ أَنِّى ... مُلاَقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِى

وقال آخرُ :

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ ... وأىُّ كريمٍ لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ

وقوله : « أَأَنْ رَوَى مِرْقَشٌ » « مِرْقَشٌ » رجلٌ . و « رَوَى » اسْتَقَى لأهله ، يقال : فلانٌ رَاوِيَةُ أَهْلِهِ : إذا كان يستقى لأهله ، والتى على البعير والحمار مَزَادةٌ[1] ، فإذا[2] كَبُرَتْ وعَظُمَتْ وكانت من ثلاثة آدِمَةٍ فهى المُثَلَّثَةُ ، وأصغرُ منها السَّطِيحةُ ، وأصغرُهن الطِّبْعُ .

وقوله « واصْطَافَ أَغْثَرُهُ » يريدُ : افْتَعَلَتْ ، من الصَّيْفِ ، أى : أصابت البقلَ فيه .

و « التَّلْعةُ » : ما ارتفعَ من الأرضِ فى مُسْتَقَرِّ المَسِيلِ إذا تجافَى السَّيلُ عن مَتْنِهِ ، وجمعُه « تِلاَعٌ » .

وقوله : « ذُو سَمِعْتَ به » يريد : الذى ، وكذلك تفعلُ طَيِّئ ، تجعلُ « ذو » فى معنى « الذى » ، قال زَيْدُالخَيْلِ لبنى فَزارَةَ وذَكَرعامرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فقال :

إِنِّى أَرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْنَ

---

(١) فى ج و س و د « للزادة » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فإن » .

وقال عارقٌ الطائىُّ :

فإنْ لمْ يُغَـيِّرْ بعضُ ما قد فعَلْتُمُ ... لَأَنْتَحِيَنْ للعَظْمِ ذُو أنا عارِقُهُ[1]

يريد : الذى .

ومن ظُرَفاء المُحْدَثِين اليمانِيَةِ مَنْ يَعملُ هذا اعتمادًا لإيثارِ لغةِ قومِه ، قال الحسنُ بن هانىءٍ الحَكَمِىُّ :

حُبُّ المُدَامةِ ذُو سمعتَ به ... لم يُبْقِ فىَّ لغيرِها فَضْلا

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطَّائىُّ :

أنا ذُو عَرَفْتِ فإنْ عَرَتْكِ جَهالةٌ ... فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذَّالِ

وقال الحسنُ بنُ وهْبٍ الحارثىُّ :

عَلِّلانِى بذِكْرِها عَلِّلانِى ... واسْقِيانِى أَوْلَا فَمَنْ تَسقِيانِ[2]

أَنا ذُو لم يَزَلْ يَهُونُ على النَّدْ ... مَانِ إنْ عَزَّ جانبُ النَّدْمانِ

ويكونُ العزيزَ فى ساعةِ الرَّوْ ... عِ بِصِدْقِ الطِّعَانِ يومَ الطِّعانِ

❋

عاد الحديثُ إلى ذكر الخوارجِ[3] :

قال أبو العباس : وكان فى جملة الخوارج لَدَدٌ واحتجاجٌ ، عَلَى كثرةِ خُطبائهم وشُعَرائهم ، ونَفاذِ بَصيرتهم ، وتَوْطينِ أنفُسِهم على الموتِ ، فمنهم

---

(١) فى ج و هـ « تُغَـيِّرْ بعْضَ » .

(٢) فى ج « يَسْقِيَانِ » .

(٣) فى د و هـ « ثم نرجع إلى ذكر الخوارج » .

الذى طعِنَ فأنفذَهُ الرُّمْحُ فجعل يَسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول : ﴿وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى[1]﴾ .

ويُروَى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لمّـا وصفهم قال : « سِيمَاهم التَّحْليقُ ، يقرؤونَ القرآن لايُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، عَلاَمَتُهُمْ رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ[2] » .
وفى حديث عبدالله بن عَمرٍو : « رجلٌ يقال له عُمَرٌ وذوالخُوَيْصِرَةِ ، أوالخُنَيْصِرَةِ » .
ورُوِىَ[3] عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجدٍ ، إلى أنْ صَلَّى النبىُّ عليه السلام ، فقال : ألاَ رجلٌ يقتله ؟ فَحَسَرَ أبو بكرٍ عن ذراعِه وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوَه ، ثم رجَع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أأقتلُ رجلاً يقولُ : لا إله إلاَّ اللهُ ؟ فقال النبىُّ عليه السلام : ألا رجلٌ يفعلُ ؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك ، فلما كانَ فى الثالثة قَصَدَ له علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يَرَه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنَةٍ وآخِرَها » .

ويروى عن أبى مَرْيَمَ عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أنه ذُكِرَ المُخْدَجُ عندَ النبى عليه السلام ، فقال أبو مريمَ : واللهِ إنْ كان معنا لَفِى

---

(١) سورة طه آية ٨٤

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ ، قوله عليه السلام مُخْدَجُ اليد ، أى ناقِصُها . يقال : أَخْدَجَتِ الناقةُ وغيرُها : « إذا ألقَتْ ولدَها ناقصَ الخَلْقِ ، فهى مُخْدِجٌ ، والولدُ مُخْدَجٌ » .

(٣) فى س و د و هـ « ويروى » .

المسجدِ وكان فقيراً ، وكان يَحْضُرُ طعامَ [أميرِ المؤمنين[١]] عليٍّ إذا وضَعه للمسلمين ، ولقد كسوتُه بُرْنُساً لِي ، فلمّا خَرج القومُ إلى حَروراء قلتُ : والله لأَنظرَنَّ إلى عسكرِهم ، فجعلتُ أَتخلَّلُهُمْ حتى صِرْتُ إلى ابن الـكَوَّاء وشَبَثِ بن رِبْعِيٍّ ، ورسلُ عليٍّ تُناشدُهم ، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسولٍ لعليٍّ[٢] ، فضَرب دابّتَه بالسيف ، فحَمل الرجلُ سَرْجَه وهو يقولُ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم انصرفَ القومُ إلى الـكوفة ، فجعلتُ أنظرُ إلى كثرتِهم كأنّما ينصرفون مِن عيدٍ ، فرأيتُ المُخْدَجَ ، وكان مِنّي قريباً ، فقلتُ : أَكنتَ مع القومِ ؟ فقال : أخذتُ سلاحِي أُريدُهم فإذا بجماعةٍ من الصبيانِ قد عَرَضُوا لى فأَخذوا سِلاحِي وجعلوا يتلاعبونَ بِي ! فلما كان يومُ النَّهرِ[٣] قال عليٌّ [أمير المؤمنين[٤]] : اطلبُوا المُخْدَجَ ، فطلبوه فلم يجدوه ، حتى ساءَ ذلك عليًّا ، وحتى قال رجلٌ : لا واللهِ يا أمير المؤمنينَ ما هو فيهم ، فقال عليٌّ : والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، فجاء رجلٌ فقال : قد أصبناه يا أمير المؤمنينَ ، فخرَّ عليٌّ ساجداً ، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوحِ سَجَدَ ، وقال : لو أعلمُ شيئاً أفضلَ منه لفعلتُه ، ثم قال : سيماهُ أنَّ يدَه كالثَّدْيِ ، عليها شعراتٌ كشاربِ السِّنَّوْرِ ، ايتُونِي بيدِهِ المُخْدَجَةِ ، فأتَوْهُ بها ، فنصَبها .

---

(١) الزيادة من س و د .

(٢) فى س و د « لأمير المؤمنين » .

(٣) فى س و د و ﻫ « يوم النهروان » .

(٤) الزيادة من س و د .

ويرْوَى عن أبي الجَلْدِ : أنه نَظَرَ إلى نافع بن الأَزْرقِ الحَنَفيّ وإلى نظره وتَوَغُّلِهِ وتَعَمُّقِهِ ، فقال : إني لأجِدُ[١] لجهنم سَبعةَ أبوابٍ ، وإنَّ أشدَّها حَرًّا للخوارجِ ، فاحْذَرْ أن تكونَ منهم .

قال : وكان نافعُ بن الأزرق يَنْتَجِعُ عبدَ الله بن العباسِ فيسأله ، فله عنه[٢] مسائِلُ من القرآن وغيرِه ، قد رَجَع إليه في تفسيرِها،فقَبِلَه وانْتَحَلَهُ ، ثم غلبتْ عليه الشِّقْوةُ . ونحن ذاكرون منها صَدْراً إن شاء الله .

❁

حَدَّثَ أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المُثَنَّى التَّيْمِيُّ النَّسَّابةُ عن أُسامةَ بن زيدٍ عن عِكْرمةَ قال: رأيتُ عبدَ الله بن العباسِ وعندَه نافعُ بن الأَزرقِ وهو يسألُه ، ويطلبُ منه الاحتجاجَ باللغة ، فسَأَله عن قول الله جلّ ثناؤه ﴿ والليلِ وَمَا وَسَقَ[٣] ﴾ ؟ فقال ابنُ عباسٍ : وما جَمَعَ ، فقال : أتعرفُ ذلك العربُ ؟ قال[٤] ابن عباسٍ : أَمَا سمعتَ قول الراجزِ :

إنَّ لنا قَلَائِصًا حَقائِقَا مُسْتَوْسِقات لو يَجِدْنَ سائِقَا ؟

هذا قولُ ابن عباس ، وهو الحقُّ الذي لايَقْدَحُ فيه قادحٌ . ويَعْرِضُ القولُ فيحتاجُ المبتدئُ إلى أنْ يَزْدادَ في التفسيرِ .

---

(١) في ج و س و د و هـ « إني أجد » .
(٢) في ج و هـ « فله عليه » وفي س و د « وله عليه » .
(٣) سورة الانشقاق آية ١٧
(٤) في ج و د و هـ « فقال » .

قوله : « حقائقا » إنما بَنى الحِقّةَ من الإبل ، وهى التى قد استحقّتْ أن يُحْمَلَ عليها — : علَى « فعيلةٍ » مثلَ « حَقِيقةٍ » ولذلك جمَعها على « حَقائِقَ » .

ويقال : « استَوسَقَ » القومُ : إذا اجتمعوا .

ورَوَى أبو عُبيدةَ فى هذا الإسنادِ ، ورَوَى ذلك غيرُه ، وسمعناه من غير وجهٍ : أنه سأله عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ قد جعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا[1] ﴾ فقال ابنُ عباسٍ : هو الجَدْوَلُ ، فسأله عن الشاهدِ ؟ فأنشدَه :

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ منها أَزْوَرَا إذا يَعِجُّ فى السَّرِىِّ هَرْهَرَا[2]

« السَّلْمُ » : الدَّلْوُ الذى له عُرْوةٌ واحدةٌ ، وهو دَلْوُ السَّقَّائِينَ ، وهو الذى ذَكره طَرَفةُ فقال :

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتلَانِ كأنّما أُمِرَّا بسَلْمَىْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ

و « الدَّالِجُ » الذى يمشى بالدَّلْو بينَ البِئْرِ والحَوْضِ ، وأصحابُ الحديث يُنْشِدونَ : « تَرَى الدَّالِىَ منه أَزْوَرَا » وهذا خطأٌ لا وجهَ له .

ورَوَى أبو عُبيدةَ وغيرُه : أن نافعًا سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله ﴿ عُتُلٍّ بعدَ ذلِكَ زَنِيمٍ[3] ﴾ : ما الزنيمُ ؟ قال : هو الدَّعِىُّ المُلْزَقُ ، أمَا سمعتَ قولَ حسّانَ بن ثابتٍ :

زَنيمٌ تَداعَاهُ الرجالُ زِيادةً كمازِيدَ فى عَرْضِ الأَدِيمِ الأكارِعُ ؟

---

(١) سورة مريم آية ٢٤

(٢) فى ج و د و هـ «منه» بدل «منها» . و « الأزور » : المائل . وقوله « هرهر » من الهرهرة ، وهى حكاية صوت الماء الكثير عند جريه .

(٣) سورة نٓ والقلم آية ١٣

ويزعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقاقَ ذلك من الزَّنَمةِ التى بحَلْقِ الشاةِ ، كما يقولون لمن دَخَل فى قومٍ ليس منهم : زَعْنَفةٌ[2] [الأُمُّ « زِعْنِفةٌ » بالـكسرِ[1]] وللجمع «زَعانِفُ » ، و «الزِّعْنَفَة » الجَناحُ من أجنحة السَّمك [قال أبو الحسن الأخفشُ : كذا قال « زَعْنَفَة » والناسُ كلُّهم يقولون « زِعنفة » بكسر الزاى وهو الوجه] .

ويُرْوَى[3] عن غيرِ أبى عُبيدةَ : أنه سأله عن قوله جلَّ اسْمُه ﴿ والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ[4] ﴾ ؟ قال : الشِّدَّةُ بالشدَّةِ ، فسأله عن الشاهدِ ؟ فأنشدَه :

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّهَا وإنْ شَمَّرتْ عن ساقِهَا الحربُ شَمَّرَا

قال أبو العباس : وقرأتُ على عُمارةَ بن عَقيلِ بن بِلالِ بن جَريرٍ قصيدةَ جريرٍ ، التى يهجو فيها آلَ المُهَلَّبِ بن أبى صُفْرةَ ، ويمدحُ هلالَ بن أَحْوَزَ المازنىَّ ، ويَذكر الوَقْعَةَ التى كانت لهم عليهم بالسِّنْدِ فى سُلْطانِ يزيدَ بن عبد المَلِكِ ، بسبب خروجِ يزيدَ بن المهلَّب عليه :

أقولُ لها مِن ليلةٍ ليس طُولُها كطُولِ الليالى لَيْتَ صُبْحَكِ نَوَّرَا
أخافُ على نفسِ ابنِ أَحْوَزَ إنَّه جَلاَ حُمَمًا فوقَ الوجوه فأسْفَرَا

[قال الشيخُ أبو يعقوبَ : الذى رَوَيْتُ فى شعرِ جريرٍ :

---

(١) الزيادة من حاشية ا .

(٢) « الزعنفة » بكسر الزاى والنون وبفتحهما ، لغتان معروفتان ، كما ضبطها فى القاموس والمعيار .

(٣) فى ج و س و د و ه « وروى » .

(٤) سورة القيامة آية ٢٩

حِذَاراً على نفسِ ابنِ أَحْوَزَ إنه ... جَلاَ كلَّ وجهٍ من مَعَدٍّ فَأَسْفَرَا[1]

وقوله « عَدِيٍّ[2] » يعنى عَدِيَّ بنَ أَرْطاةَ الفَزَارِيَّ ، قتله معاويةُ بن يزيدَ بن المهلَّب بواسطٍ ، وكان عامِلَ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله[3]] :

جَعَلْتَ لِقَبْرٍ لِلْخِيَارِ ومَالِكٍ ... وقبرِ عَـــدِيٍّ فى المَقابِرِ أَقْبُرَا[4]

[ويُرْوَى « للخيارِ وواسطٍ » الخيارُ : موضعٌ بُعمانَ ، فيه قبرُ الخيارِ بن سَبْرَةَ المُجاشِعِيِّ ، وواسطٌ : بها قبرُ عَدِيٍّ بن أَرْطاةَ الفَزَارِيِّ[5]] .

وأَطفَأْتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلِها ... وقد حاولوها فِتْنَةً أن تَسَعَّرَا

[« المَزونُ » عُمانُ ، بالفارسية[6]] .

فلم تُبْقِ منهم رايــةً يَعْرِفونَها ... ولم تُبْقِ من آلِ المُهَلَّبِ عَسْكَرَا[7]

أَلَا رُبَّ سَامِي الطَّرْفِ من آلِ مازنٍ ... إذا شَمَّرَتْ عن ساقِها الحربُ شَمَّرَا

---

(١) هذه الرواية توافق رواية النقائض (٩٩٢) والأبيات من قصيدة طويلة فيها (ص ٩٩١ — ١٠٠٣) عدد أبياتها ١٠٦ وهذا البيت الثامن منها . وأما رواية الديوان فتخالف رواية المبرد ورواية أبى يعقوب (ص ٢٤٠ — ٢٥١) .

(٢) عدىّ هذا سيأتى ذكره فى البيت الآتى .

(٣) الزيادة من حاشية ا .

(٤) هكذا فى نسخ الكامل « لقبر » باللام والذى فى الديوان والنقائض « بقبر » بالباء .

(٥) الزيادة من حاشية ا . وقال الشيخ المرصفى : « هذه رواية منكرة ، كان الصواب إسقاطها ، وذلك لأمرين : أحدهما : أن أرباب المعاجم لم يذكروا أن الخيار موضع البتة . ثانيهما : فساد التركيب على ماروى ، لأن ظاهره يدل على أن قبر عدىّ ليس بواسط ، لعطفه بالواو ، وهو يزعم أنه بواسط ، على أنه كان اللازم أن يقول : جعلت لقبر بالخيار وواسط ، على مازعم ، وهذا كله غير صواب » .

(٦) الزيادة من حاشية ا .

(٧) فى ج و س « فلم يَبْقَ منهم رايةٌ » .

فهذا نظيرُ ذلك . و « المَزُونُ » عُمانُ . قال الكُمَيْتُ :

فأمّا الأَزْدُ أَزْدُ أبى سَعيدٍ فأَكرهُ أن أُسمّيَهَا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ :

فإنْ شَمَّرتْ لكَ عن ساقِها فوَيْهًا حُذَيْفَ ولا تَسْأَمِ[(١)]

[تقولُ : « وَيْهًا لزيدٍ » : إذا زَجرتَهُ عن الشيء فأَغْرَيْتَهُ به . و « وَاهًا له » : إذا تَعجَّبْتَ منه . و « حُذَيْفَ » يريدُ حُذيفةَ ، فرَخَّمَ[(٢)]] .

ويُرْوَى[(٣)] عن أبى عُبيدةَ من غيرِ وجهٍ : أن نافعَ بنَ الأَزرقِ سألَ ابنَ عباسٍ فقال : أرأيتَ نبيَّ اللهِ سليمانَ صلى اللهُ عليه ، مع ما خوَّله اللهُ وأعطاه ، كيف عُنِيَ بالهُدْهُدِ على قِلَّتِه وضُؤُولَتِهِ ؟ فقال له ابنُ عباسٍ : إنه احتاجَ إلى الماءِ ، والهدهدُ قنَّاءٌ[(٤)] ، الأَرضُ له كالزُّجاجةِ ، يَرَى باطِنَها من ظاهِرِها ، فسأل عنه لذلك . قال ابنُ الأزرقِ : قِفْ يا وَقَّافُ ! كيف يُبْصِرُ

(١) قال المرصفى : هذا غلط ، وإنما الرواية :

* فَوَيْهًا رَبِيعَ ولا تَسْأَمُ *

برفع تسأم » . ثم ذكر أبياتا منها البيت بهذه الرواية ، ونسبها لقيس بن زهير بن جذيمة العبسى . ولعل رواية المبرد من أبيات غير ماروى المرصفى .

(٢) الزيادة من حاشية ا .

(٣) فى ج و س و د و ه « وروى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال الخليلُ : يقال : رجل قنَّاء ومُقَنٍّ : صاحبُ قناً . قال : والقَنَاةُ كَظِيمَةٌ تُحفَرُ تحتَ الأَرضِ لِمَجْرَى ماءِ الأَنباطِ » .

ماتحتَ الأرضِ والفخُّ يُغطَّى له بمقدارِ إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبصرُه حتى يقعَ فيه؟ فقال ابنُ عباسٍ: ويحْكَ يا ابنَ الأزرقِ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِيَ(١) البصرُ؟!

ومما سألَه عنه ﴿الٓمٓ. ذٰلِكَ الكتابُ(٢)﴾ فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ. هكذا جاء، ولا أحفظُ عليه شاهداً عن ابن عباسٍ، وأنا أحسِبُه أنه لم يَقبلْه إلاَّ بشاهدٍ، وتقديرُه عند النحويين إذا قال «ذلك الكتابُ»: أنهم قد كانوا وُعِدُوا كتاباً، هكذا التفسيرُ، كما قال جلّ ثناؤُه: ﴿فلمَّا جاءَهم ماعَرَفُوا كَفَرُوا به(٣)﴾ يعني بذاك اليهودَ، وقال: ﴿يعرِفُونَه كما يَعرِفونَ أبناءَهم(٤)﴾، فمعناه: هذا الكتابُ الذي كنتم تتَوَقَّعونه. وبيتُ خُفَافِ بن نَدَبَةَ(٥) على ذلك يَصِحُّ معناه. وكان مِن خبره: أنه غزَا مع معاوية بن عمرٍو أخي خَنْساء، مُرَّةَ وفزارةَ، فَعَمَدَ ابْنَا حَرْملةَ دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّانِ عَمْدَ مُعاويةَ، فاسْتَطْرَدَ له أحدُهما، فحملَ عليه معاويةُ، فطعنَه، وحملَ الآخرُ على معاويةَ فطعنَه مُتَمَكِّناً، وكان صَميمَ الخيلِ(٦)، فلما تَنادَوْا قُتِلَ معاويةُ.

---

(١) في ج «غَشِيَ». وفي س «عَمِيَ».

(٢) أول سورة البقرة

(٣) سورة البقرة آية ٨٩

(٤) سورة البقرة آية ١٤٦ وسورة الأنعام آية ٢٠

(٥) هكذا ضبط هنا في أكثر النسخ بفتح النون والدال معاً. وفي ج و هـ بفتح النون وسكون الدال، وفي د بضم النون وسكون الدال. وخفاف هذا صحابي، وهو أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة. وانظر الشعراء لابن قتيبة (ص ١٩٦ — ١٩٧) وشرحنا على كتاب الرسالة للشافعيّ في الفقرة (١٠٦).

(٦) صميم الخيل، أي عميد الفرسان الذي يعتمدون عليه.

قال خُفافُ بنُ نَدَبَةَ ، وهى أُمُّهُ ، وكانت حبشيةً ، وأبوه عُمَيْرٌ ، [وهو[١]] أحدُ بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ : قتَلنِى اللهُ إنْ رِمتُ[٢] حتَّى أُثْأَرَ به ، فحَمل على مالكِ بن حمارٍ ، وهو سيدُ بنى شَمْخِ بن فَزَارَةَ ، فطعنه فقتَله ، فقال خُفافُ بنُ نَدَبَةَ :

إنْ تَكُ خَيْلِى قد أُصِيبَ صَمِيمُها ... فَعَمْدًا على عَيْنِى تَيَمَّمْتُ مالِكا[٣]

وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبَتِى ... لِأَبْنِيَ مَجْدًا أو لِأَثْأَرَ هالِكا[٤]

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ : ... تَأَمَّلْ خُفَافًا إننى أنا ذٰلِكا[٥]

يريدُ : أنا ذلك الذى سمِعتَ به . هذا تأويلُ هذا . وقوله « يَأْطِرُ مَتْنَه » أى يَثْنِى . يقال أَطَرْتُ القوسَ آطِرُها أَطْرًا ، وهى مأْطُورةٌ . و«عَلْوَى» فَرَسُهُ .

ومما سأله[٦] عنه قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿لهم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ[٧]﴾ فقال

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) أى : برحت . من قولهم « رام من مكانه » أى برح .

(٣) « إن تك خيلى » قال المرصفى : « بغير واو ، على الخرم ، كذا صوب إنشاده ابن برى » .

(٤) « خام » أى رجع ونكص .

(٥) بحاشية ا مانصه « فى الرواية : يأطرُ مَتْنُهُ ، بضم النون ، ومعنى يأطر متنه : يَثْنِي وَيَعْطِفُ . ابنُ شاذانَ يقال : أَطَرْتُ العُودَ آطِرُهُ أَطْرًا ، أى عطفته . وفى الحديث : حتى يَأْطِرُوهُ على الحقِّ أَطْرًا . أى : حتى يَعْطِفُوه . قال : وقال الخليلُ : الأَطْرُ عَوْجُكَ الشيء تقبضُ على أحد طَرَفَيْهِ وَتَأْطِرُهُ فَيَنْأَطِرُ . أَطَرْتُ القوسَ أَطْرًا ، وَأَطَّرْتُهَا تأْطيرًا ، فهى مأطورةٌ وَمُؤَطَّرَةٌ » .

(٦) فى س و د و هـ « سأل » .

(٧) سورة فصلت آية ٨ وسورة الانشقاق آية ٢٥

ابنُ عباسٍ : غيرُ مقطوعٍ ، فقال : هل تعرفُ ذلك العربُ ؟ فقال : قد عرفه أخو بني يَشْكُرَ ، حيثُ يقولُ :

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِن سُرْعَةِ الرَّجْـ ـعِ مَنِيناً كأنه أِهْبَاءُ[1]

قال أبو العباس : «مَنِينٌ» يعني الغُبَارَ ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قِطعاً قطعاً وراءها ، و « المَنِينُ » الضعيفُ المُؤْذِنُ بانقطاعٍ ، أنشدني التَّوَّزِيُّ عن أبي زيدٍ :

يارِبَّهَا إنْ سَلِمَتْ يمِيني * وسَلِمَ الساقِ الذي يَلِيني * ولم تَخُنِّي عُقَدُ المَنِينِ

تريد الحبلَ الضعيفَ ، فهذا هو المعروفُ ، ويقال « مَنِينٌ » و « مَمْنونٌ » كقَتِيلٍ ومقتولٍ ، وجَرِيحٍ ومَجْروحٍ ، وذَكر التَّوَّزِيُّ في كتاب الأضدادِ أنَّ « المَنِينَ » يكونُ القويَّ ، يجعلُه[2] « فَعيلاً » من « المُنَّةِ » ، والمعروفُ هو الأولُ .

وقال غيرُ ابنِ عباسٍ : ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يُمَنُّ عليهم فيُكَدِّرَ عندَهم .

⁂

ويُرْوَى من غيرِ وجهٍ : أنَّ ابنَ الأزرق أَتَى ابنَ عباسٍ [يومًا[3]] فجعلَ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « في رواية ابنِ شاذانَ :

فَتَرَى خَلْفَهَا من الرَّجْعِ وَالْوَقْـ ـعِ مَنِيناً كأَنَّهُ اهباءُ

الرَّجع : رجعُ قوائمها . والمَنِينُ : الغُبَارُ الضعيف . الإهباء : مصدرٌ ، يقال أَهْبَى : أي أثارَ الترابَ . ويُروى أَهْبَاءُ ، بفتح الهمزة ، جمع هَبْوَةٍ ، وهي الغُبار . ويجوز أنْ قَصَرَ الممدودَ ثم جَمَعَهُ » .

(٢) في ج و د و هـ « فجعله » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

يسائِلُه(١) حتى أَمَلَّه ، فجعلَ ابنُ عباس يُظْهِرُ الضَّجَرَ ، وطَلَعَ عمرُ بن عبد الله بن أبي رَبيعَةَ على ابن عباسٍ ، وهو يومئذ غلامٌ ، فسلَّم وجلسَ ، فقال له ابنُ عباس : ألا تُنْشِدُنا شيئاً من شِعْرِكَ ؟ فأنشدَه(٢) :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ غَـــداةَ غَدٍ أَمْ رائِحٌ فَمُهَجِّرُ ؟
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جوابِها فَتُبْلِغَ عُــذْراً والمَقالَةُ تُعْذِرُ
تَهِيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ولاالحبلُ موصولٌ ولاالقلْبُ مُقْصِرُ
ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لك نافعٌ ولا نَأْيُها يُسْــلِي ولا أنتَ تَصْبِرُ
وأُخرى أتَتْ من دُونِ نُعْمٍ ومِثْلُها نَهَى ذا النُّهَى لو يَرْعَوِي أو يُفَكِّرُ(٣)
إذا زُرْتُ نُعْماً لم يَزَلْ ذُو قَرابةٍ لها كُلَّما لاقيتُـــه يَتَنَمَّرُ
عَزيزٌ عليـــه أن أَمُرَّ ببابِها مُسِرٌّ لِيَ الشَّحْناءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ(٤)
أَلِكْنِي إليها بالسَّـــلامِ فإنه يُشَهَّرُ إلْمامِي بها ويُنَكَّرُ
بآيَةِ ما قالتْ غَــداةَ لَقِيتُها بِمَدْفَعِ أَكْنانٍ أهذا المُشَهَّرُ ؟
قِفِي فانْظُرِي يا أَسْمَ هلْ تَعرِفينَه ؟ أهذا المُغِيرِيُّ الذي كانَ يُذْكَرُ ؟(٥)

---

(١) في النسخ المذكورة « يسئله » .

(٢) مضت أبيات من القصيدة ، فأثبتناها كلها ، بعد جمعها من المصادر الموثوق بها ، وبينا الأصل والزيادة هناك ، في الجزء الثاني (ص ٦١٣ ـ ٦١٨) .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : ويُرْوَى : نُهَى ذِي النُّهَى . نُهَى هاهنا الغايةُ . أراد : غايةَ العاقلِ . والنُّهَى : العقلُ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ويُرْوَى : للبُغْضِ مُظْهِرُ . المُهَلَّبِيُّ : الأجودُ : والبغضَ مظهرُ » .

(٥) « يا أسم » رسمت في ج و د « يأَسْمَ » .

أَهذا الذى أَطرَيْتِ نعتاً فلم أَكُنْ وعَيْشِكِ أَنْساهُ إلى يومِ أُقْبَرُ ؟ !
فقالتْ : نَعَمْ ، لا شَكَّ غَيَّرَ لونَه سُرَى الليل يُحْيِي نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ[(١)]
لَئِنْ كان إيَّاه لقد حالَ بَعْدَنا عن العَهْدِ والإنسانُ قد يتغيَّرُ
رَأَتْ رجلاً أَمَّا إذا الشمسُ عارَضَتْ فيضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتاً ، فقال له ابنُ الأزرقِ : لله أنتَ يا ابنَ عباسٍ ! أَنَضْرِبُ إليك أكبادَ الإبلِ[(٢)] ، نَسألُك عن الدِّين ، فتُعرِضُ ، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ ، فيُنْشِدُكَ سَفَهاً فتسمعهُ ؟ ! فقال : تاللهِ ما سمعتُ سفهاً ، فقال ابنُ الأزرقِ : أَمَا أنشدكَ :

رأتْ رجُلاً أَمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَخْزَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْسَرُ ؟

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال « فيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ » قال : أَوَ تحفَظُ الذى قال ؟ قال : واللهِ ما سمعتُها إلاَّ ساعتى هذه ، ولو شئتُ أَن أَرُدَّها لَرَدَدْتُها ! قال : فارْدُدْهَا ؟ فأنشدَهُ إياها [كلَّها[(٣)]] .

ورَوَى الزُّبَيْرِيُّونَ : أن نافعاً قال له : ما رأيتُ أَرْوَى منك قطُّ ، فقال له ابنُ عباسٍ : ما رأيتُ أَرْوَى من عُمَرَ ، ولا أَعْلَمَ من عليٍّ .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقول : يُصِيبُهُ الحَرُّ فى الهاجرةِ والقُرُّ فى الليلِ ، فيُغَيِّرُ لونَهُ والنَّصُّ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ . المُهَلَّبِيُّ : نَصَصْتُ البعيرَ فى السَّيرِ أَنُصُّهُ نَصًّا : إذا رَفَعْتَهُ » .

(٢) فى ج « آباط الإبل » .

(٣) الزيادة من س و ه .

وقوله « فيَضْحَى[1] » يقولُ : يَظْهَرُ للشمسِ . و « يَخْصَرُ » يقولُ : في البَرْدَيْنِ[2] ، فاذا ذَكر العشيَّ فقد دلَّ على عَقِيب العشيِّ . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى[3] ﴾ «والضِّحُّ» الشمسُ ، وليس مِنْ « ضَحِيتُ » يقالُ « جاء فلانٌ بالضِّحّ والرِّيح » يُرادُ به الكثرة[4] .

قال عَلْقمةُ :

أَغَرُّ أَبْرَزَهُ للضِّحِّ رَاقِبُهُ مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مَفْغُومُ

له « فَغْمَةٌ » أي : رائحةٌ طيبةٌ[5] ، يعني إبريقاً فيه شرابٌ . وفي الحديث : « أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا توَجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَةَ ، وكانت له امرأتانِ ، وقد أعَدَّتْ كلٌّ واحدةٍ منهما من طَيِّبِ تَمرِ بستانِه ، ومَهَّدَتْ له في ظِلٍّ ، فقال : أظِلٌّ ممدودٌ ، وثمرةٌ طيبةٌ ، وماءٌ باردٌ ، وامرأةٌ حسناءُ ، ورسولُ الله في الضِّحِّ والرِّيحِ ! ؟ ما هذا بخيرٍ ، فركب ناقتَه ومَضَى في أثَرِهِ ، وقد قيلَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نَفَرٍ تخلَّفوا ، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم ، فجعل لا يُذكَرُ له أحدٌ منهم إلاَّ قال : دَعوهُ فان يُرِدِ اللهُ به خيراً

(١) رسمت في الأصول في هذا الموضع « فيضحا » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبيُّ : البَرْدَانِ ، الغَداةُ والعشيُّ . قال : والأبْرَدانِ طَرَفَا النهارِ » .

(٣) سورة طه آية ١١٩

(٤) في ج و هـ « يراد بذلك الكثرة » .

(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : فَغَمَتْنِي رائحةُ الطِّيبِ : أي : ملأتْ أنفي ، تَفغَمُني فَغْما » .

يُلحِقْهُ بكم ، فقيلَ ذاتَ يوم : يا رسول الله ! نَرَى رجلاً يَرْفَعُهُ الآلُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا خيثمةَ ، فكان هو[١] » .

وإذا انبسطتِ الشمسُ فهو « الضُّحَى » مقصورٌ ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلك فذلك « الضَّحاء » ممدودٌ مفتوحُ الأولِ .

❁

وذكرتِ الرواةُ : أن الحَجَّاجَ أُتِيَ بامرأةٍ من الخوارج ، وبحضرته يزيدُ بن أبي مسلمٍ مولاه ، وكان يَسْتَسِرُّ برأي الخوارج ، فكلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه ، فقال لها يزيدُ بن أبي مسلمٍ : الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ ! فقالت : بل الويلُ واللهِ لك يا فاسقُ الرَّدِيُّ[٢] . « والرَّدِيُّ » عندَ الخوارج : هو الذي يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتُمه[٣] .

---

(١) أبو خيثمة هو الأنصاري السالمي ، سماه الواقدي « عبد الله بن خيثمة » وذكر أنه شهد أحدا وبقي إلى خلافة يزيد بن معاوية . وقصته هذه أشار إليها كعب بن مالك في حديثه الطويل في ذكر توبته . في صحيح مسلم (٢ : ٣٢٩ — ٣٣٣) وليس فيها التفصيل الذي هنا في شأن أبي خيثمة . وذكرها بنحو مما هنا ابن هشام في السيرة (ص ٨٩٧ — ٨٩٨ طبعة أوربة ، ٤ : ١٧٤ — ١٧٦ طبعة التجارية) وسماه « مالك بن قيس » . وانظر تاريخ ابن كثير (٥ : ٧ — ٨) .

(٢) في ج و س و هـ . « أيُّها الفاسق الرَّدِيُّ »

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الرَّدِيء مهموزٌ . يقال : رَدُؤَ الشيء : إذا صار رَدِيئا ، والاسمُ الرَّدَاءةُ والرَّدِيُّ : من الرِّدَّةِ ، والردةُ : الرجوعُ عن الشيء ، ومنه : رَدَّ عن الإسلام ، والرِّدَّةُ : مصدرُ الارتدادِ . في نسخةٍ : الرَّدِيء . وليس بمرويٍّ [في] هذا الخبر » .

وذكروا أنّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتِيَ برجلٍ منهم فبَحَثَهُ ، فرأى منه ما شاء فهماً وعلمًا ، ثم بحثه ، فرأى ما شاء إِرْبًا ودَهْيًا[1] ، فرَغِبَ فيه واستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه ، فرآه مُسْتَبْصِراً مُحَقِّقًا ، فزاده في الاستدعاء ، فقال له : لِتُغْنِكَ الأُولى عن الثانيةِ ، وقد قلتَ فسمعتُ ، فاْسْمَعْ أَقُلْ ، قال له : قُلْ ، فجعل يَبْسُطُ له من قولِ الخوارج ويُزَيِّن له من مذهبِهم بلسانٍ طَلْقٍ وألفاظٍ بَيِّنةٍ ومَعانٍ قَريبةٍ ، فقال عبدُ الملك بعدَ ذلك على معرفته : لقد كاد يُوقِعُ في خاطِري أن الجنة خُلِقَتْ لهم ، وأَنِّي[3] أَوْلَى بالجهادِ منهم ، ثم رَجَعْتُ إلى ما ثَبَّتَ اللهُ عليَّ من الحجةِ وقَرَّرَ في قلبي من الحقّ ، فقلتُ له : للهِ الآخرة والدنيا ، وقد سَلَّطني[4] اللهُ في الدنيا ، ومَكَّنَ لَنا فيها ، وأراك لَسْتَ تجيب بالقَوْلِ[5] ، واللهِ لأَقْتلَنَّكَ إن لمْ تطِعْ ، فأنا في ذلك إذْ دُخِلَ عليَّ بابْنِي مروانَ ــ قال أبو العباس : كان مروان أخا يزيدَ لِأُمِّهِ ، أُمُّهما عاتِكةُ

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدَّهْيُ : مصدرُ دَهِيَ يَدْهى دَهْياً وَدَهاء : إذا صار داهيةً . ابنُ شاذانَ : قال أبو زيد : الإِرْبُ والإِرْبَةُ : الدَّهاء والفِطنةُ ، رجلٌ أَرِيبٌ ، بَيِّنُ الإِرْبِ والإِرْبَةِ . وقد أَرُبَ يَأْرُبُ أَرَابَةً ، وَالمُؤارَبَةُ : المداهَاةُ والمخاتَلةُ ، وفي الحديثِ : مُؤارَبَةُ الأَرِيبِ جهلٌ وعَناء . لأن الأَريبَ لايُخْدَعُ عن عَقْلِهِ » .

(٢) في ج و س « فاستدعاه » .

(٣) في ج و س و د و هـ « وأنَّا »

(٤) في هذه النسخ « سلطنا » .

(٥) في س و د و هـ « بالقبول » .

بنتُ يَزِيدَ بن معاويةَ ، وكان أبيًّا عَزِيزَ النَّفْس ، فَدَخلَ به فى هذا الوقتِ على عبد الملك ـ باكيًا لضربِ المؤدِّبِ إياهُ ، فشَقَّ ذلك على عبد الملك ، فأقبلَ عليه الخارِجىُّ ، فقال له : دَعْهُ يَبْكِ[1] ؛ فإنه أرْحَبُ لِشِدْقِهِ ، وَأَصحُّ لدماغِه ، وَأَذْهَبُ لصَوْتِهِ ، وَأَحْرَى أن لاَّ تأْبَى عليه عينُه إذا حضرتْه طاعةُ ربه[2] فاستَدْعِيَ عَبْرَتَهَا ، فأعْجِبَ ذلك من قوله عبدَ الملك ، فقال له متعجبا : أَمَا يَشْغَلُكَ ما أنت فيه و بعَرَضهِ عن هذا ؟ فقال : ماينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قولِ الحقِّ شيء ، فأمر عبد الملك بحبسه ، وصَفَحَ عن قتله ، وقال بعدُ يعتذِرُ إليه : لولا أن تُفْسِدَ بألفاظِك أكثرَ رعيتى ما حبستُك ، ثم قال عبدُ الملك : مَن شَكَّكَنى وَوَهَّمَنِى حتى مالتْ بى عصْمةُ اللهِ فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِىَ مَنْ بَعْدِى . وكان عبدُ الملك من الرأىِ والعلمِ بموضعٍ .

وتَزْعُمُ الرواةُ : أنَّ رجلاً من أهل الكتاب وفَدَ على معاويةَ ، وكان موصوفًا بقراءة الكتُب ، فقال له معاويةُ : أَتَجِدُ نعتِى فى شىء من كُتبِ الله ؟! قال : إى واللهِ ، لو كنتَ فى أُمَّةٍ لوضعتُ يَدِى عليكَ من بينهم ! قال : فكيف تجدنى ؟ قال : أجِدُكَ أولَ مَنْ يُحَوِّلُ الخلافةَ مُلْكاً ، والخُشْنةَ لِيناً ، ثم إن ربَّك مِن بعدها لَغفورٌ رحيمٌ ، قال معاوية : فَسُرِّىَ عنِّى ، ثم قال : لاتقبَلْ هذا مِنِّى ، ولكن من نفسك ، فاختبرْ هذا الخبرَ[3] ! قال : ثم يكونُ

---

(١) فى س و ه « يبكى » .

(٢) فى ج و س و د و ه « طاعة الله » .

(٣) فى ج « فاجْتَنِبْ هذا الخبرَ » وفى س و د و ه « فاجْتَبِ هذا الخبرَ » =

ماذا ؟ قال : ثم يكونُ منك رجلٌ شرَّابٌ للخمرِ ، سَفَّاكٌ للدماء ، يَحْتَجِن الأموالَ[1] ، وَيَصْطَنِعُ الرجالَ ، وَيَجْنُبُ الخيولَ ، وَيُبِيحُ حُرْمَةَ الرسولِ! قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكونُ فِتنةٌ تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضِيَ الأمرُ بها إلى رجلٍ أَعْرِفُ نعتَهُ ، يَبِيعُ الآخرةَ الدائمةَ بحظٍّ من الدنيا مَخْسُوسٍ ، فَيَجْتَمِعُ عليه ، مِن آلِك وليس منكَ، لايزالُ لِعَدُوِّهِ قاهِرًا ، وعلى مَنْ ناوَأَه[2] ظاهرًا ، ويكون له قَرِينٌ مُبِينٌ[3] لَعِينٌ! قال : أفتعرفُه إن رأيتَه ؟ قال : شَدَّمَا ، فأَراه مَنْ بالشامِ مِن بنى أُمَيَّةَ ، فقال : ما أراه هٰهنا ، فَوَجَّه به إلى المدينة مع ثقاتٍ من رُسُلِهِ ، فإذا عبدُ الملك[4] يَسْعَى مُؤْتَزِرًا فى يده طائرٌ ، فقال للرُّسُلِ : هاهو ذَا ، ثم صاح به : إلَيَّ أبو مَنْ ؟ قال : أبو الوليد ، قال : ياأبا الوليد ! إنْ بَشَّرْتُكَ بِبِشارَةٍ تَسُرُّكَ ماتَجْعَلُ لِي ؟ قال : وما مقدارُها من السرورِ حتى نَعْلَمَ مقدارَها من الجُعْلِ ؟ قال : أنْ تَمْلِكَ الأرضَ ! قال : مالِي مِن مَالٍ ، ولكن أرَأَيْتَكَ[5] إنْ تَكَلَّفْتُ لك جُعْلاً أَأَنالُ ذلك قبلَ

= وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : اجْتَبَيْتُ الخراجَ اجْتِباءً ، أى : جَمَعْتُ ، ومنه قيل : اجْتَبَيْتُ الرجلَ لنفسى » .

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : احْتَجَنْتُ الشيءَ : إذا أَخَذْتَهُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : تقولُ : نَاوَأْتُ الرجلَ مُنَاوَأَةً : إذا عاديتَه » .

(٣) فى ج و س و د « مُبِيرٌ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فاذا بعبد الملك بن مروان » .

(٥) فى هذه النسخ « أرأيتَ » .

وقتِه ؟ قال : لا ، قال : فإن حَرَمْتُكَ أتُؤَخِّرُه[1] عن وقته ؟ قال : لا ، قال : فحسْبُكَ ما سمعتَ !! فذكروا أنّ معاوية كان يُكْرِمُ عبدَ الملك ليجعلَها يدًا عندَه يُجازِيه بها في مُخَلَّفِيه[2] في وقتِه[3] .

وكان عبدُ الملك من أكثر الناس علمًا ، وأبرَعِهم أدبًا[4] ، وأحسنِهم في شَبِيبَتِه ديانةً ، فقَتَلَ عَمْرَو بن سَعيدٍ ، وتَسَمَّى بالخلافةِ ، فسُلِّمَ عليه بها أوّلَ تَسليمةٍ ، والمُصْحَفُ في حِجْرِه ، فأطبقَه وقال : هـذا فِراقُ بيني وَبينِكَ !!

قال أبو العباس : وحدثني ابنُ عائشةَ عن حَمَّادِ بن سَلَمةَ في إسنادٍ ذكره : أن عبدَ الملك كان له صَدِيقٌ ، وكان من أهل الكتاب ، يقال له يوسُفُ ، فأسْلَم ، فقال له عبدُ الملك يومًا ، وهو في عُنْفُوَانِ نُسْكِهِ ، وقد مضتْ جيوشُ يزيدَ بن معاويةَ مع مسلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّيِّ ، من مُرَّةِ غَطَفانَ ،

---

(١) في س و د « أيُؤَخِّرُ ذلك » .

(٢) في ع و س و د و هـ « مُخَلَّفَتِه » .

(٣) هذه القصة كذبها ظاهر ، ولا يوجد مسلم يعتقد أن كتب الأنبياء السابقين — إن وجدت — فيها وصف تفصيلي لأفراد من هذه الأمة المحمدية ، إنما بشر الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالأمة الإسلامية . ولعل بعض أهل الكتاب كانوا يخدعون بعض العامة من المسلمين بأقاويل يفترونها . أما معاوية في إيمانه وعلمه ، وفي عقله ودهائه ، فلا يخدع بمثل هذه المفتريات السخيفة . ومثل هذا القصص وضعه الوضاعون لمقاصد سياسية ، ولا نحب أن نثير فتنة بتعيين الفرق التي وضعت مثل هذا .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : تقولُ : بَرَعَ الرجلُ براعةً : إذا تمَّ في جمالٍ أو علمٍ ، فهو بارِع ، والاسمُ البَرَاعةُ ، والمرأةُ بارعةٌ » .

يريدُ المدينة ـ : ألا ترى خَيْلَ عدُوِّ الله قاصدةً لِحرَم ِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال له يوسفُ : جيشُكَ واللهِ إلى حَرَم ِ رسول الله أعظمُ مِن جيشه ! فنفضَ عبدُ الملك ثوبَه ، ثم قال : مَعاذَ اللهِ ! قال له يوسفُ : ماقلتُ شاكًّا ولا مُرْتابًا ، وإني لأَجِدُكَ بجميعِ أوصافِك ،قال له عبدُ الملك : ثم ماذا ؟ قال : ثمَّ يتداولُها رَهْطُكَ . قال : إلى متى ؟ قال : إلى أن تخرجَ الراياتُ السُّودُ من خُراسانَ(١) .

قال : وَحُدِّثتُ عن ابن جُعْدُبَة ، قال : كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور ، فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمدِ بنِ عبد الله بن حَسن بن حَسن ، قال . فغَمَّهُ ذلك ، حتى امتنع من الغَداء فى وقته ، وطال عليه فِكْرُهُ ، فقلتُ : ياأميرَ المؤمنين ! أُحَدِّثكَ حديثًا ؟ كُنْتُ مع مروانَ بن محمدٍ ، وقد قَصَدَه عبدُ الله بن عليٍّ ، [قال(٢)] : فإنَّا لكذلك إذ نَظَرَ إلى الأعلامِ السُّودِ من بُعْدٍ ، فقال : ماهذه البُخْتُ المُجَلَّلةُ ؟ قلتُ : هذه أعلامُ القومِ ، قال : فَمَنْ تحتَها ؟ قلتُ : عبدُ الله بن على بن عبد الله بن العباسِ ، قال : وأَيُّهُمْ عبدُ الله ؟ فقلتُ(٣) : الفَتَى المعْرُوقُ الطويلُ(٤) ، الخفيفُ

(١) وهذه أيضاً من القصص المكذوبة التى افتريت لنصر بنى العباس والطعن فى بنى أمية ، وكذبها واضح لايحتاج إلى برهان .

(٢) الزيادة من ع و ﻫ .

(٣) فى ع و س و د و ﻫ « قلت » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : رجل مَعْرُوقٌ وَمُعَرَّق : قليلُ اللَّحْمِ » .

العارِضَيْنِ، الذى رأيته فى وَليمةٍ كذا يأكلُ فيُجيدُ، فسألتَنى عنه فنَسَبْتُهُ لكَ، فقلتَ: إنَّ هذا الفتَى لتِلِقَّامَةٌ⁽¹⁾، قال: قدعرفتُه، واللهِ لَوَدِدْتُ أنَّ علىَّ بن أبى طالبٍ مكانَه، قال: فقال لى المنصورُ: آللهِ لسمعتَ هذا مِن مروانَ بن محمدٍ؟ قلتُ: واللهِ لقد سمعتُهُ منه، قال: ياغلامُ! هاتِ الغَداءَ.

⁂

قال أبو العباس: وكان أهل النُّخَيْلَةِ جماعةً بعدَ أهلِ النَّهْرَوانِ[2]، ممن فارقَ عبد الله بنَ وَهْبٍ، وممن لَجَأَ إلى رايةِ أبى أيوبَ، وممن كانَ أقامَ بالكوفة، فقال: لا أُقاتلُ عليًّا ولا أقاتلُ معه، فتَواصَوْا فيما بينَهم وتعاضَدُوا، وتأسَّفُوا على خِذْلانِهِمْ أصحابَهُمْ، فقام منهم[3] قائمٌ يقالُ له المُسْتَوْرِدُ، من بنى سعدِ بن زيدِ مَناةَ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمدٍ، ثم قال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدلِ، تَخْفِقُ راياتُهُ، مُعْلِنًا مقالتَه، مُبَلِّغًا عن رَبِّهِ، ناصحًا لأُمَّتِهِ، حتى قبضَه اللهُ مُخَيَّرًا مُخْتارًا، ثم قام الصِّدِّيقُ فصَدَقَ عن نبيِّه وقاتَلَ من ارْتَدَّ عن دينِ ربِّهِ، وَذَكَرَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ

---

(١) بحاشية ا مانصه: «قال ابنُ شاذانَ: حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىِّ قال: التِّلْقَامَةُ: الشديدُ الأكل». يعنى بكسر التاء وسكون اللام، ويجوز أيضاً تشديد القاف مع كسر اللام. وضبط فى أصول الكتاب بالضبطين.

(٢) فى ع و س و د و هـ «تجمَّعَتْ بعْدَ أهل النهروان».

(٣) فى النسخ المذكورة «فقام بينهم».

بالزكاةِ ، فرأى أن تعطيلَ إحداهما طَعْنٌ[1] على الأُخرى ، لا بل على جميع منازلِ الدين ، ثم قبضه اللهُ إليه موفورًا ، ثم قام [بعدَه[2]] الفاروقُ ، فَفَرَقَ بين الحقِّ والباطلِ ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ في إعطائه ، لا مُؤْثِرًا لأقاربه ، ولا مُحَكِّمًا في دينِ رَبِّه ، وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ ، واللهُ يقولُ : ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ على الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[3] ﴾ فكلٌّ أجابَ وَبَايَعَ[4] ، فوجَّه إليهم عليُّ بن أبي طالبٍ عبدَ الله بنَ العباسِ داعيًا ، فأَبَوْا ، فسارَ إليهم ، فقال له عَفِيفُ بنُ قَيْسٍ : يا أميرَ المؤمنين ! لا تَخْرُجْ في هذه الساعةِ ؛ فإنها ساعةُ نَحْسٍ لعدوِّك عليك ! فقال له عليٌّ : توكلتُ على الله وحدَه ، وعَصَيْتُ رَأْيَ كلِّ مُتَكَهِّنٍ ، أنتَ تزعم أنك تعرفُ وقتَ الظَّفَرِ مِن وقتِ الخِذْلانِ ؟! ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ، مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5] ، ثم سار إليهم فطَحَنَهم جميعًا ، لم يُفْلِت منهم إلاَّ خَمْسَةٌ ، منهم الْمُسْتَوْرِدُ ، وابنُ جُوَيْنٍ الطائيُّ ، وفَرْوَةُ بن شَرِيكٍ الأَشْجَعِيُّ ، وَهُمُ الذين ذَكَرَهُمُ الحسنُ البصريُّ ، فقال : دعاهُمْ إلى دِينِ الله فجعلوا أصابعَهم في آذانهم وَاسْتَغْشَوْا ثيابَهم وأصرُّوا واستكبرُوا استكبارًا ، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فَطَحَنَهم طحنًا .

---

(١) في النسخ أيضاً « طعناً » . ويكون هذا شاهداً لنصب معمولى « أن » .

(٢) الزيادة من النسخ المذكورة .

(٣) سورة النساء آية ٩٥

(٤) في ج « وَتَابَعَ » .

(٥) سورة هود آية ٥٦

وفيهم يقولُ عِمْرانُ بن حِطّانَ :

إنى أدينُ بما دانَ الشُّراةُ به ... يومَ النُّخَيْلَةِ عندَ الجَوْسَقِ الخَرِبِ

وقال الحِمْيَرِىُّ يعارضُ هذا المذهبَ :

إنى أدينُ بما دانَ الوصىُّ به ... يوم النُّخَيْلَةِ مِن قَتْلِ المُحِلِّينَا

وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِ دِنْتُ به ... وشارَكَتْ كَفُّهُ كَفِّى بصِفِّينَا

تلك الدِّماءُ معًا يارَبِّ فى عُنُقِى ... ومثلَها فاسْقِنى آمِينَ آمِينَا[1]

وكان أصحابُ النُّخَيْلَةِ قالوا لابنِ عباسٍ : إذْ كَانَ[2] عَلِىٌّ عَلَى حَقٍّ لم يَشْكُكْ فيه وحَكَّمَ مُضْطَرًّا فما بالُهُ حيثُ ظَفِرَ لم يَسْبِ ؟ فقال لهم ابنُ عباس : قد سمعتم الجوابَ فى التحكيم ، فأمّا قولُكم فى السِّباء أفكُنْتُمْ سابِينَ أُمَّكُمْ عائشةَ ؟! فوضعوا أصابعَهُمْ فى آذانهم ، وقالوا : أَمْسِكْ عنّا غَرْبَ لِسانِكَ ياابنَ عباسٍ ! فإنه طَلَقٌ ذَلَقٌ[3] ، غَوّاصٌ عَلَى موضعِ الحجةِ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : إذا دَعا الرجلُ قلتَ : أَمينَ ربَّ العالمينَ ، بقصرِ الألفِ . وإن شئتَ طَوَّلتَ الألفَ فقلتَ : آمينَ . ولا تُشَدِّدِ الميمَ من أَمينَ وآمينَ ، فإنه خطأ » .

(٢) فى ج و س و د و ه « إن كان » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابن شاذانَ : قال أبو عمرَ : رجل طَلَقٌ ذَلَقٌ : إذا كان طَلِيقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللّسانِ . قال : وذَلْقُ السيفِ : حَدُّهُ ، ويقال : لِسانٌ ذَلِق طَلِق ، ولسانٌ ذَلِيقٌ طَلِيقٌ ، وذَلَقٌ طَلَقٌ ، والحروفُ الذُّلْقُ : حروفُ طَرَفِ اللسانِ ، يقال : رجلٌ طُلُقٌ ذُلُقٌ ، وطَلَقٌ ذَلَقٌ : إذا كان طَلَقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللسانِ » .

ثمَّ خرجَ المُسْتَوْرِدُ بعدَ ذلكَ بمدةٍ على المُغيرةِ بن شُعْبَةَ ، وهو والي الكوفةِ ، فوَجَّهَ إليه مَعْقِلَ بن قَيْسٍ الرِّيَاحِيَّ ، فدعاهُ المستوردُ إلى المبارزةِ ، وقال له : عَلاَمَ يُقْتَلُ الناسُ بيني وبينَك ؟ فقال له مَعْقِلٌ : النَّصَفَ[1] سألتَ ، فأَقْسَمَ عليه أصحابُهُ ، فقال : ما كنتُ لِآبَى عليه ، فخرج إليه ، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فخرَّ كلُّ واحدٍ منهما مَيتاً .

وكان المُسْتَوْرِدُ كثيرَ الصلاةِ شديدَ الاجتهادِ ، وله آدابٌ يُوصِي بها ، وهي محفوظةٌ عنه .

كان يقولُ : إذا أَفْضَيْتُ بِسِرِّي إلى صَديقٍ فأفشاه لم أَلُمْهُ ، لأني كنتُ أَوْلَى بحفظه .

وكان يقولُ : لا تُفْشِ إلى أحدٍ سِرًّا ، وإن كان مُخْلِصًا ، إلاَّ على جهةِ المشاورةِ .

وكان يقولُ : كُنْ أحْرَصَ على حِفظ سرِّ صاحبك منك على حَقْنِ دمِك .

وكان يقول : أوّلُ ما يَدُلُّ عليه عائبُ الناسِ مَعْرِفَتُهُ بالعُيوبِ ، ولا يَعيبُ إلاَّ مَعيبٌ .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « المُهلّبيُّ : النِّصْفُ والنَّصَفَةُ والإنصافُ : واحدٌ ، والنِّصْفُ شَطْرُ الشيء . وأنْصَفْتُ الرجلَ إنصافاً : أعطيتُه الحقَّ ، وتَنَاصَفَ الحقَّ القومُ : إذا تعاطَوُا الحقَّ بينهم »

وكان يقول : المالُ غيرُ باقٍ عليك ، فاشْتَرِ من الحَمْدِ مَا يَبْقَى عليك .

وكان يقول : بَذْلُ المالِ فى حَقِّهِ استدعاءٌ للمَزِيدِ من الجَوَادِ .

وكان يُكْثِرُ أن يقولَ : لو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذَافيرِها ثم دُعيت إلى أن أستَفِيدَ بها خَطِيئَةً ما فعلتُ .

⁂

قال : وخَرجَتِ الخوارجُ ، واتَّصَلَ خُرُوجُها ، وإنما نَذْكُر منهم مَن كان ذا خبرٍ طَرِيفٍ ، وَاتَّصلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعارٍ .

فأوّلُ مَنْ خَرجَ بعد قتلِ علىّ [بن أبى طالب][1] عليه السلام حَوْثَرَةُ الاسَدىُّ ، فإنه كان مُتَنَحِّيًا بِالبَنْدَنِيجَيْنِ ، فكَتب إلى حابسٍ الطائىّ يسأله أن يَتَوَلَّى أمرَ الخوارجِ حتى يَسِيرَ إليه بجَمْعِهِ ، فيَتَعَاضَدَا على مجاهـدةِ معاويةَ ، فأجابَهُ ، فرَجَعَا إلى موضعِ أصحابِ النُّخَيْلَةِ ، ومعاويةُ بالكوفة حيثُ دخلَها مع الحسن بن علىّ [بن أبى طالب[2]] صلواتُ الله عليه ، بعدَ أنْ بايَعَهُ الحسنُ والحسينُ عليهما السلام ، وَقَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَة ، ثم خَرج الحسنُ يريدُ المدينةَ ، فوَجَّهَ إليه معاويةُ وقد تجَاوَزَ فى طريقِه يسأله أن يكون المُتَوَلِّىَ لمحاربتِهم ، فقال الحسنُ : والله لقد كَفَفْتُ عنك لِحَقْنِ دماءِ المسلمينَ ، وما أحْسِبُ ذلك يَسَعُنِى ، أَ فأُقاتِلُ عنك قومًا أنتَ والله أولَى

(١) الزيادة من ع .

(٢) الزيادة من ع و س و د و هـ .

بالقتالِ منهم ؟! فلمّا رَجَعَ الجوابُ إليه وَجَّهَ إليهم جيشاً أكثرُهُمْ من أهل الكوفةِ(١) ، ثم قال لأبيه أَبِى حَوْثَرَةَ : اكْفِنى(٢) أمْرَ ابنِك ، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوعِ ، فأبَى فأدَارَه ، فَصَمَّمَ ، فقال له : يابُنَىَّ ! أجيئُك بابْنِكَ فلعلك تراه فتَحِنُّ إليه ؟ فقال : يا أبتِ ! أنَا واللهِ إلى طَعْنَةٍ نافذةٍ أَتَقَلَّبُ فيها على كُعُوبِ الرُّمحِ أشْوَقُ منِّى إلى ابنِى ! فرجَع إلى معاويةَ فَأَخْبَرَهُ [الخبرَ](٣) ، فقال : يا أبا حَوْثَرَة ! عَتَا هذا جِدًّا(٤) ، فلما نَظَرَ حَوْثَرَةُ إلى أهلِ الكوفة قال : يا أعداءَ اللهِ ! أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لِتَهُدُّوا سلطانَه ، واليومَ تقاتلون مع معاوية لِتَشُدُّوا سلطانَه !! فخرجَ إليه أبوه فدعاه إلى البِرَازِ ، فقال : يا أبتِ ! لكَ فى غيرِى مَنْدوحةٌ ، ولِى فى غيرِك عنك مَذْهَبٌ ، ثم حَمَلَ على القوم وهو يقولُ :

أُكْرُرْ على هٰذِى الجموعِ حَوْثَرَهْ فَعَنْ قليـلٍ مَّا تَنَالُ المَغْفِرَهْ

---

(١) فى ج و س و د و ه « أكثرُه أهلُ الكوفة »

(٢) فى النسخ المذكورة « تقدم فاكفنى » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال أبو يعقوبَ : أخبرنى أبو عِمْرَانَ بن رَبَاحٍ عن أبى بكر بن دُريدٍ قال : يقالُ : عَتَا الرجلُ يَعْتُو عُتُوًّا فهو عاتٍ : إذا أقدمَ على الأمرِ . قال : وأخبرنى ابن سَيْفٍ عن ابن رُسْتُمٍ الطبرىّ عن ابن السِّكِّيتِ قال : يقالُ عتَا يَعْتُو عُتُوًّا : إذا استكبرَ ، وكذلك يَعْتُو عُتِيًّا فهو عاتٍ ، قال: والملِكُ الجبَّار عاتٍ ، وَجَبَابِرَةٌ عُتَاةٌ » .

فحَمَلَ عليه رجلٌ من طَيٍّ فقتَله ، فرأى أثرَ السجودِ قد لوَّحَ جبهتَه ، فندِمَ على قتله ، ثم انهزمَ القومُ جميعاً .

وأنا أحسِبُ أنَّ قولَ القائل :

وَأَجْرَأُ مَنْ رَأَيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرجالِ ذوُو العُيوبِ

إنما أخذه من كلام المستوردِ .

قال رجلٌ للمستوردِ : أُرِيدُ أن أرَى رجلا عَيَّاباً ، قال : الْتَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايبَ فيه .

وقال العباسُ بن الأحْنَفِ يعاتبُ من اتهمه بإفشاء سِرِّهِ :

تَعَتَّبْتَ تَطْلُبُ ما أستَحِقُّ ... به الهجرَ منك ولا تَقْدِرُ

وماذا يَضُرُّكَ مِن شُهْرَتِي ... إذا كَانَ سِرُّكَ لا يُشْهَرُ(١)

أمِنِّي تخَافُ انتشارَ الحديثِ ... وحَظِّيَ في سَتْرِهِ أوْفَرُ(٢)

ولو لم تَكُنْ فِيَّ بُقْيَا عليك ... نَظَرْتُ لِنَفْسِي كما تَنْظُرُ

❊

وَيُرْوَى من حديث محمد بن كَعْبٍ القُرَظِيِّ قال : قال عَمَّارُ بن ياسِرٍ : « خَرَجْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذاتِ العُشَيْرَةِ .

---

(١) فى ج و س و د و هـ « وَمَاذَا يَضِيرُكَ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « روايةُ ابنِ شاذانَ : فى سِتْرِهِ أوْفَرُ ، بكسر السين . وفى رواية أبى الحُسينِ المُهَلَّبِيِّ : سَتْرِهِ ، بفتح السين » .

فلما قَفَلْنَا نزلنا مَنْزِلاً ، فخرجتُ أنا وعليٌّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه نَنْظُرُ إلى قومٍ يَعْتَمِلُونَ ، فَنَعَسْنَا ، فَنِمْنَا ، فَسَفَتْ علينا الريحُ التُّرابَ ، فما نَبَّهَنَا إلاّ كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعليٍّ : يا أبا تُرابٍ ! لِمَا عليه من التراب ، أتَعْلَمُ مَنْ أشْقَى الناسِ ؟ فقال : خَبِّرْنِي يارسولَ الله ؟ فقال : أشْقَى الناسِ اثنانِ : أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الذى عَقَرَ الناقَةَ ، وأشقاها الذى يَخْضِبُ هذه ، ووَضَعَ يدَه على لحيتِه ، مِنْ هذا ، ووضع يدَه على قَرْنِهِ[1] » .

ويُرْوَى عن عِياضِ بن خَليفةَ الخُزَاعِيِّ قال : تَلَقَّانِي [أميرُ المؤمنينَ][2] عليٌّ صلواتُ الله عليه في الغَلَسِ ، فقال لى : مَنْ أنْتَ ؟ قلتُ : عياضُ بن خليفة الخزاعىُّ ، فقال : ظَنَنْتُكَ أشقاها الذى يَخْضِبُ هذه مِن هذا ، ووَضَعَ يده على لحيتِهِ وعلى قَرْنِهِ .

---

(١) هذا مختصر من حديث رواه أحمد فى المسند (٤ : ٢٦٣) والنسائى فى خصائص علىّ (ص ٢٨ طبعة مصر) والحاكم فى المستدرك (٣ : ١٤٠ — ١٤١) كلهم من طريق محمد بن كعب القرظى عن محمد بن خثيم أبى يزيد عن عمار بن ياسر . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى . ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ : ١٣٦) وقال : « رواه أحمد والطبرانى والبزار باختصار . ورجال الجميع موثقون ، إلا أن التابعى لم يسمع من عمار » . يريد الهيثمى بذلك قول البخارى : « هذا إسناد لانعرف سماع يزيد من محمد بن كعب ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ، ولا ابن خثيم من عمار » . وذلك على قاعدة البخارى المعروفة . وأما مسلم وسائر علماء الحديث فانهم يكتفون فى اتصال الإسناد بالمعاصرة ، كما هو معروف فى علم المصطلح . ولذلك رد الحافظ ابن حجر فى التهذيب (٩ : ١٤٨) على البخارى فقال : « قد ذكر البخارى أن محمد بن خثيم هذا ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، نقله عنه ابن منده ، وكذا ذكر البغوى ، فما المانع من سماعه من عمار . وعند ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن ابن إسحق التصريح بسماع محمد بن كعب من ابن خثيم ، وسماع يزيد من محمد بن كعب ، فان فى سياقه عن يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب قال : حدثنى أبو [يزيد] محمد بن خثيم » . فظهر بذلك صحة الحديث ، كما صححه الحاكم والذهبى .

(٢) الزيادة من ج و هـ .

وَيُرْوَى : أنه كان يقولُ كثيرًا ـ قال أبو العباسِ : أحسِبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه ـ : ما يَمْنَعُ أشقاها أن يَخْضِبَ هذه من هذا ؟

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقِيفٍ أنه قال : خَرَجَ الناسُ يَعْلِفُونَ دوابَّهم بالمَدائِنِ ، وأرادَ عليٌّ [أميرُ المؤمنين][1] المَسيرَ إلى الشأم ، فوَجَّهَ مَعْقِلَ بن قيس الرِّيَاحِيَّ لِيُزْجِيَهم[2] إليه ، وكان ابنُ عَمٍّ لِي فى آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فأتيتُ الحسنَ بن عليٍّ عليه السلام ذاتَ عَشِيَّةٍ ، فسألتُه أن يأخُذَ لى كتابَ أميرِ المؤمنين إلى مَعْقِلِ بن قَيْسٍ فى التَّرْفِيهِ عن ابن عَمِّى ، فإنه فى آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فقال : تَغْدُو علينا والكتابُ مختومٌ إن شاء الله تعالى ، فبتُّ ليلتِى ، ثم أصبحتُ والناسُ يقولون : قُتِلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ ، فأتيتُ الحسنَ ، وإذا به فى دارِ عليٍّ عليه السلام ، فقال : لولا ما حَدَثَ لَقَضَيْنَا حاجَتَكَ ، ثم قال : حدثنى أَبِى عليه السلام البارحةَ فى هذا المسجد فقال : يا بُنَيَّ ! إنِّى صَلَّيْت مَا رَزَقَ اللهُ ، ثم نِمتُ نَوْمةً ، فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فشَكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفةِ أصحابِى وقِلَّةِ رغبتِهم فى الجهادِ ، فقال : ادْعُ اللهَ أن يُرِيحَكَ منهم ، فدعوتُ اللهَ ، قال الحسنُ : ثم خَرَج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ .

وَحُدِّثْتُ من غيرِ وَجْهٍ : أن عليًّا لمَّا ضُرِبَ ثم دَخَل منزلَه اعترتْه غَشْيَةٌ ثم أفاقَ ، فدعا الحسنَ والحسينَ ، فقال : أُوصِيكُمَا بتَقْوَى اللهِ والرغبةِ

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج و س و هـ « لِيُزْعِجَهُمْ » .

في الآخرةِ، والزُّهْدِ في الدنيا ، ولا تأسفا على شيء فاتَكُما منها ، اعْمَلا الخيرَ ، وكونا للظالم خَصْمًا ، وللمظلوم عَوْنًا ، ثم دَعَا محمدًا فقال : أما سمعتَ ما أوصيتُ به أخَوَيْكَ ؟ قال : بَلَى ، قال : فإنى أوصيك به ، وعليكَ بِبِرِّ أخَوَيكَ وتوقيرِهما ومعرفةِ فَضْلِهما ، ولا تقطَعْ أمْرًا دُونَهُمَا ، ثم أقبَلَ عليهما فقال : أُوصيكما به خيرًا ، فإنه شَقِيقُكُما وابنُ أبيكما ، وأنتما تعلَمَانِ أنَّ أباكُما كان يُحِبُّهُ ، فأَحِبَّاهُ . فلمَّا قضَى عليٌّ كرم الله وجهَه قالتْ أُمُّ العُرْيانِ :

وَكُنَّا قبْلَ مَهْلَكِهِ زمانًا ... نَرَى نَجْوَى رسولِ الله فِينا

قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا

أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيةَ بنَ حَرْبٍ ... فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامِتِينَا

وَيُرْوَى : أنَّ عبدَ الرحمن بن مُلْجَمٍ باتَ تلك الليلةَ عند الأشْعَثِ بن قَيْسِ بن مَعْدِي كَرِبَ ، وَأَنَّ حُجْرَ بنَ عَدِيٍّ سمع الأشعثَ يقولُ له : فَضَحَكَ الصُّبْحُ ، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أميرُ المؤمنين قال حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ للأشعثِ : أنت قتلتَه يا أعْوَرُ ! وَيُرْوَى : أنَّ الذى سمع ذاكَ أخُو الأشْعَثِ ، عَفِيفُ بن قيسٍ ، وأنه قال لأخيه : عَنْ أمْرِكَ كانَ هذا يا أعورُ !

⁂

وأخبارُ الخوارجِ كثيرةٌ طويلةٌ ، وليس كتابُنا [هذا(1)] مفردًا لهم ، [و(2)] لكنَّا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدبٌ ، أو شعرٌ مُسْتَطْرَفٌ ، أو كلامٌ مِن خُطبةٍ معروفةٍ مختارةٍ .

(١) الزيادة من ج . وفى هـ « وليس هذا كتاباً » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

٭

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُرّةَ الأَزْدِيُّ وَزَحّافٌ الطائِيُّ ، وكانا مجتهدَيْنِ بالبصرةِ في أيام زيادٍ ، واختلفَ الناسُ في أُمورهما ، أيُّهما كانَ الرئيسَ ، فاعترضا الناسَ ، فَلَقِيا شيخًا ناسكاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ ، فقتلاه ، وكان يقالُ له رُؤْبَةُ الضُّبَعِيُّ ، وتَنادَى الناسُ ، فخرج رجلٌ من بَنِي قُطَيْعَةَ من الأزْدِ وفى يده السيفُ ، فناداه الناسُ من ظُهور البُيُوتِ : الحَرورِيَّةَ الحَرُورِيَّةَ[(١)] ! انجُ بنفسك ، فنادَوْهُ : لسنا حَرُورِيَّةً ، نَحْنُ الشُّرَطُ ، فوقف فقتلوهُ ، وَبَلَغَ أبا بِلاَلٍ خَبَرُهُمَا ، فقال : قُرَيْبٌ لاقَرَّبَهُ اللهُ من الخير ، وَزَحّافٌ لا عَفَا اللهُ عنه ، رَكِباها عَشْوَاءَ مُظْلِمَةً ، يريد اعتراضَهما الناسَ ، ثم جَعَلاَ لا يَمُرّانِ بقبيلةٍ إلا قتلا مَنْ وَجَدَا ، حتى مَرّا ببنى عليِّ بن سُودٍ من الأزْدِ ، وكانوا رُماةً ، وكان فيهم مائةٌ يجيدُونَ الرَّمْيَ ، فَرَمَوْهُمْ رَمْياً شديداً ، فصاحوا : يا بنى عليٍّ ! البُقْيا ، لا رِمَاءَ بَيْنَنا ، فقال رجلٌ من بنى عليٍّ :

لاشَيْءَ لِلقَوْمِ سِوَى السِّهامِ مَشْحُوذَةً في غَلَسِ الظَّلاَمِ[(٢)]

فَعَرَّدَ عنهم الخوارجُ[(٣)] ، وَخَافُوا الطَّلَبَ ، فاشْتَقُّوا مقْبَرة بنى يَشْكُرَ ، حتى

---

(١) كلمة « الحرورية » ذكرت فى طبعات مصر مرة واحدة ، وهى ثابتة فى الأصول مرتين .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : شَحَذْتُ السيفَ والسهمَ ، أشْحَذُهُ شَحْذاً : إذا جَلَوْتَهُ ، فهو مَشْحُوذٌ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : تقولُ : عَرَّدَ الرجلُ =

نَفَذُوا إلى مُزَيْنَةَ ، ينتظرون مَن يَلْحَقُ بهم من مُضَرَ وغيرِها ، فجاءهُمْ ثمانون ، وخرجتْ إليهم بنو طَاحِيَةَ بن سُودٍ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرُها ، فاسْتَقْتَلَ الخوارجُ(١) فقُتلوا عن آخِرِهِمْ ، ثم غَدَا الناسُ إلى زيادٍ فقال : ألاَ يَنْهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ ؟ يا معشرَ الأَزْدِ لولا أنكم أطفأتم هذه النارَ لقلتُ إنَّكُمْ أرَّثْتُمُوها(٢) ، فكانت القبائلُ إذا أَحَسَّتْ بخارِجِيَّةٍ فيهم شَدَّتْهُمْ [وَثاقاً(٣)] وَأَتَتْ بهم زياداً . فكان هذا أَحَدَ ما يُذْكَرُ من صحة تدبيره .

وله أُخرَى فى الخوارجِ : أَخْرَجُوا معهم امرأةً ، فظَفِرَ بها فقتلَها ، ثمَّ عَرَّاهَا . فلم تَخْرُجِ النساءُ بعدُ على زيادٍ ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ : لولا التعريةُ لسارَعْنا .

وَلَمَّا قَتَلَ مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ بنتَ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ الأنصارية امرأةَ المُخْتارِ ، وليس هذا من أخبارِ الخوارِجِ ـ : أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكارِ ، وَرَأَوْهُ قد أَتَى(٤) بقتلِ النساء أمراً عظيماً ، لأنَّهُ أَتَى ما نَهَى عنه رسولُ الله

= تَعْرِيداً : إذا عدَا فزَعًا ، فهو مُعَرِّدٌ . وبها سُمِّيَتِ العَرَّادةُ ، لأنها تُعَرِّدُ بالحَجَرِ ، أى : تَرمِى به المَرْمَى البَعِيدَ » .

(١) فى ج و س و د و ﻫ « فَاسْتُقْبِلَ الخَوَارِج » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيدٍ : أَرَّثْتُ النارَ : أَوْقَدْتُهَا . ويقال : أَرَّثْتُ بَيْنَهُمْ ، أى : أفسَدتُ » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

(٤) فى ج « أنكره الخوارجُ عليه أَشَدَّ الإنكَارِ وَرَأَوْا أنه قد أَتَى » .

صلى الله عليه وسلم فى سائرِ نساء المشركين . ولِلْخَوَاصِّ منهنّ أخبارٌ ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ :

إنَّ مِنْ أعْظَمِ الكبائرِ عندِى قتلَ حَسْنَاءَ غادةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ باطلاً على غيرِ ذَنْبٍ إن لِلّهِ دَرَّها مِنْ قَتِيلِ[1]
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[2]

⁂

قال : وكانت[3] الخوارجُ أيامَ ابنِ عامرٍ أخرجوا معهم امرأتين ، يقال لإحداهما كُحَيْلَةُ ، والأخرى قَطَامِ ، فجعل أصحابُ ابنِ عامرٍ يُعَيِّرُونَهُمْ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ أبو يعقوبَ : حدثنى ابنُ شاذانَ عن أبى عمرَ [عن] ثعْلَبٍ قال : يقالُ : امرأةٌ غَادةٌ ، وهى الرَّخْصَةُ . المُهَلَّبِيُّ : جَارِيَةٌ عُطْبُولٌ تامَّةُ الخَلْقِ . وقال المُهَلَّبِيّ : قَوْلُهُمْ : لِلّهِ دَرُّكَ ، معناهُ : لِلّهِ صالحُ عَمَلِكَ ، لأنَّ الدَّرَّ أفضَلُ ما يُحْتَلَبُ . يقالُ : دَرَّ الضَّرْعُ يَدِرُّ دَرًّا وَدُرُورًا . وَالدَّرُّ اللَّبَنُ بعينِهِ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وعلى الغانيات » وبحاشية ج « ويروى : على المحصنات » وبحاشية ا مانصه : « قال أبو الحسين المُهَلَّبِيُّ : يقالُ : أحْصَنَ الرجلُ فهو مُحْصَنٌ ، وَأحْصَنَتِ المرأةُ فهى مُحْصَنَةٌ ، وَامْرَأَةٌ حَصَانٌ ، بفتح الحاء ، أى : عَفِيفَةٌ . قال : وهذا أحدُ ماجاء على أفْعَلَ فهو مُفْعَلٌ ، قالوا : أحْصَنَ فهو مُحْصَنٌ ، وَألْفَجَ فهو مُلْفَجٌ : إذا قَلَّ مالُه ، وَأسْهَبَ مِن لَدْغِ الحَيَّةِ فهو مُسْهَبٌ ، وهو ذهابُ العقلِ . قال : وليس فى كلامهم أفْعَلَ فهو مُفْعَلٌ غيرُ هذه الثلاثةِ أحْرُفٍ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « وكان » .

ويَصيحون بهم : يا أصحابَ كُحَيْلَةَ وقَطامِ ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ ، فتناديهم الخوارجُ بالدَّفْعِ والرَّدْعِ ، ويقولُ قائلهم : لاتَقْفُ ما ليس لك به علمٌ .

ويُرْوَى عن ابن عباسٍ فى هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(١) ﴾ قال : أعيادُ المشركين . وقال ابنُ مسعودٍ : الزُّورُ : الغناء(٢) فقيلَ لابن عباسٍ : أوَما هذا فى الشهادةِ بالزُّور ؟ فقال : لا ، إنما آيةُ شهادةِ الزُّورِ : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عنه مَسْؤُولا ﴾(٣) .

⁂

عاد الحديثُ إلى أمرِ الخوارجِ .

وكان(٤) من المجتهداتِ من الخوارج ، ولو قُلتَ : من المجتهدين ، وأنت

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٢

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الزُّورُ والزُّونُ : كلُّ شيءٍ يُتَّخَذُ رَبًّا وَيُعْبَدُ مِن دُونِ الله تعالى . وَزَوَّرْتُ الكلامَ تَزْوِيرًا : إِذَا قَوَّيْتَهُ . وبه سُمِّىَ الكلامُ الزُّورُ ، لأنه يُزَوَّرُ ، أى : يُسَوَّى ثم يُتَكَلَّمُ به ، وكذلك شهادةُ الزُّورِ ، لأنَّه يُقَوِّيها وَيُشَدِّدُها ، وزعموا أنه فارسىٌّ مُعَرَّبٌ ، لأن الزُّورَ بالفارسية : القُوَّةُ . وقال أبو عُبيدةَ : هو مأخوذٌ من الزَّوَرِ ، وهو القَوِىُّ الشديدُ » .
وانظر المعرب للجواليقى فى مادتى « الزور » و « الزون » طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ، وما كتبنا عليه هناك (ص ١٦٥ — ١٦٦) .

(٣) سورة الإسراء آية ٣٦

(٤) فى ج و د و ه « وكانت » .

تَعْنِي امرأةً ـ : كَانَ أفصحَ ، لأنك تريدُ رجالاً ونساءً هي إحداهم ، كما قال اللهُ عزَّ وجَلَّ : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ[1]﴾ وقال جَلَّ ثناؤه : ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الغَابِرِينَ[2]﴾ . منهم[3] البَلْجَاءُ[4] ، وهي امرأةٌ من بني حَرامِ بن يَربوعِ بن حَنْظلةَ بن مالكِ بن زيدِ مَناةَ بن تَميمٍ ، من زهط سَجَاحِ ، التي كانت تَنَبَّأَتْ ، وسنذكُرُ خبرها في موضعه إن شاء الله .

وكان مِرْدَاسُ بن حُدَيْرٍ أبو بلال ، وهو أحدُ بني رَبيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعْظِمهُ الخوارجُ ، وكان مجتهداً كثيرَ الصواب في لفظه ، فلَقِيه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّيُّ ، فقال : يا أبا بلالٍ ! إنّي سَمِعتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زيادٍ يَذكر البلجاء ، وأَحْسِبُها ستؤخذُ ، فَمَضَى إليها أبو بلالٍ ، فقال لها : إنَّ الله قد وَسَّعَ على المؤمنين في التَّقيَّةِ . فاسْتَتِرِي ؛ فإنّ هذا المُسْرِفَ

---

(١) سورة التحريم آية ١٢ وقوله « بكلمات » كتب في ج « بكلمتِ » فإما أنها على رسم المصحف ، وإما أنها على قراءة الإفراد، وهي قراءة مجاهد والجحدري ، كما في القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٥٩) . وقوله « وكتبه » في ا « وكتابه » بالإفراد ، وهي قراءة أكثر القراء ، فان قراءتها « وكتبه » بالجمع قراءة أبي عمرو وحفص ويعقوب ، وقرأ باقي الأربعة عشر بالإفراد . كما في إتحاف فضلاء البشر (ص٤١٩) .

(٢) سورة الشعراء آية ١٧١ ، وسورة الصافات آية ١٣٥

(٣) منهم يعني : من المجتهدين من الخوارج .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيدٍ : الأَبْلَجُ من الرجالِ : الذي ليس بمقرونِ الحاجِبَيْنِ ، والمرأةُ بَلْجَاءُ . وقال ابنُ الأعرابيِّ : البَلَجُ : ابْيِضَاضُ ما بين الحاجبين وَنقَاوُه . رجلٌ أَبْلَجُ وامرأةٌ بَلْجَاءُ ، والاسمُ البُلْجَةُ » .

على نفسِه الجبارَ العنيدَ[1] قد ذَكركِ ، قالت : إنْ يأخُذْنِي فهو أشْقَى[2] بِي ، فأمَّا أنا فما أُحِبُّ أن يُعْنَتَ إنْسَانٌ بسببي ، فوَجَّهَ إليها عبيدُ الله بن زيادٍ فأُتِيَ بها فقَطعَ يديها ورجليها ورَمَى بها في السُّوقِ ، فمَرَّ أبو بلالٍ والناسُ مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البَلْجَاءُ ، فعَرّجَ إليها[3] فنظرَ ، ثمَّ عَضَّ على لِحيَتِهِ ، وقال لنفسه : لَهذه أطيبُ نفسًا عن بقية الدنيا منكَ يامرداسُ .

ثمَّ إنَّ عُبيد الله تتبَّع الخوارجَ فحبسهم ، وحبس مِرْدَاساً ، فرأى صاحبُ السِّجن شِدَّةَ اجتهادِه وحلاوة منطِقه . فقال له : إنِّي أرَى لك مذهباً حسناً ، وإني لأُحِبُّ أن أُولِيَكَ معروفاً ، أفرأيتَ إنْ تركتُكَ تَنْصَرِفُ ليلاً إلى بيتِكَ ، أتَدَّلِجُ[4] إليَّ ؟ قال : نعم . فكان يفعلُ ذلك به ،

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رَجلٌ عَنِيدٌ : إذا خالف الحقَّ ، وعانَدَ الرجلُ الرجلَ معانَدَةً وعِنادًا : إذا خالفه . والعَنَدُ : مَيْلُكَ عن الشيء ، عَنَدَ عُنُودًا ، وطَرِيقٌ عانِدٌ : مائِلٌ ، ونَاقةٌ عَنودٌ ، والجمعُ عُنُدٌ وعُنَّدٌ : إذا تَنَكَّبَتِ الطريقَ من نَشاطها . فصَلُوا بين العَنِيدِ والْعَنُودِ » .

(٢) « أشقى » كتبت في الأصول « أشقا » على الرسم القديم . وفي ج و س و د « أشقا به » وفي هـ « أشقا له » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : تقول : عَرَّجْتُ على فلانٍ ، أي : عطفتُ عليه ، والمصدر التَّعْرِيجُ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : الدَّلَجُ : سَيْرُ الليل ، وله موضعانِ ، يقال : ادَّلَجَ القومُ : إذا ساروا من آخر الليل ، وأَدْلَجَ القومُ : إذا قطَعُوا الليلَ كلَّهُ سيرًا . وقال أبو يعقوبَ : وأخبرني ابنُ سَيْفٍ عن ابن رُسْتُمٍ الطبريِّ عن ابن السِّكِّيتِ =

ولَجَّ عُبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلِهِمْ ، فـكُلِّمَ فى بعض الخوارِج فَلَجَّ وأَبَى ، وقال : أَقْمَعُ النِّفاقَ قبل أن يَنْجُمَ[1] ، لَـكَلامُ هؤلاء أَسْرَعُ إلى القلوبِ من النارِ إلى اليَرَاعِ[2] ، فلما كان ذاتَ يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلاً من الشُّرَط ، فقال ابنُ زيادٍ : ما أَدْرِى ما أصنعُ بهؤلاء ، كُلَّما أمرتُ رجلاً بقتل رجلٍ منهم فَتَـكُوا بقاتِلِه ؟ ! لَأَقْتُلَنَّ مَنْ فى حَبْسِى منهم ، فأَخرجَ السجَّانُ مِرْداساً إلى منزله كما كان يفعلُ ، وَأَتَى مرداساً الخبرُ ، فلما كان السَّحَرُ تَهَيَّأَ للرجوع ، فقال له أهلُه : اتَّقِ اللهَ فى نفسك ، فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ ، فقال : إِنِّى ما كنتُ لِأَلْقَى الله غادِراً ! فرجَعَ إلى السجّانِ ، فقال : إنى قد علمتُ ما عزَمَ عليه صاحبُك ، فقال : أعلمتَ وَرَجَعْتَ ؟!

ويُرْوَى : أنّ مرداساً مَرّ بأعرابىٍّ يَهْنَأُ بعيراً[3] له ، فَهَرِجَ البعيرُ[4] ،

= قال : يقال : أَدْلَجتُ : إذا سِرْتَ الليلَ كلَّهُ ، والمصدرُ الإِدْلاَجُ وَالدَّلْجَةُ ، وَادَّلَجْتُ : إذا سِرْتَ من آخِرِ الليلِ ، وهى الدُّلْجَةُ وَالِادِّلاَجُ » .

(١) فى ج « أَقْمَعِ النِّفَاقَ » ومعنى « ينجم » يطلع ويظهر، من باب « قعد » وفى ج «ينجم» بكسر الجيم ، وهو خطأ .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : اليَرَاعُ : القَصَبُ ، الواحدةُ يَرَاعَةٌ » .

(٣) أى : يطليه بالهناء — بكسر الهاء وبالمدّ — وهو القطران . يقال «هَنَأَ البعيرَ يَهْنَؤُه وَيَهْنِئُهُ وَيَهْنُؤُهُ» بفتح النون وبكسرها وبضمها . قال الزجاج : « لم نَجِدْ فيما لامه همزةٌ فَعَلْتُ أَفْعُلُ إلاَّ هَنَأْتُ أَهْنُؤُ ، وَقَرَأْتُ أَقْرُؤُ » . كذا فى اللسان .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : هَرِجَ الرجلُ يَهْرَجُ هَرَجًا : إذا أَخَذَهُ البُهْرُ من حَرٍّ أو مَشْىٍ » .

فسقط مرداسٌ مغشيًّا عليه ، فظنّ الأعرابىُّ أنه قد صُرِعَ ، فقرأَ فى أُذُنِه ، فلمّا أفاق قال له الأعرابىُّ : قرأتُ فى أُذُنِكَ ، فقال له مِرْداسٌ : ليس بِي ما خِفْتَهُ علىّ ، ولكنّى رأيتُ بعيرَكَ هَرِجَ من القَطِرَانِ ، فذكرتُ به قَطِرَانَ جهنمَ ، فأصابنى ما رأيتَ ، فقال : لا جَرَمَ واللهِ لا فارَقْتُكَ أبداً .

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفِّينَ مع علىٍّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، وأنكر التَّحكيمَ ، وشهد النَّهْرَ ، ونَجَا فيمن نجا، فلمّا خرج من حبس ابنِ زيادٍ ورأى جِدَّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّرَاة عَزَمَ على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه واللهِ ما يَسَعُنا المُقَامُ بين هؤلاء الظالمينَ ، تجرى علينا أحكامُهم، مُجانِبين للعدل ، مفارِقين للفَصْلِ[١] ، واللهِ إنّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ ، وإنّ تجريدَ السيفِ وإخافةَ السبيل لَعظيمٌ ، ولكنّا نَنْتَبِذُ عنهم[٢] ، ولا نُجَرِّدُ سيفاً ، ولا نقاتلُ إلاّ مَنْ قاتَلَنا، فاجتمع إليه أصحابه زُهاءَ ثلاثينَ رجلاً، منهم حُرَيْثُ بن حَجْلٍ ، وكَهْمَس بن طَلْقٍ الصَّرِيمِىُّ ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثاً ، فأبى فوَلَّوْا أمرَهم مِرْداساً ، فلمّا مضى بأصحابه لَقِيه عبدُ الله بن رَبَاحٍ[٣] الأنصارىُّ ، وكان له

(١) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : الفَصْلُ : القضاءُ بين الحقّ والباطلِ ، واسمُ ذلك القضاء الذى يَفْصِلُ بينهما فَيْصَلُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : فى أرضِ بنى فلانٍ نَبْذٌ من بنى فلانٍ أى : فِرَقٌ يسيرةٌ » .

(٣) « رباح » بفتح الراء وتخفيف الباء الموحدة . وفى س و د و هـ « رياح » بكسر الراء وبالياء التحتية المثناة ، وهو خطأ . وعبد الله بن رباح هذا مدنى تابعىّ ثقة ، سكن البصرة ، ومات فى حدود سنة ٩٠ وله ترجمة فى التهذيب .

صديقًا ، فقال له : [يأخِي⁽¹⁾] أين تريد ؟ قال : أريد أن أهرُبَ بديني وأدياذِ أصحابي من أحكامِ هؤلاء الجَوَرَةِ⁽²⁾ ، فقال له : أعَلِمَ بكم أحدٌ ؟ قال : لا ، قال : فارجعْ ، قال : أوَ تخافُ عليَّ مكروهًا ؟ قال : نعم ، وأن يُؤْتَى بك ، قال : فلا تخَفْ ، فإني لا أُجَرِّدُ سيفًا ، ولا أُخِيفُ أحدًا ، ولا أقاتلُ إلاّ مَن قاتلني ، ثم مَضَى حتى نزلَ آسَكَ ، وهو ما بين رامهُرْمُزَ وَأَرَّجَانَ ، فمرَّ به مالٌ يُحْمَلُ لابن زيادٍ ، وقد قاربَ أصحابُهُ الأربعينَ ، فَحَطَّ ذلك المالَ فأخذ منه عطَاءَهُ وأعطياتِ⁽³⁾ أصحابه ، وردَّ الباقِيَ على الرُّسُلِ ، وقالَ : قولوا لصاحبكم: إنما قبضْنا أعطياتِنا ، فقال بعضُ أصحابه : فعلامَ ندعُ الباقِيَ ؟ فقال : إنهم يَقسِمُونَ هذا الفيء كما يُقِيمون الصلاةَ فلا نقاتلهم .

☆

ولأبي بلالٍ أشعارٌ في الخروج اخترتُ منها قولَه :

أَبَعْدَ ابنِ وَهْبٍ ذي النزاهةِ والتُّقَى   وَمَن خاضَ في تلك الحروب المهالِكا

---

(1) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(2) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الجوْرُ : ضدُّ القَصْدِ . جارَ عن الطريق : إذا مالَ ، وجارَ الحاكمُ : مال عن الحق . ويقولون : طريقٌ جَوْرٌ : كما يقولون جائرٌ . وَرَجُلٌ جَوْرٌ ، أي : جائرٌ . وكذلك : رَجُلٌ زَوْرٌ ، في معنى زائرٍ ، وَنَوْمٌ ، في معنى نائمٍ ، ودومٌ ، في معنى دائمٍ » .

(3) في ج س و د و هـ « وأعطية » .

أُحِبُّ بَقاءً أو أُرَجِّي سَلامةً ... وقد قتلُوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالِكا

فيا رَبِّ سَلِّمْ نِيَّتِي وَبَصِيرتى ... وَهَبْ لى التُّقى حتى أُلاَقِي أولئِكا

قوله : « وقد قتَلُوا » ولم يذكر أحدًا ، فإنما فعل ذلك لعلْمِ الناسِ أنه يَعْنِي مُخالفيه ، وإنما يحتاجُ الضميرُ إلى ذِكْرٍ قبلَه لِيُعْرَفَ ، فلو قال رجلٌ : ضربتُه ، لم يَجُزْ ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكره الهاءَ ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قومٌ[1] : هذا هو ، لم يَحْتَجْ إلى تقْدِمَةِ الذكرِ ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ ، وعلى هذا قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاحِ قصيدته :

هل ما عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكتومُ ... أم حَبْلُهَا إذْ نَأتْكَ اليومَ مَصرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةً له .

وقوله : « حَتَّى أُلاَقِى » ولم يُحَرِّكِ الياءَ فقد مضى شرحُه مستقصًى[2] .

⁂

ويُروى : أن رجلا من أصحاب ابن زيادٍ قال : خرجنا فى جيشٍ نُرِيدُ خُرَاسانَ ، فمررنا بِآسَكَ ، فإذا نحن بهم ستةٌ وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أنتم ؟ وكنتُ أنا وأخِي قد دخلنا زَرْبًا ، فوقف أخِي ببابه فقال : السلام عليكم ، فقال مِرْدَاسٌ : وعليكم السلام ، فقال لأخى : أجئتم لقتالنا ؟ فقال له : لا ، إنما نريد خُراسانَ ، قال : فَأَبْلِغُوا مَن لَقِيَكُمْ

(١) فى ج و س و د و ﻫ « فقال قائل » .

(٢) فى الجزء الثانى (ص ٢٢٨) .

أنَّا لم نَخْرُجْ لِنُفْسِدَ فى الأرض ، ولا لِنُرَوِّعَ أحدًا[1] ، ولـكنْ هَرَبًا من منَ الظُّلم ، ولسنا نقاتلُ إلاَّ مَن يقاتلُنا ، ولا نأخُذُ من الفَيْءِ إلاَّ أعْطِيَاتِنا ، ثم قال : أنُدِبَ إلينا أحدٌ ؟ قلنا : نعم ، أسْلَمُ بن زُرْعَةَ الـكِلاَبِيُّ ، قال : فمتى تُرَوْنَهُ يَصِلُ إلينا ؟ قلنا : يومَ كذا وكذا ، فقال أبو بلالٍ : حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ .

وَجَهَّزَ عُبَيْدُ الله أسْلَمَ بنَ زُرْعَةَ فى أسرع وقتٍ ، ووجَّهه إليهم فى ألفين ، وقد تتامَّ أصحابُ مِرْدَاسٍ أربعين رجلاً ، فلما صار إليهم أسْلَمُ صاح به أبو بلالٍ : اتَّقِ اللهَ يا أسلم ؛ فإنَّا لانريدُ قتالاً ، ولا نَحْتَجِنُ فَيْئاً ، فما الذى تريدُ ؟ قال : أُريد أن أرُدَّكُمْ إلى ابن زيادٍ ، قال مرداسٌ : إذًا يَقْتُلَنا ، قال : وَإنْ قَتَلَـكُمْ ! قال : تَشْرَكُهُ فى دمائنا ؟ قال : إنِّى أدِينُ [اللهَ[2]] بأنه مُحِقٌّ وأنكم مبطلون ، فصاح به حُرَيْثُ بن حَجْلٍ : أهو مُحِقٌّ وهو يُطيعُ الفَجَرَةَ ، وهو أحدُهم ، ويَقتُلُ بِالظِّنَّةِ ، وَيخُصُّ بالفيءِ ، وَيَجُورُ فى الحكم ؟! أما علمتَ أنه قَتَلَ بابنِ سُعَادَ أربعةً بِرَآءٍ ، وَأنا أحَدُ قَتَلَتِهِ ، ولقد وَضَعْتُ فى بَطْنِهِ دراهمَ كانت معه ؟! ثم حملوا عليه حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ ، فانهزم هو وأصحابُه من غيرِ قتالٍ ! وكان مَعْبَدٌ ـ أحدُ الخوارجِ ـ

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : رُعْتُ الرجُل أرُوعُهُ رَوْعًا ، وَرَوَّعْتُهُ ترويعاً : إذا فزَّعْتَهُ » .

(٢) الزيادة من د و س و هـ .

قد كاد يأخُذُهُ . فلما وَرَدَ على ابن زيادٍ غضب عليه غضباً شديداً ، وقال : وَيلَكَ ! أتمضِي في ألفين فتنهزمُ لحملةِ أربعين ؟! وكان أسْلَمُ يقولُ : لأَنْ يَذُمَّنِي ابنُ زيادٍ حيًّا أحبُّ إليّ من أن يَمْدَحَنِي مَيِّتاً !! وكان إذا خرج إلى السوق أو مَرَّ بصبيانٍ صاحوا به : أبو بلالٍ وراءكَ !! وربّما صاحوا به : يا مَعْبَدُ خُذْهُ !! حتى شكا ذلك إلى ابن زيادٍ ، فأمر ابنُ زيادٍ الشُّرَطَ أن يَكُفُّوا الناسَ عنه ، ففي ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ ، من بني تَيْمِ اللاتِ بن ثَعْلَبَة[1] ، في كلمةٍ له :

فلمَّا أصبحوا صلَّوْا وقاموا ... إلى الجُرْدِ العِتَاقِ مُسَوِّمِينا[2]
فلما استَجْمَعُوا حَمَلُوا عليهم ... فظَلَّ ذَوُو الجَعائِلِ يُقتَلُونَا
بَقِيَّةَ يومهم حتى أتاهم ... سوادُ اللَّيْلِ فيه يُرَاوِغُونا
يقولُ بَصِيرُهم لَمَّا أتاهُمْ ... بأَنَّ القَوْمَ وَلَّوْا هارِبينَا
أأَلْفَا مؤمنٍ فيما زَعَمْتُمْ ... وَيَهْزِمُهُمْ بِآسَكَ أربعونا
كَذَبْتم ليس ذاكَ كما زَعَمْتم ... ولكنّ الخوارِجَ مُؤْمِنونا

(١) هــذا الشاعر سماه ياقوت في معجم البلدان في مادة « آسك » « عيسى بن فاتك الخطى » وقال المرزباني في معجم الشعراء (ص ٢٥٨) « عيسى بن عاتك الخطى ، عاتك أمه ، وهو عيسى بن حدير ، أحد بني وديعة بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، أحد شعراء الخورج » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : سَامَ الرجلُ ماشِيَتَهُ يَسُومُهَا سَوْمًا وَسَوَّمَهَا : إذا رَعاهَا ، فالماشيةُ سائِمَةٌ ، والرجُلُ مُسِيمٌ ، ولم يقولوا ، سائِمٌ : خَرَج هذا عن القياسِ » .

هُمُ الفِئَة القليلةُ غـــيرَ شَكٍّ على الفِئَةِ الـكثيرةِ يُنْصَرُونَا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زيادٍ الناسَ ، فاختارَ عَبَّادَ بن أَخْضَرَ ، وليس بابنِ أخْضَرَ ، هو عَبَّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المـازنىُّ ، وكان أَخْضَرُ زوجَ أُمِّهِ ، فغَلَبَ عليه ، فوجَّهه فى أربعة آلافٍ ، فَنَهَدَ لهم ، ويزعم أهلُ العلمِ أَنَّ القومَ قد كانوا تَنَحَّوْا عن دَرَا بجَرْدَ(١) من أرضِ فارسَ ، فصار إليهم عَبَّادٌ ، وكان التِقَاؤهُمْ فى يوم جمعةٍ ، فناداه أبو بلالٍ : اخرجْ إلىَّ يا عَبَّادُ ، فإنِّى أُريد أن أُحاوِرَكَ ! فَخَرَجَ إليه ، فقال : ما الذى تَبْغِي ؟ قال : أن آخُذَ بأقفائِـكم فأرُدَّكُمْ إلى الأميرِ عُبيدِ الله بن زيادٍ ! قال : أو غيرَ ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أن ترْجعَ ، فإنَّا لا نُخيفُ سَبِيلاً ، ولا نَذْعَرُ مسلمًا ، ولا نحاربُ إلاَّ مَنْ حَارَبَنَا ، ولا نَجْبِي إلاَّ مَا حَمَيْنَا ، فقال له عَبَّادٌ : الأمرُ ما قلتُ لك ، فقال له حُرَيْثُ بن حَجَلٍ : أتحاوِلُ أن تَرُدَّ فِئَةً من المسلمين إلى جَبَّارٍ عَنِيدٍ ؟ قال لهم : أنتم أَوْلَى بالضَّلالِ منه ، وما مِن ذاك بُدٌّ .

وَقَدِمَ القَعْقَاعُ بنُ عَطِيَّةَ الباهلىُّ من خُراسانَ يريدُ الحَجَّ ، فلما رأى الجَمْعَيْنِ قال : ماهذا ؟ قالوا : الشُّرَاة ، فَحَمَلَ عليهم ، وَنَشِبَتِ الحربُ ، فأُخِذَ القعقاعُ أسيرًا ، فَأُتِيَ به أبو بلالٍ ، فقال : ما أنتَ ؟ قال : لستُ من أعدائِكَ ، وإنما قدمتُ للحجِّ فجَهِلْتُ وَغُرِرْتُ ! فَأَطْلَقَهُ ، فَرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأصلح من شأنه ، ثم حَمَلَ عليهم ثانيةً ، وهو يقولُ :

---

(١) فى ع و هـ « درا بجَرْد » . وفى س و د « دراب جَرْد » . وانظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا (ص ١٥٣ ــ ١٥٤ طبعة دار الـكتب) .

أُقَاتِلهُمْ وليس علىَّ بَعْثٌ ... نَشَاطاً ليس هذا بالنَّشَاطِ

أَكُرُّ عَلَى الحَرُورِيِّينَ مُهْرِى ... لأَحْمِلَهُمْ على وَضَحِ الصِّرَاطِ

فَحَمَلَ عليه حُرَيْثُ بنُ حَجْلٍ السَّدُوسِيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ، فأسَرَاهُ فَقَتَلَاهُ، ولم يأتيا به أبا بلالٍ، فلم يزل القومُ يَجْتَلِدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاةِ، صلاةِ يوم الجمعةِ، فناداهُمْ أبو بلالٍ: ياقومُ! هذا وقتُ الصلاةِ، فوادِعُونا حتى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قالوا: لك ذاك، فرمىَ القومُ أجمعون أسلحتَهم وعَمَدُوا إلى الصلاةِ، فأسرع عبَّادٌ ومَن معه والحرورية مُبْطِئونَ، فهم من بين راكعٍ وقائمٍ وساجدٍ فى الصلاةِ وقاعدٍ، حتى مال عليهم عبَّادٌ ومن معه فقتلوهُمْ جميعًا، وَأَتِىَ برأسِ أبى بلالٍ[1].

وَتَرْوِى الشُّرَاةُ: أن مِرْداساً أبا بلالٍ لَمَّا عقَدَ على أصحابه وعزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللّهم إن كان ما نحن فيه حقًّا فأرنا آية، [قال[2]]: فَرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فرَوَى أهلُ العلم: أن رجلاً من الخوارجِ ذَكَر ذلك لأبى العالية الرِّيَاحىِّ يُعَجِّبُهُ من الآية، وَيُرَغِّبه فى مذهب القوم، فقال أبو العالية: كادَ الخَسفُ يَنزِلُ بهم ثم أدركَتهم نَظْرَةُ[3] الله.

---

(١) وكانت هذه الوقعة غدراً فاجراً.

(٢) الزيادة من ج و س و هـ.

(٣) بحاشية ١٠ ما نصه: «قال الخليل: النَّظْرَةُ: عَيْنُ الجنِّ تُصِيبُ الإنسانَ، =

فلما فَرَغ من أولئك الجماعةِ أَقبَلَ بهم فَصُلِبَتْ رُؤُوسُهُمْ ، وفيهم دَاوُودُ بن شَبَثٍ ، وكان ناسكاً ، وفيهم حبيبةُ النَّصْرِىُّ من قَيْسٍ وكان مجتهداً .

فَيُرْوَى عن عِمرانَ بن حِطَّانَ : أنه قال : قال لى حَبيبةُ : لمـا عزمتُ على الخروج فـكَّرْتُ فى بناتِى ، فقلتُ ذاتَ ليلةٍ : لَأُمْسِكَنَّ عن تَفَقُّدِهِنَّ[1] حتى أَنْظُرَ ، فلما كان فى جوفِ الليل استسقتْ بُنَيَّةٌ لى ، فقالت : يا أَبَةِ اسقِنِى ، فلم أُجِبها ، فأعادتْ ، فقامتْ أُخَيَّةٌ لهـا أَسَنُّ منها فَسَقَتْها ، فعلمتُ أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ غيرُ مُضَيِّعِهِنَّ ، فَأَتْمَمتُ عزمى .

وكان فى القوم كَهْمَسٌ ، وكان من أَبَرِّ الناسِ بأُمِّهِ ، فقال لهـا : يا أُمَّةِ[2] ! لولا مكانُكِ لخرجتُ ، فقالت : يا بُنَيَّ ! قد وهبتُكَ لله ، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فَاتِكٍ الحَبَطِيُّ[3] :

أَلَا فِى اللهِ لا فى النَّاسِ شالتْ	بِدَاوُودٍ وَإِخْوَتِهِ الجُذُوعُ
مَضَوْا قَتْلاً وتَمْـزِيقاً وصَلْباً	تَحُومُ عليهمُ طَـيرٌ وُقُوعُ
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ	فَيُسْفِرُ عنهمُ وهُمُ رُكُوعُ
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا	وأهلُ الأمنِ فى الدنيا هُجُوعُ

= يقال : نُظِرَ فلانٌ ، ويقال : بفلانٍ نَظْرَةٌ ، أى : سوءُ هيئةٍ » .

أقول : ضبطت « نظرة » فى الأصول بسكون الظاء وبكسرها ، والمعنى الذى نقل بحاشية ا عن الخليل لايصلح فى هذا الموضع ، إنمـا النظرة هنا بكسر الظاء وهى التأخير فى الأمر والإمهال . ويجوز تسكين الظاء تخفيفا .

(١) فى ج و س و د و ﻫ « عن نفعهنّ » .

(٢) فى ج « يَأُمَّهْ » .

(٣) هـذا موافق لمـا فى بعض نسخ معجم الشعراء للمرزبانى . وفى ج و د و ﻫ : « الخَطِّىُّ » وهو موافق لما نقلنا عنه فى ترجمة عيسى بن فاتك ، فيما مضى (س ٩٩٥)

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ[1] :

يا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْداسٍ ومَصْرَعِهِ ... يا رَبَّ مِرداسٍ اجْعَلْنِي كَمِرداسِ
تركتَنِي هائماً أبكي لِمَرْزِئَتي ... في منزلٍ مُوحِشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ مَنْ قد كنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعدكَ يا مِرْداسُ بالناسِ[2]
إمّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها ... على القُرونِ فذاقوا جُرْعةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يَذُقها شاربٌ عَجِلاً ... منها بأنفاسِ وِرْدٍ بَعْدَ أنفاسِ

⁂

[قال أبو العباسِ[3]] : ثم إنَّ عبّاد بن أخضرَ المازِنيَّ لَبِثَ دهراً في المصرِ ، محموداً موصوفاً بما كان منه ، فلم يَزَلْ على ذلك حتى ائتمَرَ به جماعةٌ من الخوارج أن يفتِكوا به ، فذَمَرَ بعضُهم بعضاً على ذلك[4] ، فجلسوا له في يومِ جمعةٍ ، وقد أقبل على بغلةٍ له ، وابنُه رَدِيفُه ، فقام إليه رجلٌ منهم ، فقال : أسألُك عن مسئلةٍ ؟ قال : قل ، قال : أرأيتَ رجلاً قتلَ رجلاً بغيرِ حقٍّ ، وللقاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحيةٌ من السلطان ، ألِوَلِيِّ ذلك المقتولِ أن يَفْتِكَ به إنْ قَدَرَ عليه ؟ قال : بل يَرْفَعُه إلى السلطانِ ، قال : إن السلطانَ لا يُعْدِي عليه لمكانه منه وعظيم جاهِه عنده ، قال : أخافُ عليه إنْ فَتَكَ به

(١) مضت الأبيات في (ص ٨٩٦) .
(٢) في ج و د « ما قد كنت » .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) « ذمره » أي : لامه وحضه .

فَتَكَ به السلطانُ ، قال : دَعْ ما تخافُه من ناحية السلطان ، أَتَلْحَقُهُ تبعة فيما بينه وبينَ الله ؟ قال : لا ، قال : فَحَكَّمَ هو وأصحابُه ، وخَبَطوه بأسيافهم ، ورَمى عبّادٌ ابنَهُ فَنَجا ، وتنادَى الناسُ : قُتِلَ عبادٌ ، فاجتمعَ الناسُ فأخذُوا أفواهَ الطُرُقِ ، وكان مَقتَلُ عبّادٍ في سكّةِ بني مازنٍ عند مسجد بني كُلَيْبٍ ، فجاء مَعْبَدُ بن أخْضَرَ أخو عبّادٍ ، وهو معبدُ بن عَلْقَمة ، وأخضرُ زوجُ أُمِّهما ، في جماعةٍ من بني مازنٍ ، فصاحُوا بالناسِ : دَعُونا وثأرَنا ، فأَحْجَمَ الناسُ[(١)] وتقدَّمَ المازنيُّون ، فحاربوا الخوارجَ حتى قتلوهم جميعاً ، لم يُفْلِتْ منهم أحدٌ إلاَّ عَبِيدةُ بن هِلالٍ ، فإنه خَرَقَ خُصًّا ونَفَذَ منه ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

لقد أدْرَكَ الأَوْتارَ غيرَ ذَميمةٍ ... إذا ذُمَّ طلاَّبُ التِّراتِ الأَخاضِرُ
هُمُ جَرَّدُوا الأَسْيافَ يومَ ابنِ أخْضَرٍ ... فنالوا التى ما فَوْقَها نالَ ثائرُ
أَقادُوا به أُسْدًا لها فى اقْتِحامِها ... إذا بَرَزَتْ نحو الحروبِ بَصائرُ

ثم ذَكر بنى كُلَيْبٍ ؛ لأنه قُتِلَ بحضرةِ مسجدِهم ولم ينصروه ، فقال فى كلمته هذه :

كفعلِ كُلَيْبٍ إذْ أخلَّتْ بجارِها ... ونَصْرُ اللئيم مُعْتِمٌ وهو حاضرُ[(٢)]

---

(١) فى ج و د « فأجحم » بتقديم الجيم على الحاء . وفى حاشية ا ما نصه : « قال أبو زيدٍ : أحجَمْتُ عن الأمرِ وأجْحَمْتُ ، أى : تأخَّرتُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : أعْتَمَ الرجلُ فى الشيء : إذا أبطأَ فيه ، وكلُّ مَن أبطأَ عن شيء فقد أعْتَمَ وعَتَمَ ، وجِئْتَنا مُعْتِماً وعاتِماً ، والعَتَمَةُ رُجُوعُ الإبلِ من المَرْعَى بعد ما تُمْسِى ، وبه سُمِّيَتْ صلاةُ العَتَمَةِ » .

وما لِكُلَيْبٍ حين تُذْكَرُ أوَّلٌ ... ومالِكُلَيْب حين تُذْكَرُ آخِرُ

وقال معبدُ بن أخْضَرَ :

سَأَحْمِى دِماءَ الأَخْضَرِيِّينَ إنه ... أبَى النَّاسُ إلاَّ أنْ يقولوا ابنُ أخْضَرا

وكان مقتلُ عبَّادٍ وعبيدُ الله بنِ زيادٍ بالكوفة ، وخليفتُهُ على البصرة عُبيدُ الله بن أبي بَكْرَةَ ، فكتب إليه يأمره أن لاَّ يَدَعَ أحداً يُعْرَفُ بهذا الرأى إلاَّ حَبَسه وجَدَّ فى طلبه ، ممن تَغَيَّبَ منهم ، فجعل عُبيد الله بن أبى بَكْرَةَ يَتَتَبَّعُهُمْ فيأخذهم ، فإذا شُفِعَ إليه فى أحدٍ منهم كَفَلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زيادٍ ، حتى أُتِىَ بعُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةَ فأطلقه ، وقال : أنا كَفيلُكَ ، فلما قَدِمَ عبيدُ اللهِ بن زيادٍ أخذ مَنْ فى السجن[(١)] منهم فقتلَهم جميعاً ، وطلب الكُفلاءَ بمَن كَفَلُوا به منهم ، فكلُّ مَنْ جاءه بصاحِبه أطلقَه وقَتَل الخارجيَّ ، ومن لم يأت بمَن كَفَلَ به منهم قَتَلَهُ ، ثم قال لعُبَيْدِ الله بن أبى بَكْرَةَ : هاتِ عُرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ ، قال : لا أَقْدِرُ عليه ، قال : إذًا واللهِ أقْتُلُكَ فإنك كفيلُه ! فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ حتى دُلَّ عليه فى سَرَبِ العَلاء بن سُوَيَّة[(٢)] المِنْقَرِىِّ ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زيادٍ ، فقرأ عليه الكاتبُ : إنا أصَبْناهُ فى شَرَبٍ ، فتَهانَفَ به عُبيدُ الله بن زيادٍ[(٣)] ، وكان

(١) فى ج و س و د و هـ « فى الحبس » .

(٢) « سوية » بضم السين وفتح الواو . وفى ج و د و هـ « سَوِيَّة » بفتح السين وكسر الواو ، وهو الذى ضبطه به المرصفى فى شرحه .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : المهانَفُ : مُهانَفَةُ الجوارى بالضَّحِكِ ، وهو فَوْقَ التَّبَسُّمِ ، وكذلك التَّهانُفُ ، قال ، وهذا نعتٌ فى ضَحِكِ النساء ، =

كثيرَ المحاورةِ ، عاشقاً للكلام الجيِّدِ ، مستحسناً للصوابِ[1] منه ، لا يزال يبحثُ عن عُذْرِهِ ، فإذا سمع الكلمةَ الجَيِّدَةَ عرَّجَ عليها .

ويُرْوَى : أنه قال فى عقِبِ مقتل الحسين بن علىٍّ عليه السلامُ لزينبَ بنتِ علىٍّ رحمهما الله ، وكانت أَسَنَّ مَنْ حُمِــلَ إليه منهنَّ ، وقد كلَّمَتْه فأفصحتْ وأبلغتْ ، وأخذتْ من الحجة حاجتَها ، فقال لها : إنْ تكونِى بلغتِ من الحجة حاجتَكِ فقد كان أبوكِ خطيباً شاعراً ، فقالت : ما للنساء والشعرَ[2] ؟! وكان مع هذا أَلْـكَنَ يَرْتَضِخُ لغةً فارسيةً[3] ، وقال لرجلٍ مرَّةً ، واتَّهمَه برأىِ الخوارج : أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ ؟!

رجع الحديثُ :

فقال للكاتب : صَحَّفْتَ واللهِ ولَوُمْتَ ، إنما هو « فى سَرَبِ العَلاَءِ بن سُوَيَّة[4] » وَلَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشرب النبيذَ ، فلمَّا أُقِيمَ عُرْوَةُ بن

= لا يوصف به الرجالُ قال: والتَّراضُخُ: تَرَامِى القومِ بالنُّشَّاب، بينهم ، وتقول: رَاضَخَ فلانٌ شيئاً إذا أعطَى وهو كَارِهٌ ، وقد راضَخْنا منه شيئاً ، أى : أصَبْنَاه. ابنُ شاذانَ : تقولُ : سمعتُ رَضْخًا من خَبَرٍ : وهو اليَسِيرُ منه ، وكذلك هو من العطيَّةِ القليلُ منها ، قال : ويقالُ : هو رَضْخٌ ، أى : قليلٌ من الخَبَرِ والعطيةِ » . وتفسير « الرضخ » مقدم عن موضعه ، وسيأتى بعد أسطر قوله « يرتضخ لغة فارسية » .

(١) فى ج و س و د و هـ « لصوابه » .

(٢) فى ج و س « والشعر » .

(٣) فى س و د « يَرْتَضِخُ لُكْنَةً فارسيةً » .

(٤) فى ج و د و هـ « سَوِيَّةَ » .

أُدَيَّة بين يديه حاوَرَه ، وقد اختلفَ الناسُ فى خبره[١] ، وأصحُّه عندنا : أنه قال له : [لقد[٢]] جَهَّزْتَ أخاكَ علىَّ ، فقال : والله لقد كنتُ به ضَنِيناً ، وكان لى عِزّاً ، ولقد أردتُ له ما أُرِيدُهُ[٣] لنفسى ، فعَزَم عَزْماً فَمَضَى عليه ، وما أُحِبُّ لنفسى إلَّا المُقامَ وتركَ الخروج ، قال له : أفأنتَ على رأيه ؟ قال : كلُّنا[٤] نعبدُ رَبًّا واحداً ! قال : أَمَا لأُمَثِّلَنَّ بك[٥] ! قال : اخترْ لنفسكِ من القصاصِ ما شئتَ ؟ فأمر به فقَطعوا يديه ورجليه ، ثم قال [له[٦]] : كيف تَرَى ؟ قال : أفسدتَ علىَّ دنيايَ وأفسدتُ عليكَ آخِرتَك ، ثم أمر به فقُتِل ثم صُلِبَ على باب داره ، ثم دَعَا مولاه فسأله عنه ، فأجابه جواباً [قد[٦]] مضى ذِكْرُه[٧] .

---

(١) فى ج و س و د و هـ « وقد اختُلِفَ فى خبره » .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) فى ج و س و د و هـ «أريد».

(٤) فى ج و س و د و هـ « كنّا » .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : المُثْـلَةُ والمَثُـلَةُ لغتانِ : أن يُمثِّلَ بذِى رُوحٍ فيُعْبَثَ به فى عذابه ، ويقال أنَّ حَلْقَ رأس المرأةِ مَثُلَةٌ . وكلُّ شيءٍ أنزلت به ما يُشَوِّهُهُ مُثْلَةٌ . قال الأصمعيُّ : يقال :مَثَلَ به يَمْثُلُ مُثُولاً ، من المَثُلَةِ : إذا شَانَهُ ، والجميعُ المَثُلَاتُ . ويقال أيضاً مَثَّلْتُ بالرجلِ : إذا نَكَّلْتَ به ، وكذلك القتيلُ إذا جَدَعْتَهُ . والمَثُلَاتُ واحـــدُها مَثُلَةٌ ومُثْلَةٌ ، وهو التَّنْـكِيلُ » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) فى (ص ٩٠٩ ـ ٩١٠) .

قوله « فتهانفَ » حقيقتُه : تضاحَكَ به ضَحِكَ هُزْء ، وقال ابنُ أبى رَبيعةَ المخزومىُّ :

ولقـــد قالتْ لجاراتٍ لهـا ... وتعرَّتْ ذاتَ يوم تبـترِدْ :[1]

أَكَمَا ينعتُـــنى تُبْصِرْنَنى ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يقتَصِدْ ؟

فتهانفْنَ وقـــد قُلْنَ لهـا : ... حَسَنٌ فى كلِّ عينٍ مَنْ تَوَدّْ

حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ مِنْ أجلها ... وقَديمًا كان فى الناسِ الحَسَدْ

☼

وكان عُبيدُ اللهِ لا يُلَبِّثُ الخوارجَ ، يَحْبِسهم تارةً ويَقتُلهم تارةً ، وأكثرُ ذلك يَقتُلُهم ، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم . وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زيادٍ لمَّا وُلِّى[2] بعدَه ، فخرجوا عليه .

فأما زيادٌ فكان يقتل المُعْلِنَ ويَستَصْلِحُ المُسِرَّ ، ولا يُجَرِّدُ السيفَ حتى تزولَ التُّهَمَةُ ، ووَجَّهَ يوما بجُيَنةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعرجِىَّ إلى رجلٍ من بنى سعدٍ يَرَى رأىَ الخوارجِ ، فجاءه بُجَيْنَةُ فأخذَه ، فقال : إنى أُريد أن أُحْدِثَ وضوءًا للصلاة ، فدَعْنى أدخلْ إلى منزلى[3] ، قال : ومَنْ لى بخروجك ؟ قال : اللهُ عزوجل ، فتركه ، فدخل فأحدثَ وُضوءًا ، ثم خرج ، فأَتَى به بُجَيْنَةُ زِياداً ، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ ، ثم صلَّى على نبيه ، ثم ذكرَ أبا بكر

---

(١) فى بعض النسخ « يوم حرٍّ تبترد » .

(٢) فى ج و د « وَلِىَ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « فقال : دَعْنِى أدْخُلْ منزلى » .

وعمرَ وعثمانَ بخيرٍ ، ثم قال : قعدتُ عنّي فأنكرتُ ذلك ، فذكرَ الرجلُ ربَّه فحَمِدَهُ ووَحَّدَهُ [وأثْنَى عليه][1] ، ثم ذَكَرَ النبيَّ عليه السلام ، ثم ذَكَرَ أبا بكرٍ وعمرَ بخيرٍ ، ولم يذكر عثمانَ ، ثم أقبلَ على زيادٍ فقال : إنك قد قلتَ قولاً فَصَدِّقْهُ بفعلك[2] ، وكان من قولِك : ومَنْ قَعَدَ عنّا لم نَهِجْهُ ، فقعدتُ ، فأمر له بصلةٍ وكُسْوةٍ وحُمْلانٍ ، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقّاه الناسُ يسألونه ، فقال : ما كلُّكم أستطيعُ أن أُخبرَه ، ولكنّي دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضرًّا ولا نفعاً لنفسه ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، فرَزَقَ اللهُ منه ما تَرَوْنَ .

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول : ما أحسبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلاّ الرُّجْلةَ[3] ، فيقولون : أَجَلْ ، فيحملُهم ، ويقول : اغشَوْنى الآنَ واسْمُرُوا عندى ، فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز ، فقال : قاتَلَ اللهُ زِياداً ، جمعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ ، وحاطَهم كما تحُوطُ[4] الأُمُّ البَرَّةُ ، وأصلَح العِراقَ بأهل العراقِ ، وترَكَ أهلَ الشأمِ في شأمِهم[5] ، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ .

---

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فَصَدِّقْهُ فِعْلُكَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « المُهلبيُّ : يقالُ : شَكَا فلانٌ الرُّجْلَةَ ، أى المَشْىَ . وقالوا : راجلٌ بَيِّنُ الرُّجْلَةِ » .

(٤) فى ا « كما تحوطهم » .

(٥) فى د و هـ « بشامهم » .

قال أبو العباس. وبلغَ زياداً عن رجل يُكْنَى أبا الخير، من أهل البأس والنَّجْدةِ، أنه يَرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاه جُنْدَىْ سابورَ وما يَليها، ورَزَقه أربعةَ آلافِ درهمٍ فى كل شهرٍ، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنةٍ مائة ألفٍ، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيأً خيراً من لُزوم الطاعةِ والتقلُّبِ بين أظهُرِ الجماعة!! فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادٌ شيأً، فتَنَمَّرَ لزيادٍ فحبسه[1]، فلم يخرج من حبسه حتى مات.

⁂

وقال الرُّهَيْنُ، وكان رجلا من مُرَادٍ، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب وكان فى الدَّهاء والمعرفةِ والشعرِ والفقه — : بقولِ الخوارج، بمنزلةِ عِمْرَانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بن حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّةِ ورئيسَهم ومفتيَهُمْ.

وللرُّهَيْنِ المُرادىِّ ولعمرانَ بن حطانَ مسائلُ كثيرةٌ من أبوابِ العلم فى القرآن و [فى[2]] الآثارِ، وفى السِّيَرِ والسُّنَنِ، وفى الغَرِيب و [فى[2]] الشعرِ، نذكر طَريفَها إن شاء الله. قال المرادىُّ:

يا نفسِ قد طال فى الدنيا مُرَاوَغَتى ... لا تأمَنِنَّ لِصَرْفِ الدَّهْرِ تَنْغيصا[3]

---

(١) بحاشية ا مانصه: «ابنُ شاذانَ: قال أبو عمرَ: يقال: تَنَمَّرَ الرجلُ تَنَمُّراً: إذا تَهَدَّدَكَ».

(٢) الزيادة من ج و س و هـ.

(٣) فى ج و هـ «تنقيصا».

إنّى لَبائعُ ما يَفْنَى لباقيـةٍ ... إن لم يَعُقْنِى رجاءُ العيشِ تَرْبيصَا

وأسألُ اللهَ بَيْعَ النفسِ مُحْتَسِباً ... حتى أُلاقِىَ فى الفِرْدَوْسِ حُرْقوصَا

[قال الأَخْفَشُ : حرقوصٌ : ذُو الثُّدَيَّةِ][1] .

وابنَ المَنِيحِ ومِرْداساً وإخْوَتَهُ ... إذْ فارقوا زَهْرَةَ الدنيا مَخاميصَا[2]

قال أبو العباس . وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم .

وكان زيادٌ وَلّى شَيْبانَ بن عبدالله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْـبُرَةِ بنى شيبانَ باب عثمانَ[3] وما يليه ، فَجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافهم ، وكانوا [قد[4]] كَثُرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً وهو متكئٌ بباب داره رجلانِ من الخوارج ، فضرباه بأسيافهما فقتلاه ، وخَرج بَنُونَ له للإغاثةِ فقُتِلُوا ، ثم قَتَلَهما الناسُ[5] فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجلٍ من الخوارج ، فقال : اقتلوه مُتَّـكِئاً كما قُتِلَ شيبانُ متكئاً ، فصاح الخارجىُّ : يا عَدْلاهُ ! ! يَهْزَأُ به !

فأمّا قولُ جريرٍ :

ومِنّا فَـتَى الفِتْيانِ والبأسِ مَعْقِلٌ ... ومنّا الذى لاَقَى بدِجْـلَةَ مَعْقِلاَ

---

(١) الزيادة من حاشية ا و س و هـ .

(٢) « مخاميص » جمع « مخماص » وهم الضامرو البطون . يريد أنهم لم يملؤا بطونهم من الدنيا زهادة فيها . قاله المرصفى .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ : بابُ عُثمانَ : موضعٌ فيه البَزّازُونَ فى شاطئِ المِرْبَدِ » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

(٥) فى ج « ثم قتلوهما الناس » وهى لغة جائزة معروفة ، ولكنها قليلة .

ـ : فانه أراد مَعْقِلَ بنَ قيسٍ الرِّيَاحِيَّ ، ورِياحُ ابنُ يربوعٍ(١) ، وجريرٌ من [بَنِي](٢) كُلَيْبِ بن يربوعٍ .

وقوله « ومِنَّا الذى لاَقَى بِدِجْلَةَ مَعْقِلاَ » يريدُ المستَوْرِدَ التَّيْمِيَّ ، وهو من [بنى](٣) تَيْمِ بن عبد مناةَ بن أُدٍّ ، وتَيمٌ ابنُ مُرِّ بن أُدٍّ .

وأمَّا قولُ ابنِ الرُّقَيَّاتِ :

والذى نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ماتُو حِي الشياطينُ والسيوفُ ظِماءُ

فأباحَ العراقَ يَضْرِبُهم بالسَّيفِ صَلْتاً وفى الضِّرابِ غِلاءُ(٤)

ـ : فانما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختارَ بنَ أبى عُبيدٍ الثَّقفِيَّ ، والذى نَغَّصَهُ مُصْعَب بن الزبير ، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ ، كان خارجيًّا ، ثم صار زُبَيْرِيًّا ، ثم صار رافضيًّا فى ظاهرِه ! !

وقوله « ما تُوحِي الشَّياطينُ » فان المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضربًا من السِّجَاعة(٥) لأمورٍ تكونُ ، ثم يحتالُ فيوقعُها ، فيقولُ للناسِ : هذا من عند

(١) فى ا و ع و س و هـ « ورِياحُ بنُ يربوعٍ » .

(٢) الزيادة من ع و د و هـ .

(٣) الزيادة من ع .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ عن سَلَمَةَ عن الفرَّاء قال : يقال : ضَرَبَهُ بالسيفِ صَلْتاً وصُلْتاً ، ورجلٌ صَلْتٌ ، أى ماضٍ ، وسيفٌ إِصْلِيتٌ ، أى صارمٌ » .

وأما قوله « غلاء » فانه بكسر الغين المعجمة ، من قولهم « غلا فى الأمر غلوًّا » أى جاوز حده . فمنه « غالى به وغالاه مغالاة وغلاء » . وضبطه المرصفى بفتح الغين ، وهو مخالف للأصول ، وهو غير جيد أيضاً ، لأن « الغلاء » بالفتح ضد الرخص .

(٥) « السجاعة » بكسر السين المهملة : صناعة السجع .

الله عزّ وجلّ .

فمن ذلك قولُه ذات يوم : لتَنزِلَنّ من السماء نارٌ دَهْماء ، فلتُحرِقَنّ دارَ أسماء ، فذُكِرَ ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال : أقد سَجَعَ بى أبو إسحقَ ؟ هو والله مُحرِقٌ دارِى ! فتركه والدارَ وهربَ من الكوفة .

وقال فى بعض سَجعِه : أمَا والذى شَرَعَ الأديانَ ، وجَنَّبَ الأوثانَ ، وكَرَّهَ العِصْيانَ ، لأقتلنّ أزْدَ عُمانَ ، وجُلَّ قيسِ عَيْلانَ ، وتَمِيماً أولياءَ الشيطانِ ، حاشا النَّجيبَ ظَبْيانَ ! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول : لم أزَلْ فى عُمْرِ المختارِ أتقلّبُ آمِناً .

☼

ويُروى : أن المختارَ بن أبى عُبيدٍ حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة اتَّهمه ابنُ الزبير ، فولّى رجلاً من قريش الكوفةَ ، فلما أطَلّ قال لجماعةٍ من أهلها : أخرُجُوا إلى هذا المغرورِ فرُدُّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : أين تُريد ؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختارُ ، فرجع ، وكَتب المختارُ إلى ابن الزبير : إن صاحبَك جاءنا فلما قارَبَنا رجع ، فما أدْرِى ما الذى رَدَّهُ ! فغضب ابنُ الزبير على القُرشىّ وعَجَّزَه وردَّه إلى الكوفة ، فلما شارفها قال المختارُ : أخرجوا إلى هذا المغرور فرُدُّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : إنه والله قاتِلُك ، فرجع ، وكَتب المختارُ إلى ابن الزبير بمثل(١) كتابه الأولِ ، فلامَ القرشىَّ ، فلما كان فى الثالثةِ فَطِنَ ابنُ الزبير ، وعَلِمَ بذلك المختارُ ، وكان ابنُ الزبير قد

(١) فى س و د و هـ « مثل » .

حَبَسَ محمدَ بن الحنفية مع خمسةَ عشرَ رجلاً من بنى هاشمٍ ، فقال : لَتُبايِعُنّ أو لأُحْرِقنّكم ، فأبَوْا بيْعَتَه ، وكانَ السجنُ الذى حبسهم فيه يُدْعَى سِجْنَ عارِمٍ ، ففى ذلك يقول كُثَيِّرٌ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجن عارمِ
ومَن يَلْقَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... منَ الناس يَعْلَمْ أنه غيرُ ظالمِ
سَمِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عمه ... وفكّاكُ أغلالٍ وقاضِى مَغارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائِذَ ، لأنه عاذ بالبيت ، ففى ذلك يقولُ ابنُ الرُّقيّاتِ يذكر مُصْعَباً :

بَلَدٌ تأمَنُ الحمامَةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعَى المُحِلّ ، لإحلاله القتالَ فى الحَرَمِ ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَةَ بنتِ الزبير :

ألاَ مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... بذِكْرِ المُحِلّةِ أُخْتِ المُحِلّْ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغضَ لابن الحنفية إلى بُغْضِ أهله ، وكان يَحْسُدُه على أَيْدِهِ[1] ، ويقال : أن عليًّا استطال دِرْعًا فقال : لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةً ، فقَبَض محمدُ بن الحنيفة بإحدى يديه على ذيلها ، وبالأخرى على فَضْلِها ، ثم جَذَبها فقطعها من الموضع الذى حَدّه أبوه ، فكان ابنُ الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أفْكَلٌ[2] ، فلما رأى

(١) « الأيد » القوة .
(٢) « الأفكل » اسم للرعدة التى تعلو الانسان .

المختارُ أنَّ ابنَ الزبير قد فَطِنَ لما أرادكَتب إليه : من المختار بن أبي عُبيدٍ الثَّقَفيّ خليفةِ الوصيّ محمد بن عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء(١) ، ثم ملأ الكتابَ بِسبِّه وسبِّ أبيه ، وكان قَبْلَ ذلك فى وقتِ إظهاره طاعةَ ابنِ الزبير يَدُسُّ إلى الشيعة ، ويُعْلِمُهم(٢) مُوالاتَه إياهم ، ويُخْبِرُهم(٣) أنه على رأيهم وحَمْدِ مذاهبِهم ، وأنه سيُظهِر ذلك عمَّا قليلٍ ، ثم وَجَّهَ جماعةً تسيرُ الليلَ وتَكْمُنُ النهارَ ، حتى كَسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بنى هاشمٍ ، ثم ساروا بهم إلى مَأْمَنِهِم .

وكان من عجائب المختار أنه كَتب إلى ابرٰهيمَ بن مالكٍ الأشْترِ يسألُه الخروجَ إلى الطَّلبِ بدم الحسين بن على رضى الله عنهما ، فأَبَى عليه إبرٰهيمُ إلاَّ أن يستأذنَ محمدَ بن عليّ بن أبى طالبٍ ، فكتب إليه يستأذنُه [فى ذلك(٤)] ، فعَلِم محمدٌ أنَّ المختارَ لا عَقْدَ له ، فكَتب محمدٌ إلى إبرٰهيمَ بن الأَشْترِ : إنه ما يَسُوءُنى أن يأخذَ اللهُ بحقِّنا على يَدَىْ مَنْ يَشاءُ(٥) من خلقه ، فخرج معه إبرٰهيمُ بن الأشترِ . فتَوَجَّه(٦) نحوَ عُبيد الله بن زيادٍ ، وخرج يُشَيِّعُهُ ماشياً ، فقال له إبرٰهيمُ : اركَبْ يا أبا إسحقَ ! فقال : إنى أُحِبُّ أن تَغْبَرَّ قَدَمایَ فى نُصرة آلِ محمد صلى الله عليه وسلم ، فشيَّعه فرسخين ، ودَفَعَ

(١) نسبه لأمه « أسماء بنت أبى بكر الصديق » سفهاً منه وعدوانا ، وإنما ينسب الرجل لأبيه .

(٢) فى ع « ويُعَلِّمُهُمْ » .

(٣) فى ع و س و د و هـ « ويخبر » .

(٤) الزيادة من ع و س و د و هـ .

(٥) فى ع و س و د و هـ « من شاء » .

(٦) فى النسخ المذكورة « فوَجَّهَهُ » .

إلى قومٍ من خاصَّته حَماماً بيضاً ضِخاماً ، وقال : إن رأيتم الأَمرَ لنا فدَعُوها ، وإن رأيتم الأَمرَ علينا فأرْسِلُوها ، وقال للناس : إن استقمتم فَبِنَصْرِ الله ،(١) وإن حِصْتُمْ حَيْصَةً(٢) فإنّى أجدُ فى محكَمِ الكتابِ ، وفى اليقينِ والصوابِ ، أنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكم بملائكةٍ غِضابٍ ، تأتِى فى صوَرِ الحَمامِ(٣) دُوَيْنَ السحابِ ! فلما صار ابنُ الأَشترِ بخَازِرَ(٤) وبها عُبَيْدُ الله بن زيادٍ قال : مَنْ صاحبُ الجيشِ ؟ قيل له : ابنُ الأَشترِ ، قال : أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ(٥) الحَمامَ بالكوفة ؟ قالوا : بلى ، قال : ليس بشىء ، وعلى مَيْمنةِ ابن زيادٍ حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ من كِنْدةَ(٦) ، ويقال السَّكُونىُّ والسُّكُونىُّ ، والسَّدُوسىُّ والسُّدُوسىُّ ، كذا كان أبو عبيدة يقول ، [قال أبو الحسن : السَّكُونِىُّ أكثرُ(٧)] وعلى ميسرته عُمَيْرُ بن الحُباب فارسُ الاسلامِ ، فقال حُصَيْنُ

(١) فى ع و د و هـ « فَيَنْصُرُ اللهُ » .

(٢) « حصتم حيصة » بالحاء والصاد المهملتين . وفى حاشية ا مانصه « المُهَلَّبِىُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ عن الشىء ، حَاصَ يَحِيصُ : إذا حادَ . ويقال : مالَكَ من هذا الأمرِ مَحِيصٌ ، أى مَحِيدٌ » .

وفى د « جِضْتُمْ جَيْضَةً » بالجيم والضاد المعجمة ، وهو صحيح أيضاً . يقال : جاضَ عنه يَجِيضُ ، أى حَادَ وعَدَلَ .

(٣) فى ع و د و هـ « الحمائم » .

(٤) « خازر » بالخاء المعجمة وكسر الزاى وآخره راء ، وهو نهر بين إربل والموصل . وفى و هـ « بجازر » بالجيم مع كسر الزاى . وفى د بالخاء مع فتح الزاى .

(٥) فى ع « يُطَيِّرُ » .

(٦) كذا فى طبعة أوربة نقلا عن الأصول المخطوطة « حضين » بالضاد المعجمة . والمعروف أن كل « حصين » فهو بالصاد المهملة إلا « حضين بن المنذر » فبالمعجمة .

(٧) الزيادة من س .

بنُ نُمَيْرٍ لابن زيادٍ : إنَّ عميرَ بن الحبابِ غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْجِ[1] ، وإنى لا أثِقُ لك به ، فقال ابنُ زيادٍ : أنتَ لى عدوٌّ ، قال حُصَيْنٌ : ستعلمُ ، قال ابنُ الحُبابِ : فلما كان فى الليلة التى نُريد أن نُواقِـعَ ابنَ الأَشْتَرِ فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقاً ، ومعى رجلٌ من قومى ، فصرتُ إلى عسكره ، فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ ومُلاءةٌ ، وهو مُتَّشِـحٌ السيفَ[2] يَجُوسُ عسكرَه فيأمرُ فيه ويَنْهَى ، فالْتَزَمْتُه من ورائه ، فواللهِ ما الْتَفَتَ إلىّ ، ولكن قال : مَنْ هذا ؟ فقلتُ : عُمير بن الحُبَابِ ، فقال : مرحباً بأبى المُغَلِّسِ ، كُنْ بهذا الموضعِ حتى أعودَ إليك ، فقلت لصاحبى : أرأيتَ أشجعَ من هذا قط ؟! يحتضنه رجلٌ من عسكرِ عدوِّه ، ولا يدرى من هو ؟ فلا يلتفتُ إليه !! ثم عاد إلىّ وهو فى أربعة آلافٍ ، فقال : ما الخبرُ ؟ فقلت : القومُ كثيرٌ ، والرأىُ أن تُناجِزَهم ، فانه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولةِ هذا الجمع الكثيرِ ، فقال : نُصْبِحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَاتِ السيوف[3] وأطرافِ القَنَا ، فقلت : أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُثِ الناسِ غداً ، فلما الْتَقَوْا كانت على أصحاب إبراهيمَ فى أول النهار ، فأرسلَ أصحابُ المختارِ الطيرَ ، فتصايحَ الناسُ : الملائكةُ !! فتراجعوا ، ونكَّسَ عميرُ بن الحُبَاب رايتَهُ ، ونادَى : يا لَثَأْرَاتِ المَرْجِ ! وانخزَل بالمَيْسَرةِ كلِّها ، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ ، واقتتل الناسُ حتى اختلَط الظلامُ ، وأسرع القتلُ فى أصحاب

(١) فى ج و د « قتلَ المرج » .

(٢) فى ج و س و هـ « وهو مُتَوَشِّحٌ السيفَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ قال : ظُبَةُ =

عُبيد الله بن زيادٍ ، ثم انكشفوا ، ووُضِعَ السيفُ فيهم حتى أُفنُوا ، فقال ابنُ الأَشْتَرِ : لقد ضربتُ رجلاً على شاطئ هذا النهرِ فرجَع إلىّ سيفي ومنه(١) رائحةُ المسك ! ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأَةً ، فصرعتُه فذهبتْ يداه قِبَلَ المشرقِ ورجلاه قِبَلَ المغربِ ، فانظُرُوه ، فأَتَوْه بالنِّيران ، فاذا هو عُبيد الله بن زيادٍ .

وقد كان عند المختار كرسيٌّ قديمُ العهد ، فغَشَّاهُ بالدِّيباج ، وقال : هذا الكرسيُّ من ذخائرِ أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فضعوه فى بَرَاكاءِ الحربِ ، وقاتِلوا عليه ، فانَّ مَحَلَّه فيكم مَحَلُّ السَّكِينة فى بني إسرائيلَ !! ويقال أنه اشترى ذلك الكرسيَّ بدرهمين من نجّارٍ(٢) .

وقوله « فى بَرَاكاءِ القتال » يقال بَرَاكاءِ وبَرُوكاءِ ، وهو موضِعُ اصْطِدَامِ القومِ(٣) ، قال الشاعرُ :

وليس بُمنقذٍ لك منه إلّا   بَرَاكاءِ القتالِ أوِ الفِرَارُ(٤)

= السَّيفِ : حَدُّهُ ، ويقال طَرَفُه ، والجمع الظُّبَاتُ والظُّبُونَ فى الرفع ، والظُّبِينَ فى النصب والجرّ . ويقال لطَرَفِ سِنانِ الرُّمح ولطَرَفِ نَصْلِ السَّهْمِ : ظُبَتُهُ » .

(١) فى ع « وفيه » . وفى د « وفيه منه » .

(٢) فى ع و س و د و هـ « من نجار بدرهمين » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : اصْطِدَامٌ : افْتِعَالٌ ، من الصَّدْمِ ، من قولهم : صَدَمْتُ الشيءَ بالشيءِ أَصْدِمُهُ صَدْماً ، وكلُّ شيءٍ ضربتَه بشيءٍ فقد صَدَمْتَه به بعدَ أن يكونَ صُلْباً » .

(٤) بحاشية ا ما نصه: « قال ابنُ شاذانَ : روايةُ أبي عمرَ :

ولا أنْتَحِي من الغَمَرَاتِ إلاّ   بَرَاكاءِ القتالِ ... ...   =

هذا باب اللام

التي للاستغاثة والتي للإضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجماعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ ، تقول : يالَلرِّجالِ ، ويالَلقومِ ، ويالَزيدٍ ، إذا كنتَ تدعوهم .

وإنما فتحتَها لتفصِل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ له ، ووجب أن تفتحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضةِ إنما كان الفتحَ ، فكُسِرتْ مع المُظْهَرِ ليُفصَلَ بينها وبين لامِ التوكيدِ ، تقول : إنّ هذا لَزَيْدٌ ، إذا أردتَ إنّ هذا زَيدٌ ، وتقول : إنّ هذا لِزيدٍ ، إذا أردتَ أنه في مِلْكِه ، ولو فتحْتَ لالتبَستا(١) .

فان وقعتِ اللامُ على مضمَرٍ فتحتَها على أصلِها ، فقلتَ : إنّ هذا لَكَ ، وإن هذا لأَنْتَ ، إذا أردتَ لامَ التوكيدِ ، لأنه ليس هٰهنا لَبْسٌ ، وذاك أنّ الأسماءَ المضمرةَ على غيرِ لفظِ المُظْهَرَةِ ، فلهذا أجْرَيْتَها على الأصلِ ، والاستغاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجلِ اللَّبْسِ

والمدعوُّ له في بابه ، فاللامُ معه مكسورةٌ ، تقولُ : يالَلرِّجَالِ لِلْماءِ ، ويالَلرِّجَالِ لِلْعَجَبِ ، ويالَزيدٍ لِلْخَطْبِ الجليلِ ، قال الشاعرُ :

= قال : وبَرَاكاءِ هو الثَّبَاتُ في الحربِ » .

وقوله في رواية أبي عمر : « ولا انتجى » كذا في الأصل المنقول منه ، وهو خطأ ، صوابه ما ذكره المرصفي في شرحه « ولا يُنْجِي » . ونسب المرصفي البيت لبشر بن أبي خازم .

(١) في ع و د و هـ « لَالْتَبَسَا » .

يالَلرجالِ لِيَوْمِ الْأَربعاءِ أَمَا   يَنفَكُّ يَبْعَثُ لى بعدَ النُّهَى طرَبَا

وقالَ آخرُ :

تَـكَنَّفَنى الوُشاةُ فَأَزْعَجونى   فيَا لَلناسِ لِلْواشِى الْمُطاعِ

وفى الحديث لمَّا طَعَنَ العِلْجُ أو العبدُ[١] عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح : يالَلّٰهِ يالَلْمسلمينَ .

وتقولُ : يالِلْعَجَبِ ، إذا كنتَ تدعو إليه ، و « يا[٢] » لِغَيْرِ العَجَبِ ، كأنكَ قلتَ : يالَلْناسِ لِلْعَجَبِ ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يالَعْنَةُ اللهِ والأَقوامِ كلِّهِمِ   والصالحينَ على سِمْعانَ من جَارِ[٣]

فـ« يا » لِغيرِ اللعنةِ ، كأنه قال : يا قومِ لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم .

وزَعَمَ سيبويهِ أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثةِ دليلٌ ، بِمَنزلةِ الأَلِفِ التى تُبَيِّنُ بالهاءِ فى الوقفِ إذا أردتَ أن تُسْمِعَ بعيداً ، فإنما هى للاستغاثةِ بمنزلةِ هذه اللامِ ، وذلكَ قولُكَ : يا قَوْماهْ ، على غيرِ النُّدْبَةِ ، ولكن للاستغاثةِ وَمَدِّ الصوتِ .

والقولُ كما قال ، محلُّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ ، فإن وصلتَ حذفتَ الهاءَ ، لأنها زِيدَتْ فى الوقفِ لخفاءِ الألِفِ ، كما تُزادُ لبيانِ الحركةِ ، فإذا وصلتَ أَغْنَى مابعدَها عنها ، تقولُ : يا قَوْمَا تعالَوْا ، ويا زيدَا لاتفعلْ . ولا

---

(١) هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .
(٢) فى ج و هـ « فيا » .
(٣) « سمعان » بكسر السين . وفى د و هـ بفتحها ، وكلاهما صحيح .

يجوزُ أن تقولَ يالَزَيْدٍ وهو مُقْبِلٌ عليكَ ،وكذلك لايجوزُ أن تقول: يازَيْداهْ وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيدِ ، أو يُنَبَّهُ به النائمُ .

فإن قلتَ : يا لَزَيدٍ ولِعمرٍو ، كسرتَ اللامَ فى « عمرٍو » وهو مَدْعُوٌّ ، لأنك إنما فتحتَ اللامَ فى « زيدٍ » لتفصل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ إليه ، فلما عطفتَ على « زيدٍ » استغنيتَ عن الفصل ، لأنك إذا عطفتَ عليهِ شيئاً صار فى مِثْلِ حالِه .

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ : رأيتُ زيداً ، فتقولُ ، مَنْ زيداً ؟ [ويقولُ : مررتُ بزيدٍ ، فتقولُ : مَنْ زيدٍ ؟][1] وإنما حكيتَ قولَه ليَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذى ذَكَرَ بعينِهِ ، ولاتسألُه عن زيدٍ غيره ، والموضعُ موضعُ رفعٍ ، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ ، فإن قلتَ : ومَنْ زيدٌ ؟ أو فَمَنْ زيدٌ ؟ لم يكن إلّا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامِهِ ، فاستغنيتَ عن الحكاية ، لأن العطفَ لايكونُ مستأنفاً .

ونَظِيرُ هذا الذى ذكرتُ لكَ فى اللّامِ قولُ الشاعرِ :

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدّارِ مُغْتَرِبٌ ... يَالَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

فقد أحكمتُ لك كلَّ ما فى هذا البابِ .

ثم نعودُ إلى ذكر الخوارج

قال [أبو العباسِ][2] : وذُكِرَ لِعُبَيْدِ الله بن زِيادٍ رجلٌ من بنى سَدُوسٍ ،

---

(١) الزيادة من س و د و هـ .

(٢) الزيادة من س .

يقال له خالدُ بن عَبَّادٍ[١] ، أو ابن عُبادةَ ، وكان من نُسَّاكهم ، فَوَجَّهَ إليه فأَخذَه ، فأتاه رجلٌ من آل ثَوْرٍ ، فكَذَّبَ عنه ، وقال : هو صِهْرِى وهو فى ضِمْنِي ، نَخَلَّى عنه ، فلم يَزَل الرجلُ يَتفَقَّدُهُ حتى تَغَيَّبَ ، فأَتَى ابنَ زيادٍ فأَخبره ، فبَعَثَ إلى خالد بن عَبَّادٍ فأُخِذَ ، فقال عُبيد الله بن زيادٍ : أين كنتَ فى غَيْبَتِك هذه ؟ قال : كنتُ عند قومٍ يَذْكرونَ اللهَ ويذكرون أئمةَ الجَوْرِ فيَتَبَرَّؤُونَ منهم ! قال : دُلَّنى عليهم[٢] ، قال : إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى ، ولم أَكُنْ لِأُرَوِّعَهُمْ ! قال : فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ ؟ قال : خيراً ، قال : فما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ ، أتتَوَلَّاه وأميرِ المؤمنين مُعاويةَ ؟ قال : إن كانا وَلِيَّيْنِ لله فلستُ أُعاديهما ، فَأَراغَهُ مراتٍ فلم يرجع ، فعزَم على قتله ، فأمر بإخراجه إلى رَحَبةٍ[٣] تُعرفُ بِرَحْبَةِ الزَّيْنَبِيِّ[٤] ، فجعلَ الشُّرَطُ يَتَفادَوْنَ مِنْ قتله ، ويَرُوغُونَ عنه توقِّياً ، لأنه كان شاسِفاً[٥] عليه أَثَرُ العِبادَةِ ، حتى أَتَى المُثَلَّمُ بنُ مَسْرُوحٍ الباهليُّ ، وكان من الشُّرَطِ ، فتقدَّم فقتَلَهُ ، فائتَمَرَ به

---

(١) فى ج و د و هـ « عُبَادٍ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « ادْلُلْنِي عليهم » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُريدٍ : الرَّحْبَةُ بتسكين الحاء وفتحها : الفَجْوَةُ الواسعةُ بين دُورٍ وغيرها » .

(٤) فى ج و د و هـ « الزَّبِيبِيّ » .

(٥) الشاسف : اليابس من الهزال .

الخوارجُ ليقتُلوه(١) ، وكان [رجلاً](٢) مُغْرَمًا باللِّقاحِ(٣) ، يَتَتَبَّعُها(٤) فيشتريها من مَظَانِّها ، وهم فى تَفَقُّدِهِ ، فَدَسُّوا إليه رجلاً فى هيئةِ الفِتْيانِ ، عليه رَدْعُ زعفرانٍ(٥) ، فلقِيَه بالمِرْبَدِ وهو يسأل عن لِقْحةٍ(٦) صَفِيٍّ ، فقال له الفتى : إنْ كنتَ تَبْلُغُ(٧) فمندى مايُغْنيكَ عن غيره ، فامْضِ معى ، فمضَى المُثَلَّمُ على فرسِه والفتى أمامَهُ ، حتى أَتى به بنى سَعْدٍ ، فدخل دارًا ، وقال له : ادخلْ على فرسِك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلقَ البابَ ، وثارتْ به الخوارجُ فاعْتَوَرَهُ حُرَيْثُ بن جَحْلٍ ، وكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ فقتلاه ، وجعلا دراهمَ كانت معه فى بطنِه ، ودفناه فى ناحية الدارِ ، وحَكَّا آثارَ الدَّمِ ، وخَلَّيا فرسَه فى الليل ، فأُصِيبَ من الغَدِ فى المِرْبَدِ ، وتَحَسَّسَ(٨) عنه الباهِلِيُّون فلم يَرَوْا له أثرًا ، فاتهموا به بنى سَدوسٍ ، فاسْتَعْدَوْا عليهم السلطانَ ، وجعلَ السَّدُوسِيُّونَ يحلفون ، فتحامَلَ(٩) ابنُ زيادٍ مع الباهليينَ ، فأخذ من السدوسيين أربعَ دِياتٍ ،

(١) فى ج و س و د و هـ « أن يقتلوه » .
(٢) الزيادة من ج و د و هـ .
(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : اللِّقْحَةُ : الناقةُ التى لها لَبَنٌ ، والجمعُ لِقَاحٌ وَلِقَحٌ » .
(٤) فى س و د « يتَّبِعها » .
(٥) الردع : اللطخ بالزعفران والطيب .
(٦) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : قال الأصمعىُّ : الصَّفِيُّ من الإبل : الغَزِيرَةُ اللَّبَنِ » .
(٧) قال المرصفى : يريد إن كنت تبلغ بها ثمناً جيداً .
(٨) فى س و هـ « وتجسس » بالجيم .
(٩) فى س و د و هـ « وتحامَلَ » .

وقال : ما أدرى ما أصنعُ بهؤلاء الخوارجِ ؟ كلّما أمرتُ بقتل رجلٍ منهم اغتالوا قاتِلَه فلم يُعلَمْ بمكانِه ، حتى خرج مِرْدَاسٌ . فلما واقفهم ابنُ زُرْعَةَ الكِلَابىُّ صاح بهم حُرَيْثُ بنُ جَحْلٍ : أهٰهُنا مِن باهِلَة أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، قال : يا أعداءَ اللهِ ! أخذتُم بالمُثَلَّمِ(١) أربعَ دياتٍ وأنا قاتلُه(٢) وجعلتُ دراهمَ كانتْ معه فى بطنِه ، وهو فى موضع كذا مدفونٌ ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ ، فأصابوا أشْلاءه والدراهمَ ، ففى ذلك يقولُ أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِىُّ :

آليتُ لا أغْدُو إلى رَبِّ لِقْحةٍ أُساوِمُهُ حتى يعُودَ المُثَلَّمُ

ثم خَرَجَتْ خوارجُ لا ذِكْرَ لهم ، كلُّهم قُتِلَ ، حتى انتهى الأمرُ إلى الأَزارِقَةِ .

٭

ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضْرُبٍ :

الإِباضِيّةُ ، وهم أصحابُ عبد الله بن إِباضٍ .

والصُّفْرِيّةُ ، واختلفوا فى تسميتهم ، فقال قومٌ : سُمُّوا بابنِ صَفَّارٍ ، وقال آخَرُونَ - وأكثر المتكلمين عليه - : هم قومٌ نَهَكَتْهُمُ العِبادةُ فاصفرّتْ وجوهُهم .

ومنهم البَيْهَسِيَّةُ ، وهم أصحابُ أبِي بَيْهَس(٣) .

---

(١) فى ج و س و هـ « المثلم » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وأنا قتلتُهُ » .

(٣) اسمه « هَيْصَمُ بن جابرٍ » .

ومنهم الأزارِقَة ، وهم أصحابُ نافِع بن الأَزْرَقِ الحَنَفِيّ ، وكانوا قبلُ على رأيٍ واحدٍ ، لايختلفون إلاَّ في الشيءِ الشاذِّ من الفروعِ ، كما قال صَخْرُ بن عُرْوَةَ : إنّي كرهتُ قتالَ عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لسابِقَتِهِ وقَرابَتِهِ ، فأمّا الآنَ فلا يَسَعُني إلاَّ الخروجُ . وكان اعتزَلَ عبدَ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ ، فَضَلَّلَتْهُ الخوارجُ بامتناعِه من قتال عليٍّ .

⁂

فكان أولُ أمرِهم الذي نَسْتأنِفُه : أنَّ جماعةً من الخوارجِ ، منهم نَجْدَةُ بنُ عامرٍ الحنفيُّ ، عَزَمُوا على أن يقصدوا مكّةَ ، لمَّا توَجَّهَ مُسْلِمُ بن عُقْبةَ يريدُ المدينةَ لوقعة الحَرَّةِ ، فقالوا : هذا ينصرفُ عن المدينة إلى مكّةَ ، ويجبُ علينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ اللهِ منه ، ونَمتحنَ ابن الزُّبيرِ ، فإن كان على رأينا بايَعْناه(١) ، فَمَضَوْا لذلك .

فكان أولُ أمرهم : أنَّ أبا الوازِعِ الرَّاسِبيَّ ، وكان من مجتهدي الخوارجِ كان يَذُمُّ نَفْسَه(٢) ويلُومُها على القعودِ ، وكان شاعراً ، وكان يفعلُ ذلك بأصحابه ، فأتَى نافِعَ بنَ الأَزْرَقِ وهو في جماعةٍ من أصحابه ، يَصِفُ لهم جَوْرَ السلطانِ ، وكان ذا لِسانٍ عَضْبٍ ، واحتجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة ، فأتاه أبو الوازعِ ، فقال : يا نافعُ ! لقد أُعْطِيتَ لساناً صارِماً ، وقلباً كَليلاً ، فَلَوَدِدْتُ أن صَرامةَ لِسانِك كانت لقلبِك ، وكَلالَ قلبِك

---

(١) في ج و د « تابَعْناه » .

كان لِلسانِك ، أتحُضُّ على الحقِّ وتَقعُدُ عنه ، وتُقَبِّحُ الباطلَ وتُقيمُ عليه ؟! فقال : إلى أن تجمعَ(١) من أصحابِك من تنكِي به عدوَّك(٢) ، فقال أبو الوازع :

لِسانُكَ لا تَنْكِي به القومَ إنما ... تَنالُ بِكَفَّيْكَ النَّجاةَ من الكَرْبِ(٣)

فجاهِدْ أُناساً حارَبوا اللهَ واصْطَبِرْ ... عسى اللهُ أن يُخْزِي غَوِيَّ بني حَرْبِ

ثم قال : واللهِ لا ألومُك ونفسي ألومُ ، ولَأَغْدُوَنَّ غَدْوةً لا أَنْثَنِي بعدَها أبداً ، ثم مضى فاشترى سيفاً ، وأتى صَيْقلاً كان يذمُّ الخوارج ويَدُلُّ على عوراتهم ، فشاوره في السيف فحمِدَه ، فقال : اشْحَذْهُ ، فَشَحَذَهُ ، حتى إذا رَضِيَهُ حَكَّمَ وخَبَطَ به الصَّيقلَ ، وحملَ على الناس فتهارَبُوا منه ، حتى أتى مَقْبُرَةَ بني يَشْكُرَ ، فَدَفَعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرةِ فكرهتْ ذلك بنو يَشْكُرَ ، خوفاً أن تجْعَلَ الخوارجُ قبره مُهاجَراً ، فلما رأى ذلك نافعُ [بنُ الأزرقِ(٤)] وأصحابُه جدُّوا ، وخرج في ذلك جماعةٌ ، فكان ممن خرج عيسى بنُ فاتِكٍ الشاعرُ الخَطِّيُّ ، من تيمِ اللاتِ بن ثعلبةَ ، ومَقتلُهُ بعدَ خروج الأَزارِقة .

---

(١) في ج و د و هـ « يجتمع » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « يقالُ : نَكَيْتُ في العَدُوِّ أَنْكِي نِكايَةً ، ونَكَأْتُ القَرْحَةَ أَنْكَؤُها نَكْأً : إذا قَشَرْتَها . وقال الخليلُ : تقول نَكَأْتُ في العَدُوِّ نَكْأً بالهمزِ ، ولغةٌ أخرى : نَكَيْتُ في العَدُوِّ نِكايَةً ، ونَكَأْتُ الجُرْحَ والقَرْحَةَ ، وأنا أَنْكَؤُهما نَكْأً : إذا قَشَرْتَهُمَا بعد ما كادا يَبْرَآنِ » .

(٣) في ج و د و هـ « لا يُنْكَى به القومُ » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

فمضى نافعٌ وأصحابُه من الحَرُورِيَّة قبلَ الاختلافِ إلى مكة ، لِيَمْنَعُوا الحَرَمَ مِن جيش مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ ، فلما صاروا إلى ابن الزبير عَرَّفوه أنفسهم ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عُقْبَةَ وأهلُ الشأمِ ، فدافَعُوهم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بنِ معاوية ، ولم يبايعوا ابنَ الزبيرِ ، ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظرُ ما عندَه ، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمرَ ، وبَرِئَ مِن عثمانَ وعليٍّ ، وكَفَّرَ أباهُ وطلحةَ ـ : بايَعْناه ، وإن تكنِ الأُخْرَى ظهرَ لنا ما عندَه ، فتَشاغلنا بما يُجْدِي علينا ، فدخلوا على ابنِ الزبير ، وهو مُتَبَذِّلٌ ، وأصحابُه متفرقون عنه ، فقالوا : إنَّا جئناك لتُخْبِرنا رأيك ، فإن كنتَ على الصوابِ بايعناك ، وإن كنتَ على غيره[١] دَعَوْناكَ إلى الحقِّ ، ما تقولُ فى الشَّيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقولُ فى عثمان ، الذى أَحْمَى الحِمَى ، وآوى الطَّريدَ[٢] ، وأظهر لأهلِ مصرَ شيئاً وكَتَبَ بخلافِه ، وأَوْطَأَ آلَ أبى مُعَيْطٍ رقابَ الناسِ وآثَرَهُمْ بِفَيْءِ المسلمين ؟ وفى الذى بعدَه[٣]

---

(١) فى ج و س و د و هـ « على خلافه » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : أَوَى الإنسانُ إلى منزله أُوِيًّا ، وآوَيْتُ فلاناً إيواء . وتقولُ : أَوَيْتُ إلى منزلى ، وآوانِى فلانٌ إلى منزله . والمَأْوَى : كلُّ شىء تَأْوِى إليه ليلاً أو نهارًا . قال الكسائىُّ : يقالُ : آويتُ الرجلَ إيواء وأَوَيْتُهُ ، وأَوَيتُ إلى أهلى وأَوَيْتُ أهلى ، وأَوَيْتُ الحَىَّ أشدَّ الإوِىِّ ، بكسر الألفِ » .

(٣) يعنون علىَّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الذى حكَّم فى دِينِ اللهِ الرجالَ ، وأقام على ذلك غيرَ تائبٍ ولا نادمٍ ؟ وفى أبيكَ وصاحِبِه[١] ، وقد بايَعَا عليًّا وهو إمامٌ عادلٌ مَرْضِيٌّ ، لم يظْهَرْ منه كفرٌ ، ثم نَكَثَا ، بعَرَضٍ من أعراضِ الدنيا ، وأخرجا عائشة تُقَاتِلُ ، وقد أَمَرها الله وَصواحِبَها أن يَقرْنَ[٢] فى بُيُوتِهِنَّ ، وكان لك فى ذلك ما يَدْعُوكَ إلى التوبة ، فإن أنت قلتَ كما نقولُ فلكَ الزُّلْفَةُ عندَ الله والنَّصْرُ على أيدينا ، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ ، وإن أبَيْتَ إلاَّ نَصْرَ رأيك الأولِ ، وتصويبَ أبيك وصاحبِه ، والتحقيقَ بعثمانَ ، والتَوَلِّىَ فى السنينَ السِّتِّ التى أحَلَّتْ دمَه ، ونَقَضَتْ عَهْدَه[٣] ، وأفْسَدَتْ إمامَتَه ـ : خَذَلكَ اللهُ وانْتَصَرَ منك بأيدِينا !!

فقال ابنُ الزبير : إنَّ الله أمر ـ وله العِزَّةُ والقُدْرَةُ ـ فى مخاطبةِ أكْفَرِ الكافرين وأعْتَى العُتَاةِ بأرْأَفَ[٤] من هذا القول ، فقالَ لموسى ولأخيه[٥] ـ صلى الله عليهما ـ فى فرعونَ : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٦] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤْذُوا الأحياءَ بِسَبِّ

---

(١) يعنون الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنهما .

(٢) فى ج « يَقَرْنَ » . و « قَرَّ » من بابى « فَرَّ » و « مَلَّ » وهذا إشارة منهم إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣ وهى قراءة نافع وعاصم وأبى جعفر « قرن » بفتح القاف ، وقرأها باقى الأربعة عشر بكسر القاف .

(٣) كلمة « عهده » فى موضعها بياض فى أكثر النسخ ، وهى ثابتة فى بعضها ، وعليها نسخة المرصفى ، وكتب مصحح بعض طبعات مصر بدلها « أحكامه » وما هنا أصح وأجود .

(٤) فى ج و س و هـ « بِأَرْفَقَ » .

(٥) فى ج و س و د « وأخيه » .

(٦) سورة طه آية ٤٤

الموتَى »[١] فنَهَى عن سَبِّ أبي جهلٍ من أجل عِكْرِمةَ ابنِهِ، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرسولِ، والمقيمُ[٢] على الشِّرْكِ، والجادُّ في المحاربة، وَالْمُتَبَغِّضُ[٣] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ الهجرةِ، والمحاربُ له بعدَها، وكَفَى بالشركِ ذنباً، وقد كان يُغْنيكم عن هذا القولِ الذى سَمَّيْتُم فيه طلحةَ وأَبِى أن

(١) فى ج و هـ « بسب الأموات ». والحديث رواه أحمد والنسائى من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ: « لاتَسُبُّوا الأمواتَ فتُؤْذُوا الأحياءَ » وروى ابن سعد فى الطبقات (ج ٤ ق ١ ص١٦): « أنَّ رَجُلاً من المهاجرين لَقِيَ العباسَ بنَ عبدِ المطلب فقال: يا أبا الفضلِ! أرأيتَ عبدَ المطلب بنَ هاشمٍ والغَيْطَلَةَ كاهنةَ بنى سَهْمٍ جَمَعَهُما اللهُ جميعاً فى النَّارِ؟! فصفح عنه، ثم لقيه الثانيةَ فقال له مثلَ ذلك، فصفح عنه، ثم لقيه الثالثةَ فقال له مثل ذلك، فرفع العباسُ يده فوَجَأَ أنفَه فكسره، فانطلق الرجلُ كما هو إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: ماهذا؟ قال: العباسُ، فأرسلَ إليه فجاءه، فقال: ما أردتَ إلى رجلٍ من المهاجرين؟ فقال: يارسولَ الله! واللهِ لقد علمتُ أنَّ عبدَ المطلب فى النارِ، ولكنه لقيني فقال ياأبا الفضل أَرَأَيْتَ عبدَ المطلب بن هاشمٍ والغيطلةَ كاهنة بنى سهم جمعهما الله جميعًا فى النَّار، فصفحتُ عنه مرارًا، ثم والله ما ملكتُ نفسى، وما إياه أَرَادَ، ولكنه أرادنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مابالُ أَحَدِكم يُؤْذِي أَخَاهُ فى الأمر وإن كان حقًّا؟! ».

(٢) فى ج و د و هـ « عَدُوُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدوُّ الله، المقيمُ » الخ.

(٣) بحاشية ا ما نصه: « فى نسخةٍ: المُتَنَقِّصُ ».

تقولوا : أتَـبَرَّا(١) من الظالمين ؟ فإن كانا منهم دخلا فى غُمارِ الناس(٢) ، وإن لم يكونا منهم لم تُحْفِظُونى(٣) بِسَبِّ أَبِى وصاحبه، وأنتم تعلمون أنّ الله جلّ وعزّ قال للمؤمن فى أبَوَيْهِ : ﴿وإنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا ، وصاحِبْهُمَا فى الدُّنيا مَعْرُوفًا﴾ (٤) وقال جَلّ ثناؤُهُ : ﴿وقُولُوا للنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٥) وهذا الذى دَعَوْتم إليه أمرٌ له ما بعدَه ، وليس يُقْنِعُكُمْ إلاّ التوقيتُ والتَّصْرِيحُ ، ولَعَمْرِى إن ذلك لأَحْرَى بِقَطْعِ الحُجَجِ ، وأوضحُ لِمنْهاجِ الحقّ ، وأوْلَى بأن يَعرِفَ كلٌّ صاحبَه من عدوِّه ، فرُوحُوا إلىَّ مِنْ عَشِيَّتِكم هذه أَكْشِفْ لكم ما أنا عليه إن شاء الله . فلما كان العَشِىُّ رَاحُوا إليه ، فخرج إليهم وقد لَبِسَ سِلاَحَهُ ، فلما رأى ذلك نَجْدَةُ قال : هذا خروجُ مُنابِذٍ لكم ، فجلس على رَفْعٍ(٦) من الأرضِ ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، وصلَّى على نبيه [محمدٍ(٧)] صلى الله عليه وسلم ، ثم ذَكَرَ أبا بكرٍ وعمرَ أحسنَ ذِكْرٍ ، ثم ذَكَرَ عثمانَ فى السِّنِينَ الأوائلِ من خلافتِه ، ثم وَصَلَهُنّ بالسِّنِينَ التى أنْكَرُوا سِيرَتَه فيها ، فجعلها كالماضيةِ ، وخَبَّرَ أنه آوَى الحَكَمَ

(١) فى ع و س « تَبَرَّأْ » . وفى د « تَبَرَّأْنَا » .

(٢) « غمار الناس » بضم الغين وفتحها : جماعتهم .

(٣) أى : لم تغضبونى .

(٤) سورة لقمان آية ١٥

(٥) سورة البقرة آية ٨٣

(٦) فى ا « رُبْوَة » وعليها « صح » . و « الربوة » المكان المرتفع ، بضم الراء وهو الأكثر ، والفتح لغة بنى تميم ، والكسر لغة أخرى ، كما فى المعيار .

(٧) الزيادة من ع و س .

بنَ أبِى العاصِ بإذنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكَرا الحِمَى وما كان فيه من الصَّلاحِ ، وأنَّ القومَ استَعْتَبُوهُ من أمور ، وكان له أن يفعلَها أوَّلاً مُصِيباً ، ثم أعْتَبَهُمْ بعدُ مُحْسِناً ، وأنَّ أهلَ مصرَ لمَّا أتوه بكتابٍ ذَكَرُوا أنه منه بعدَ أنْ ضَمِنَ لهم العُتْبَى ، ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بِقَتْلِهِمْ ، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه ، فحلف أنه لم يَكْتُبْهُ ولم يَأْمُرْ به ، وقد أُمِرَ بقبولِ اليمينِ ممَّن ليس له مثلُ سابِقَتِهِ ، معَ ما اجْتَمَعَ له من صِهْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانِه من الإمامةِ ، وأن بَيْعَةَ الرِّضْوانِ تحتَ الشَّجرةِ إنما كانت بسببه ، وعثمانُ الرجلُ الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حَلَفَ عليها لَحَلَفَ على حَقٍّ فافتداها بمائةِ ألفٍ ولم يَحْلِفْ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ بِٱللهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِٱللهِ فَلْيَرْضَ »(١) فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصاحِبَيْه ، وأنا وليُّ وَلِيِّه ، وَعَدُوُّ عَدُوِّه ، وأبِى وصاحِبُه صاحِبا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله يقولُ(٢) عن الله تعالى يومَ أُحُدٍ لمَّا قُطِعَتْ إصْبَعُ طلحةَ : « سَبَقَتْه إلى الجنةِ »(٣) وقال : « أَوْجَبَ طلحةُ »(٤) . وكانَ الصِّدِّيقُ إذا ذَكَرَ يومَ أُحُدٍ قال : ذاك(٥) يومٌ كلُّه أو جُلُّهُ لطلحةَ ، والزبيرُ حَوارِيُّ رسولِ الله وَصِفْوَتُه(٦) ، وقد ذَكَرَ أنهما فى الجنةِ ،

---

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ .

(٢) فى ع و ه « وهو يقول » .

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ أيضاً .

(٤) الحديث رواه الترمذى فى السنن فى كتاب المناقب (٢ : ٣٠٢ طبعة بولاق ، ٤ : ٣٣٢ من شرح المباركفورى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٥) فى ع و س و د و ه « ذلك » .

(٦) فى جميع الأصول بكسر الصاد ، و « الصفوة » مثلثة الصاد .

وقال جلَّ وعزَّ : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(١) وما أَخْبَرَنَا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم ، فإن يكنْ ماسَعَوْا فيه حقًّا فأَهْلُ ذلك هُمْ ، وإن يكنْ زَلَّةً(٢) فَفِي عفوِ الله تَمْحِيصُها ، وفيما وَفَّقَهم له من السابقة مع نبيِّهم صلى الله عليه ، ومهما ذَكَرْتُمُوهُما به فقد بَدَأْتُمْ بأُمِّكُمْ عائشةَ رضي الله عنها ، فإن أَبَى آبٍ أن تكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإيمانِ عنه(٣) ، قال اللهُ جلَّ ذكرُه وقولُه الحقُّ : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٤) فنظر بعضُهم إلى بعضٍ ثم انصرفوا عنه .

⁂

وكان سببُ وضعِ الحربِ [أوزارَها](٥) بينَ ابنِ الزبير وبين أهلِ الشأم — بعدَ أنْ كان(٦) حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ قد حَصَرَ ابنَ الزبير — أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاويةَ فتوادَعَ الناسُ ، و[قد](٧) كان أهلُ الشأم ضَجِرُوا من المُقامِ على ابن الزبير ، وحَنِقَتِ الخوارجُ(٨) في قتالهم ، ففي ذلك يقول رجلٌ من قُضاعَةَ :

---

(١) سورة الفتح آية ١٨

(٢) في ا « وإنْ تكنْ زَلَّةً » .

(٣) في س « نَفَى عنه اسمَ الإيمانِ » .

(٤) سورة الأحزاب آية ٦

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) في ج و د و هـ « بعد إذ كان » .

(٧) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٨) في ج و س و د « وَخَفَّتِ الخوارج » . وبحاشية ا ما نصه : « الحَنَقُ : =

يا صاحبيَّ ارْتحِلاَ ثم امْلُسَا لا تحْبِسَا لدَى الحُصَيْنِ مَحْبِسَا
إنَّ لدَى الأركانِ ناساً بُؤَّسا

[قال الأخفشُ: حِفْظِى « بأْساً أبْؤُساً »](١) :

وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسَا إذا الفتى حَكَّم يوماً كَلَّسَا

قوله : « ثم امْلُسَا » يريد : تخلَّصا تخلُّصاً سهلاً . « وكَلَّس » أى حَمَلَ وَجَدَّ .

ولما سَمَّحَ ابنُ الزبير للخوارج فى القولِ وأظهر أنه منهم قال [له](٢) رجل يقال له قَيْسُ بن هَمَّامٍ(٣) من رَهْطِ الفَرَزْدَقِ :

يَابْنَ الزبير أتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا ظلماً أباك ولمَّا تُنْزَعِ الشِّكَكُ
ضَحَّوْا بعثمانَ يومَ النحرِ ضاحيةً ما أعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انْتَهَكُوا

فقال ابنُ الزبير : لو شايعتْنِى التُّرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشايَعْتُها.

« الشِّكَك » جمعُ « شِكَّةٍ » وهى السلاحُ ، قال الشاعرُ :

ومُدَجَّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكَلْبِ

= الحِقْدُ ، حَنِقَ يَحْنَقُ حَنَقاً ، فأحْنَقْتُ الرجلَ إحْناقاً : إذا أحْقَدْتَه ، والرجلُ حَنِقٌ وحَنِيقٌ » .

(١) الزيادة من ا .

(٢) الزيادة من ج .

(٣) فى ج و س و د و ه « فلان بن حام » .

*

فتفرقت الخوارجُ عن ابن الزبير لما تولّى عثمانَ ، فصارت طائفةٌ إلى البصرة ، وطائفةٌ إلى اليمامةِ ، وكان رَجاءُ النُّمَيْرِىُّ(١) هو الذى كان جَمَعهم للمدافعة عن الحَرَم ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفىُّ ؛ وبنُو الماحُوزِ(٢) السليطِيُّونَ ، ورئيسُهم حَسّانُ بن بَحْزَجٍ(٣) ، فلماصاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأمّروا عليهم نافعاً .

ويُرْوى : أن أبا الجَلْدِ اليَشْكُرِىَّ قال لنافعٍ يومًا : يا نافعُ ! إنَّ لجهنم سبعةَ أبوابٍ ، وإن أشدَّها حَرًّا لَلْبابُ الذى أُعِدَّ للخوارج ، فإن قدَرْتَ أن لاَّ تكونَ منهم فافعلْ ، فأَجمع القومُ عَلَى الخروج ، فمضى بهم نافعٌ إلى الأَهْواز فى سنةأربع وستين ، فأقاموابها ، لايَهيجون أحداً ، ويُناظرُهم الناسُ .

*

وكان سببُ خروجهم إلى الأَهواز أنه لمَّامات يزيدُ بايَعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله بنَ زيادٍ ، وكان فى السجن يومئذٍ أربعُ مائةِ رجلٍ من الخوارج ، وضَعُفَ أمرُ ابنِ زيادٍ ، فَكُلِّمَ فيهم ، فأطلقهم ، فأفسدوا البَيْعَةَعليه ، وفَشَوْا فى الناس ، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطانِ ، ويُظْهِرُون ماهم عليه ، حتى اضْطَرَبَ عَلَى عُبيد الله أمرُه ، فتحوّل عن دار الإمارة إلى الأَزْد ، ونَشَأَتِ الحربُ بسببه

---

(١) فى ج و د و هـ « رجاءُ النَّصْرِىُّ » .

(٢) قال المرصفى : « هم الزبير وعثمان وعلىّ وعبد الله وعبيد الله بنو بشير بن يزيد المعروف بالماحوز ، وهم من بنى الحرث بن سليط بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكلهم أمراء الأزارقة » .

(٣) فى ج « بَخْدَجٍ » وفى د « بَحْذَجٍ » وفى هـ « بَحْذَجٍ »

بين الأزدِ وربيعةَ وبين بنى تميم ، فاعتزلهم الخوارجُ إلاّ نفراً منهم من بنى تميم، معهم عَبْسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمىُّ أخو كَهْمسٍ ، فانهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطعّانِ فى سعدٍ ، والرِّبابُ فى القَلْبِ بحِذاءِ الأزدِ ، وكان حارثةُ بن بَدْرٍ اليربوعىُّ فى حَنْظَلةَ بحذاء بَكْرِ بن وائلٍ ، وفى ذلك يقول حارثةُ بن بدرٍ للأحنفِ ، وهو صَخْرُ بن قيسٍ :

سيَكفيكَ عبسٌ أخو كَهْمسٍ ... مُواقَفَةَ الأزْدِ بالِمرْبَدِ

وتَكفيكَ عَمْرٌو على رِسْلِها ... لُكَيْزَ بن أفصَى وما عَدَّدُوا

« لُكَيْزٌ » هو عبدُ القَيْسِ .

وَتَكفيكَ بَكْراً إذا أقبلتْ ... بضربٍ يَشيبُ له الأمْرَد

فلما قُتل مسعودُ بن عَمْرٍو المَعْنِىُّ وتَكافَ الناسُ أقام نافعُ بن الأزرق بموضعِه بالأهوازِ ، ولم يَعْدُ إلى البصرة ، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها ، وجَبَوُا الفَىْء .

ولم يزالوا على رأىٍ واحدٍ ، يَتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومِرْداساً ومن خرج معه ، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشمٍ إلى نافعٍ ، فقال له : إن أطفالَ المشركين فى النارِ ، وإن مَن خالفَنا مشركٌ ، فدماءُ هؤلاء الأطفالِ لنا حلالٌ ، قال له نافعٌ : كفرتَ وأذَلْتَ بنفسك[1] ، قال له : إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقتُلْنى ﴿ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ على الأرضِ من الكافرين دَيّاراً . إنّك إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلاّ فاجِراً كَفّاراً ﴾[2] فهذا أمرُ الكافرين وأمرُ

---

(١) فى س و هـ « وأحْلَلْتَ بنفسِكَ » .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ و ٢٧ .

أطفالهم ، فشهِدَ نافعٌ أنهم جميعاً فى النار ، ورَأَى قتلهم ، وقال : الدارُ دارُ كُفرٍ إلَّا مَنْ أظهر إيمانَهُ ، ولا يَحِلُّ أَكل ذبائحهم[١] ، ولا تَنا كُحهُمْ ، ولا تَوارُثُهُمْ ، ومتى جاء منهم جاءٍ فعلينا أن نَمْتَحِنَهُ ، وهم كَكُفَّارِ العرب ، لا تقبلُ منهم إلَّا الإسلامَ أوالسيفَ ، والقَعَدُ بمنزلتِهم ، والتَّقِيَّةُ لا تحلُّ ، فان الله تعالى يقول : ﴿ إذا فَرِيقٌ منهم يَخْشَوْنَ الناسَ كَخشيةِ اللهِ أو أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[٢] وقال عزّ وَجلّ فيمن كان على خلافِهم : ﴿ يُجاهِدُونَ فى سبيلِ اللهِ ولا يَخافُونَ لَوْمةَ لائمٍ ﴾[٣]. فَنفَرَ جماعةٌ من الخوارج عنه ، منهم نَجْدَةُ بن عامرٍ ، واحتجّ عليه بقول الله عز وجلّ : ﴿ إلاَّ أن تتقُوا منهم تُقَاةً ﴾[٤] وبقوله عز وجل : ﴿ وقال رجلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ[٥] ﴾ فالقَعَدُ مِنَّا ، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ ، لقوله جلّ وعزّ : ﴿ وفَضَّلَ اللهُ المجاهِدِينَ على القَاعِدِينَ أجْراً عظيماً ﴾[٦] . ثم مضى نَجْدَةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرّقوا فى البُلدانِ .

فلما تَتَايَعَ[٧] نافعٌ فى رأيه وخالفَ أصحابَهُ ، وكان أبو طالوتَ سالمُ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « ولا تَحِلُّ ذبائِحُهُمْ » .

(٢) سورة النساء آية ٧٧

(٣) سورة المائدة آية ٥٤ وفى ج و س و د « يقاتلون » بدل « يجاهدون » وهو خطأ يخالف التلاوة .

(٤) سورة آل عمران آية ٢٨

(٥) سورة غافر آية ٢٨

(٦) سورة النساء آية ٩٥

(٧) « تتايع » بالياء المثناة التحتية . قال فى اللسان : « التتايع فى الشىء وعلى الشىء : التهافت فيه والمتابعة عليه : الإسراع إليه . يقال : تتايعوا فى الشر : إذا تهافتوا وسارعوا إليه » . ثم نقل عن الأزهرى قال : «ولم نسمع التتايع فى الخير ، وإنما سمعناه فى الشرّ ، والتتايع : =

بن مَطَر بالخَضارِم في جماعةٍ قد بايعوه ، فلما انخزل نَجْدة خَلَعوا أبا طالوت ، وصاروا إلى نجدةَ فبايعُوهُ ، ولَقِيَ نجدةُ وأصحابُهُ قومًا من الخوارج بالعَرِمَةِ ، « والعَرِمَةُ » كالسَّكْرِ⁽¹⁾ ، وجمعُها « عَرِمٌ » وفي القرآن المَجيدِ : ﴿فأَرْسَلْنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ﴾⁽²⁾ ، وقال النابغةُ الجَعْدِيُّ :

مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ   يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا

فقال لهم أصحابُ نَجْدَةَ : إن نافعًا قد كَفَرَ⁽³⁾ القَعَدَ ورأى الاستعراضَ⁽⁴⁾ ، وقَتْلَ الأطفالِ⁽⁵⁾ ، فانصرفوا مع نجدةَ ، فلما صار باليمامة كَتَبَ إلى نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ : فإن عَهْدِي بك وأنتَ لليتيم كالأبِ الرحيمِ ، وللضعيفِ كالأخِ البَرِّ ، لا تأخذُكَ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولا تَرَى

= التهافت في الشرّ واللجاج ، ولا يكون التتايع إلا في الشرّ » . وفي ج و س و د و هـ « تتابع » بالباء الموحدة ، وعليها طبعات مصر .

(1) هنا بحاشية ا ما نصه : « السَّكْرُ : ما سَكَرْتَ به الماءَ فمنعْتَه عن جَرْيِهِ ، وأصلُه من قولهم : سَكَرَتِ الريحُ : إذا سَكَنَتْ . وقال الخليلُ : السَّكْرُ سَدُّكَ بَثْقَ الماء ، والسِّكْرُ اسمٌ لذلك السِّدادِ الذي تجعلُه سَدًّا للبَثْقِ . قال ابنُ دُرَيدٍ : العَرِمَةُ : سَدٌّ يُعْتَرَضُ به الوادِي لِيَحْبِسَ الماءَ ، والجمعُ عَرِمٌ . وقال أبو حاتمٍ : العَرِمُ واحدٌ لا جمعَ له من لفظه » .

وهنا أيضاً بحاشية هـ ما نصه : « قال أبو الحسن : غيرُه يقول العَرَمَةُ بالفتح ، والصوابُ العَرِمَةُ بالكسر » .

(2) سورة سبأ آية ١٦

(3) في ج و س و د و هـ « أَكْفَرَ » .

(4) « الاستعراض » قال المرصفي : « يريد اعتراضه الناس يقتلهم ، لا يبالي أمسلما قتل أم كافراً » .

(5) في ا « وقَتَلَ الأطفالَ » .

مَعونة ظالمٍ ، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك ، أَمَا تَذْكُرُ(١) قولَكَ : لولا أنِّى أعلم أنَّ للإمام العادلِ مثلَ أجرِ جميع رعيَّتِه ما توليتُ أمرَ رجلين من المسلمين ؟ فلما شَرَيْتَ نَفسَكَ فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبتَ من الحَقِّ فَصَّهُ ، وركبتَ مُرَّهُ ، تَجَرَّدَ لك الشيطانُ ، ولم يكن أحَدٌ أثقلَ عليه وَطْأَةً منك وَمن أصحابك ، فاستمالَكَ واستهواكَ واستغواكَ وأغواكَ ، فغَوَيْتَ ، فأكفرتَ(٢) الذين عَذرهم اللهُ فى كتابه من قَعَدِ المسلمين وضَعَفَتِهِمْ ، فقال جل ثناؤُهُ ، وقولُهُ الحقُّ ووعْدُهُ الصِّدْقُ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعفاء ولا عَلَى المَرْضَىٰ ولا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لِلَّهِ ورَسُولِهِ ﴾(٣) ثم سَمَّاهم أحسنَ الأسماء فقال : ﴿ ما عَلَى المُحْسِنِينَ من سَبِيلٍ ﴾(٤) ثم استَحْلَلْتَ قتلَ الأطفالِ ، وقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال اللهُ عز ذكره : ﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾(٥) وقال فى القَعَدِ خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ مَنْ جاهَدَ عليهم ، ولا يَدْفَعُ مَنْزِلةُ أكثرِ النَّاس عملاً منزلَةَ مَنْ هودُونَه ، أَوَمَا سمعتَ قولَه عز وجل : ﴿ لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ من المُؤمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾(٦) فجعلهم اللهُ من المؤمنين ، وفَضَّلَ عليهم المجاهدينَ بأعمالهم ، ورأيتَ ألَّا تُؤَدِّىَ الأمانة

---

(١) فى ج و س و د و ه « أَوَمَا تَذْكُرُ » .

(٢) فى ج و س و د و ه « فكَفَّرْتَ » .

(٣) سورة التوبة آية ٩١

(٤) سورة التوبة آية ٩١

(٥) سورة الأنعام آية ١٦٤ وسورة الإسراء آية ١٥ وسورة فاطر آية ١٨ وسورة الزمر آية ٧

(٦) سورة النساء آية ٩٥ وقرأ نافع وابن عامر والكسائى « غيرَ » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها .

إلى مَنْ خالَفك ، واللهُ يأمرُ أن تؤدّى الأماناتُ إلى أهلها ، فاتّقِ اللهَ وانظرْ لنفسك ، واتّقِ يوماً ﴿لا يَجْزِى والدٌ عن وَلَدِه ولا مَوْلُودٌ هو جَازٍ عن وَالِدِهِ شَيْئاً﴾(١) فإن الله عزّ ذكرُه بالمِرْصَاد ، وحُكْمُهُ العَدْلُ ، وقوله الفصلُ ، والسلامُ .

⁂

فكَتَبَ إليْهِ نافعٌ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد أتانى كتابُكَ تعظُنِى فيه وتُذَكِّرُنى ، وتَنْصَحُ لى وتَزْجُرُنِى ، وتَصِفُ ما كنتُ عليه من الحقّ ، وما كنتُ أوثِرُه من الصواب ، وأنا أسْئَلُ اللهَ جلّ وعزّ أن يجعلنى من الذين يستمعون القولَ فيتَّبِعُونَ أحْسنَهُ ، وعِبْتَ علىّ ما دِنْتُ بهِ من إكفارِ القَعَدِ وقَتْلِ الأطفالِ واستحلال الأمانةِ ، فسأُفسِّرُ لك لِمَ ذلك إن شاء الله :

أمّا هؤلاءِ القَعَدُ فليسوا كَمَنْ ذَكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكّة مَقْهُورِينَ محصورين ، لا يَجِدُون إلى الهَرَبِ سبيلاً ، ولا إلى الاتّصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فَقُهوا فى الدِّين ، وقَرَؤُا القرآنَ ، والطريقُ لهم نَهْجٌ واضحٌ ، وقد عرفتَ ما قال اللهُ عز وجل فيمن كان مِثْلهم ، إذ قالوا : ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فى الأَرْضِ﴾(٢) فقيلَ لهم :

---

(١) سورة لقمان آية ٣٣ والتلاوة « واخشوا يوما لايجزى »

(٢) سورة النساء آية ٩٧

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾(١) وقالَ : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﴾(٢) وقال : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾(٣) فَخَبَّرَ بتعذيرهم ، وأنَّهم كَذَبُوا اللهَ ورسولَهُ ، وقال : ﴿ سَيُصِيبُ الذينَ كَفَرُوا منهم عذابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤) فانظُرْ إلى أسمائِهم وسِماتِهِمْ ، وأمَّا أَمْرُ الأطفالِ فإنَّ نبيَّ اللهِ نوحاً عليه السلامُ كان أعلمَ باللهِ - يا نَجْدَةُ - مِنِّي ومنكَ ، فقال : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عبادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾(٥) فسَمَّاهم بالكُفْرِ وهم أطفالٌ ، وقبلَ أنْ يُولَدُوا ، فكيفَ كانَ ذلكَ في قوم نوحٍ ولا نَكونُ نَقُولُه في قومِنا ؟! واللهُ يقولُ : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ، أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فى الزُّبُرِ ﴾(٦) وهؤلاءِ كَمُشْرِكِي العربِ ، لا تَقْبَلُ منهم جزيةً ،(٧) وليس بيننا وبينهم إلاَّ السيفُ أو الاسلامُ . وأما استحلالُ أماناتِ مَنْ خالَفَنا فإنَّ اللهَ عز وجل أَحَلَّ لنا أموالَهم ، كما أحلَّ لنا دِماءَهم ، فدماؤُهم حلالٌ طِلْقٌ ،(٨) وأموالُهم فَيْءٌ للمسلمين ، فاتَّقِ اللهَ

---

(١) سورة النساء آية ٩٧

(٢) سورة التوبة آية ٨١

(٣) سورة التوبة آية ٩٠

(٤) سورة التوبة آية ٩٠

(٥) سورة نوح آية ٢٦و٢٧

(٦) سورة القمر آية ٤٣

(٧) فى س و د « لا تُقْبَلُ منهم جزيةٌ » .

(٨) « الطلق » بكسر الطاء وسكون اللام : الحلال . فهو توكيد ، يراد به أنه حلال طيب .

وراجِعْ نفسَك ، فإنه لا عُذرَ لك إلّا بالتوبة ، ولن يَسَعَكَ خِذْلانُنا ، والقعودُ عنّا ، وتَرْكُ مَا نَهَجْنَاه لك(١) من طريقتِنا ومَقالتِنا ، والسلامُ على مَنْ أَقرّ بالحقّ وعمِلَ به .

☆

وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يدعوه إلى أمره :

أمّا بعدُ ، فإني أُحذِّركَ مِن اللهِ ﴿ يومَ تجدُ كلُّ نفْسٍ مّا عَمِلَتْ مِن خيْرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ(٢) ﴾ فاتّقِ اللهَ رَبَّكَ ، ولا تتولَّ الظالمين ، فإن الله يقولُ : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ المؤمنونَ الكافرينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤمنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ(٣) ﴾ وقد حضَرْتَ عثمانَ يوم قُتِلَ ، فلعَمْرِي لَئِنْ كان قُتِلَ مظلومًا لقد كَفَرَ قاتِلوه وخاذِلوه ، ولئن كان قاتِلوه مُهْتَدِينَ — وإنهم لمُهْتَدُونَ — لقد كَفَرَ مَنْ يتولّاه وينصرُه ويَعْضُدُهُ ، ولقد علمتَ أن أباكَ وطلحةَ وعليًّا كانوا أشدَّ النّاسِ عليه ، وكانوا في أمره مِنْ بَيْنِ قاتِلٍ وخاذِلٍ ، وأنت تتولّى أباكَ وطلحةَ وعثمانَ ، وكيف(٤) وَلَايَةُ قاتِلٍ مُتَعَمِّدٍ

---

(١) هنا بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : النَّهْجُ : الطريقُ الواضحُ ، والجمعُ نُهُوجٌ ، وهو المَنْهَجُ ، والجمعُ مَناهِجُ » .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٠

(٣) سورة آل عمران آية ٢٨

(٤) فى ج و س و د و هـ « فكيف » .

ومقتولٍ فى دينٍ واحدٍ ؟! ولقد مَلَكَ علىٌّ بعده فنَفَى الشُّبُهاتِ ، وأقامَ الحدودَ ، وأجْرَى الأحكامَ مجاريَهَا ، وَأعْطَى الأمورَ حقائِقَها ، فيما عليه وله ، فبايعه أبوكَ وطلحةُ ، ثُمّ خلَعَاهُ ظالِمَيْنِ له ، وإنّ القولَ فيك وفيهما لَكَمَا قال ابنُ عباس : إنْ يكنْ علىٌّ فى وقتِ معصيتِكم ومُحارَبَتِكم له كان مؤمناً أمَا لقد كفرتم بقتالِ المؤمنين[1] وأئمةِ العدلِ ، ولئن كان كافراً كما زعمتم وفى الحُكْمِ جائراً لقد بُؤْتُمْ بغضبٍ من الله لفِرَارِكم من الزَّحْفِ ، ولقد كنتَ له عدوًّا ، ولِسيرته عائباً ، فكيف تَوَلَّيْتَهُ بعدَ موتِه ؟! فاتّقِ اللهَ فإنه يقولُ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[2] ﴾ .

☆

وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبصْرة من المُحَكِّمةِ :

بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ ، فإن الله اصطفَى لكمُ الدينَ فلا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمونَ[3] ، واللهِ إنكم لتعلمونَ أن الشريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ ، ففيمَ المُقَامُ بين أظهُرِ الكفّارِ ، تَرَوْنَ الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد نَدَبكم الله إلى الجهادِ فقال : ﴿وقاتِلُوا المشركين كافّةً[4]﴾ ولم يجعل لكم فى التَّخَلُّفِ عذراً

---

(١) ج و س و د و هـ « لقتال المؤمنين » .

(٢) سورة المائدة آية ٥١

(٣) فى سورة البقرة آية ١٣٢ « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

(٤) سورة التوبة آية ٣٦ وفى ج و د و هـ « قاتلوا » بدون ذكر واو العطف .

فى حالٍ من الحالِ[1] ، فقال : ﴿ انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً[2] ﴾ . وإنما عَذَرَ الضُّعَفاء والمَرْضَى والذينَ لا يجدون ما يُنفقونَ ومَنْ كانت إقامتُه لِعِلَّةٍ ، ثم فضَّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : ﴿ لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المؤمنينَ غَيْرُ[3] أُولِى الضَّرَرِ والمجاهِدُونَ فِى سبيلِ اللهِ[4] ﴾ . فلا تغترُّوا ولا تطمئنُّوا إلى الدنيا ، فإنها غَرَّارةٌ مَكَّارةٌ ، لَذَّتُها نافِدَةٌ ، ونِعْمَتُها بائدةٌ ، حُفَّتْ بالشَّهواتِ اغتراراً ، وأظْهَرَتْ حَبْرَةً[5] ، وأضمرتْ عَبْرَةً ، فليس آكلٌ منها أَكْلَةً تَسُرُّه ، ولا شاربٌ شَرْبَةً تُؤْنِقُهُ[6] — إلاَّ دَنَا بِهَا درجةً إلى أجلِه ، وتَبَاعَدَ بِهَا مسافةً من أَمَلِه ، وإنما جعلها اللهُ داراً لمن تَزَوَّدَ منها إلى النعيم المقيم ، والعيش السليمِ ، فلن يَرْضَى بها حازمٌ داراً[7] ، ولا حليمٌ بها قراراً ، فاتقوا الله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى[8] ﴾ والسلامُ على من اتَّبَعَ الهدَى .

فوَرَدَ كتابُه عليهم ، وفى القوم يومَئذٍ أبو بَيْهَسٍ هَيْصَمُ بن جابرٍ الضُّبَعِيُّ ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّيُّ ، من بنى مُرَّةَ بن عُبَيْدٍ ، فأقبلَ أبو بَيْهَسٍ

---

(١) فى س « من الأحوال » .

(٢) سورة التوبة آية ٤١

(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائى « غير » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها . وضبطت فى أصول الكتاب هنا بالإعرابين .

(٤) سورة النساء آية ٩٥ .

(٥) « حبرة » بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ، وهى النعمة وسعة العيش . وفى بعض النسخ المطبوعة بمصر « حيرة » بالتحتية ، وهو تصحيف .

(٦) « تؤنقه » أى تعجبه .

(٧) فى ج « أجار » .

(٨) سورة البقرة آية ١٩٧

على ابن إباضٍ فقال: إنَّ نافعاً غَلاَ فكَفَرَ، وإنك قصَّرْتَ فكفَرْتَ! تزْعُمُ أنَّ مَن خالفنَا ليس بمشركٍ، وإنما هم كُفَّارُ النِّعَمِ؛ لتمسُّكهم بالكتابِ، وإقرارِهم بالرَّسولِ، وتزْعُمُ أنَّ مَناكِحَهُمْ ومَوارِيثَهم[1] والإقامةَ فيهم حِلٌّ طِلْقٌ[2]؟ وأنا أقولُ: إن أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، تَحِلُّ لنا الإقامةُ فيهم، كما فَعل المسلمون فى إقامتهم بمكة، وأحكامُ المشركين تجْرِى فيها[3]، وأزْعُمُ أنَّ مَناكِحَهم ومَوارِيثهم تجوزُ لأنهم منافقونَ يُظهِرونَ الإسلامَ، وأنَّ حكمَهم عندَ الله حكمُ المشركين!!

⁂

فصاروا فى هذا الوقتِ على ثلاثة أقاويلَ: قولِ نافعٍ فى البَرَاءةِ والاستعراضِ واستحلالِ الأمانةِ وقتلِ الأطفالِ. وقولِ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه. وقولِ عبد الله بن إباضٍ. وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السُّنَّةِ من من أقاويل الضُّلَّالِ. والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدِيَّةُ فى ذلك الوقتِ يقولون بقولِ ابن إباضٍ. وقد قال ابنُ إباضٍ ما ذكرنا من مقالته.

وأنا أقول[4]: أنَّ[5] عَدُوَّنا كعدوِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولكنِّى لا أُحرِّمُ منا كِحَهم ومَوَارِيثَهم، لأن معهم التوحيدَ والإقرارَ

(١) فى س و هـ «مُناكحتَهم ومُوَارثتَهم».

(٢) «طلق» بكسر الطاء وسكون اللام، أى: حلال.

(٣) فى ج و هـ «تجرى فيهم».

(٤) الذى يقول هذا أبو العباس المبرد رحمه الله.

(٥) «إن» بكسر الهمزة فى ج و ا وبفتحها فى باقى النسخ، والفتح أرجح أو أصح.

بالكتابِ والرسولِ عليه السلام ، فَأَرَى معهم دَعْوَةَ المسلمين تَجْمَعُهُمْ ، وَأَرَاهُمْ كُفَّارًا لِلنِّعَمِ . وَقَالَتِ الصُّفْرِيَّةُ أَلْيَنَ من هذا القول فى أمر القَعَدِ ، حتى صار عَامَّتُهُمْ قَعَدًا . وَاخْتَلَفُوا فيهم ، وقد ذكرنا ذلك . فقال قوم : سُمُّوا « صُفْرِيَّةً » لأنهم أصحابُ ابن صَفَّارٍ ، وقال قومٌ : إنما سُمُّوا بِصُفْرَةٍ عَلَتْهُمْ ، وتصديقُ ذلك قولُ ابنِ عاصمٍ اللَّيْثِيِّ ، وكان يَرَى رَأْيَ الخوارجِ ، فتركه وصار مُرْجِئًا :

فارقتُ نَجْدَةَ والذين تَزَرَّقُوا ... وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَشِيعَةَ الكَذَّابِ[1]

وَالصُّفْرَ الْآذَانِ الذين تَخَيَّرُوا ... دِينًا بلا ثِقَةٍ ولا بكتابِ

خَفَّفَ الهمزةَ من « الآذَانِ » ولولا ذلك لانكسرَ الشِّعْرُ .

وَقَالَ أَبُو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كُفْرٍ ، والاستعراضُ فيها جائزٌ ، وإن أُصِيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ . إلى هٰهنا انتهتِ المقالةُ .

⁂

وَتَفَرَّقَتِ الخوارجُ على الْأَضْرُبِ الأربعةِ التي ذكرنا ، وأقام نافعٌ بالأهوازِ يعترضُ الناسَ ويَقْتُلُ الأطفالَ ، فإذا أُجِيبَ إلى المقالةِ جَبَا الخراجَ ، وفَشَا عُمَّالُهُ فى السَّوادِ ، فارتاعَ لذلك أهلُ البصرةِ ، فاجتمعوا إلى الأحنفِ بن قَيْسٍ ، فشَكَوْا ذلك إليه ، وقالوا : ليس بيننا وبين العدوِّ إلّا ليلتانِ ، وسيرتُهُمْ ما تَرَى ، فقال الأحنفُ : إنَّ فعلَهم فى مصرِكم ـ إن ظَفِرُوا به[2] ـ

(١) بحاشية ﻫ « يعنى المختار » . وهو المختار بن أبي عبيد الثقفى .

(٢) فى ج و د و ﻫ « إن ظفروا بكم » .

كَفِعْلِهِمْ فى سَوادِكم ، فَجِدُّوا فى جهادِ عدوِّكم ، فاجتمع إليه عشرةُ آلافِ [رجل(١)] ، فأتَى عبدَ اللهِ بنَ الحٰرثِ بن نوفلِ بن الحٰرثِ بن عبد المُطَّلِبِ ، وهو بَبَّةُ(٢) ، فسأله أن يُؤَمِّرَ عليهم ، فاختارلهم ابنَ عُبَيْسٍ(٣) بن كُرَيْزٍ ، وكان دَيِّنًا شجاعًا ، فأمَّره عليهم وشيَّعهُ ، فلما نَفَذَ من جَسْرِ البصرةِ أقبلَ على الناس فقال : إنى ما خرجتُ لامْتِيَارٍ(٤) ، ذَهَبٍ ولا فضةٍ ، وإنى لأُحارِبُ قومًا إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلّا سيوفُهم ورماحُهم ، فمن كان شأنُه الجهادَ فلْيَنْهَضْ ، ومَنْ أحبَّ الحياةَ فليرجِعْ ، فرجع نَفَرٌ يسيرٌ ، ومضى الباقون معه(٥). فلما صاروا بدُولابَ(٦) خرج إليهم نافعٌ . فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، حتى

---

(١) الزيادة من س .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : البَبَّةُ : كَثْرَةُ اللحمِ وتراكُبُه . وبه لُقِّبَ عبد الله بن الحٰرثِ بن نوفلٍ بَبَّةَ ، لكثرة لحمه فى صغره ، وله تقول أمُّه هِنْدٌ بنتُ أبى سفيانَ ، وهى تُنَقِّزُهُ :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ ... جاريةً كالقُبَّهْ

مُكْرَمَةً مُحَبَّهْ ... تَجُبُّ أهلَ الكَعْبَهْ

تَجُبُّهم : تَغلبُهم ، أى : تَغلبُ نساءَ قريش بحُسْنها ، يقال : جَبَّتْ فلانةُ النساءَ تَجُبُّهُنَّ جَبًّا : إذا غَلَبَتْهُنَّ » . ومعنى « تُنَقِّزُهُ » تُوَثِّبُهُ ، كأنها تُرَقِّصُهُ .

(٣) قال المرصفى إن اسمه « مسلم بن عبيس » .

(٤) « امتيار » بالراء ، من الميرة ، وهى جلب الطعام . وفى بعض طبعات مصر بنقط الراء ، وهو تصحيف .

(٥) فى س و د « ومضى الناس معه » .

(٦) ضبطت فى كل أصول الكامل بضم الدال . وضبطها ياقوت بالفتح ، وقال : « وأكثر المحدثين يروونه بالضم ، وقد روى بالفتح » . وقال السمعانى فى الأنساب : « والصحيح فتح الدال ولكن الناس يضمونها » . ودولاب هذه قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

تكسَّرت الرماحُ ، وعُقِرَتِ الخيلُ ، وَكَثُرَتِ الجِرَاحُ[١] ، والقتلُ[٢] ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ ، فَقُتِلَ فى المَعْرَكةِ ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بنُ الأزرق ، وكان ابْنُ عُبَيْسٍ [قد[٣]] تقدَّمَ إلى أصحابه فقال : إنْ أُصِبْتُ فأميرُكُمْ الرَّبيعُ بن عمرٍو الأَجْذَمُ الغُدَانىُّ ، فلما أُصِيبَ ابْنُ عُبَيْسٍ أَخَذَ الربيعُ الرايَةَ ، وكان نافعٌ قد استخلفَ عُبَيْدَ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ السَّلِيطِىَّ ، فكان الرئيسانِ من بنى يربوع : رئيسُ المسلمين من بنى غُدَانَةَ بن يربوعٍ ، ورئيسُ الخوارج من بنى سَلِيطِ بن يربوعٍ ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، وادَّعى قتلَ نافعٍ سَلاَمَةُ الباهلىُّ ، وقال : لَمَّا قَتَلْتُهُ وكنتُ على بِرْذَوْنٍ وَرْدٍ[٤] إذا بِرَجُلٍ على فرسٍ وأنا واقفٌ فى خُمْسِ قَيْسٍ يُنَادِى : يا صاحبَ الوَرْدِ ! هَلُمَّ إلى المبارزة ، فوقفتُ فى خُمْسِ بنى تميمٍ فاذا به[٥] يَعْرِضُها علىَّ ، وجعلتُ أَتنَقَّلُ[٦] من خُمْسٍ إلى خُمْسٍ ، وليس يُزَايِلُنِى ، فَصِرْتُ إِلَى رَحْلِى ، ثُمَّ رَجَعْتُ فرآنى فدعانى إلى المبارزة ، فلما أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ ، فضربتُه فصرعته ، فَنَزَلْتُ لِسَلَبِهِ وَأَخْذِ رَأْسِهِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قد رَأَتْنِى حين قتلتُ نَافِعًا ، فخرجتْ لِتَثْأَرَ بِهِ ، فلم يَزَلِ الرَّبِيعُ الأَجْذَمُ يقاتلهم نَيِّفًا وعشرين يَوْمًا[٧] ، حتى قالَ يَوْمًا : أنا مَقْتُولٌ لامَحَالَةَ ، قالُوا :

---

(١) فى ع « الجراحات » .
(٢) فى س و هـ « والقتلى » .
(٣) الزيادة من ع و س و د و هـ .
(٤) الفرس الورد : ماكان بين الكميت والأشقر . قال ابن سيده : « الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شىء » .
(٥) د و هـ « فإذا هو » .
(٦) فى ع و س و د و هـ و ف « أنتقل » .
(٧) فى ع و ف « ليلة » .

وكيف ؟ قالَ : لِأَنى رأَيْتُ(١) البارحةَ كأَنَّ يَدِى التى أُصِيبَتْ بِكابُلَ انحطَّتْ من السماء فاسْتَشْلَتْنِي ، فلما كان الغَدُ قاتَلَ إلى الليل ، ثم غاداهُمْ فقُتِلَ ، فتدافعَ أهلُ البصرة الرايَةَ حتى خافوا العَطَبَ ، إذْ لم يكن لهم رئيسٌ ، ثم أَجمعوا على الحَجَّاج بن بابٍ الحِمْيَرِيِّ ، فأَباها ، فقيل له : أَلَا تَرَى أن رؤساء العرب بالحَضْرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟! فقال : مَشْؤُومَةٌ ، ما يأخذُها أحدٌ إلا قتِلَ ، ثم أَخذها ، فلم يزل يقاتلُ الخوارجَ بدُولابَ(٢) ، والخوارجُ أَعَدُّ بالآلاتِ والدُّروع والجَواشِنِ(٣) ، فالْتَقَى الحجاجُ بن بابٍ وعِمْرَانُ بن الحرثِ الرَّاسِبِيُّ ، وذلك بعد أن اقتتلوا زُهاء شهرٍ ، فاختلفا ضربتين ، فسقطا ميتين ، فقالت أمُّ عِمرانَ ترثيه :

اَللهُ أَيَّدَ عِمْرَانًا وطَهَّرَهُ ... وكانَ عِمرانُ يدعُو اللهَ فى السَّحَرِ

يَدعوه سِرًّا وإعلانًا لِيَرْزُقَهُ ... شَهادةً بيدَىْ مِلْحادَةٍ غُــدَرِ(٤)

وَلَّى صَحابتُهُ عن حَرِّ مَلْحَمَةٍ ... وشَدَّ عِمرانُ كالضِّرْغامةِ الهَصِرِ

قولُ الرَّبيع « اسْتَشْلَتْنِي » أى(٥) : أَخذَتْنى إِليها واستنقذتْنى . يقال « اسْتَشْلَاه واشْتَلاه » وفى الحديث « أَنَّ السارقَ إذا قُطِعَ سبقتْهُ يدُه إلى

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « إنى رأيت » .

(٢) الراجح فتح الدال ، كما قلنا فيما مضى (ص ١٠٤٢) .

(٣) أعدّ : أقوى عدة . والجواشن : جمع جوشن ، وهو الدرع .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : أَلْحَدَ الرجلُ إلْحاداً : إذا مالَ ، فهو مُلْحِدٌ : إذا ما مَالَ عَنِ القَصْدِ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « يريد » بدل « أى » .

النار ، فان تاب أستَشْلاَهَا[1] » . [و[2]] قال رُؤْبَةُ :

* إنَّ سليمانَ أشْتَلاَنَا ابنَ عَلِي[3] * وقولُ الناسِ « أشْلَيْتُ كَلْبِي » أى أغريتُهُ بالصيد ، خَطَأٌ ، إنما يقال « آسَدتُه » . و «أُشْلَيْتُهُ » دعوتُهُ .

وقولُها « بِيَدَىْ مِلْحَادَةٍ » « مِفْعَالٌ » من الإلْحادِ ، كما تقول : رجل مِعطاءٌ يافتى ، ومِحسانٌ ، ومِكْرامٌ ، وأُدْخِلَتِ الهاءَ للمبالغة ، كما تُدْخَلُ[4] فى رَاوِيةٍ وعَلاَّمَةٍ ونَسَّابَةٍ .

« وغُدَرُ » « فُعَلٌ » من الغَدْرِ ، ولِفُعَلٍ بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة ، إذا فرغنا من خبرِ هذه الوقعةِ .

و « الضِّرْغَامَةُ » من أسماء الأسدِ .

و « الهَصِرُ » الذى يَهْصِرُ كُلَّ شىءٍ ، أى يَثْنِيهِ ، قال أمرؤُ القيسِ :

فلمَّا تنازَعْنَا الحديثَ وأسْمَحَتْ   هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذى شَمَارِيخَ مَيَّالِ

*

ولذكرِنَا الصُّفْرِيَةَ والأَزارِقَةَ والبَيْهَسِيَّةَ والإباضِيَّةَ تفسيرٌ ، لِمَ نُسِبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة ، وإلى أبى بَيْهَسٍ بالكُنْيَة المضافِ إليها ، ونُسِبَ إلى صُفْرٍ[5] ولم يُنْسَبْ إلى واحِدِهم ، ونُسِبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعِلَ النسبُ

(١) قال فى اللسان : « أى استنقذها واستخرجها ، ومن سبقها أنه بالسرقة استوجب النار ، فكانت من جملة ما يدخل النار ، فإذا قطعت سبقته إليها ، لأنها قد فارقته ، فإذا تاب استنقذ بنيته حتى يده » .

(٢) الزيادة من ع و ف .

(٣) البيت فى اللسان (ج ١٩ ص ١٧٣) غير منسوب .

(٤) فى ع و ف « كما تقول » .

(٥) فى ع و د و هـ و ف « إلى الصُّفْرِ » .

إلى أبيه ؟ وهذا نذكره بعدُ باب « فُعَلٍ » [إن شاء الله[١]] .

⁂

[قال أبو العباس[١]] : ومما قيلَ من الشعر فى يوم دُولابَ قولُ قَطَرِىٍّ :

لَعَمْرُكَ إنِّى فى الحياةِ لَزَاهِــدٌ ... وفى العَيْشِ ما لم أَلْقَ أُمَّ حَكِيمِ
مِنَ الخَفِراتِ البِيضِ لم يُرَ مِثلُها ... شِفاءٌ لِذِى بَثٍّ ولا لِسَقِــيمِ
لَعَمْرُكَ إنِّى يومَ أَلْطِــمُ وَجْهَهَا ... على نائباتِ الدَّهرِ جِــدُّ لَئِيمِ
ولو شَهِدَتْنِى يومَ دُولابَ أَبصرَتْ ... طِعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذَمِيمِ[٢]
غداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... وعُجْنا صُــدورَ الخيلِ نحوَ تَميمِ
وكان لِعَبْدِ القَيْسِ أولُ جَــدِّها[٣] ... وأَحْلافِها مِن يَحْصَبٍ وسَلِيمِ[٤]
وظَلَّتْ شُيوخُ الأَزْدِ فى حَوْمةِ الوَغَى ... تَعُومُ وظِلْنا فى الجِــلادِ نَعُومُ[٥]
فلم أَرَ يومًا كان أكثرَ مُقْعَصًا ... يَمُجُّ دمًا مِن فائِظٍ وكَلِيمِ[٦]
وضارِبةٍ خَــدًّا كريمًا على فَتًى ... أَغَرَّ نَجِيبِ الأُمَّهاتِ كَرِيمِ

---

(١) الزيادة فى الموضعين من س .

(٢) « دولاب » ضبطت أيضاً فى كل أصول الكامل بضم الدال ، ولكن البيت ذكره السمعانى فى الأنساب (فى الورقة ٢٣٣) من رواية الأصمعى شاهداً لفتح الدال ، وهو الصحيح ، كما بينا آنفا .

(٣) فى ج و د و ف « بعبد القيس » .

(٤) « يحصب » بتثليث الصاد ، كما ضبط فى الأصول . وهو يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث ، من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ . و « سليم » يريد به « سليم » بالتصغير ، وكبره للوزن . وهو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . قاله المرصفى .

(٥) بالرفع على الإقواء .

(٦) « مقعصاً » أى مطعونا . من قولهم « أقعصه برمحه » إذا طعنه فمات مكانه . و « الفائظ » من قولهم : فاظ الرجل ، أى مات ، وفاظت نفسه أيضاً .

أُصِيبَ بِدُولابٍ ولم تَكُ مَوْطِنًا ... لهُ أرضُ دُولَابٍ ودَيْرُ حَمِيمِ[1]
فلو شَهِدَتْنا يومَ ذاكَ وخَيْلُنا ... تُبِيحُ مِنَ الكُفَّارِ كلَّ حَرِيمِ
رأتْ فِتْيَةً باعُوا الإلٰهَ نُفوسَهم ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعِيمِ

قوله « ولو شَهِدَتْنا يومَ دُولَابَ » فلم يَنْصَرِفْ[2] « دُولابُ » فإنما ذاكَ لأنه أرادَ البَلْدَةَ ، و « دُولابُ » أعجميٌّ مُعْرَبٌ . وكلُّ ما كان من الأسماءِ[3] الأعجميةِ نكرةً بغيرِ الألِفِ واللَّامِ[4] فإذا دَخَلَتْه الألفُ واللامُ فقد صار مُعَرَّبًا ، وصار على قياسِ الأسماء العربية ، لا يمنعُه من الصرفِ إلَّا ما يمنعُ العربيَّ ، فدولابُ « فُوعالٌ » مثلُ طُومارٍ وسُولافٍ . وكلُّ شيء لا يَخُصُّ واحداً من الجنس من غيرِه فهو نكرةٌ ، نحوُ رجلٍ ، لأن هذا الأسم يَلْحَقُ كلَّ ما كان على بِنْيَتِهِ ، وكذلك حَمَلٌ[5] وجَبَلٌ وما أشبه ذلك . فإن وقع الأسمُ في كلام العجمِ معرفةً فلا سبيلَ إلى إدخالِ الألف واللام عليه ، لأنه معرفةٌ ، فلا معنى لتعريفٍ آخرَ فيه ، فذلك غيرُ منصرفٍ[6] ، نحو « فِرْعَوْنَ » [و « هامانَ[7] »] « وقارُونَ » وكذلك « إسْحٰقُ » و « وإبْرٰهيمُ » « ويَعْقُوبُ » .

---

(١) « ديرحيم » موضع بالأهواز .

(٢) في ع و س و د و هـ و ف « فَلَمْ يَصْرِفْ » .

(٣) في طبعات مصر « أسماء » بدون حرف التعريف ، وهو خطأ ومخالف لأصول الكتاب .

(٤) في ع و د و هـ « بغير ألف ولام » .

(٥) بالحاء المهملة . وفي ع و د و هـ و ف « جمل » بالجيم .

(٦) في ف « غير مصروف » .

(٧) الزيادة من س و ف .

وقوله « غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ » وهو يريدُ : عَلَى الماء ، فإن العربَ إذا الْتقتْ فى مثل هذا الموضع لامَانِ استجازُوا حذفَ إحداهما استثقالاً للتضعيف ، لأن ما بَقِيَ دليلٌ على ما حُذِفَ ، يقولون « عَلْماء بَنُو فلانٍ » كما قال الفرزدقُ :

وما سُبِقَ القَيْسِيُّ مِنْ ضُعْفِ حِيلَةٍ ... ولكِنْ طَفَتْ عَلْماءِ قُلْفَةُ خَالِدِ[1]

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماء القبائل تظهرُ فيه لامُ المعرفةِ فإنهم يُجيزون معه حذفَ النونِ التى فى قولك « بَنُو » لِقُرْبِ مَخْرَجِ النون من اللّامِ ، وذلك قولُك فلانٌ من « بَلْحٰرِثِ » و « بَلْعَنْبَرِ » و « بَلْهُجَيْمِ »

وقال آخرُ من الخوارج :

يَرَى مَنْ جاءَ يَنْظُرُ مِن دُجَيْلٍ ... شُيوخَ الأَزْدِ طافِيَةً لِحَاهَا[2]

وقال رجلٌ منهم :

شَمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ ... والحائِرُونَ بِنافِعِ بنِ الأَزْرَقِ[3]

والموتُ حَتْمٌ لا مَحالةَ واقِعٌ ... مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نَهاراً يَطْرُقِ

فلَئِنْ أميرَ المؤمنينَ أصابَهُ ... رَيْبُ المَنونِ فَمَن يُصِبْهُ يَغْلَقِ[4]

نَصَبَ بعدَ « إنْ » لأنّ حرفَ[5] الجزاء للفعل ، فإنما أرادَ : فلَئِنْ أصابَ

---

(١) « القلفة » بضم القاف وسكون اللام ، وبفتحهما معاً : هى جلدة الذكر التى تقطع عند الختان .

(٢) « دجيل » بالتصغير : نهر بالأهواز .

(٣) « والحائرون » بالحاء المهملة . وفى ج و ف ونسخة بحاشية ا « والجائرون » بالجيم ، يعنى الظالمين .

(٤) « يغلق » من قولهم « غلق الرهن » : إذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه ، يريد أنه لا يجد من يخلصه .

(٥) فى ج و د « حروف » .

أميرَ المؤمنين ، فلما حذَف هذا الفعلَ وأضمرَ ذِكْرَ « أصابه » ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمِرِ بن تَوْلَب[1] :

لا تجْزَعِي إنْ مُنْفِسًا أَهْلَكْتُه وإذا هَلَكْتُ فعندَ ذلكِ فاجْزَعِي

وقال ذو الرُّمَّةِ :

إذا ابنَ أَبِي مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِهِ فقامَ بفأسٍ بينَ وِصْلَيْكِ جَازِرُ[2]

لأنَّ « إذَا » لا يليها إلّا الفعلُ ، وهي به أَوْلَى[3] .

هذا باب « فُعَلٍ »

اِعلم أن كلَّ اسمٍ على مثالِ « فُعَلٍ » فهو مصروفٌ في المعرفةِ والنكرةِ ، إذا كان اسمًا أصليًّا أو نعتًا ، فالأسماءُ نحوُ : صُرَدٍ ونُغَرٍ وجُعَلٍ ، وكذلك إن كان جمعًا ، نحو : ظُلَمٍ وغُرَفٍ . وإن سَمَّيْتَ بشيءٍ من هذا رجلاً انصرفَ في المعرفة والنكرةِ . وأما النَّعْتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ[4] ، كما قال :

* قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ *

(١) هكذا ضبط في أصول الكامل بفتح النون وكسر الميم ، وكذلك في أكثر الكتب المعتنى بتصحيحها ، أو فيها كلها . وعليه مشى صاحب القاموس ، وحكى أنه يقال فيه أيضاً بسكون الميم مع فتح النون وكسرها . ولكن ضبطه ابن دريد في الاشتقاق (ص ١١٣) بفتح النون وسكون الميم ، وقال : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال النمر » . وعندي أن هذا أدق وأوثق .

(٢) « الوصل » بكسر الواو وبضمها واحد « الأوصال » وهي المفاصل .

(٣) في ج و س و د و هـ و ف « لأن إذَا أن يَلِيهَا الفعلُ أَوْلَى » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذَانَ : رجلٌ حُطَمٌ ، فُعَلٌ من الحَطْمِ ، حَطَمْتُ الشيءَ أَحْطِمُهُ حَطْمًا : إذا كَسَرْتَهُ ، وسُمِّيَتْ جَهَنَّمُ حُطَمَةً ، وهي فُعَلَةٌ من الكَسْرِ » .

وكذلك مالٌ لُبَدٌ(١) ، وهو الكثيرُ ، من قوله جلَّ جلالُه : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا(٢) ﴾ .

فإن كان الاسمُ على « فُعَلَ » مَعْدُولاً عن « فَاعِلٍ » لم ينصرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة ، وينصرفُ(٣) فى النكرةِ ، وذلك نحوُ : عُمَرَ وقُثَمَ ، لأنه معدولٌ عن عامرٍ ، وهو الاسمُ الجارِى على الفعل ، فهذا ممَّا معرفتُه قبل نَكِرَتِه ، فإذا أُرِيدَ به مَذهبُ المعرفة جاز أن تَبنيَه فى النداء من كل فعلٍ [فُعَلَ(٤)] ، لأن المنادَى مُشَارٌ إليه ، وذلك قولُك : يا فُسَقُ ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت « بِيَدَىْ مِلْحَادَةٍ غُدَرٍ » فى غير النداء للضرورةِ ، فنقلَتْهُ معرفةً من النداء ، ثم جعلَتْه نكرةً لخروجه عن الإشارةِ ، فنعتَتْ به « مِلْحَادَةً » كما قال الحُطَيْئَةُ :

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوِى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُه لَكَاعِ(٥)

وهذا لا يقعُ إلّا فى النداء ، ولكنْ للشاعرِ نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً ، على حدِّ ما كان له فى النداء . فيُلْحَقُ قولُها « غُدَرٌ » بقوله رجلٌ حُطَمٌ ، ومالٌ لُبَدٌ ، وما أشبهه(٦) . و « فَعَالِ » فى المؤنَّثِ بمنزلة « فُعَلَ » فى المذكَّرِ ،

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذَانَ : يقال أسدٌ ذو لِبَدٍ : إذا تكاثفَ وَبَرُه على مَنْكِبَيْهِ ، ولُبَدُ اسمُ آخِرِ نُسُورِ لُقمانَ بن عادٍ » .

(٢) سورة البلد آية ٦

(٣) فى ج و س و ف « وانصرف » .

(٤) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٥) فى س و ف « أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ » وهو الرواية المشهورة

(٦) فى ج و س و د و ه و ف « وما أشبه ذلك » .

ولو سميتَ رجلاً « حُطَماً » لصَرَفتَهُ(١) ، من قولِك : هذا سائقٌ حُطَمٌ ، لأنه قد وقع نكرةً غيرَ معدولٍ ، فهو فى النعوت بمنزلة « صُرَدٍ » فى الأسماء .

هذا باب النَّسَبِ إلى المُضَافِ

اِعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضافٍ(٢) فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاسم الأول ، وذلك قولُك فى عَبْدِ الْقَيْسِ « عَبْدِىٌّ » وكذلك فى عبد الله بن دَارِمٍ . فإن كان الاسمُ الثانى أشْهرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه ، لئلا يقَعَ فى النَّسب التباسٌ من اسمٍ باسمٍ ، وذلك قولُك فى النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنافٍ « مَنافِىٌّ » وإلى أبى بَكْرِ بن كلابٍ « بَكْرِىٌّ » . وقد يجوزُ ، وهو قليلٌ ، أن تَبْنِىَ له من الاسمين اسماً على مثال الأربعة لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ ، وذلك قولُك فى النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَىّ « عَبْدَرِىٌّ » وفى النسب إلى عبد القَيْس «عَبْقَسِىٌّ ».

فإن كان المضافُ غير عَلَمٍ فالنَّسبُ إلى الثانى على كل حالٍ ، وذلك قولُك فى النسب إلى ابن الزُّبير « زُبَيْرِىٌّ » لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير ، وكذلك النَّسبُ إلى ابنِ رَأْلانَ « رَأْلانِىٌّ » . فلذلك قالوا فى النَّسبِ إلى ابن الأَزْرَقِ « أَزْرَقِىٌّ » وإلى أبى بَيْهَسٍ « بَيْهَسِىٌّ » .

فأما قولُهم « صُفْرِىٌّ » فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوانِ ، فنَسَبُوا إلى الجماعةِ ، وحقُّ الجماعةِ إذا نُسِبَ إليها أن يقَعَ النسبُ إلى واحدِها ، كقولك «مُهَلَّبِىٌّ» و « مِسْمَعِىٌّ » ولكن جعلوا « صُفْراً » اسماً للجماعة ، ثم نسبوا إليه ، ولم

---

(١) فى النسخ المذكورة « ولو سمينا رجلا حطما لصرفناه » .

(٢) فى ج و د و هـ « إلى مضاف علم » .

يقولوا « أَصْفَرِيٌّ » فيُنْسَبُ إلى واحدِها ، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا[1] الصُّفْرَ أسماً للجماعةِ ، كما تُسَمَّى القَبيلةُ بالاسمِ الواحدِ ، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأنصارِ « أنْصَارِيٌّ » لأنه كان عَلَماً للقبيلةِ ، وكذلك « مَدَائِنِيٌّ[2] » .

وتقولُ فى النسبِ إلى الأَبْناء من بنى سَعْدٍ[3] «أبْناوِيٌّ[4]» لأنه اسمٌ للجماعة .

فأما قولُهم « الأَزَارِقَةُ » فهذا بابٌ من النَّسَبِ آخرُ ، وهو أن يُسَمَّي كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ ، إذا كانوا[5] إليه يُنْسَبُونَ ، ونظيرُه « المَهَالِبَةُ » و « المَسَامِعَةُ » و «المَنَاذِرَةُ» . ويقولون : جاءنى النُّمَيْرُونَ والأشعَرُونَ ، جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْرًا وأشْعَرَ ، فهذا يتَّصِلُ فى القبائل ، على ماذكرتُ لك.

وقد تُنْسَبُ الجماعةُ إلى الواحدِ على رأيٍ أو دِينٍ ، فيكونُ له مثلُ نَسَبِ الوِلادَةِ ، كما قالوا[6] « أَزْرَقِيٌّ » لمن كان على رأيِ ابنِ الأَزْرَقِ ، كما

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « لأنه جعل » .

(٢) نقل المرصفى عن سيبويه قال : « وسألت الخليل عن قولهم مدائنى ، فقال : صار البناء عندهم اسما لبلد ، ومن ثم قالت بنوسعد فى الأبناء أبناوى ، كأنهم جعلوه اسم الحى ، والحى كالبلد، وهو واحد يقع على الجميع » .

(٣) نقل المرصفى عن ياقوت فى المقتضب : « أن سعد بن زيد مناة بن تميم ولد كعبا وعمراً والحرث وعُوافة وجُشم وعبشمس ومالكا وعوفا ، ويقال لهم جميعاً الأبناء غير كعب وعمرو» .

(٤) فى اللسان : « ويقال لأولاد فارس الأبناء وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا فى العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم » . وحكى فى اللسان خلافا فى النسب إلى هؤلاء الأبناء ، فبعضهم يقول «أبناوى» أيضاً ، وبعضهم يقول « بنوى » يردونه إلى الواحد .

(٥) فى ا « إذ كانوا » وما هنا صواب أيضاً ، فقد تكون « إذا » متجردة للظرفية المحضة غير متضمنة معنى الشرط . وقد جاءت كذلك فى كلام الشافعى ، وهو حجة . انظر الرسالة بشرحنا فى الفقرة رقم ١١١٥

(٦) فى ج و س و د و هـ و ف « كما قلت » .

تقول تَميميٌّ وقيسيٌّ لمن وَلَده تَميمٌ وقَيسٌ ، ومن قرأ ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْياسِينَ﴾[1] فإنما يريدُ إلْياسَ عليه السلامُ ومَنْ كان على دِينِه ، كما قال :

* قَدْنِيَ من نَصْرِ الخُبَيْبِينَ قَدِ *

يريدُ أبا خُبَيْبٍ ومن معه .

وقد يجتمعُ الرجل مع الرجل فى التثنية إذا كان مَجازُهما واحداً فى أكثر الأمرِ على لفظ أحدِهما ، فمن ذلك قولُهم « العُمَرانِ » لأبى بكرٍ وعُمَرَ رضى الله عنهما ، ومن ذلك قولهم « الخُبَيْبانِ » لعبد الله ومُصْعَبٍ ، وقد مضى تفسيرُه .

عادَ القولُ فى الخوارِج

قال : والأزارقةُ لاتُكَفِّرُ أحداً من أهل مَقالتِها فى دار الهِجْرَةِ إلّا القاتِلَ رجلاً مسلماً ، فإنهم يقولون : المسلمُ حجةُ الله ، والقاتِلُ قَصَدَ لِقَطْعِ الحجةِ .

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالكِ بنِ مسْمَعٍ فى الحرب التى كانت بين الأَزْد وربيعةَ وبنى تَميمٍ ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً ، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيدِه إلى حِمالة سيفه وقال : ألاَ تنصرُنا فى حربنا هذه ؟! فقال : لايَحِلُّ لِي ، قال : فما بالُ مُؤْمِنِي بنى تَميمٍ ينصرون كُفّارَهم[2] فى هذه الحرب ؟! فأَمْسكَ عنه ،

(١) سورة الصافات آية ١٣٠ وقد قرئ بوجهين : « آل ياسين » بمد الهمزة المفتوحة وكسر اللام ، فأضافوا « آل » إلى « ياسين » وهى قراءة نافع وأبى عامر ويعقوب . وقرأ باقى الأربعة عشر « إلياسين » جمع « إلياس » باعتبار أصحابه ، كما وجهه المبرد وغيره . وانظر كتاب القراءات الأربعة عشر (ص ٣٧٠ — ٣٧١) وإعراب القرآن للعكبرى (٢ : ١١١) .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « كفاركم » .

وخَرج بعدَذلك بأيام إلى الأَهْواز، فلمّاقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِمَّنْ بخازَرَ[١] من الخوارِج في أيام ابن الماحُوز كَرِهَ بَبَّةُ القتالَ ، وأقام حارثةُ بن بَدْرٍ الغُدَانِيُّ بإزاء الخوارِج ، يناوِشُهم على غيرِ وِلايةٍ ، وكان يقولُ : ماعُذْرُنا عندَ إخواننا من أهل البصرة إنْ وَصَل إليهم الخوارجُ[٢] ونحن دونَهم ؟ فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزُّبير يُخْبِرونه بقُعُودِ بَبَّةَ ، ويسألُونه أن يُوَلِّيَ والياً ، فكتبَ إلى أنَسِ بن مالكٍ أن يُصلِّيَ بالناسِ ، فصلَّى بهم أربعين يومًا ، وكَتَب إلى عُمَرَ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولَّاه البصرةَ ، فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ ، وهو في بعضِ الطريقِ ، فرجَعَ فأقام بالبصرة ، ووَلَّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأزارقةِ ، فخرج إليهم في اثنى عشَرَ ألفاً ، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه ، وعبيدُ الله بن الماحُوزِ في الخوارج بِسُوق الأَهْواز، فلمَّا عَبَرُوا إليهم دُجَيْلاً نهضَ إليهم الخوارجُ ، وذلك قُبَيْلَ الظُّهْرِ[٣] ، فقال عثمانُ بن عُبيد الله لحارثة بن بَدْرٍ : أمَا الخوارجُ إلاَّ ماأرى ؟ فقال له حارثةُ [بنُ بدرٍ[٤]] : حَسْبُكَ بهؤلاء ، فقال : لاجَرَمَ واللهِ لا أتَغَدَّى حتى أُناجزَهُمْ ! فقال له حارثةُ [بنُ بدرٍ[٤]] : إنَّ هؤلاء لايُقاتَلُونَ بالتَّعَسُّفِ ، فأَبْقِ على نفسِك وجُنْدِكَ ، فقال : أَبَيْتُمْ [يا[٤]] أهلَ العراقِ إلاَّ جُبْنًا ! وأنتَ ياحارثةُ ! ماعِلْمُكَ بالحربِ ؟ أنتَ واللهِ بغيرِ هذا أعْلَمُ ! يُعَرِّضُ له بالشرابِ ! فغضب حارثةُ

---

(١) « خازر » بالخاء المعجمة وبعد الألف زاء ثم راء ، وهو نهر بين اربل والموصل. وقد ضبطت الزاء في أصول الكتاب بالكسر والفتح معاً . واقتصر صاحب القاموس على الكسر ، وكذلك ياقوت في البلدان ثم قال : « وقد حكى عن الأزهرى أنه رواه بفتح الزاى ، ولم أجده أنا كذلك بخطه » .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « إن وصل الخوارج إليهم » .

(٣) في ج و ف « قبل الظهر » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

فاعتزلَ ، وحاربَهم[١] عثمانُ يومَه إلى أنْ غابتِ الشمسُ ، فأَجْلَتِ الحربُ عنه قتيلاً، وانهزَم الناسُ ، وأخذَ حارثةُ الرايةَ ، وصاحَ بالناسِ : أنا حارثةُ بن بدرٍ ، فثاب إليه قومُهُ ، فعبَرَ بهم دُجَيْلاً ، وبَلغَ فَلُّ عثمانَ البصرةَ ، وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديداً ، وعزَلَ ابنُ الزُّبيرِ عُمَرَ بنَ عبيد الله ، ووَلّى الحرِثَ بنَ عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ ، المعروفَ بالقُباعِ[٢] ، أحدَ بني مَخزومٍ ، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبي ربيعةَ المخزوميّ الشاعرِ ، فقَدِمَ البصرةَ ، فكَتبَ إليه حارثةُ بن بدرٍ يسألُه الولايةَ والمَدَدَ ، فأراد أن يُوَلِّيَهُ[٣] ، فقال له رجلٌ من بَكْرِ بن وائلٍ : إن حارثةَ ليسَ بذاكَ[٤] ، إنما هو صاحبُ شَرابٍ[٥] ؛ وفيه يقولُ رجلٌ من قومه :

أَلَمْ تَرَ أنّ حارثةَ بن بَدْرٍ ... يُصَلِّي وهو أكْفَرُ من حِمارِ
أَلم تَرَ أنّ لِلفتيانِ حظّاً ... وحَظُّكَ في البَغايا والقِمارِ[٦]

فكتب إليه القُباعُ : تُكْفَى[٧] حَرْبَهم إن شاء الله . فأقام حارثةُ يدافِعُهُم ، فقال

(١) في ج و د « فحاربهم » .

(٢) هنا بحاشية ا ما نصه « المهلّبيّ : القُباعُ : مكيالٌ واسع ، وبه لُقِّبَ الحرثُ بن عبد الله القُباعَ ، وكان ابنُ الزُّبيرِ ولاّهُ البصرةَ ، فنَظَرَ إلى مِكيالِهم الذى يقالُ له القَنْقَلُ فقال : إنه لَقُباعٌ ، فلُقِّبَ القُباعَ » .

(٣) في ج و س و د و هـ و ف « فأراد توليته » .

(٤) في ج و د و هـ و ف « لذلك » وفي س « كذلك » . وفي طبعات مصر « بذلك » وهو مخالف لجميع النسخ .

(٥) في س و د و هـ و ف « إنما هو رجلٌ شَرّابٌ » .

(٦) في هـ وحاشيته ا « والعُقَارِ » . وزعم المرصفي أن هذا هو الصواب ! ولكن الروايتان ثابتتان كما ترى . والعقار من أسماء الخمر .

(٧) في ج و د و ف « تكفيني » .

شاعرٌ من بنى تميمٍ يذكر عثمانَ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ وحارثةَ بن بدرٍ :

مَضَى ابنُ عُبَيْسٍ صابرًا غيرَ عاجزٍ ... وأعقَبَنا هذا الحجازىُّ عثمانُ
فأرْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللقاء ابنُ مَعْمَرٍ ... وأبْرَقَ والبَرْقُ اليمانِىُّ خَوّانُ
فَضَحْتَ قُرَيْشًا غَثَّها وسَمِينَهَا ... وقِيلَ بنو تَيْمِ بنُ مُرَّةَ عُزْلَانُ
فلولا ابنُ بدرٍ للعِرَاقَيْنِ لم يَقُمْ ... بما قام فيه للعِرَاقَيْنِ إنْسانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقيقةِ أوْمَأَتْ ... إليه مَعَدٌّ بالأنُوفِ وقَحْطَانُ .

⁂

قوله « فَأَرْعَدَ » زعمَ الأصمعىُّ أنه خطأٌ ، وأن الكُمَيْتَ أخطأَ فى قوله :

أرْعِدْ وأبْرِقْ يايَزِيـــدُ فما وَعِيدُكَ لِى بضائرْ(١)

وزعم أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ ، وهو قولُه :

أَنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِىِّ وأبْرَقْـــنا كما تُوعِدُ الفُحولُ الفُحولا(٢)

وأنه لايُقالُ إلاّ « رَعَدَ وبَرَقَ » إذا أوْعَدَ وتَهَدَّدَ ا وهو « يَرْعُدُ ويَبْرُقُ » وكذا يُقالُ « رعَدَتِ السماءُ وبَرَقَتْ » و « أرْعَدْنا نحن وأبْرَقْنا » إذا دَخَلْنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ ، قال الشاعرُ :

* فَقُلْ لأبِى قابوسَ ماشِئْتَ فارْعُدِ *

---

(١) فى ج و س و ف « أبرق وأرعد » .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « كما توعد » من الوعيد . وقوله « أنبضوا » قال المرصفى : « كذا رواه أبو العباس ، وهو بعيد عن الصواب ، وذلك أن الإنباض جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس مقبضها أوموضع السهم منها ، وكلاهما لايكون فيه إنباض . والرواية انتضوا ، يريد : أخذوا معاجس القسى فى أيديهم ، والانتضاء أخذ الشىء واستخراجه ! ! » . وكل ماقاله خطأ . أما الرواية فانه لم يذكر مصدرها ولاموضعها . وأما الانتضاء فانه استخراج =

ورَوَى غيرُ الأصمعيِّ « أرْعَدَ وأبْرَقَ » على ضَعْفٍ[1] .

وقوله « والبَرْقُ اليَمَانِيُّ خَوَّانُ » يريدُ : والبرقُ اليمانيُّ يخونُ . وأجودُ النَّسَبِ إلى اليَمَنِ « يَمَنِيٌّ » ويجوزُ « يَمَانٍ » بتخفيف الياء ، وهو حَسَنٌ ، وهو في أكثرِ الكلام[2] ، تكونُ الأَلِفُ عِوَضاً من إحدى الياءين ، ويجوزُ « يَمَانِيٌّ » فاعلم ، تكونُ الأَلِفُ زَائدةً وتُشدَّدُ الياء ، قال العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب :

ضَرَبْنَاهُمُ ضَرْبَ الاحَامِسِ غُدْوَةً ... بكلِّ يَمَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا[3]

☆

ثم إنّ حارثةَ لمّا تفرّق الناسُ عنه أقام بنهر تِيرَى ، فعَبَرَتْ إليه الخوارجُ ، فهربَ وأصحابَه يرْكُضُ ، حتى أَتَى دُجَيْلاً ، فجلس في سفينة ، واتّبعه جماعةٌ من أصحابه ، فكانوا معه ، وأتاه رجلٌ من بني تميمٍ وعليه سلاحُه ، والخوارجُ وراءه

= الشيء ، يقال : « انتضى في يده أسهما ، أي أخذ واستخرجها من كنانته » كما هو نص اللسان ، فالقوس لاينتضى ، وإنما ينتضى السيف والسهم . وموضع السهم من القوس هو الوتر، وهو الذي ينبض ويجذب ليرن ، وهوالذي يجذب ومعه السهم ثم يترك فينطلق السهم إلى غرضه . ويظهر لي أن المرصفي رحمه الله لم ير قوساً قط .

(١) بل هو صحيح ثابت قويّ ، وانظر اللسان .

(٢) في س « وأكثر الكلام » . وفي ج و د و هـ و ف «وهو أكثر في الكلام» .

(٣) في د « الأحاميس » . والأحمس : الشديد الصلب في الدين والقتال . والحمس من قريش وغيرهم ، سموا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم ، أي تشددوا ، وكانوا سكان الحرم ، وكانوا لايخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ، ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم . وقد أبطل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد قريش ، فوقف في عرفات ، وانظر فتح الباري (ج ٣ ص ٤١١ — ٤١٣ طبعة بولاق) .

وقد تَوسَّطَ حارثةُ ، فصاحَ به : ياحارثَ[١] ! ليس مثلى ضُيِّعَ ، فقال للملّاح : قرِّبْ . فقرَّبَ إلى جُرُفٍ ، ولا فُرْضَةَ هناك[٢] ، فَطَفَرَ[٣] بسلاحه فى السفينة ، فساخَتْ بالقوم جميعاً . وأقام ابنُ المَاحُوزِ يَجْبِي كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم وَجَّهَ الزُّبيرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة ، فضجَّ الناسُ إلى الأحنفِ ، فأتَى القُبَاعَ فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، إن هذا العدوَّ قد غلَبنا على سَوادِنا وفَيْئنا ، فلم يَبْقَ إلّا أن يَحْصُرَنا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً ، قال : فسَمُّوا رَجلاً ، فقال الأحنفُ : الرأىُ لا يُخيل[٤] ، ما أرى لها إلا المُهلَّبَ بن أبى صُفْرةَ ، فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة ؟ اجتمِعوا إلىَّ فى غدٍ ، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ ، وعقَدَ الجِسْرَ ليَعْبُرَ إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه ، وقد اجتمع للخوارج أهلُ الأهوازِ وكُوَرِها ، رغبةً ورَهْبَةً ، فأتاه البصريون فى السُّفُنِ وعلى الدوابِّ ورَجّالةً ، فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ ، فقال الزبيرُ لمّا رآهم : أبَى قومُنا إلّا كُفْراً ، فقطعوا[٥] الجسرَ وأقام الخوارجُ بالفراتِ بإزائهم ، واجتمعَ الناسُ عند القُباعِ ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديدًا ، وكانوا

---

(١) فى ا « يا حارثُ » . وفى ج و س و د و ف « يا حارثةُ » .

(٢) الفرضة : ثلمة فى النهر يستقى منها .

(٣) طفر : وثب فى ارتفاع .

(٤) المرصفى : « من أخال الشىء : اشتبه وأشكل . يقول : الرأى الذى يُهتدى به هو الواضح لالبس فيه » . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : كل شىء اشتبه عليك فهو مُخِيلٌ ، وقد أخالَ يُخيلُ . قال الشاعرُ :

الحَقُّ أبلَجُ لايُخِيلُ سبيلُه والصدقُ يعرفُه ذَوُو الألبابِ» .

(٥) فى ج و ف «نقطع» .

ثلاثَ فِرَقٍ ، فسمَّى قومٌ المهلَّبَ ، وسمَّى قومٌ مالكَ بنَ مِسْمَعٍ ، وسمَّى قومٌ زيادَ بن عمرو بن الأشرفِ العَتَكِيِّ ، فصرفهم ، ثم اختبَرَ ما عندَ مالكِ [بنِ مسمعٍ](١) وزيادٍ ، فوجدَهما مُتثاقِلَيْنِ عن ذاكَ(٢) ، وعاد إليه مَنْ أشار بهما وقالوا : قد رَجَعْنا عن رأينا ، ما نَرَى لها إلّا المُهلَّبَ ، فوجَّهَ الحرثُ إليه فأتاه ، فقال له : يا أبا سعيدٍ ! قد تَرَى ما رَهِقَنا(٣) من هذا العدوّ ، وقد اجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك ، وقال الأحنفُ : يا أبا سعيد ! إنّا والله ما آثرناكَ بها ولكنّا لم نَرَ مَنْ يقومُ [لها](٤) مقامَك ، فقال له الحرثُ ـ وأومأ إلى الأحنف ـ : إن هذا الشيخَ لم يُسمِّكَ إلّا إيثاراً للدِّين ، وكلُّ مَنْ في مِصْرِكَ مادٌّ عينَه إليك ، راجٍ أن يكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغُمَّةَ بك ، فقال المهلّبُ : لا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله ، إنّي عندَ نفسي لَدُونَ(٥) ما وَصَفْتُم ، ولستُ آبياً ما دعوتُم(٦) إليه على شروطٍ أشترطُها(٧) ، قال الأحنفُ : قُلْ ، قال : على أنْ أنتخبَ مَنْ أحببتُ ، قال : ذاكَ(٨) لكَ ، قال : ولِيَ إمْرَةُ كُلِّ بلد أَغْلِبُ عليه ، قال : وذاكَ

---

(١) الزيادة من د و هـ .

(٢) فى د و هـ و ف « عن ذلك » .

(٣) بحاشية ا مانصه : «رَهِقَنا ، أى غَشِيَنا ، يقال : رَهِقْتُ الرجلَ ، إذا غَشِيتَه بمكروهٍ ، رَهَقاً » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) فى ج « دون » .

(٦) فى ج و د و هـ و ف « مما دعوتم » .

(٧) فى ج و د « أشرطها » .

(٨) فى س و د و هـ و ف « ذلك » .

لَكَ ، قال : وَلِى فَىْءُ كُلِّ بلدٍ أظْفَرُ به[١] ، قال الأحنفُ : ليس ذاك[٢] لَكَ ولا لنا ، إنما هو فَىْءُ المسلمين[٣] ، فإن سلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوِّهم ، ولكن لك أن تُعطىَ أصحابَك من فَىْءِ كُلِّ بلدٍ تَغْلِبُ عليه ماشئتَ ، وتُنْفِقَ [منه ما شئتَ][٤] على محاربةِ عدوِّك ، فما فَضَل عنكم كان للمسلمين ، فقال المهلبُ : فَمَنْ لى بذلك ؟ قال الأحنفُ : نحن وأميرُك وجماعةُ أهلِ مصرِك ، قال : قد قَبِلْتُ ، فكَتَبوا بذلك كتابًا ووُضِعَ على يَدَى الصَّلْتِ بن حُرَيْثِ بن جابرٍ الحنفِىِّ ، وانتَخَبَ المُهلَّبُ من جميع الأخماسِ ، فبلغت نُخْبَتُهُ أثنى عشر ألفًا ، ونَظَروا ما فى بيت المال ، فلم يكن إلّا مِائَتَىْ ألفِ درهمٍ ، فعَجَزَت ، فبعثَ المهلبُ إلى التُّجَّارِ [فقال][٥] : إنّ تجارتَكم مُذْ حَوْلٍ قد كَسَدَت[٦] عليكم بانقطاعِ موادِّ الأهوازِ وفارسَ عنكم ، فَهَلُمَّ فبايعونى واخْرُجُوا معى أُوَفِّكُمْ إن شاء الله حقوقَكم ، فتاجَرُوه ، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكرَه ، واتخذ لأصحابه الخَفاتينَ والرّانات المَحْشُوَّةَ بالصُّوف ، ثم نَهَضَ وأكثرُ أصحابه رَجّالةٌ ، حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسفُنٍ فأُحْضِرت

---

(١) بحاشية ا : « قال ابنُ شاذانَ : الفَىْءُ : غنائمُ المشركين ، والفعلُ منه أفاءَ اللهُ علينا فَيْئَهُمْ إفاءةً » . ورسمت الكلمة فى بعض الأصول « فىٌّ » بتسهيل الهمزة ، وهو جائز .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « ذلك » .

(٣) فى ج و د و ف « فىٌّ للمسلمين » .

(٤) الزيادة من ج و ف .

(٥) الزياده من ج و س و د و هـ و ف .

(٦) فى النسخ الخمسة المذكورة « قد فسدت » .

وأُصْلِحتْ ، فما ارتفعَ النهارُ حتى فُرِغَ منها ، ثم أَمَرَ الناسَ بالعُبُور إلى الفُراتِ ، وأمَّرَ عليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فخرج الناسُ ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم بالسهام حتى تَنَحَّوْا ، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ ، فحارَبُوهم فكَشَفُوهم وشَغَلُوهم ، حتى عَقَدَ المهلبُ الجِسْرَ ، وعَبَرَ والخوارجُ منهزمون ، فنَهَى الناسَ عن اتِّباعهم . ففى ذلك يقول شاعرٌ من الأَزْدِ :

إنَّ العِراقَ وأهلَهُ لم يَخْبُروا مثلَ المُهَلَّبِ فى الحروب فَسَلَّمُوا[1]
أَمْضَى وَأَيْمَنَ فى اللِّقاءِ نَقيبَـةً وَأَقَلَّ تَهليـلاً إذا ما أَحْجَمُوا

« التهليلُ » التكذيبُ والانهزام .

وأَبْلَى مع المغيرة يومئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرو[2] العَنْبَرِىُّ ، وكان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم[3] ، فقال عطيةُ :

يُدْعَى رجالٌ للعطاءِ وإنمـا يُدْعَى عَطِيَّةُ للطِّعانِ الأَجْرَدِ

وقال الشاعرُ :

وما فارسٌ إلّا عطيـةُ فوقَه إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجِذِها الفَمَا[4]

(١) فى ج « لَن يَخبرُوا » .
(٢) « عمرو » بفتح العين ، كما فى الأصول كلها . وفى طبعات مصر « عمر » وهو خطأ .
(٣) فى ج « وشُجَعائهم » .
(٤) بحاشية ا مانصه : « قال يعقوبُ بن السِّكِّيتِ : الحربُ أُنثَى ، وتصغيرُها حُرَيْبٌ بغير هاء ، لأنهم إنما قالوا حربٌ من المُحارَبَةِ ، ثم صُيِّرَتِ اسماً للوَقْعةِ ، فكانت مذكَّرًا سُمِّيَ به مؤنَّثٌ ، فَصُغِّرَ على أصله ، ولو صَغَّرْتَه بالهاء قلتَ حُرَيْبَةٌ وتَوَهَّمْتَ أنه لم يكن اسماً إلا لِما سُمِّيَ به كنتَ مُصِيباً » .

به هَزَمَ اللهُ الازارِقَ بعدَ ما أباحُوا من المِصْرَيْنِ حِلاًّ ومَحْرَمَا

*

فأقام المهلَّبُ أربعين يومًا يَجْبِي الخراجَ بِكُوَرِ دِجْلَة ، والخوارجُ بنهر تِيرَى ، والزبيرُ بن عليٍّ منفردٌ بعسكره عن عسكر ابنِ الماحُوزِ ، فقضَى المهلَّبُ التُّجَّارَ وأعطَى أصحابَه ، فأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجاهدة الخوارج ، ولما فى الغنائم وللتجارات ، فكان فيمن أتاه محمدُ بن واسعٍ الأَزديُّ وعبدُالله بن رِيَاحٍ ومُعاويةُ بن قُرَّةَ المزَنِيُّ ، وكان يقولُ - يعنى معاويةَ - : لو جاء الدَّيْلَمُ مِن هٰهنا والحَرُورِيَّةُ مِن هٰهنا لحاربتُ الحرورِيَةَ ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنِيُّ ، وكان يقول: كانَ كَعْبٌ يَقُولُ : قَتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتِيلَ غيرِهم بِعَشَرة أَنْوارٍ[1] ، ثم نَهَضَ المهلبُ إليهم إلى نهر تِيرَى ، فتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز ، وأقام المهلبُ يَجْبِي ما حَوالَيْهِ من الكُوَر ، وقد دَسَّ الجَواسِيسَ إلى عسكر الخوارِج ، فأَتَوْه بأخبارهم ومَنْ فى عسكرِهم ، فإذا حُشْوةٌ[2] ما بين قَصَّارٍ[3] وصَبَّاغٍ وداعِرٍ[4] وحَدَّادٍ ، فخطَبَ المهلبُ الناسَ ، فذكَر مَنْ هُناكَ ، وقال[5]

---

(١) يعنى أن من قتله الحرورية ضوعف ثوابه بمضاعفة أنواره يوم القيامة .

(٢) « حشوة » بكسر الحاء وضمها . وبحاشية ا مانصه : « قال المُـلَّبِيُّ : حِشْوةُ الناس : رُذَالُهم . يقال . فلان من حشوةِ الناسِ ، ومن حشوة بنى فلان » .

(٣) فى س و د و هـ و ف « قصَّاب » . والقصار : الذى يدق الثياب . والقصاب : الذى يبيع اللحم .

(٤) بحاشية ا مانصه « ابنُ شاذانَ : الدَّعَرُ الفسادُ ، دَعِرَ العُودُ يَدْعَرُ دَعَراً : إذا نَخِرَ . وبه سُمِّيَ الدُّعَّارُ من الناس ، ورجل دَاعِرٌ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « ثم قال » .

للناس : أَمِثْلُ هؤلاء يَغلبونَـكم على فَيْئِكم ؟ ! فلم يَزَلْ مقيمًا حتى فَهِمَهُمْ وأَحْـكَمَ أَمْرَهُ وقوَّى أصحابَه ، وكثرتِ الفُرْسانُ فى عسكره ، وتَتامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفًا ، ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهوازِ ، فاسْتَخْلَفَ أخاه المُعارِكَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تِيرَى ، وفى مُقَدِّمَتِهِ المغيرةُ بن المهلَّب ، حتى قارَبَهُمُ المغيرةُ ، فنَاوَشُوه ، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابِه ، وثبتَ المغيرةُ بَقِيَّةَ يومِهِ وليلتِهِ ، يُوقِدُ النيرانَ ، ثم غاداهم القتالَ ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرانَ فى ثِقْلَةِ[١] متاعِهم ، وارْتَحَلُوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المغيرةُ ، وقد جاءت أوائلُ [الخَيْلِ][٢] خيلِ المهلَّب ، فأقام بِسُوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الحرث بن عبد الله بن أبى رَبيعة كتابًا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نِعَمٍ من اللهِ متصلةٍ علينا ، ونِقْمةٍ من الله متتابعةٍ عليهم ، نُقْدِمُ ويُحْجِمونَ[٣] ، ونَحُلُّ ويَرتحلونَ ، إلى أن حَلَلْنا سُوقَ[٤] الأهوازِ ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، الذى من عنده النصرُ ، وهو العزيزُ الحكيمُ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهلَّبِيُّ : الثِّقْلَةُ والثَّقْلَةُ والثَّقَلُ [والثِّقَلُ] : أثقالُ القوم ومَتاعُهم وما حَمَلُوه على دوابِّهم ، والجمعُ أَثْقالٌ » .

(٢) الزيادة من ج و د و ﻫ .

(٣) فى ج « ويجحمون » بتقديم الجيم على الحاء ، وهو صحيح أيضا . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيد والأصمعيُّ : أَحْجَمَ الرجلُ عن الأمرِ إحْجامًا ، وأَجْحَمَ إجْحامًا : إذا تأخَّرَ عنه ، بمعنًى واحدٍ » .

(٤) فى ج و د و ﻫ و ف « بسوق » .

فكتب إليه الحرثُ : هَنيئاً لك أخا الأَزْدِ الشّرَفُ فى الدنيا ، والذُّخرُ فى الآخرةِ ، إن شاء الله .

فقال المهلبُ لأصحابه : ما أجْفَى أهلَ الحجاز ! أمَا تَرَوْنَهُ يَعْرِفُ[1] اسمى واسمَ أبى وكنيتى ؟!

وكان المهلّبُ : يبُثُّ الأحراسَ فى الأمْنِ ، كما يَبُثُّهم[2] فى الخوفِ ، ويُذْكِى العُيونَ فى الأمصار[3] ، كما يُذْكيها فى الصّحارِى ، ويأمرُ أصحابه بالتّحَرُّزِ ، ويُخوِّفهم البيَاتَ ، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ ، ويقولُ : احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَكيدون، ولا تقولوا هَزَمْنا وغَلَبْنا ، فإنّ القومَ خائفون وجِلُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الحِيلةِ ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يأيُّها الناس ! إنكم قد عَرفتُم مذهبَ هؤلاء الخوارِج ، وأنهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنوكُمْ فى دينِكم ، وسَفَكوا[4] دماءكم ، فقاتِلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولَهم علىُّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه، فقد لَقِيَهُمْ قبلَكم الصّابرُ المحتسبُ مُسلِمُ بن عُبَيْسٍ ، والعَجِلُ المُفَرِّطُ عثمانُ بنُ عُبيدِ الله ، والمَعْصِىُّ المخالَفُ حارثةُ

---

(١) فى ع و س و د و هـ و ف « عَرَفَ » .

(٢) فى ع و د « يُبَيِّتُ » « يُبَيِّتُهُمْ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : بَثَّ الخيلَ يَبُثُّها بَثًّا : إذا فرّقها . وكلُّ شىء فرّقتَه فقد بَثَثْتَهُ . ويقال : أذْكَيْتُ الحربَ والنارَ وغيرَهما : إذا أوقدْتَهما » .

(٤) فى س و د و هـ « أو سفكوا » .

بن بَدْرٍ ، فقتَلوا جميعاً وَقتَلُوا ، فالْقَوْهُمْ بجِدٍّ وَحَدٍّ ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدُكم ، وعارٌ عليكم ونقصٌ في أحسابِكم وأديانِكم أن يغلبَكم هؤلاء على فَيْئِكم ، وَيَطَؤُوا حَرِيمَكُم .

ثُمَّ سار يُرِيدُهُمْ ، وَهُمْ بِمَنَاذِرَ الصُّغْرَى ، فَوَجَّهَ عبيدُ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ رئيسُ الخوارجِ رجلاً يقال له واقِدٌ ، مَوْلَى لآلِ أبي صُفْرَةَ من سَبْيِ الجاهلية ، في خمسين رجلاً ، فيهم صَالِحُ بن مِخْراقٍ ، إلى نهر تِيرَى ، وبها المُعارِكُ بن أبي صُفْرَةَ ، فقتلوه وصلبوه ، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ ، فدخل نهرَ تِيرَى وقد خرج وَاقِدٌ منها ، فاستنزَلَه ودَفَنَه ، وَسَكَّنَ الناسَ ، وَاسْتَخْلَفَ بها ، ورجع إلى أبيه وقد حَلَّ بِسُولافَ ، والخوارجُ بها ، فوَاقعهُمْ ، وَجَعَلَ على بني تَميمٍ الحَرِيشَ بن هِلاَلٍ ، فخرج رجلٌ من أصحاب المُهلَّبِ ، يقال له عبدُ الرحمن الإِسْكافُ ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهو على فرسٍ له صفراءَ ، فَجَعَلَ يأتى الميمنةَ والمَيْسَرَةَ والقَلْبَ ، فَيَحُضُّ الناسَ وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارِجِ ، ويَخْتالُ بين الصَّفَّين ، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه : يامعشر المهاجرين ! هل لكم في فَتْكةٍ فيها أَرْيَحِيَّةٌ ؟ فحملَ جماعةٌ منهم على الإِسكافِ ، فقاتَلهم وحدَه فارساً ، ثم كَبَابِه فرسُه[1] ، فقاتلهم راجلاً ، قائماً وباركاً ، ثم كَثُرَتْ بِهِ الجِراحَاتُ ، فَذَبَّبَ بسيفِه[2] ،

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : كَبَا الرجُلُ والفرسُ وغيرُهما : إذا عَثَرَ . ومن كلامهم : لكلِّ صارِمٍ نَبْوَةٌ ، ولكلِّ جوادٍ كَبْوَةٌ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « الأصمعيُّ : يقال . ذَبَّبَ يُذَبِّبُ تَذْبِيباً فهو مُذَبِّبٌ : إذا=

وَجَعَلَ يَحْثُو الترابَ في وجوههم ، والمهلَّبُ غيرُ حاضرٍ ، ثم قُتِلَ رحمه الله ، وَحَضَرَ المهلَّب فَأُخْبِرَ[(١)] ، فقال للحَرِيشِ وَعَطِيَّةَ العَنْبَرِيِّ : أَأَسْلَمْتُمَا سيدَ أهلِ العسكرِ ، لم تُعيناه ولم تَسْتَنْقِذَاهُ ، حسدًا له ، لأنه رجل من الموالى ؟! وَوَبَّخَهُمَا ، وَحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتَله ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله ، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكرِ ، فانهزمَ الناسُ ، وقتَلوا سبعين رجلاً ، وثبتَ المهلَّبُ ، وَأَبْلَى المغيرةُ يومئذٍ وعُرِفَ مكانُهُ . ويقال : حاصَ المهلبُ يومئذٍ حَيْصَةً[(٢)] . وتقولُ الأزدُ : بل كان يَرُدُّ المُنْهَزِمَةَ ويَحْمِي أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِي مِنْقَرِ بن عُبَيْدِ بن الحرثِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ :

بِسُولافٍ أَضَعْتَ دِماءَ قَوْمِي ۞ وطِرْتَ على مُوَاشِكَةٍ دَرُورِ

قولُه « مُوَاشِكَةٍ » يريدُ سريعةً . ويقال : نحنُ على وشْكِ رَحيلٍ . ويقال : ذَميلٌ مُوَاشِكٌ[(٣)] ، إذا كان سريعاً . قال ذُو الرُّمَّةِ :

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً فى مَفَازَةٍ ۞ عَرَاقِيبَهَا بِالشَّيْظَمِيِّ المُوَاشِكِ[(٤)]

= أَسْرَعَ فى السَّيْرِ . وذُبَابُ السَّيفِ : حَدُّهُ » . وتفسير الأصمعى ليس هذا موضعه ، إنما الذبُّ الدفع والمنع . و « ذَبَّبَ » : أَكْثَرَ الذَّبَّ .

(١) فى ج و س و د و ه و ف « وَأُعْلِمَ » .

(٢) فى د « جاض » « جيضة » . وبحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ . حاصَ يَحِيصُ حَيْصًا : حادَ . و لذلك جَاضَ بالجيم والضاد : مِثْلُه » .

(٣) « الذميل » ضرب من سير الابل .

(٤) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : الشَّيْظَمِيُّ : حَادٍ طويلٌ . والمُوَاشِكُ : المستعجِلُ وهو مُفَاعِلٌ من الوَشْكِ » .

و « دَرُورٌ » فَعُولٌ مِنْ دَرَّ الشَّيْءُ : إِذَا تَتَابَعَ .

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِعْنَا الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعاً   يُزَجِّى كُلُّ أَرْبَعَةٍ حِمَارَا

فيانَدَمِى على تَرْكِى عَطَائى   مُعَايَنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارَا(١)

إِذَا الرَّحْمٰنُ يَسَّرَ لِى قُفُولًا   فَحَرَّقَ فى قُرَى سُولَافَ نَارَا

قوله : « الأعورَ الكذَّابَ » يعنى الْمُهَلَّبَ ، ويقال عارتْ عينُه بسهمٍ كان أصابها . وقال « الكذَّابَ » لأن(٢) المهلَّبَ كان فقيهاً ، وكان يعلمُ ماجاء عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « كلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إلَّاثلاثةً : الكذبُ فى الصُّلحِ بين الرجلين(٣) ، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعِدُها ، وكذِبُ الرجلِ فى الحربِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ(٤) » ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم :

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبِىُّ : الضِّمَارُ : خِلافُ العِيَانِ . ابنُ شاذانَ : الضِّمَارُ : النَّسِيئةُ ، ومنه حديثُ عُمَرَ بن عبد العزيز : فإنه كان مالاً ضِمَاراً . أى غائباً عن أهله . وكلُّ غائبٍ ضِمَارٌ . والضِّمَارُ : مالا يُدْرَى أيكونُ أم لا . ومنه قولُهم : أَضْمَرْتُ الشىءَ : أَخْفَيْتُه » .

(٢) فى ح « بأن » .

(٣) فى ح و ف « بين المسلمِينَ » وفى د « بين الرجلين المُسْلِمَيْنِ » .

(٤) أقرب لفظ وجدته لهذا اللفظ رواية أحمد فى المسند (ج ٦ ص ٤٥٤) « عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : يأيها الذين آمنوا مايحملكم على أن تتايعوا فى الكذب كما يتتايع الفراش فى النار ؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال : رجل كذب على امرأته ليرضيها ، أو رجل كذب فى خديعة حرب ، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما » . ثم رواه أيضاً بنحوه (ص ٤٥٩ و٤٦٠ ــ ٤٦١) ورواه الترمذى فى السنن وحسنه (ج ١ ص ٣٥٢ طبعة بولاق و ج ٣ ص ١٢٧ من شرح المباركفورى) . وفى معناه حديث آخر بنحوه عن أم كلثوم بنت =

« إنما أنتَ رجلٌ ، فَخَذِّلْ عَنَّا ، فإنمـا الحربُ خَدْعَةٌ[(١)] ». وقال عليه السلام في حرب الخَنْدق لسعد بن عُبَادَةَ وسعد بن مُعاذٍ ، وهما سَيِّدَا الحَيَّيْنِ الخزرجِ والأَوْسِ : « إيتِيَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، فان كانوا على العهد فأَعْلِنَا بذلك ، و إن كانوا قد نَقَضُوا ما بيننا فَالْحَنَا لى لَحْنًا أعْرِفُه ، ولا تَفُتَّا فى أَعْضَادِ المسلمين[(٢)] ، فرجَعَا بغَدْرِ القومِ فقالا : يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : أَبْشِرُوا فإِن الأَمْرَ ماتُحِبُّونَ » . [قال الأخفشُ: سألتُ المُبَرِّدَ عن قولهما « عَضَلٌ والقَارَةُ » فقال : هذانِ حَيَّانِ كانا فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَرادَا أنهم فى الانحراف عنه والغدرِ به كهاتين القبيلتين] .

قال أبو العباس : فكانَ المهلَّبُ ربمـا صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمرِ المسلمين ويُضَعِّفَ من أمرِ الخوارج[(٣)] ، فكان حَيٌّ من الأَزْدِ يقال لهم

= عقبة ، رواه الترمذى فى الباب ، ورواه أيضاً أحمد مطولا ومختصرا (ج ٦ ص ٤٠٣) ونسبه المباركفورى (٣ : ١٢٨) للبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى .

(١) بفتح الخاء وسكون الدال ، كما ضبط فى الأصول ، وفى بعض طبعات مصر بفتح الدال مع فتح الخاء ، وهو خطأ . قال فى النهاية : « يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال . فالأول معناه أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، أى أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لهـا إقالة ، وهى أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الثانى هو الاسم من الخداع . ومعنى الثالث أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفى لهم ، كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة ، أى كثير اللعب والضحك » . والحديث ذكره ابن هشام فى السيرة فى غزوة الخندق أنه قاله لنعيم بن مسعود الأشجعى ولفظ « الحرب خـدعة » فى الصحيحين وغيرهما . وانظر فتح البارى (ج ٦ ص ١١٠) .

(٢) فى حاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : يقال كَلَّمَ فلانٌ فلاناً بشىء فَفَتَّ فى ساعِدِهِ ، أى أَضْعَفَهُ وَأَوْهَنَهُ » .

(٣) المهلب بن أبى صفرة تابعىٌّ ثقة ، وليس يصح أن ينسب إليه الكذب على رسول الله =

النَّدَبُ(١) إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا : قد راحَ المهلبُ ليكذِبَ ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنتَ الفتَى كلُّ الفتَى   لو كُنْتَ تَصْدُقُ ماتَقُولُ

⁂

فباتَ المهلَّبُ فى ألفَيْنِ ، فلما أصبح رجَع بعضُ المنهزمةِ فصارَ فى أربعة آلافٍ ، فخطب أصحابَه فقال: واللهِ ما بكم من قِلَّةٍ ، وما ذَهَبَ عنكم إلَّا أهلُ الجُبْنِ والضَّعْفِ والطَّمَعِ والطَّبَعِ (٢) ، فإنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُهُ(٣) فسِيرُوا إلى عدوِّكم على بركةِ الله . فقام إليه الحَرِيشُ بنُ هلالٍ فقال : أَنْشُدُكَ اللهَ(٤) – أيها الأَميرُ – أن تقاتلهم إلَّا أن يُقاتلُوك ، فإن بالقوم جِرَاحًا وقد أَثْخَنَتْهُمْ هذه الجَوْلَةُ ، فقَبِلَ منه ، ومَضَى المهلَّبُ فى عشَرةٍ ، فأشْرَفَ

= صلى الله عليه وسلم . قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : «هو ثقة ليس به بأس ، وأما من عابه بالكذب فلا وجه له ، لأن صاحب الحرب يحتاج إلى المعاريض والحيل ، فمن لم يعرفها عدها كذبا » . وهو ظاهر فى أن معاريضه إنما كانت فى الحرب ، وأنه لم يكن ليفترى على رسول الله مالم يقل .

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُريدٍ : النَّدَبُ قَبيلةٌ من العرب » .

(٢) « الطبع » بفتح الباء ، أصله الصدأ يكثر على السيف ونحوه ، ثم استعير للأوزار والآثام .

(٣) إشارة إلى الآية ١٤٠ من سورة آل عمران . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : القَرْحُ: الجراحُ، وهو القُرْحُ أيضاً . ورجل قَرِيحٌ وَمَقْرُوحٌ ، من قوم قَرَاحَى وَقَرْحَى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال نَشَدْتُكَ اللهَ فأنا أَنْشُدُكَ اللهَ ، أى ذَكَّرْتُكَ اللهَ » .

على عسكر الخوارج ، فلم يرَ منهم أحدًا يتحرّكُ ، فقال له الحَرِيشُ : ارْتَحِلْ عن هذا الموضعِ (١) ، فارتَحَلَ ، فعَبَرَ دُجَيْلاً ، وصار إلى عَاقُول(٢) لا يُؤْتَى إلّا مِن وجهٍ واحدٍ ، فأقام به ، واستراحَ الناسُ ثلاثًا ، وقال ابنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ :

ألاَ طَرَقَتْ من آلِ بِيبَةَ طارِقَهْ ... على أنها مَعشُوقَةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ(٣)

تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وبينَها ... وسُولافُ رُسْتَاقٌ حَمَتْهُ الأزارِقَهْ

إذا نحن شِئْنَا صادَفَتْنَا عِصابَةٌ ... حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِنَ الدِّينِ مارِقَهْ

أجازَتْ إلينا العَسْكَرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... فباتَتْ لنا دُونَ اللِّحَافِ مُعانِقَهْ

---

(١) فى ع و س و د و هـ و ف ونسخة بحاشية ا « المنزل » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : يقال وَقَعْنَا فى أرضٍ عاقُول : لا يُهْتَدَى لها . قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ بن أحمد : العاقولُ من النهر والوادى : ما اعْوَجَّ منه ، ومن الأمورِ : ما التَبَسَ » .

(٣) « بيبة » بكسر الباء الأولى ، كما ضبطت فى كل الأصول ، وبحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : اشتقاقُ بِيبَةَ من البِيبِ ، والبِيبُ مَسِيلُ الماء من مُفرَّغِ الدَّلْوِ إلى الحوضِ » . وضبطه المرصفى بفتح الباء الأولى ، وقال : « هو بيبة بن سفيان بن مجاشع » . وكذلك ضبط بالقلم فى اللسان والقاموس . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ١٤٧) مانصه : « الحرث بن بَيْبَةَ . وَالبَيْبَةُ المِثْعَبُ الذى ينصبّ منه الماء إذا أُفرغ من الدلو فى الحوض . وهو البَيْبُ والبَيْبَةُ » وضبطت كلها فى الاشتقاق بالقلم بفتح الباء الأولى . وكذلك ضبط « البيب » بالقلم بفتحها فى الجمهرة (ج ٣ ص ١٩٨) وأما القاموس واللسان فانهما ضبطا « البيب » و « البيبة » بكسرها ، وضبطا اسم الرجل ، بالفتح . والظاهر عندى أن مافى أصول الكامل أصح ، وأنه فى اسم الرجل بالكسر أيضا . وقد مضت الأبيات الثلاثة الأولى فى (ص ٩١٦) وضبط فيها بفتح الباء . وفى حاشية طبعة أوربة أن بعض النسخ بكسرها .

وقد ذكرنا « الضِّمارُ » ومعناه الغائبُ ، وأصلُهُ من قولك « أَضْمَرْتُ الشيءَ » أي أخفيتُهُ عنك ، ويقال : مالٌ عَيْنٌ للحاضِرِ ، ومالٌ ضِمارٌ للغائب، قال الأَعْشَى :

وَمَن لَّاتَضِيعُ له ذِمَّةٌ فَيَجْعَلَها بعد عَيْنٍ ضِمارَا

وقال أيضاً :

تَرَانَا إذا أَضْمَرَتْكَ البِلا دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ[1]

والفعلُ من هذا « أَضْمَرَ يُضْمِرُ » والمفعولُ به « مُضْمَرٌ » والفاعل « مُضْمِرٌ » و « الضِّمارُ » اسمٌ للفعل في معنى الإِضمار . وأسماءُ الأفعالِ تَشْرَكُ[2] المصادِرَ في معانيها ، تقول : أعطيتُه عَطاءً ، فيَشْرَكُ العَطاءُ الإِعْطاءَ في معناه ، ويُسمَّى به المفعولُ : وتقول : كلَّمتُه تكليماً وكِلَّامًا ، في معناه ، والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ في قولك : رجلٌ عدلٌ ، ورجلٌ كَرَمٌ ، ورجلٌ نَوْمٌ ، ويومٌ غَمٌّ وَغَيْمٌ ، وينعتُ به المفعولُ في قولك : رجلٌ رِضًى ، وهذا درهمٌ ضَرْبُ الأميرِ ، وجاءَنِي الخَلْقُ ، تَعنِي[3] المخلوقين .

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليومِ :

وكَأَيِّنْ تَرَكْنَا يومَ سُولَافَ منهمُ أُسارَى وقَتْلَى في الجحيمِ مَصِيرُها

قوله « وكَأَيِّنْ » معناه : كَمْ ، وأصلُه كافُ التشبيه دخلتْ على « أَيٍّ »

(١) في ج و هـ و ف « أرَانَا » . وفي ف بيت آخر :

أَتَانَا فلا رِمْتَ مِن عِنْدِنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إذا لم تَرِمْ

(٢) في ج و ف « تشارك » .

(٣) في س و هـ و ف « يعني » .

فصارتا بمنزلة كم ، ونظيرُ ذلك : له كذا وكذا درهمًا ، إنما هى « ذا » دخلتْ عليها الكافُ ، والمعنى : له كهذا العددِ من الدراهم . فإذا قال : له كذا كذا درهمًا ، فهو كناية عن أحدَ عشرَ درهمًا إلى تسعةَ عشرَ ، لأنه ضَمّ المذَدَيْن ، فإذا قال : كذا وكذا ، فهو كنايةٌ عن أحدٍ وعشرين [درهما][1] إلى ماجازَ فيه العطفُ بعدَه . ولكن كَثُرَتْ « كأيٍّ » فخُفِّفَتْ ، والتثقيلُ الأصلُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ[2] ﴾ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ[3] مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ[4] ﴾ وقد قُرِئَ بالتَّخْفِيفِ[5] ، كما قال الشاعرُ :

وَكَاءٍ رَدَدْنَا عنكمُ مِن مُدَجَّجٍ ... يَجِيءُ أَمامَ الأَلْفِ يَرْدِي مُقَنَّعا[6]

وقال آخرُ :

وكَاءٍ تَرَى يومَ الغُمَيْصَاءِ مِن فَتًى ... أُصيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارحَا

قال أبو العباس : وهذا أكثرُ على ألسنتهم ، لطلب التخفيف ، وذلك الأصلُ ، وبعضُ العرب يَقْلِبُ فيقول : « كَيْءٍ[7] يافتى » فيؤخِّرُ الهمزةَ لكثرة الاستعمال ، قال الشاعرُ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سورة الحج آية ٤٨

(٣) فى ا و د « قُتِلَ » وهى قراءةنافع وابن كثير وأبى عمرو ويعقوب ، ووافقهم ابن محيصن واليزيدى . وقرأ باقى الأربعة عشر « قاتل » كما فى الاتحاف (ص ١٨٠) .

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٥) أى بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة منونة ، وهى قراءة ابن كثير وأبى جعفر .

(٦) « يردى » : يعدو . وأصل ذلك فى الخيل ، يقال رَدَى الفرسُ كرَمَى رَدْيًا ورَدَيَانًا : إذا عدا فرجم الأرض بحوافره . والمقنع : المغطى بالسلاح . قاله المرصفى .

(٧) رسمت فى ج و س « كَيْءٍنْ » .

وَكـنْءٍ فى بنى دُودَانَ منهمُ   غداةَ الرَّوْعِ معروفًا كَمِىٌّ

☆☆☆

[قال أبو العباسِ](١) : فأقام المهلبُ فى ذلك العاقُولِ(٢) ثلاثةَ أيامٍ ، ثم ارتحلَ والخوارجُ بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ(٣) [قال الأخفش « سَلَّىٰ » و « سَلَّبْرَىٰ » بفتح السين فيهما ، موضعانِ بِالأهوازِ ، « وسِلَّىٰ » بكسر السين موضعٌ بالبادية ، وهكذا يُنْشَدُ هذا البيتُ :

كَأَنَّ غَديرهَم بجُنوبِ سِلَّىٰ   نَعامٌ قاقَ فى بَـلَدٍ قِفَارِ]

فنزلَ قريبًا منهم ، فقال ابنُ المَاحُوزِ لأصحابه : ماتنتظرون بعدُوِّكم وقد هَزَمتموهم بالأمسِ وكَسَرْتُمْ حَدَّهم ؟ فقال له وافِدٌ مَوْلَى أبى صُفْرَةَ : يا أميرَ المؤمنين ! إنما تفرَّقَ عنهم أهلُ الضَّعفِ والجُبْنِ ، وَبَقِىَ أهلُ النَّجْدةِ والقُوَّةِ ، فإن أصبتَهم(٤) لم يكن ظفرًا هنيئًا ، لأنى أراهم لا يُصابُونَ(٥) حتى يُصِيبوا ، فإن غَلَبُوا ذَهَبَ الدِّينُ ، فقالَ أصحابُه: نافَقَ وافِدٌ ! فقال ابنُ المَاحُوزِ: لا تَعْجَلُوا على أخيكم ، فإنه إنما قال هذا نَظَرًا لكم . ثم تَوَجَّهَ الزبيرُ(٦)

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) فى ف « فى دير العاقول » .
(٣) فى هـ « بِسَلَّىٰ وَسَلَّبْرَىٰ » بفتح السينين وبالباء الموحدة فى الثانية بدل الياء التحتية . وفى ج « بِسَلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ » بفتح السين فى الأولى ، وبكسر السين وكسر اللام المشددة وبالباء الموحدة فى الثانية ، وكذلك فى معجم البلدان إلا أنه بكسر السين فى الأولى أيضا .
(٤) فى ج و ف « أَصَبْتُمْ » .
(٥) فى ج و ف « لا أراهم يصابون » .
(٦) فى ج و س و د و هـ و ف « ثمَّ وَجَّهَ الزُّبيرَ » .

بن عليّ إلى عسكر المهلَّب لِيَنْظُرَ ما حالهم ، فأتاهم فى مِائَتَيْنِ ، فَحَزَرَهمْ ورجَع ، وَأَمَرَ المهلَّبُ أصحابَه بالتَّحارُسِ ، حتى إذا أصبح ركِبَ إليهم على تَعْبِيَةٍ صحيحةٍ ، فالْتقَوْا بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى[(١)] فتَصَافُّوا ، فخرج من الخوارج مائةُ فارسٍ ، فركَزوا رِماحَهم بين الصَّفَّيْنِ واتَّكئُوا عليها ، وأخرج إليهم المهلَّبُ عِدادَهم ، ففعلوا مثلَ مافعلوا ، لايرِيمُونَ إلاَّ لِصلاةٍ[(٢)] حتى أَمْسَوْا ، فرجَع كلُّ قومٍ إلى مُعَسْكَرِهِمْ ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ .

ثم إن الخوارجَ تَطارَدُوا لهم فى اليوم الثالثِ ، فَحَمَلَ عليهم هؤلاءِ الفرسانُ يجولونَ ساعةً ، ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجلٍ فطعنَهُ ، فحَمَلَ عليه المهلَّبُ فطعنه ، فحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم ، كما صَنَعُوا يوم سُولافَ ، فضَعْضَعوا الناسَ ، وفُقِدَ المهلَّبُ ، وثبتَ المغيرةُ فى جمعٍ أكثرُهم أهلُ عُمَانَ ، ثم نَجَمَ[(٣)] المهلبُ فى مائةِ فارسٍ ، وقد انغمَسَتْ كَفَّاهُ فى الدمِ ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعَةٌ فوقَ المِغفَرِ[(٤)] مَحْشُوَّةٌ قَزًّا ، وقد تَمَزَّقَتْ ، وإنَّ حَشْوَها ليتَطَايرُ ، وهو يَلْهَثُ ، وذلك فى وقتِ الظُّهْرِ ، فلم يَزَلْ

---

(١) فى ع و د و هـ « بِسَلَّىٰ » . وفى ع « وَسَلَّبْرَى » .

(٢) فى ا « إلا بصلاة » وبحاشيتها ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رَامَ يَرِيمُ رَيْمًا ، وما رِمْتُ عن المكان ، أى مابَرِحْتُ » .

(٣) « نجم » أى ظهر .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : المِغْفَرُ : الكبةُ من الزَّرَدِ . وقال المُهَلَّبِيُّ : المِغْفَرُ : الوِقَايَةُ لِلرَّأسِ ، وهى حَلَقٌ يَتقَنَّعُ بها المُتَسَلِّحُ ، وكذلك الغِفَارَةُ . وَمِغْفَرُ البَيْضَةِ : ما فوقها مِن حَلَقِ الحَدِيدِ » .

يحاربهم إلى الليل ، حتى كَثُرَ القتلُ فى الفريقين . فلما كان الغدُ غاداهم ، وقد كان وَجَّهَ بالأمسِ رجلاً من طاحيةَ بن سُودِ بن مالك بن فهم بن الأزدِ[1] ، يَرُدُّ المنهزمينَ ، فمرَّ به عامرُ بن مسْمَعٍ فردَّه ، فقال : إن الأميرَ أذِنَ لى ، فبعَث إلى المهلَّبِ فأعلمه ، فقال : دَعْهُ ، فلا حاجةَ لى فى مثله من أهلِ الجبْنِ والضَّعْفِ . وقد تفرَّقَ أكثرُ الناسِ ، فغاداهم المهلَّبُ فى ثلاثةِ آلاف ، وقال لأصحابه : ما بكُمْ مِن قِلةٍ ، أيَعجزُ أحدُكُم[2] أن يَرْمِىَ برمحه ثم يتقدَّمَ فيأخُذَه ؟ ففعلَ ذلك رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له عَيَّاشٌ وقال المهلَّبُ لأصحابه : أعِدُّوا مخالِيَ فيها حجارةٌ وارمُوا بها فى وقتِ الغَفْلَةِ ، فإنها تَصُدُّ[3] الفارسَ وتَصْرَعُ الراجلَ ، ففعلوا ، ثم أمر مناديًا يُنادى فى أصحابِه ، يأمُرُهُمْ بالجِدِّ والصَّبْرِ ، وَيُطْمِعُهُمْ فى العَدُوِّ ، ففعَلَ ، حتى مرَّ ببَنِى العَدَوِيَّةِ ، من بنى مالك بن حَنْظَلَةَ ، فضَرَبُوهُ ، فدعا المهلَّبُ بسيِّدِهم ، وهو معاويةُ بن عَمْرٍو ، فجَعَلَ يَرْكُلُه[4] برِجْلِه ، وهذا معروفٌ فى الأَزْدِ ، فقال

(١) فى بعض النسخ « من الأزد » .

(٢) فى ج « أيُعْجِزُ أحدَكم » .

(٣) فى هـ و ف « تَصُكُّ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : «المُهَلَّبِيُّ : الرَّكْلُ : ضَرْبُكَ الفَرَسَ بِرِجْلِكَ لِيَعْدُوَ ، ويقال لذلك الموضعِ الذى تُصيبُهُ رِجْلُ الفارسِ المَرْكَلُ . ابنُ شاذانَ : الرَّكْلُ : الرَّفْسُ بِالرِّجْلِ ، وَرَكَلَهُ يَرْكُلُهُ رَكْلاً ، وَالرَّكْلَةُ الرَّفْسَةُ . قال : وقال الخليلُ : الرَّكْلُ : الضربُ برجل واحدةٍ » .

[له][1] أصْلَحَ اللهُ الأميرَ ، أعْفِنِى[2] مِنْ أُمِّ كَيْسَانَ ، والرُّكْبَةُ[3] تُسَمِّيها الأَزْدُ « أُمَّ كَيْسَانَ » . ثم حَمَلَ المهلَّبُ وحَمَلُوا ، فاقتتلوا قِتالاً شديدًا ، فَجُهِدَ الخوارجُ ، فنادَى مُنَادِيهم : أَلاَ إِنَّ المهلَّبَ قد قُتِلَ ، فركِبَ المهلَّبُ بِرْذَوْنًا قصيرًا أَشْهَبَ ، وَأَقبلَ يَرْكُضُ بين الصَّفَّيْنِ ، وإِنَّ إِحْدَى يديه لَفِي القَبَاءِ وما يَشْعُرُ بها ، وهو يَصِيحُ : أنا المهلَّبُ ، فسَكَنَ الناسُ بعدَ أن كانوا قد ارتاعُوا وظَنُّوا أنَّ أميرَهم قد قُتِلَ ، وكَلَّ الناسُ مع العَصْرِ ، فصاحَ المهلَّبُ بابنِه المُغيرةِ : تقدَّمْ ، ففعَلَ ، وصاحَ بِذَكْوَانَ مَوْلاَهُ : قَدِّمْ رَايَتَكَ ، ففعَلَ ، فقال له رجلٌ من وَلَدِه : إنك تُغَرِّرُ بنفسِك ، فَذَمَرَهُ[4] ، ثم صاحَ[5] : يابنى تَميم ! أآمُرُكُمْ فتَعْصُونَنِى ؟! فتقدَّمَ وتقدَّمَ الناسُ ،

(١) الزيادة من ج و س و د و ف .

(٢) فى ج و ف « عن » بدل « من » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذَانَ : هكذا قال المبرِّدُ الرُّكْبَةُ ، والصوابُ الرَّكْلَةُ ، وهي الرَّفْسَةُ » . وقد أصاب المبرد وأخطأ ابن شاذان ، فى اللسان : « ورَكَبَ الرجلَ يركُبُه رَكْبًا ، مثالُ كَتَب يكتُب كَتْبًا : ضَرَبَ رُكْبتَهُ ، وقيل : هو إذا ضَرَبَهُ بِرُكْبَتِهِ ... وفى حديث ابن سيرينَ : أَمَا تَعْرِفُ الأزدَ ورُكَبَهَا ، اتَّقِ الأَزْدَ لايأخُذُوكَ فيَرْكُبُوكَ . أى يضربوكَ بِرُكَبِهم . وكان هذا معروفا فى الأزد . وفى الحديث : أن المُلَّبَ بن أبى صُفْرَةَ دعا بمعاويةَ بن أبى عمرو فجعلَ يَرْكُبُهُ بِرِجْلِهِ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، أَعْفِنِى من أم كَيْسَانَ ، وهى كُنيةُ الرُّكْبَةِ بلغةِ الأزدِ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذَانَ : ذَمَرْتُ الرَّجُلَ أَذْمُرُهُ ذَمْرًا : إذا حضَضْتَهُ وتَذَامَرَ القومُ : إذا حَضَّضَ بعضُهم بعضاً » .

(٥) فى ج و د و ه و ف « وصاح » .

واجْتَلَدُوا أشدَّ جِلادٍ ، حتى إذا كان مع المَسَاء[1] قتِلَ ابنُ المَاحُوز ، وانصرفَ الخوارجُ ، ولم يَشْعُرِ المهلَّبُ بقتلِهِ ، فقال لأصحابه :ابغونِي رجلاً جَلْدًا يَطُوفُ فى القَتْلَى ، فأشاروا عليه برجلٍ من جَرْمٍ ، وقالوا : إنَّا لم نَرَ رجلاً قطُّ أشَدَّ منه ، فَطَوَّفَ ومعه النِّيرَانُ ، فَجَعَلَ إذا مَرَّ بجريحٍ من الخوارجِ قال : كافرٌ وربِّ الكعبةِ ، فأَجْهَزَ عليه ، وإذا مَرَّ بجريحٍ من المسلمين أمَرَ بِسَقْيِهِ وَحَمْلِهِ .

وأقام المهلَّبُ فى عسكره يأمرُهم بالاحتراسِ ، حتى إذا كان نصفُ الليل[2] وَجَّهَ رجلاً من اليَحْمَدِ [قال الأخفَشُ: اليَحْمَدُ من الأزدِ ، والحَلِلُ مِنْ بَطْنٍ منهم يقال لهمُ الفَرَاهِيدُ ، والفُرْهُودُ فى الأصلِ الحَمَلُ ، فإن نَسَبْتَ إلى الحَيِّ قلتَ « فَرَاهِيدِيٌّ » ، وإن نسبتَ إلى الحُمْلاَنِ قلتَ « فُرْهُودِيٌّ » لاغيْرُ] فى عَشَرةٍ فصاروا إلى عسكرِ الخوارجِ ، فإذا[3] القومُ قد تَحَمَّلُوا إلى أَرَّجَانَ ، فرجَع إلى المهلَّبِ فأعْلَمَهُ ، فقال : أنا لَهُمُ السَّاعةَ أشدُّ خوفًا ، فاحْذَرُوا البيَاتَ .

⁂

قال أبو العباس : ويُرْوَى عن شُعْبَةَ بن الحَجَّاج أنَّ المهلَّبَ قال لأصحابه يومًا : إن هؤلاء الخوارجَ قد يَئِسُوا من ناحيتكم إلاّ من جهة البيَاتِ ، فإن كان ذلك فاجْعَلُوا شعارَكُمْ حم لا يُنْصَرُونَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأمُرُ بها[4] . ويُرْوَى : أنه كان شعارَ أصحابِ عليِّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه.

---

(١) فى ج « عند المساء » .
(٢) فى ج و س و د و ه و ف « فى نصف الليل » .
(٣) فى ج و س و د و ه و ف « وإذا »
(٤) ورد ذلك فى حديث رواه أبو داود والترمذى والحاكم وغيرهم من طريق المهلب بن أبى صفرة =

فلمّـا أصبحَ المهلَّب غدَا عَلَى القتْلَى ، فأصاب(١) ابنَ المَـاحُوزِ فيهم ، ففى ذلك يقول رجلٌ من الخوارج :

بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ مَصارِعُ فِتْيَةٍ كِرَامٍ وَجَرْحَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُها

وقال آخرُ :

بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ مصارعُ فتيةٍ كِرامٍ وَعقرَىٰ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ(٢)

وقال رجلٌ من موالى المهلَّب : لقد صرعتُ يومَئذٍ بحَجَرٍ واحدٍ ثلاثةً ، رميتُ به رجلاً فأصبتُ أصْلَ أُذُنِهِ فصَرَعْتُهُ ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخرَ على هامَتِهِ فصرعتُه ، ثم صرعتُ به ثالثاً .

وقال رجلٌ من الخوارج :

أتانا بأحْجارٍ ليقتلَنا بها وهل تُقتَلُ الأَبْطالُ وَيْحَكَ بالحَجَرْ

وقال رجـلٌ من أصحاب المهلَّبِ فى يوم سِلَّىٰ وَسِلَّـبْرَىٰ(٣) وَقَتْل ابنِ المَاحُوزِ :

وَيومَ سِلَّىٰ وَسِلَّـبْرَى أحاط بهم مِنَّا صَواعِقُ ما تُبْقِي وَلا تذَرُ(٤)

= عن بعض الصحابة ، وفى حديث رواه النسائى والحاكم عن البراء بن عازب ، وفى أحاديث أخر ، انظرها فى الدر المنثور للسيوطى (ج ٥ ص ٣٤٥) .

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فأصابوا » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « بِسَلَّىٰ وسِلَّبْرَى » .

(٣) فى ج و د « سَلَّىٰ وَسِلَّبْرَى » .

(٤) فى ج « ماتبقى وما تذر » . وفى ف « لاتبقى ولا تذر » . وبحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : الصَّعْقُ أن يَسمعَ الإنسانُ الهَدَّةَ الشديدةَ فيَصْعَقُ لذلك =

حتى تَرَكْنا عُبَيْدَ اللهِ مُنْجَدِلًا كما تَجَدَّلَ جِــذْعٌ مَالَ مُنْقَعِرُ

قال أبو العباسِ: تقولُ العربُ «صاعقةٌ وَصَوَاعِقُ» وهو مذهبُ أهل الحجازِ، وبه نزلَ القرآنُ، وبنو تَميمٍ يقولون «صاقِعةٌ وَصَوَاقِعُ».

و«المُنْقَعِرُ» المُنْقَلِـعُ من أصلِه. قال الله أصدقُ القائلينَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ[1]﴾.

ويُرْوَى: أنّ رجلاً من الخوارج يومَ سَلَّىٰ حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلّبِ فطَعَنَه، فلمـا خالطَه الرمحُ صاح: يا أُمَّتَاهْ! فصاح به المهلَّبُ: لا كَثَّرَ اللهُ بِمثلك المسلمينَ، فضَحِكَ الخارجيُّ وقال:

أُمُّكَ خيرٌ لكَ مِنِّي صاحِباً تسْقيكَ مَحْضاً وتَعُلُّ رائباً

وكان المغيرةُ بنُ المهلَّبِ إذا نَظَرَ إلى الرماحِ قد تشاجَرَتْ في وجهه نَـكَسَ[2] على قَرَبُوسِ سَرْجِـــهِ[3] وحَمَلَ مِن تحتِها فبَرَاهَا بسيفِه وأثَّرَ في أصحابِها، حتى تخَرَّمَتِ المَيْمَنَةُ من أجْلِهِ. وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تبَسُّماً، فـكانَ المهلبُ يقولُ: ما شهِدَ مَعِى حرباً قَطُّ إلاَّ رأيتُ البُشْرَى في وَجْهِه.

= وَيَذْهَبُ عقلهُ، والصاعقةُ من هذا اشتقاقُها، لِشِدَّةِ هَدَّتِها، وإنمـا قَلَبُوا فقالوا صاقِعةٌ».

(١) سورة القمر آية ٢٠

(٢) بحاشية ا ما نصه: «نَـكَسْتُ الشيءَ أَنْـكُسُهُ نَـكْساً: إذا قَلَبْتَهُ على رأسِهِ».

(٣) في ج و س و د و هـ و ف «على قربوس السرج».

وقال رجلٌ من الخوارج فى هذا اليومِ :

فإنْ تكُ قتْلَى يومَ سِلَّى تتابعَتْ   فكم غادرَت أسيافُنا من قُماقِمِ (١)

غَــداةَ نَكُرُّ المَشْرَفِيّةَ فِيهمُ   بسُولافَ يومَ المأْزِقِ المُتلاحِمِ

« المأْزِقُ » هو يومُ تضايُقِ الحربِ . و « المُتلاحِمُ » نعتٌ له . وَ« المَشْرَفِيّةُ » السُّيُوفُ ، نُسِبَتْ إلى المَشارِفِ مِنْ أرضِ الشّأْمِ . وهو الموضعُ الملقَّبُ مُوتَةَ (٢) الذى قُتِلَ به جعفرُ بن أبى طالب وأصحابُه .

[قال الأَخفَشُ : كان المبرّدُ لايَهْمِزُ « مُوتَةَ » . ولم أَسْمَعْها من علمائِنا إلاّ بالهمزِ] .

❊

قال أبو العباس : فكتب المهلب إلى الحرْثِ بن عبد الله بن أبى ربيعة القُباعِ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ : فإنا لَقِينا الأزارقةَ المارقةَ ، بحَدٍّ وَجِدٍّ ، فكانتْ فى الناس جَوْلَةٌ ، ثم ثابَ أهلُ الحِفاظِ والصبرِ ، بِنيّاتٍ صادقةٍ ، وأبدانٍ شدَادٍ ، وسيوفٍ حِدَادٍ ، فأعْقَبَ اللهُ خيرَ عاقبةٍ ، وجاوزَ بالنعمةِ مِقدارَ الأمَلِ ، فصاروا دَرِيّةَ (٣) رِماحِنا ، وضَرائبَ سيوفِنا ،

(١) بحاشية ا مانصه : « المهلّبِىُّ : رجلٌ قُماقِمٌ وقُمْقامٌ ، وهو السّيّدُ ، واشتقاقهُ من قولهم بحرٌ قَمْقامٌ ، للكثيرِ الماءِ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « بموتة » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدّرِيئَةُ مهموزٌ : الحَلْقَةُ التى يُتَعَلَّمُ فيها الرَّمْىُ والطَّعْنُ . والدَّرِيّةُ بغيرِ همزٍ : التى يَستترُ بها الصائدُ » .

وقتَلَ اللهُ أميرَهُمْ ابنَ المَاحُوزِ ، وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوّلِهَا ، والسلام .

فكتَبَ إليه القُبَاعُ :

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأَزْدِ ، فرأيتُك قد وَهَبَ اللهُ لك شرَفَ الدنيا وعِزَّها ، وذَخَرَ لك ثوابَ الآخرةِ إن شاء اللهُ وأجْرَها ، ورأيتُك أوثقَ حُصونِ المسلمين ، وهادَّ أركانِ المشركين ، وأَخَا السياسةِ وذَا الرِّياسةِ ، فاسْتَدِمِ الله بشكره ، يُتْمِمْ عليك نِعَمَهُ ، والسلام .

وكَتب إليه أهلُ البصرة يُهَنِّؤُنَهُ ، ولم يكتب إليه الأحنفُ ، ولكن قال : اقْرَؤُا عليه السلام ، وقولوا له : أنَا لَكَ على ما فارقتُك عليه . فلم يَزَلْ يقرأُ الكتبَ ويَلْتَمِسُ فى أضْعافِها كتابَ الأحنف ، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه : أمَا كَتَبَ إلينا ؟ فقال له الرسول : حمَّلنى إليك رسالةً ، وأبلغَهُ ، فقال : هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتبِ .

⁂

واجتمعت الخوارجُ بأَرَّجَانَ ، فبايَعوا الزُّبيرَ بن علىّ ، وهو من بنى سَليطِ بن يَرْبُوعٍ ، مِن رَهْطِ ابنِ المَاحُوزِ ، فرأى فيهم انكسارًا شديداً وضَعْفاً بيِّنًا ، فقال لهم : اجْتَمِعُوا ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أَقْبَلَ عليهم فقال : إنَّ البلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ[1] وأجرٌ ،

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : التَّمْحِيصُ : التطهيرُ من الذُّنوبِ . قال الله عزَّ وَجَلَّ : وليُمَحِّصَ اللهُ الذين آمَنُوا » .

وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخِزْىٌ ، وَإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ ، وقد أصبتُم منهم[١] مُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ ، ورَبيعاً الأَجْذَمَ ، والحجّاج بن بابٍ ، وحارثةَ بنَ بدرٍ ، وأَشْجَيْتُمُ المهلَّبَ ، وقتلتم أخاهُ المُعارِكَ ، واللهُ يقولُ لإخوانكم من المؤمنين : ﴿ إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وتلك الأيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ ﴾[٢] فيَوْمُ سِلَّى كان لكم بلاءً وتمحيصاً ، ويومُ سُولافَ كان لهم[٣] عُقوبةً ونَكالاً ، فلا تُغْلَبُنَّ على الشُّكْرِ في حِينِهِ ، والصَّبْرِ في وقتِهِ ، وثِقُوا بأنكم المستَخْلَفون في الأرضِ ، والعاقبةُ للمتَّقين .

ثم تَحَمَّلَ لمحاربة المهلَّبِ ، فنفحَهُمُ المهلَّبُ نَفْحَةً ، فرجَعوا ، فأَكْمَنَ للمهلَّبِ في غَمْضٍ من غُموضِ الأرضِ[٤] ، يَقْرُبُ[٥] من عسكره ، مائة فارس ليَغْتالُوه ، فسار المهلَّبُ يومًا يطوفُ بعسكره ويتفقَّد سَوادَه ، فوقَفَ على جبلٍ فقال : إن من التَّدْبيرِ لهذه المارقة أن تكونَ قد أَكْمَنَتْ في سَفْحِ هذا الجبلِ كَميناً ، فبعثَ عَشَرَةَ فوارس ، فاطَّلعُوا على المِئَةِ ، فلما عَلِمُوا أنهم قد عَلِمُوا بهم قَطَعوا القَنْطَرَةَ ونَجَوْا ، وكَسَفَتِ الشمسُ ، فصاحوا بهم :

---

(١) في ج و س و هـ و ف « فيهم » .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٠

(٣) في ج و ف « كان عليهم » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « المهلَّبِيُّ : الغَمْضُ : المطمَئِنُّ من الأرض ، والجمع أغماضٌ وغموضٌ » .

(٥) في ج و س و د و هـ و ف « بقُرْبِ ».

يا أعداء الله ! لو قامت القيامةُ لَجَدَدْنا في جهادكم . ثم يَئِسَ الزَّبِيرُ من ناحية المهلَّب ، فضَرَبَ إلى ناحية أُصْبَهَانَ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى أرَّجَانَ . وقد جمع جموعًا ، وكان المهلَّبُ يقولُ : كأنّى بالزَّبير وقد جمع جموعًا ، فلا تَرْهَبُوهُمْ فتَخْبُثَ قلوبُكم ، ولا تُغْفِلُوا الاحتراسَ فيَطْمَعُوا فيكم . فجاؤوه من أرَّجَانَ فألْفَوْهُ مُسْتَعِدًّا آخذًا بأفواه الطُّرقِ ، فحاربوه ، فظَهَرَ عليهم ظهورًا بَيِّنًا .

ففي ذلك يقول رجلٌ من بنى تَمِيمٍ ، أَحْسِبُهُ من بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوع :

سَقَى اللهُ المهلَّبَ كلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ انتحارَا
فما وَهَنَ المهلَّبُ يومَ جاءتْ عَوابسُ خَيْلِهم تَبْغِى الغِوَارَا

وقال المهلَّبُ يومَئِذٍ : ماوقعتُ في أمرٍ ضَيِّقٍ من الحرب إلّا رأيتُ أمامى رجالاً من بنى الهُجَيْمِ بن عَمْرِو بن تميمٍ يُجالِدُونَ ، وكأنَّ لِحاهُمْ أذنابُ العقَاعِقِ . وكانوا صَبَرُوا معه في غير مَوْطِنٍ .

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ ، من بنى عَبْشَمْسِ بن سَعْدٍ :

أَلَا يا مَنْ لِصَبٍّ مُسْتَحِنٍّ قَرِيحِ القلبِ قد صَحِبَ المَزُونَا(١)
لَهَانَ على المهلَّبِ مالَقِينا إذا ما راحَ مَسرورًا بَطِينَا
يَجُرُّ السَّابِرِيَّ ونحنُ شُعْثٌ كأنَّ جلودَنا كُسِيَتْ طَحِينَا(٢)

« المَزُونُ » عُمَانُ ، وهو اسم من أسمائها ، قال الكُمَيْتُ :

فأمَّا الأَزْدُ أَزْدُ أبى سعيدٍ فأَكْرَهُ أنْ أُسَمِّيَها المَزُونَا

---

(١) « مستحن » بالحاء المهملة ، من قولهم استحنه الشوق الى وطنه : استطربه ، قاله المرصفى .
(٢) « السابرىّ » من الثياب : ما كان رقيقاً .

وقال جريرٌ :

وأَطْفأْتَ نيرانَ المَزُونِ وأهلِها وقد حاولوها فتنة أن تُسَعَّرَا

وَحمل يومئذٍ الحَرِيشُ بن هِلالٍ على قيسِ الإكَافِ ، وكان قيسٌ من أنجَدِ فُرْسانِ الخوارج ، فطعنه فَدَقَّ صلبَهُ ، وقال :

قَيْسُ الإكافِ غَداةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنِي ثَبْتَ المَقَام إذا لاقيتُ أقرانِي

❊

وقد كان فَلُّ المهلَّبِ يومَ سِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى[1] صاروا إلى البصرةِ ، فذكروا أنَّ المهلَّبَ أُصِيبَ ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنُّقلةِ إلى البادية ، حتى وَرَدَ كتابُه بظَفَرِه ، فأقام الناسُ ، وتَراجَع من كان ذَهب منهم ، فعند ذلك يقولُ الأَحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصرةُ المهلَّبِ . وَقَدِمَ رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له فلانُ بنُ أرْقَمَ ، فنَعَى ابنَ عمٍّ له ، وقال : رأيتُ رجلاً من الخوارجِ وقد مَكَّنَ رمحَه من صُلْبِه ، فقَدِمَ المَنْعِيُّ ، فقيلَ له ذلك ، فقال : صَدَقَ ابنُ أرقم لما أحْسَسْتُ برمحه بين كَتِفَيَّ صحتُ [به][2] البَقِيَّةَ ! فرَفَعَه عنِّي ، وتَلاَ : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[3] ﴾ .

ووَجَّه المهلَّبُ بِعَقِبِ هذه الوَقْعَةِ رجلاً من الأَزْد برأس عُبَيْدِ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوز إلى الحَرْثِ بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعِ ، فلما صار بِكُرْبُج دِينارٍ[4] لَقِيَهُ حَبيبٌ وعبدُ الملك وعليٌّ بنو بَشِيرِ بن الماحوزِ

(١) في ج و س و د و هـ و ف « وسلبرى » بالموحدة .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٣) سورة هود آية ٨٦
(٤) « كربج دينار » ضبط في الأصول بضم الباء وفتحها . وهو موضع قريب من الأهواز .

فقالوا له : ما الخبرُ ؟ ولا يَعرِفُهم ، فقال : قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوز ، وهذا رأسُه مَعِي ! فوَثَبُوا عليه فقتلوه وصَلَبوه ودفَنُوا الرأسَ ، فلما وَلِيَ الحجّاجُ دخل عليه عليُّ بن بَشِير ، وكان وَسِيماً جَسِيماً ، فقال : مَن هذا ؟ فخُبِّرَ فقَتَله ، ووهبَ ابنَه الأَزْهَرَ وابنَتَهُ لأهل الأَزْدِيّ المقتولِ ، وكانت زينب بنتُ بَشِير لهم مُواصِلَةً ، فوهبوهما لها .

فلم يَزَلِ المهلّب يقاتِلُ الخوارجَ في ولايةِ الحٰرِثِ القُبَاعِ ، حتى عُزِلَ الحٰرِثُ ووُلِّيَ⁽¹⁾ مُصْعَبُ بن الزُّبير ، فكتب إليه أَن أَقْدَمْ عليّ واستخلِفِ ابنَك المغيرةَ ، ففعل ، فجمعَ الناسَ فقال لهم : إني قد استخلفتُ عليكم المغيرةَ ، وهو أبو صغيرِكم رِقَّةً ورحمة ، وابنُ كبيرِكم طاعةً وبِرًّا وتبجيلاً ، وأخو مِثْلِه مُواساةً ومُناصحةً ، فلْتَحْسُنْ له طاعتُكُمْ ، وليَلِنْ له جانبُكم ، فوالله ما أردتُ صوابًا قطُّ إلّا سبقني إليه . ثم مَضَى إلى مُصْعَبٍ ، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته ، وكَتَبَ إليه : إنك لم تَكُنْ كأبيك ، فإنك كافٍ لِمَا وَلَّيْتُكَ ، فشَمِّرْ واتَّزِرْ وجِدَّ واجْتَهِدْ .

⁂

ثم شَخَصَ المُصْعَبُ إلى المَذارِ⁽²⁾ ، فقَتَلَ أَحْمَرَ بنَ شُمَيْطٍ ، ثم أتى الكوفةَ فقتَلَ المختارَ بن أبي عُبَيْدٍ . وقال للمهلَّبِ : أَشِرْ عليّ برجلٍ أَجْعَلُه بيني وبين عبد المَلِكِ ؟ فقال [له]⁽³⁾ : أَذْكُرُ لك واحدًا من ثلاثةٍ : محمدَ بن

---

(١) في ج و د و هـ « وَوَلِيَ » .

(٢) « المذار » بفتح الميم وتخفيف الذال المعجمة : بلد في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة أربعة أيام .

(٣) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

عُمَيْرِ بن عُطَارِدٍ الدارِمِيّ ، أو زِيَادَ بن عمرو بن الاشْرَف العَتَـكِيّ ، أو دَاوُدَ بن قَحْذَمٍ ، فقال : أوَ تَـكْفِينِي ؟ قال : أكْـفِيكَ إن شاء اللهُ ، فولّاه المَوْصِلَ ، فشَخَصَ المهلّب إليها .

وصار مُصْعَبٌ إلى البصرة ، فسأل مَنْ يَسْتَـكْفِي أمرَ الخوارجِ ويفدُ إلى أخيه ، فشاوَرَ الناسَ ، فقال قومٌ : وَلِّ عُبيدَ الله بن أبى بكْرَةَ ، وقال قومٌ : وَلِّ عُمَرَ بن عُبيد الله بن مَعْمر ، وقال قومٌ : ليس لهم إلاَّ المهلَّبُ فارْدُدْهُ إليهم .

وبَلَغتِ المَشُورةُ الخوارجَ ، فأداروا الأَمْرَ بينهم ، فقال قطَرِيُّ بن الفُجَاءَةِ المـازنىُّ : إنْ جاءكم عُبيدُالله بن أبِى بَكْرَةَ أتاكم سَيِّدٌ سَمْحٌ جوادٌ كريمٌ مُصِيعٌ لعسكره[1] ، وإن جاءكم عُمر بن عُبيدالله [بن مَعْمَرٍ][2] أتاكم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ ، يقاتلُ لِدِينِهِ ومُلْـكِهِ ، وبطبيعةٍ لم أرَمثلَها لأحدٍ ، فقد شَهِدتُهُ فى وقائعَ فما نُودِىَ فى القوم لحربٍ إلّا كان أولَ فارسٍ يَطْلُعُ حتى يَشُدَّ على قِرْنِهِ فيَضْرِبَه ، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قد عرفتموه : إنْ أخذتم بطَرف ثوبٍ أخَذَ بطرفه الآخَرِ ، يَمُدُّه إذا أرسلتموه ، ويُرْسِله إذا مددتُموهُ ، لا يَبْدَؤُكم إلّا أن تَبْدَؤُوه ، إلّا أن يَرَى فُرْصَةً فينتهزَها ، فهو الليث المُبِرُّ[3] ، والثعلبُ الرَّوَّاغُ ، والبلاءُ المقيمُ .

---

(١) « مصيع » بالصاد المهملة ، أى يرهبهم فيطيعونه ، من قولهم « صاعه يصوعه ويصيعه » واوى ويائى ، بمعنى خوّفه . وفى نسخة المرصفى بالضاد المعجمة ، وهو خطأ ، وإن وافق نسختى ج و د .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) « المبرّ » أى الغالب . من قولهم أبَرَّ عليهم : إذا غلبهم .

فَوَلَّى عليهم عُمرَ بن عُبَيْدِ الله ، وولَّاه فارسَ ، والخوارجُ بأَرَّجَانَ ؛ وعليهم الزُّبيرُ بن عليٍّ السَّليطيُّ ، فشَخَصَ إليهم فقاتلهم ؛ وألحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها ، فألحقهم بأَصْبَهَان ، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أن مصعباً وَلَّى عُمرَ بن عُبيد الله قال : رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها .

فَجَمَعُوا له وأعدُّوا واستمدُّوا ، ثم أَتَوْا سابُورَ ، فسارَ إليهم حتى نزلَ منهم على أربعةِ فراسخ ، فقال له مالكُ بن حَسَّانَ الأَزْديُّ : إن المهلَّبَ كان يُذْكِ العيونَ ، ويخافُ البياتَ ، ويَرْتَقِبُ الغفلةَ ، وهو على أبْعَدَ مِن هذه المسافةِ منهم ، فقال له عمر : اسكتْ خَلَعَ الله قلبَك ! أتُراكَ تموتُ قبلَ أَجَلِك؟! فأقامَ هناك ، فلما كان ذاتَ ليلةٍ بَيَّتَهُ الخوارجُ ، فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ ، فلم يَظْفَرُوا منه بشيء ، فأقبلَ على مالِك بن حَسَّانَ فقال : كيف رأيتَ ؟ قال : قد سَلَّمَ الله عزَّ وجلَّ ، ولم يكونوا يطمعون مِنَ المهلَّبِ بمثلها ، فقال : أَمَا إنكم لو ناصحتمونِي مُناصحتَكم المُهَلَّبَ لَرَجَوْتُ أن أَنْفِيَ هذا العدوَّ ، ولكنكم تقولون : قُرَشِيٌّ حجازيٌّ بَعيدُ الدارِ ، خيرُهُ لغيرنا ، فتقاتلون معي تَمْذِيراً[(١)] .

⁂

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم ، فقاتلهم قتالا شديداً ، حتى ألجأهُمْ إلى قنطرةٍ ، فتكاثفَ الناسُ عليها حتى سقطت ، فأقام حتى أصلحها ، ثم عَبَرُوا ، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بن عمرَ ، وأمُّه من بني سَهْمِ بن عَمرو

---

(١) قال المرصفي : « من قولهم قام فلان قيام تمذير فيما استكفيته : إذا لم يبالغ في القيام به ، بل قصرَّ فيه » .

بن هُصَيْصِ بن كَعْبٍ ، فقاتلهم حتى قُتِلَ . فقال قَطَرِيٌّ : لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور . ولم يَعلم عمر بقتل ابنه . حتى أفْضَى إلى القوم ، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّادٍ . فصاح به : يانعمانُ ! أين ابنى ؟ فقال : احْتَسِبْهُ [أيُّها الأميرُ][1] فقد استُشْهِدَ رحمه الله صابرًا مُقبلاً غيرَ مُدْبِر . فقال : إنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون . ثم حمل على الناس حَمْلَةً لم يُرَ مثلُها . وحمل أصحابُه بحملتِهِ ، فقتلوا فى وجْهِهم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج ، وحَمل على قطَرِىٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ . وانهزمت الخوارجُ ، وانتهبها . فلما استقرُّوا قال لهم قَطَرِيٌّ : أمَا أشرتُ عليكم بالانصراف ؟ فَجَعلوه وُجُوههم حتى خرجوا من فارسَ .

وتلقَّاهم فى ذلك الوقتِ الفِزْرُ بن مِهْزَمٍ[2] العَبْدِىُّ . فسألوه عن خبره ؟ وأرادُوا قتلَه ! فأقبل على قَطَرِىٍّ فقال : إنى مؤمنٌ مهاجرٌ ، فسأله عن أقاويلهم ؟ فأجاب إليها ، فخلَّوْا عنه ، ففى ذلك يقول فى كلمةٍ له :

وشَدُّوا وِثَاقِى ثم أَلْجَوْا خُصُومَتِى ... إلى قَطَرِىٍّ ذى الجَبِينِ المُفَلَّقِ[3]
وحاجَجتُهُمْ فى دِينِهم وحَجَجْتُهُمْ ... وما دِينُهم غيرُ الهَوَى والتخَلُّقِ

ثم إنهم تراجَعُوا وتكانَفُوا . [قال الأخفشُ : « تكانفوا » أعانَ بعضُهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضُهم فى كَنَفِ بعضٍ] وعادُوا إلى ناحيةِ أَرَّجَانَ ، فسار إليهم عمر ، وكَتَب إلى مُصْعَبٍ : أما بعدُ . فإنى قد لَقِيتُ الأزارقةَ ،

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) فى ج و د و هـ « مِهَزَّمٍ » .

(٣) « ألجوا » قال المرصفى : «حذف همزة ألجأ وأسنده إلى الضمير» .

فرزق اللهُ عُبَيْدَ الله بن عُمر الشهادةَ ، ووَهَبَ له السعادةَ ، ورزقنا عليهم الظَّفَرَ ، فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَرَ[١] ، وبلغَتْني عنهم عَوْدةٌ ، فيَمَّمْتُهم ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ .

فسار إليهم ومعه عطيةُ بن عَمرٍو ومُجَّاعةُ بن سَعيدٍ ، فالتَقَوْا ، فألحَّ عليهم حتى أخرجهم ، وانفردَ [عمر][٢] من أصحابه ، فعَمَدَ له أربعةَ عشَرَ رجلاً منهم ، مِن مَذْكوريهم وشُجْعانهم ، وفى يده عَمودٌ ، فجعل لا يضربُ رجلاً منهم ضربةً إلا صَرَعَهُ . فرَكَضَ إليه قَطَرِىٌّ على فرس طِمِرٍّ[٣] ، وعُمر على مُهْرٍ ، فاستعلاه قَطَرِىٌّ بقوة فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ ، فبَصُرَ به مُجَّاعةُ فأسرع إليه ، فصاحت الخوارجُ بقطرىّ : ياأبا نَعامة ! إنَّ عدوَّ الله قد رَهِقَك ، فانحطَّ قطرىٌّ عن قَرَبوسِهِ[٤] ، فطعنه مُجَّاعةُ ، وعلى قطرىّ درعان فهتَكهما ، وأسرعَ السِّنانُ فى رأس قطرىّ ، فكَشَطَ عنه جلدةً ونجَا .

وارتحلَ القومُ إلى أصْفَهانَ[٥] فأقاموا [بها][٦] بُرْهةً ، ثم رجَعوا إلى الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عُبيد الله إلى إصْطَخْرَ ، فأمر مُجَّاعةَ فجَبَى

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال تفرَّقَ القومُ شِذَرَ مِذَرَ : كلمةٌ تقال عند التفرق » . والكلمتان فى كل الأصول بكسر الشين والميم ، ويجوز فتحهما أيضاً .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « طِمِرَّةٍ » . والطمرّ : الطويل القوائم الخفيف ، أو هو المستفزّ للوثب والعدو ، والأنثى طمرة .

(٤) فى ج « عن قربوس فرسه » . وفى س و ف « عن قربوس سرجه » .

(٥) فى ج و س و د و ف « أصبهان » .

(٦) الزيادة من ج و ف .

الخراجَ أسبوعًا ، فقال [له] : (١) كم جَبَيْتَ ؟ قال : تِسْعَمِائَةِ أَلفٍ ، فقال : هى لك ، فقال يزيدُ بن الحَكَم الثقفىُّ لمُجَّاعَةَ :

وَدَعاكَ دَعْوةَ مُرْهَقٍ فأجبتَه عُمَرٌ وقد نَسِىَ الحياةَ وضَاعَا
فَرَدَدتَّ عاديةَ الكَتيبةِ عن فَتًى قد كاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أوزاعَا

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير ووُلِّىَ (٢) حمزةُ بن عبد الله بن الزبير ، فَوَجَّهَ المهلَّبَ إليهم ، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز ، ثم رُدَّ مصعبٌ والمهلبُ بالبصرة ، والخوارجُ بأطرافِ أصبَهَانَ ، والوالى عليها عتَّابُ بن ورقاءَ الرِّيَاحِىُّ ، فأقام الخوارجُ هناك شيئًا يجْبُونَ القُرَى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ ، فكَتب مُصْعَبٌ إلى عُمر بن عبيد الله : ما أنصفتَنَا ، أقمتَ بفارسَ تجبي الخراجَ ومثلُ هذا العدوِّ يحاربُك ، والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أعْذَرَ لك . وخرج مصعبٌ من البصرة يريدهم ، وأقبلَ عمر بن عبيد الله يريدهم ، فتنحّي الخراجُ إلى السُّوسِ ، ثم أتَوُا المدائنَ ، فقتلوا أحمرَ طَيِّئٍ ، وكان شجاعًا ، وكان من فُرْسانِ عُبيد الله بن الحُرِّ ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ :

تركتم فتَى الفِتْيَانِ أحمرَ طَيِّئٍ بِسَاباطَ لم يَعْطِفْ عليه خَليلُ

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادَها ، وواليها الحرثُ بن عبد الله القُباعُ ، فتثاقلَ عن الخروج ، وكان جبانًا ، فذَمَرَهُ (٣) إبرهيمُ بن الأشترِ ، ولامَهُ الناسُ ، فخَرج متحامِلاً حتى أتى النُّخَيْلَةَ ،

(١) الزيادة من ج و د و هـ و ف .
(٢) فى ج و د « وَوَلِيَ » .
(٣) الذمر : اللوم والحض .

فى ذلك يقولُ الشاعرُ :

إن القُباعَ سار سَيْرًا نُكْرَا   يسيرُ يومًا ويُقيمُ شهرَا

وجعل يَعِدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ ، والخوارجُ يعيثُون[١] ، حتى أخذوا امرأةً فقتلوا أباها بين يديها ، وكانت جميلةً ، ثم أرادوا قتلَها ، فقالتْ : أتقتلون مَنْ يُنشأُ فى الحِلْيَةِ وهو فى الخِصَامِ غيرُ مُبِين ؟! فقال قائلٌ منهم : دَعُوها ، فقالوا : قد فَتَنَتْكَ ، ثم قَدَّمُوها فقتَلُوها ، ثم قرَّبوا أُخرى ، وهُمْ بحذاء القُباع ، والجِسْرُ معقودٌ بينهما ، فقَطعه القُبَاعُ ، وهو فى ستة آلافٍ ، والمرأةُ تستغيثُ به و[هى][٢] تقولُ : عَلامَ تقتلوننى ؟ فواللهِ مافسَقْتُ ولا كفَرْتُ ولا ارْتَدَدتُ ! والناسُ يَتفلّتُونَ إلى الخوارج ، والقُباع يمنعهم ، فلما خاف أن يَعْصُوه أمر عند ذلك بقطع الجِسْرِ ، فأقام بين دَباها ودَبِيرَى[٣] خمسةَ أيامٍ ، والخوارجُ بقُرْبه ، وهو يقول للناس فى كل يومٍ : إذا لقيتم العدوَّ غدًا فأَثْبِتُوا أقدامَكم واصبِرُوا ، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرامى ، ثم إشْراعُ الرِّماح ، ثم السَّلَّة[٤] ، فثَكِلَتْ رجلاً أُمُّه فرَّ من الزَّحْف . فقال بعضهم لَمّا أكثر عليهم : أمّا الصِّفَةُ فقد سمعناها ، فمتى يَقَعُ الفعلُ ؟! وقال الراجزُ :

إن القُباعَ سار سَيْرًا مَلْسَا   بين دَباها ودَبِيرَى خمسَا[٥]

---

(١) فى ع و س و د و ه « يَفْشُونَ » .

(٢) الزيادة من ع و د و ه و ف .

(٣) « دباها ودبيرى » بفتح الدال فيهما ، قريتان من قرى بغداد ، قاله المرصفى .

(٤) « السلة » بفتح السين واللام المشددة : استلال السيوف .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلّبيّ : قال أبو زيد : المَلْسُ : السَّيرُ الشديدُ . وقال غيرُه : هو السريع السهلُ . وقال ابنُ الأعرابِيّ : يقال مَلَسَ هاربًا : إذا وَلَّى =

فأخذ الخوارجُ حاجتهم ، وكان شأنُ القُبَاعِ التَّحَصُّنَ منهم ، ثم انصرفوا ورجَع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى أصْبَهانَ ، فبعثَ عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الزُّبير بن عليٍّ : أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تَقْصِدُ فى انصرافك من كل حربٍ غيرى . فبعث إليه الزُّبير : إنَّ أَدْنَى الفاسقينَ وأبعدَهم من الحقِّ[١] سَواءٌ .

وإنما سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبد الله [بن أبي ربيعةَ][٢] القُبَاعَ لأنه وَلِيَ البصرةَ فغيَّرَ على الناسِ مَكاييلَهم ، فنَظَر إلى مكيالٍ صغيرٍ فى مَرْآةِ العَيْنِ وقد أحاط بدقيقٍ استكثَره ، فقال : إن مكيالكم هذا لَقُباعٌ . و« القُبَاعُ » الذى يُخْفِي أو يَخْفَى مافيه ، يقال : انْقَبَعَ الرجلُ : إذا استَتَرَ ، ويقال للقُنْفُذِ القُبَعُ ، وذلك أنه يَخْنِسُ رأسَه .

[قال أبو العباس][٣] : وأقام الخوارجُ يغادُونَ عَتَّابَ بن وَرْقَاءَ القتالَ ويُرَاوِحُونَه ، حتى طال عليهم المُقامُ ، ولم يَظْفَروا منه بكبيرٍ ، فلما كَثُرَ ذلك عليهم انصرفُوا ، لايَمُرُّون بقريةٍ بين أَصْفَهانَ[٤] والأَهْوازِ إلَّا استباحوها وقتلوا من فيها .

= مُسْرِعاً . وقال ابنُ شاذانَ : المَلْسُ مصدرُ مَلَسَ الشيءَ يَمْلُسُ مَلْسًا : إذا انْخَنَسَ . ومنه قولهم ناقةٌ مَلْسَى : سَرِيعةٌ » .

(١) فى ج و س و د و ه و ف « فى الحق » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) فى ج و د و ه ونسخة بحاشية ا « أصبهان » .

⁂

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس [فيهم][1] ، فأَجْمَعَ[2] رأيُهم على المهلَّب ، فبلغ الخوارجَ مَشُورتُه[3] ، فقال لهم قَطَرىٌّ : إنْ جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقاء فهو فاتِكٌ يَطْلُعُ فى أوَّلِ المِقْنَب[4] ولا يَظْفَرُ بكَبِيرٍ ، وإن جاءكم عُمر بن عُبيدالله ففارِسٌ يُقْدِمُ ، فإمَّا له وإمَّا عليه ، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لا يُنَاجِزُكم حتى تُناجِزوه ، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم ، فهو البَلاءُ اللّازِم ، والمكروهُ الدائمُ .

وعَزَم المصعَب على توجيه المهلَّب ، وأن يَشْخَص هو لحربِ عبدِ الملك فلما أحَسَّ به الزُّبير بن علىٍّ خرج إلى الرَّىِّ ، وبها يزيدُ بن الحٰرث بن رُوَيْمٍ ، فحارَبَه ثم حصَره ، فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه ، فكان الظَّفَرُ للخوارج ، فقُتِلَ يزيدُ بن رُوَيْمٍ ، ونادَى يومئذٍ ابنَه حَوْشَباً ففرَّ عنه وعن أُمِّه لَطِيفَةَ ، وكان علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام دخلَ على الحٰرث بن رُوَيْمٍ يعود ابنَه يزيدَ ، فقال له : عندى جاريةٌ لطيفةُ الخدمةِ أبعثُ بها إليك . فسماها يزيدُ لَطِيفةَ ، فقُتِلَتْ معه يومئذٍ ، ففى ذلك يقول الشاعرُ :

مَوَاقِفُنا فى كلِّ يومِ كَرِيهةٍ   أَسَرُّ وأشْفَى من مَوَاقِفِ حَوْشَبِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ﻫ و ف .

(٢) فى ج و د و ﻫ و ف « فاجتمع » .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ و ف «مُشاورتُه» . وبحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ : المَشُورةُ مَفْعُلَةٌ ، واشْتُقَّ من الإشارة ، ويقال أشَرْتُ عليه بكذا إشارةً » .

(٤) « المقنب » بوزن « منبر » : جماعة الخيل .

دعاه يزيدُ والرِّماحُ شَوارِعٌ فلم يَستَجِبْ بل رَاغ رَوْاغَ ثعلبِ
ولو كان شَهْمَ النَّفسِ أوذا حَفيظةٍ
رأى ماراًى في الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ[1]

وقد مَرَّ خبرُ عيسى بن مُصْعَبٍ مُسْتَقْصًى[2] . وقال آخرُ :

نَجّي حَليلَتَهُ وأسْلَمَ شَيْخَهُ نَصْبَ الأَسِنَّةِ حَوْشَبُ بن يَزيدِ

وقال ابنُ حوشبٍ لبلال بن أبي بُرْدَةَ يُعَيِّرُه بأُمِّه ، وبلالٌ مَشدودٌ عندَ يوسف بن عمر : يا ابنَ حَوْراء ! فقال بلالٌ ، وكان جَلْدًا : إن الأَمَةَ تُسَمَّى حَوْراءَ وَجَيْداءَ ولَطيفةَ !! وزَعَم الكَلْبِيُّ أن بلالاً كان جَلْدًا حيث ابتُلِيَ[3] . قال الكلبيُّ : ويُعْجِبنى أن أرَى الاسيرَ جَلْدًا . قال : وقال خالدُ بن صَفْوانَ له بحضرةِ يوسفَ [بن عمرَ][4] : الحمد لله الذى أزال سُلطانَكَ ، وهَدَّ رُكْنَك ، وغَيَّرَ حالَك ، فواللهِ لقد كنتَ شديد الحِجابِ ، مُسْتَخِفًّا بالشريف ، مُظْهِرًا للعَصَبيَّةِ ! فقال له بلالٌ : إنما طالَ لسانُك يا خالدُ لثلاثٍ معك هُنَّ عليَّ : الأمرُ عليك مُقْبِلٌ وهو عنى مُدْبِرٌ ، وأنت مُطْلَقٌ وأنا مأسورٌ ، وأنت فى طينَتِكَ وأنا فى هذا البلدِ غريبٌ . وإنما جرَى إلى هذا لأنه يُقال أنَّ أصلَ آلِ الأَهْتَمِ من الحِيرَةِ ، وأنهم أُشابَةٌ[5] دخلتْ فى بنى مِنْقَرٍ من الرُّوم .

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رجلٌ شَهْمٌ بَيِّنُ الشَّهامَةِ والشُّهُومَةِ . إذا كان حادًّا ذَكِيًّا » .
(٢) مضى فى الجزء الثانى ص ٤٧٦ — ٤٧٧
(٣) فى ج و د و ف « حين ابتُلِيَ » .
(٤) الزيادة من ج .
(٥) « الأشابة » بضم الهمزة : الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحداً ، كالأوباش والأوشاب ، قاله المرصفى .

ثم انحطَّ الزُّبير بن عليّ على أصفهانَ(١) فحصرَ بها عتَّابَ بن وَرْقاءَ الرِّياحيَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتّابٌ يُحَاربُه فى بعضهنّ، فلما طال به الحِصارُ قال لأصحابه: ماتنتظرون؟ واللهِ ماتُؤْتَوْنَ من قِلّةٍ، وإنكم لفُرْسانُ عشائرِكم، ولقد حاربتموهم مرارًا فانتصفتم منهم، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلّا أن تَفْنَى ذخائرُكم، فيموتَ أحدُكم فيَدْفِنَه أخوه، ثم يموتَ أخوه فلا يجدُ مَن يدفِنُه، فقاتِلوا القوم وبكم قوةٌ، مِن قبلِ أن يَضْعُفَ أحدُكم عن أن يَمْشِيَ إلى قِرْنِه!! فلما أصبحَ الغدَ، صلّى بهم الصبحَ، ثم خرج [بهم](٢) إلى الخوارج وهم غارُّونَ، وقد نَصَبَ لِوَاءً لجاريةٍ له يقال لها يَاسِمينُ، فقال: مَن أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواء ياسمينَ! ومَن أرادَ الجهادَ فليَخْرُجْ مَعِى. فخرج فى ألفين وسَبْعِمِائَةِ فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ، فقاتَلوهم بجِدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثلَه، فعقَروا منهم خلقًا [كثيرًا](٣)، وقَتَلوا الزُّبير بن عليّ، وانهزمت الخوارجُ، فلم يَتْبَعْهُمْ عَتّابٌ، ففى ذلك يقولُ الشاعر:

وَيَوْمٍ بجَيٍّ تَلَافَيْتَه ... ولولاكَ لَاصْطُلِمَ العَسْكَرُ(٤)

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قولَه «ولولاكَ» فى آخر هذا الخبر(٥) إن شاء الله.

---

(١) فى ج و د و هـ و ف «أصبهان».

(٢) الزيادة من ج و د و هـ و ف.

(٣) الزيادة من ف.

(٤) بحاشية ا ما نصه: «ابنُ شاذانَ: أصلُ الصَّلْمِ قَطْعُ الأُذُنِ، يقالُ صَلَمَ أُذُنَه واصْطَلَمَهَا يَصْطَلِمُهَا صَلْمًا».

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف «هذا الباب».

وقال رجلٌ من بنى ضَبَّةَ فى تلك الوقعةِ :

خَرَجْتُ من المدينةِ مُسْتَمِيتاً ... ولم أكُ فى كَتِيبَةِ يَاسِمِينَا

أَلَيْسَ من الفضائلِ أنَّ قَوْمِى ... غَدَوْا مُسْتَلْئِمِينَ مُجاهِدِينَا

وتزعمُ الرُّواةُ أنهم فى أيام حِصارِهِم كانوا يَتَوَاقفُونَ ، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعضٍ ، وربما كانت مُوافقةٌ بغيرِ حربٍ[١] ، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم ، وكان رجلٌ من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شُرَيْحٌ ، ويُكْنَى أبا هُرَيْرَةَ ، إذا تَحاجَزَ القومُ مع المَسَاء نَادَى بالخوارج وبالزُّبيرِ بن عليٍّ :

يا ابنَ أبى المَاحُوزِ والأشْرَارِ ... كيف تَرَوْنَ يا كِلاَبَ النّارِ

شَدَّ أبى هُرَيرةَ الهَرَّارِ ... يَهِرُّكُمْ بالليلِ والنهارِ[٢]

ألم تَرَوْا جَيًّا عَلَى المِضمارِ ... تُمْسِى من الرحمنِ فى جُوَارِ[٣]

فغاظَهُم[٤] ذلك منه ، فَكَمَنَ له عُبَيْدَةُ بن هلالٍ فضربه ، واحْتَمَلَهُ أصحابُه ، فظَنَّتِ الخوارجُ أنه قد قُتِلَ ، فكانوا إذا تَوَاقَفُوا نادَوْهُمْ : مافعلَ الهرَّارُ ؟ فيقولون : مابه مِنْ بَأسٍ ، حتى أَبَلَّ من عِلَّتِه ، فخرج إليهم فصاح :

---

(١) فى ج و س و د و ه و ف « لغير حرب » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : هَرَّ الكلبُ والذِّئبُ يَهِرُّ هَرِيراً : إذا كَشَّرَ ، وهَرَّ الرجلُ الشيءَ : إذا كَرِهَهُ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : المِضْمارُ : الغايةُ ، يقالُ جَرَى فى مِضْمارِهِ ، والمِضْمارُ أيضاً : الموضعُ الذى يُضَمَّرُ فيه الفرسُ » .

(٤) فى ج « فتغاظَهُمْ » .

يا أعداء الله ! أتَرَوْنَ بي بأساً ؟ فصاحُوا به : قد كُنَّا نُرَى أنك لَحِقتَ بأمِّك الهَاوِيَةِ ، فى النار الحامِيةِ .

⁂

قال أبو العباسِ : نُفَسِّرُ أشياء من العربية تحتاجُ إلى الشرح . من ذلك قوله « وَلَوْلاَكَ » ، ومنه قولهُ « أَلم تَرَوْا جَيًّا » ومنه قولهُ « يَهُزُّكُمْ بالليل والنهارِ » .

أمّا قوله « لَوْلاكَ » فإن سيبويهِ يَزْعَمُ أنَّ « لَوْلا » تَخفِضُ المُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ بعدَها الظّاهرُ بالابتداء ، فيقالُ : إذا قلتَ « لولاكَ » فما الدليلُ على أن الكافَ مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً ، وضميرُ النَّصب كضميرِ الخفضِ ؟ فتقولُ : إنك تقولُ لنفسك « لولاىَ » ولو كانت منصوبةً لكانت النونُ قبل الياء ، كقولك «رمانى وأعطانى» قال يَزِيدُبن الحَكَمِ الثّقَفِيُّ[1] :

وكَم مَوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأَجْرامِهِ من قُلّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى[2]

« النِّيقُ » أعلَى الجَبَلِ ، و« جِرْم » الإنسان : خَلْقُهُ .

فيقالُ له : الضميرُ فى موضع ظاهرِه ، فكيف يكونُ مختلفاً ؟ وإن كان

---

(١) البيت من قصيدة بليغة يعاتب بها أخاه عبد ربه بن الحكم ، وقد جمعتها وحققت مصادرها عند تعليقى على كتاب لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ (ص ٣٩٦ — ٣٩٩) وأزيد هنا مصدرين آخرين ، هما خزانة الأدب (ج ٣ — ١١٨ بولاق) وسمط اللآلى (ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٤١) .

(٢) بحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ . قال الخليلُ : الطَّائِحُ : الهالكُ المُشْرِفُ على الهلاكِ ، وكلُّ شيء ذَهَبَ فقد طَاحَ يَطِيحُ طَيْحًا وطَوْحًا ، لُغتانِ » .

هذا جائزًا فَلِمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه نحو « إنَّ » وما كانَ معها فى البابِ ؟

وزَعَم الأَخْفَشُ سَعيدٌ أنَّ الضميرَ مرفوعٌ ، ولَـكِنْ وافَقَ ضَمِيرَ الخفضِ ، كما يَستَوِى الخفضُ والنصبُ . فيقالُ : فهل هذا فى غيرِ هذا الموضع ؟ !

قال أبو العباس : والذى أقوله أنَّ هذا خطأٌ لايَصْلُح ، إلّا أن تقولَ « لولا أنتَ » كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْلَا أَنـتُمْ لَـكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[١] ومن خالفَنا [فهو لابُدَّ][٢] يزعمُ أنَّ الذى قلناه أَجْوَدُ . ويَدَّعِي الوجهَ الآخَرَ فيُجيزُه على بُعْدِهِ[٣] .

وأمّا « جَيٌّ » فالأَجْوَدُ فيها أن تقولَ :

* أَلم تَرَوْا جَيٌّ عَلَى المِضْمارِ *

فلا تُنَوِّنَ ، لأنها مدينَةٌ ، والاسمُ أعجميٌّ ، والمؤنَّثُ إذا سمى باسمٍ أعجميٍّ على ثلاثةِ أحرفٍ لم ينْصَرِف إذا كَانَ مؤنثًا وإن كان أوسطه ساكنًا نحوُ جُورَ وحِمْصَ [وماهَ][٤] وما كانَ مثلَ ذلك ، ولو كان اسمًا لمذكَّرٍ لانْصَرَفَ ، فإن صَرَفْتَه جعلتَه اسمًا لبلدٍ ، وإن لم تصرفْه جعلتَه اسمًا لبلدةٍ أو لمدينةٍ ، ألَا تَرَى أنك تصرفُ نُوحًا ولوطًا ، وهما أعجميّانِ؟ وكذلك لو كَان على ثلاثةِ أحرف

---

(١) سورة سبأ آية ٣١

(٢) الزيادة من ج و د و ف .

(٣) فى ج و د و ف « على بُعْدٍ » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ف .

كلُّها متحركٌ، لأنك تَصْرِف «قَدَمًا» لو سمَّيْتَ به[1] رجلاً، فالأعجمىُّ بمنزلة المؤنَّث، لأن امتناعهما واحدٌ.

وأمّا قولُه «يَهُرُّكُمْ» فإن كلَّ ما[2] كان من المضاعَف على ثلاثة أحرفٍ وكان[3] متعدِّياً فإن المضارِعَ منه على «يَفْعُلُ» نحو شَدَّهُ يَشُدُّه، وزَرَّه يَزُرُّه، ورَدَّه يَرُدُّه، وحَلَّه يَحُلُّه. وجاء منه حرفانِ على «يَفْعِلُ» و«يَفْعُلُ» فيهما جيدٌ، هرَّه يَهِرُّه: إذا كَرِهه، ويَهُرُّه أجْوَدُ، وعَلَّهُ بالحِنَّاء يَعِلُّهُ: وَيَعُلُّهُ أجْوَدُ. ومَن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّهُ لا غيرُ، وقرأ أبو رَجاء العُطارِدِىُّ ﴿فاتَّبِعُونِى يَحِبَّكُمُ اللهُ﴾[4] وذلك أنَّ بنى تميمٍ تَدَّغِمُ[5] فى موضعِ الجزمِ وتُحَرِّكُ أواخرَه لالتقاء الساكنَيْنِ.

⁂

رجع الحديث

[قال أبو العباس][6]: ثم إن الخوارجَ أدَارُوا أمرَهم بينهم، فأرادُوا توليةَ عُبَيْدَةَ بنَ هلالٍ، فقال: أدُلُّكُمْ على منْ هو خيرٌ لكم مِنِّى، مَنْ يُطاعِنُ

---

(١) فى ج و ف «بها».
(٢) رسمت فى جميع أصول الكتاب «كلما».
(٣) فى س و د و هـ و ف «فكان».
(٤) سورة آل عمران آية ٣١ والقراء الأربعة عشر قرؤوها «يُحْبِبْكُم». وقراءة أبى رجاء شاذة، وروى عنه أيضاً أنه قرأها «يَحْبِبْكُم» بفك الإدغام. وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ٢٠).
(٥) فى ج و د «تُدْغِمُ».
(٦) الزيادة من س و هـ و ف.

فى قُبلٍ ، ويَحْمِى فى دُبُرٍ ، عليكم قَطَرِىّ بن الفُجاءَةِ المازنى . فبايَعُوه ، فوقَفَ بهم ، فقالوا : ياأميرَ المؤمنينَ ! امْضِ بنا إلى فارسَ ،فقال : إن بفارسَ عُمرَ بن عُبيد الله بنِ مَعْمَرٍ ، ولكنْ نَصيرُ إلى الأهوازِ ، فإن خرجَ مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها . فأتَوُا الأهوازَ ، ثم تَرَفَّعُوا عنها إلى إيذَجَ[1] ، وكان مُصْعَبٌ[2] قد عَزم على الخروج إلى باجُمَيْرَا[3] ، فقال لأصحابه : إنّ قَطَرِيًّا قد أطَلّ علينا ، وإنْ خرجنا عن البصرة دخلَها ، فبَعَثَ إلى المهلّب فقال : اكْفِنا هذا العدوّ ، فخرج إليهم المهلّبُ ، فلما أحَسّ به قطرىٌّ تيَمَّمَ[4] نحو كَرْمانَ ، فأقام المهلّبُ بالأهوازِ ، ثم كَرّ قَطَرِىٌّ عليه وقد استعدّ ، فكان الخوارجُ فى جميع حالاتِهم[5] أحسنَ عُدَّةً ممن يقاتلُهم ، بكثرة السّلاحِ ، وكثرة الدوابّ ، وحَصانَةِ الجُنَنِ ، فحارَبَهم المهلّبُ فنفاهم إلى رامَ هُرْمُزَ .

وكان الحرثُ بن عَميرةَ الهَمْدانىُّ قد صارَ إلى المهلّبِ مُراغِمًا لِعَتّاب بن وَرْقاء يقالُ أنه لم يُرْضِهِ عن قتلِه الزبيرَ بن علىّ ، وكان الحرثُ بن عَميرةَ هو الذى تَوَلّى قتلَه وحاصَ إليه أصحابُه ، ففى ذلك يقولُ أعْشَى هَمْدانَ :

إنّ المَكارمَ أكْمِلَتْ أسبابُها ... لابنِ اللّيوثِ الغُرّ من قَحْطانِ

---

(١) « إيذج » بلد بين خوزستان وأصبهان .

(٢) فى ج و س و د و هـ « المصعب » .

(٣) « باجميرا » موضع دون تكريت . وفى ج و د « باجميراء » .

(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « يَمَّمَ » .

(٥) فى ج و د « أحوالهم » .

للفارسِ الحامي الحَقيقةِ مُعْلِمًا   زادِ الرِّفَاقِ إلى قُرَى نَجْرانِ
الحْرِثِ بن عَميرةَ الليثِ الذي   يَحْمي العِراقَ إلى قُرَى كِرْمانِ
وَدَّ الأَزارِقُ لو يُصابُ بطَعْنةٍ   ويَموتَُ من فُرْسانهم مِائتانِ

[وَيُرْوَى زَادِ الرِّفاقِ وفارِسِ الفُرْسانِ] وتأويلُه : أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أَغناها عن التزوُّدِ كما قال جريرٌ وأرادَ ابنٌ له سَفرًا، وفى ذلك السَّفَرِ يحيى بن أبى حفصةَ ، فقال لأبيه : زَوِّدْنِي ، فقال جريرٌ :

أَزَادًا سِوَى يَحْيَى تُرِيدُ وصاحبًا   أَلَا إنَّ يحيى نِعْمَ زَادُ المسافرِ
فما تُنْكِرُ الكَوْماءُ ضَرْبَةَ سيفِهِ   إذا أَرْمَلُوا أوخَفَّ مافى الغَرائرِ [(١)]

وقوله «ويَموتَُ من فرسانِهم» يكونُ على وجهين : مرفوعًا ومنصوبًا، فالرفعُ على العطفِ ، ويدخلُ فى التَّمنِّى ، والنصبُ على الشَّرْطِ والخروجِ من العطفِ ، وفى مصحفِ ابن مسعودٍ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾ والقِراءةُ ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾[(٢)] على العطفِ ، وفى الكلامِ : ودَّ لو تأتيه فتُحَدِّثُهُ ، وإنْ شئتَ نَصَبْتَ الثانىَ[(٣)] .

⁂

[قال أبو العباس][(٤)] : وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراء ، ثم أَتَى الخوارجَ خبرُ مَقْتَلِهِ بمَسْكِنَ ، ولم يأتِ المهلَّبَ وأصحابَه ، فتَواقفوا يومًا

---

(١) « أرملوا » أى نفد زادهم .
(٢) سورة ن والقلم آية ٩
(٣) فى ج و ف « نصبتَ التاءَ » .
(٤) الزيادة من س وف .

على الخندق ، فناداهم الخوارجُ : ماتقولون فى المُصْعَب ؟ قالوا : إمامُ هُدًى ، قالوا : فما تقولون فى عبد الملِك ؟ قالوا : ضالٌّ مُضِلٌّ . فلما كان بعد يومين أتى المهلَّبَ قَتْلُ مُصْعَبٍ ، وأن أهلَ الشأم اجتمعوا على عبد المَلِكِ ، وورَدَ عليه كتابُ عبد الملك بولايته ، فلما تَواقفوا ناداهم الخوارجُ : ماتقولون فى مصعب ؟ قالوا : لانخبركم ! قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : إمامُ هُدًى ! قالوا : يا أعداء الله ! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ واليومَ إمامُ هُدًى ؟! ياعَبِيدَ الدنيا ! عليكم لعنةُ الله !!

⁂

ووَلِي خالدُ بن عبد الله بن أَسِيدٍ ، فقَدِمَ فدخل البصرةَ ، فأراد عزلَ المهلَّبِ ، فأُشيرَ عليه بأن لا يفعلَ ، وقيل له : إنما أَمِنَ أهلُ هذا المصرِ بأنَّ المهلبَ بالأهوازِ وعُمرَ بن عُبيد الله بفارسَ ، فقد تَنَحَّى عمرُ ، وإن نَحَّيْتَ المهلبَ لم تأمنْ على البصرة [الأزارقةَ][(١)] ، فأبَى إلَّا عَزْلَهُ ، فقَدِمَ المهلَّبُ البصرةَ ، وخرج خالدٌ إلى الأهوازِ ، فأَشْخَصَه ، فلمَّا صار بِكُرْبُجِ دينارٍ لقيَه قَطَرِيٌّ فمنعه حَطَّ أثقالِه ، وحاربه ثلاثين يومًا ، ثم أقام قطرىٌّ بإزائه ، وخَنْدَقَ على نفسِه ، فقال المهلَّبُ : إنَّ قطريًّا ليس بأحقَّ بالخندق منك ، فعبَرَ دُجَيْلاً إلى شِقِّ نهر تِيرَى ، واتّبعه قطرىٌّ ، فصار إلى مدينةِ نَهْرِ تِيرَى فبَنَى سُورَها وخندقَ عليها ، فقال المهلَّبُ لخالد : خَنْدِقْ على نَفْسِك ، فإنى لا آمَنُ عليك البَيَاتَ ، فقال : ياأبا سعيدٍ ! الأمْرُ أَعْجَلُ من ذلك ، فقال

(١) الزيادة من ج و س و د و ﻫ و ف .

المهلبُ لبعض ولده : إنى أَرَى أمرًا ضائعًا ، ثم قال لزياد بن عمرو : خَنْدِقْ علينا ، نخندقَ المهلَّبُ وأَمَرَ بسُفُنِهِ ففرُغَتْ ، وأَبَى خالدٌ أن يُفرِّغ سُفُنَهُ ، فقال المهلَّبُ لفَيْروز حُصَيْن : صِرْ معنا ، فقال : يا أبا سعيدٍ ! الحَزْمُ ماتقولُ ، غيرَ أنى أكرهُ أن أُفارقَ أصحابى ، قال : فكُنْ بقُرْبِنا ، قال : أمَّا هذه فنعَم .

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بِشْرِ بن مروانَ يأمرُه أن يُمِدَّ خالدًا بجيشٍ كثيفٍ ، أميرُه عبد الرحمن بن محمد بن الأَشعَثِ ، ففعل ، فقَدِمَ عليه عبدُ الرحمن ، فأقام قَطَرِىٌّ يُغَادِيهم القتالَ ويُرَاوِحُهم أربعين يومًا ، فقال المهلَّبُ لِمَوْلًى لأبى عُيَيْنَةَ : انْتَبِذْ إلى ذلك النَّاوُوسِ[1] فبِتْ عليه فى كل ليلةٍ، فمتى أحْسَسْتَ خبَرًا من الخوارج أو حركةً أو صَهيلَ خيلٍ فاعْجَلْ إلينا ، فجاء ليلةً فقال : قد تحرَّكَ القومُ ، فجلس المهلَّبُ بباب الخندق ، وأَعَدَّ قطرىٌّ سفنًا فيها حطبٌ فأشعلها نارًا وأرسلَها على سُفُنِ خالدٍ ، وخَرج فى أدْبارِها حتى خالطَهُمْ ، فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلَّا قتلَه ، ولا بدابَّةٍ إلا عقَرَها ، ولا بفُسطاطٍ إلَّا هتَكَهُ ، فأمر المهلَّبُ يزيدَ [ابنَه][2] فخرج فى مائة فارسٍ فقاتَلَ وأبْلَى يومئذٍ ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسنًا ، وخرج فَيرُوزُ حُصَيْنٍ فى مَوالِيه ، فلم يَزَلْ يَرميهم بالنُّشَّابِ هو ومَنْ معه، فأثَّرَ أثرًا جميلاً،فصُرِع يزيد بن المهلَّب يومئذٍ، وصُرِع عبدُالرحمن، فحامَى عنهما أصحابُهما حتى ركِبا ، وسَقَطَ فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ فى الخندقِ ، فأَخذ

---

(١) « الناووس » مقابر النصارى . ومعنى «انتبذ إليه» اذهب إليه منفرداً .

(٢) الزيادة من س و ف .

بيده رجلٌ من الازدِ فاستنقذه ، فوهبَ له فيْروزُ حُصَيْنٍ عشرةَ آلاف درهمٍ ، وأصبح عسكرُ خالدٍ كأنه حَرّةٌ سوداء ، فجعلَ لا يرَى إلّا قتيلاً أو صَريعًا ، فقال للمهلَّب : ياأبا سعيدٍ ! كِدْنا نفْتَضِحُ ، فقال خَندِقْ على نفسِك ، فإن لّاتفعَلْ عادوا إليك ، فقال : اكْفِنِي أمرَ الخندقِ ، فجَمعَ له الأخماسَ ، فلم يبقَ شريفٌ إلّا عَمِلَ فيه ، فصاح بهم الخوارجُ : واللهِ لولا هذا الساحرُ المَزُونِيُّ لكان اللهُ قد دمَّرَ عليكم . وكانت الخوارجُ تُسمّي المهلَّبَ الساحرَ ، لأنهم كانوا يُدبِّرُونَ الأمرَ فيجدونَه قد سبَقَ إلى نقض تدبيرهم .

فقال أعْشَى هَمْدَانَ لابنِ الأشعثِ في كلمةٍ طويلةٍ :

ويَوْمَ أهْوَازِكَ لاتنْسَهُ   ليس الثَّنَا والذِّكْرُ بالدَّائرِ

وقد ذَكرنا في قصر الممدودِ ، من أن مَدَّ المقصورِ لايجوزُ ما يغنى عن إعادته .

❊

ونَذْكُرُ فَيْرُوزَ حُصَيْنٍ لِمَا مَرَّ مِن ذكره :

وكان فيروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَيِّدَ البيتِ في العجم ، كريمَ المحتِدِ ، مشهورَ الآباء ، فلما أسلم والَى حُصَيْنًا ، وهو حُصينُ بن عبد الله العَنْبَرِيُّ ، من بنى العَنْبَرِ بن تَميم بن مُرٍّ ، ثم مِن وَلَدِ طَرِيفِ بن تَميم ، وكان فيروزُ حُصينٍ شجاعًا جَوادًا ، نَبيلَ الصُّورة ، جهيرَ الصوتِ . وتَرْوِى الرُّواةُ أن رجلاً من العرب كانت أُمُّه فَتاةً ، فقاوَلَ بَنِي عمٍّ له ، فسبُّوه بالعَجَمِيَّةِ ، ومَرَّ فيروزُ حُصينٍ ، فقال : هذا خَالِي ، فَمَنْ منكم له خالٌ مثلُه ؟ وظَنَّ [الفتَى][1] أن فَيروزَ

(١) الزيادة من ع و د و ف .

لم يسمعها ، وسَمِعَها فيروزُ ، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى ، فاشترى له منزلاً وجاريةً ، ووهبَ له عشَرةَ آلافِ دِرْهم .

ومن مآثره المعروفةِ أن الحجاج [بن يوسف] لما واقفَ ابنَ الأَشْعَثِ بِرُسْتَقَابَاذَ نَادَى منادِي الحجاجِ : مَنْ أَتى برأسِ فيروزَ فله عشرةُ آلافِ درهمٍ ، ففَصَلَ(١) فيروزُ من الصَّفّ ، فصاحَ بالناس : مَنْ عرفنِي فقد اكْتَفَى ومَنْ لم يعرفْني فأنا فيروزُ حُصينٍ ، وقد عرفتم مالِي ووفائِي ، مَن أَتَى برأس الحجاج فله مائةُ ألفٍ ، فقال الحجاج : واللهِ(٢) لقد تركني أُكْثِرُ التَّلَفُّتَ وإنِّي لبَيْنَ خَاصَّتِي . فأُتِيَ به الحجاجُ فقال له : أأنت(٣) الجاعلُ في رأسِ أميرِك مائةَ ألفٍ [درهمٍ](٤) ؟ قال : قد فعلتُ ، فقال : واللهِ لأَمْهَدَنَّكَ(٥) ثم لأَحْمِلَنَّكَ ، أينَ المالُ ؟ قال : عندى ، فهل إلى الحياة من سبيلٍ ؟ قال : لا ، قال : فأخرِجْني إلى الناسِ حتى أجمعَ لك المالَ فلعلَّ قلبَك يَرِقُّ علىَّ ! ففعلَ الحجاجُ ، فخرج فيروزُ فأَحَلَّ الناسَ من ودائِعه ، وأَعْتَقَ رقيقَه ، وتَصَدَّقَ بماله ، ثم رُدَّ إلى الحجاج فقال : شأنَكَ الآنَ فاصْنَعْ ما شئتَ ، فَشُدَّ

---

(١) فى ج و س و هـ و ف « فَنَصَلَ » والمعنى فى الروايتين واحد ، أى خرج من الصف .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « فوالله » .

(٣) فى ج « ءآأنتَ » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٥) قال المرصفى : « من مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته » ، يريد : لأجعلنك طريحاً كالفراش الممهود ، وفى ج و د و هـ « لأُمَهِّدَنَّكَ » .

فى القَصبِ الفارسىّ ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ، ثم نُضِحَ بالخلِّ والمِلْح ، فما تأوَّهَ حتى ماتَ .

⁂

[قال أبو العباس][١] : ومضَى قَطرِىٌّ إلى كِرْمانَ[٢] ، فانصرف خالدٌ إلى البصرة ، فأقام قطريّ بِكرْمانَ أشهرًا ، ثم عَمَدَ لفارسَ ، وخرج خالدٌ إلى الأَهْواز ، ونَدَب للناس رجلاً ، فجعلوا يطلبون المهلبَ ، فقال خالد : ذَهَب المهلَّبُ بحظ هذا المصرِ ، إنِّى قد وَلَّيْتُ أخى قِتال الأزارقة ، فَوَلَّى أخاه عبدَ العزيز ، واستخلفَ المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائة ، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفاً ، والخوارجُ بِدَرَابَ جِرْدَ ، فجَعل عبدُالعزيز يقولُ فى طريقه يَزْعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الأمرَ لا يَتِمُّ إلا بالمهلَّبِ ، فسيعلمون !

قال صَعْبُ بن زيدٍ : فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهوازِ جاءنى كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلبِ فقال : أَجِبِ الأمير ، فَجئتُ إلى المهلَّب وهو فى سطحٍ وعليه ثيابٌ هَرَوِيَّةٌ ، فقال : ياصَعْبُ ! أنَا ضائع ، كأَنِّى أنظُر إلى هزيمةِ عبد العزيز ، وأخشى أن توافيَنِي الأزارقةُ ولا جُنْدَ معى ، فابعثْ رجلاً مِن قِبَلِك يأتينى بخبرهِم سابقاً به إلىّ ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمرانُ بن فلان ، فقلتُ : اصحَبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبرِ يومٍ يومٍ ، فجعلتُ أُورِدُه على المهلَّبِ .

(١) الزيادة من س و ف .

(٢) نون « كرمان » لم تظهر فى طبعة أوربة ، وموضعها واضح ، وفتحتها ثابتة ، فظن مصحح بعض طبعات مصر أن البلد اسمها « كرما » بدون النون ، وهكذا أثبتها فى طبعته !!

فلما قاربَهم عبدُ العزيز وقَفَ وقْفَةً ، فقال له الناسُ : هذا يومٌ صالحٌ ، فينبغي أن تَترُكَ(١) ـ أيُّها الأميرُ ـ حتى نَطمئنَّ ثم نأخذَ أُهْبَتَنا ، فقال : كَلاَّ ، إلاَّ الأَمرُ قريبٌ ، فنَزَلَ الناسُ على غيرِ أمرِه ، فلم يُسْتَتَمَّ النُّزُولُ(٢) حتى ورَدَ عليهم سعدُ الطَّلائعِ في خمسمائة فارسٍ ، كأنهم خَيْطٌ ممدودٌ ، فناهضَهم عبدُ العزيز ، فواقَفوه ساعةً ، ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتَّبعهم ، فقال له الناسُ : لاتَتَّبِعْهُم فإنّا على غيرِ تَعْبِيَةٍ ، فأَبَى ، فلم يَزَلْ في آثارِهم حتى اقتحموا عَقَبَةً ، فاقتَحمها وراءهُم ، والناسُ يَنْهَوْنَهُ ويأبَى ، وكان قد جَعل على بني تميمٍ عَبْسَ بن طَلْقٍ الصَّرِيميَّ ، الملقَّبَ عَبْسَ الطِّعَانِ ، وعلى بَكْرِ بن وائلٍ مُقاتِلَ بن مِسْمَعٍ القَيْسيَّ ، وعلى شُرْطَتِهِ رجلاً من بني ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ ، فنَزلوا عن العَقبة ونزلَ خَلْفَهم ، وكان لهم في بطْنِ العقبة كَمِينٌ ، فلما صاروا وراءهُم خرج عليهم الكَمِينُ . وعَطَفَ [عليهم](٣) سعدُ الطَّلائعِ ، فَتَرَجَّلَ عَبْسُ بن طَلْقٍ فقُتِلَ ، وقُتِلَ مُقَاتِلُ بن مِسْمَعٍ ، وقُتِلَ الضُّبَيْعِيُّ(٤) صاحبُ الشرْطةِ ، وانحاز عبدُ العزيز ، واتّبعهم الخوارجُ على فرسخين يقتلونَهم كيفَ شاؤا ، وكان عبدُ العزيز قد خرج

(١) هكذا ضبطت في طبعة أوربة بتاء الخطاب والبناء للفاعل ، وغيرها المرصفي إلى النون والبناء للمجهول « نُتْرَكَ » وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أنه لايوافق أصول الكتاب . وفي ج و س و هـ « تَنْزِلَ » وفي ف « تَنْزِلَ فِيهِ » وفي د « نَنْزِلَ » .

(٢) في ج « فلم يَسْتَتِمَّ النزولَ » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) في ج و س و د و هـ و ف « الضُّبَعِيُّ » .

معه بأمّ حَفْصٍ ابنَتِ[١] المُنْذِرِ بن الجارُودِ امرأتِهِ ، فَسَبَوُا النساء يومئذٍ ، وأَخَذُوا أسْرَى لاتُحْصَى ، فقذفوهم فى غارٍ بعدَ أن شَدُّوهم وَثاقاً ، ثم سَدُّوا عليهم بابَه حتى ماتُوا فيه .

وقال رجلٌ حضرَ ذلك اليومَ : رأيتُ عبدَ العزيز وإن ثلاثين رجلاً ليضربونه بأسيافهم وما تُحِيكُ فى جَسَدِهِ[٢] .

يقال ماأحاكَ فيه السيفُ ، وما يُحِيكُ فيه ، وما حَكَّ ذا الأمرُ فى صَدْرِى ، وماحَكَى فى صدرى ، وما احْتَكى فى صدرى ، ويقال حاكَ الرجلُ فى مِشْيَتِهِ يَحِيكُ : إذا تَبَخْتَرَ .

ونُودِىَ على السَّبْىِ يومئذٍ ، فَغُولِىَ بأم حفصٍ ، فبَلَغَ بها رجلٌ سبعين ألفاً ، وذلك الرجلُ من مَجُوسٍ كانوا أسلموا ولَحِقُوا بالخوارج ، ففَرَضَ لكلِّ واحدٍ منهم خمسمائةٍ ، فكاد يأخذها ، فشَقَّ ذلك على قَطرِىٍّ وقال: ماينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكونَ عندَه سبعون ألفاً ، إنَّ هذه فتْنَةٌ[٣] ، فوَثَبَ إليها أبو الحَدِيدِ العَبْدِىُّ فقتلها ، فأُتِىَ به قَطَرِىٌّ فقال [له][٤] : ياأبا الحديد ! مَهْيَمْ ؟ فقال : ياأميرَ المؤمنين ! رأيتُ المؤمنين قد تَزايَدُوا فى هذه المشركة ، فخشيتُ عليهم الفتنةَ !! فقال قَطَرِىٌّ : قد أصبتَ وأحسنتَ ! فقال رجلٌ من الخوارج :

---

(١) فى س و د و هـ و ف « ابنة » وفى ج « بنت » .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « فى جُنَّتِهِ » وفى س « فى جَنْبِهِ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « لَفِتْنَةٌ » .

(٤) الزيادة من د و هـ و ف .

كفانا فتنةً عَظُمَتْ وجَلَّتْ ... بحمدِ الله سيفُ أبي الحَديدِ
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا ... على فَرْطِ الهَوَى: هل مِن مَزيدِ
فزادَ أبو الحديدِ بنَصْلِ سيفٍ ... رَقيقِ الحدِّ فِعلَ فَتًى رَشيدِ

قوله «أهابَ» يريدُ: أعْلَنَ، يقال أهَبْتُ به: إذا دَعَوتَهُ، مِثْلُ صَوَّتَ، قال الشاعرُ:

أهاب بأحزانِ الفؤاد مُهِيبُ ... وماتَتْ نفوسٌ للهوَى وقُلوبُ

وقوله «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ[1]، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبرِ، وفي الحديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عَوْفٍ رَدْعَ خَلُوقٍ[2] فقال: مَهْيَمْ؟ فقال: تزوجتُ يارسولَ الله، فقال: أوْلِمْ ولو بشاةٍ، وكان تَزَوَّجَ على نَواةٍ» وأصحابُ الحديث يَرْوُونَه[3] «على نَوَاةٍ من ذَهَبٍ قيمتُها خمسة دراهِمَ[4]». وهذا خطأٌ وغلطٌ، العربُ تقول «نَواةٌ» فتَعنِي بها خمسةَ دراهمَ، كما تقول

(١) قال المرصفي: «يريد كلمة استفهام». وهي مبتدأ محذوف الخبر. وعن أبي عبيد: «هي كلمة يمانية».

(٢) «الخلوق» بفتح الخاء: طيب معروف مركب، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، قاله في النهاية. و «الردع» التلطيخ بالطيب، وقيل هو أثره.

(٣) في ع و س و د و هـ و ف «يقولون».

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند من حديث أنس (رقم ١٢٧١٣، ١٣٠٠٨، ١٣١٥٥، ١٣٨٩٩، ج ٣ ص ١٦٥، ١٩٠، ٢٠٤ — ٢٠٥، ٢٧١) ورواه أيضا البخاري ومسلم وغيرهم. وانظر فتح الباري (ج ٩ ص ١٩٩ — ٢٠٥) وفي كل الروايات أو أكثرها «نواة من ذهب».

« النَّشُّ » لعشرين درهماً ، و « الأُوقِيَّةُ » لأربعين درهما ، فإنما هو اسمٌ لهذا المعنى[١] .

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ السَّعْدِيُّ ابنَ عَمِّ عمْرِو القَنا ، وكان يحبُّ أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزةً ، فلَحِقَه عمرُو القَنا وهو منهزم ، فضحك عمرٌو وقال متمثلاً :

تَمَنَّانِى لِيَلْقَانِى لَقيطٌ أعامِ لَكَ ابنَ صَعْصَعَةَ بنِ سَعْدِ

ثم صاح به : انجُ أبا المُصَدَّى ! وكان عمرُو القَنا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى .

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمرٌو لِيزيدَ بن عَمرِو بن الصَّعِقِ الكِلابِىِّ ، بقوله يعنى لَقِيط بن زُرَارةَ ، وكان يَطْلُبُه .

وقوله « أعَامِ لَكَ » يريدُ : ياعَامِرُ ، فرَخَّمَ ، وإنما يريدُ الحَىَّ تعجباً ، أى لَكُمْ أعْجَبُ من تَمَنِّيه للقائى ، فدَعَا بنى عامِرِ بن صعصعةَ ، وهم بنو صعصعةَ بن معاوية بن بكرِ بنِ هَوَازِنَ ، ويقال أنّ عامرَ بن صعصعة هو ابن سعدِ بن زيدِ مَنَاةَ بن تميمٍ ، لا ابنُ معاويةَ ، وأنهم نافلةٌ فى قَيْسٍ ، ولذلك تَمَنَّعَتْ[٢] بنو سعدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَةَ ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صَفْوانَ .

---

(١) قلد المبرد فى هذا أبا عبيد . ففى اللسان : قال أبو عبيد : قوله على نواة يعنى خمسة دراهم . قال : وقد كان بعض الناس يحمل معنى هذا أنه أراد قدر نواة من ذهب كانت قيمتها خمسة دراهم ، ولم يكن ثم ذهب ، إنما هى خمسة دراهم تسمى نواة ، كما تسمى الأربعون أوقية ، والعشرون نشا » . ورد عليه الأزهرىّ قال : «ولفظ حديث عبد الرحمن يدل على أنه تزوج امرأة على ذهب قيمته خمسة دراهم ، ألا تراه قال على نواة من ذهب ، رواه جماعة عن حميد عن أنس . قال : ولا أدرى لم أنكره أبو عبيد ؟! » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « امْتَنَعَتْ » .

وهذا البيتُ وضَعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجُّبِ ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتانِ العَبْدِيّ :

فياشاعِرًا لا شاعرَ اليومَ مِثْلُه ... جَرِيرٌ ولكن فى كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

على معنَى قوله : فلِلّه دَرُّهُ شاعِرًا .

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ قد حمَلَ معه امرأتين له ، إحداهما من بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميلٍ ، والأخرى بنتُ عمه ، وهى فلانةُ بنتُ عَقِيلٍ ، فطَلَّق الضَّبيةَ وتخلَّصَ بهما [جميعاً](١) يومئذٍ ، وحَمَل الضَّبيةَ أوَّلاً ، ففى ذلك يقولُ :

أَلَسْتُ كَرِيمًا إذْ أقولُ لِفِتْيَتِى ... قِفُوا فاحملوها قبلَ بنتِ عَقِيلِ

ولولم يكن عُودِى نُضَارًا لأَصْبَحَتْ ... تَخِرُّ على المَتْنَيْنِ أمُّ جميلِ(٢)

❊

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ : بعثنى المهلَّبُ لآتيَهُ بالخبر ، فصِرْتُ(٣) إلى قنطرةِ أَرْبُكَ(٤) على فرسٍ اشتريتُه بثلاثةِ آلافِ درهمٍ ، فلم أُحْسِسْ خبرًا ، فَسِرْتُ مُهَجِّرًا إلى أن أَمْسَيْتُ ، فلمّا أظْلَمْنا سمعتُ كلامَ رجلٍ عَرَفْتُهُ من الجَهاضِمِ(٥) ،

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) فى ج و س و د و ف « تجرُّ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « فضَرَبْتُ » .

(٤) « أربك » قرية بخوزستان .

(٥) بحاشية ا مانصه : « قال الفرّاء : الجَهْضَمُ : الضَّخْمُ الهامَةِ المُسْتَدِيرُ الوجهِ . وقال الخليلُ : تقولُ العربُ تَجَهْضَمَ الفحلُ على أقرانِه : إذا علاها بكَلْكَلِهِ ، وبعيرٌ جَهْضَمُ الجَنْبَيْنِ ، أى رَحْبٌ » .

فقلتُ : ماوراءك ؟ فقال : الشرُّ ، قلتُ : فأين عبدُ العزيز ؟ قال : أمَامَكَ ، فلما كان مِن آخِرِ الليلِ إذا أنا بزُهاء خمسين فارساً معهم لواء : فقلتُ ، [لِواء](١) مَن هذا ؟ فقالوا : هذا لواء عبدِ العزيزِ ، فتقدَّمتُ إليه ، فسلَّمتُ وقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لايَكْبُرَنَّ عليكَ ما كَانَ ، فإنك كنتَ فى شَرِّ جُنْدٍ وأخْبَثِه ، قال لى : أوَ كنتَ مَعنَا ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ كأنى شاهدٌ أمْرَكَ ، قال : كأنَّك كنتَ معنا ، قلتُ : أرسلنى المهلَّبُ لآتِيَه بخبرِك ، ثم تركتُه وأقبلتُ إلى المهلَّب ، فقال لى : ماوراءكَ ؟ قلتُ : مايَسُرُّكَ ، قد هُزِمَ [عبدُ العزيز](٢) وفَلَّ جيشُه ! فقال : وَيْحَكَ ! وما يَسُرُّنِى من هزيمةِ رجلٍ من قريشٍ وفَلِّ جيشٍ من المسلمين ؟! قلتُ : قد كان ذاكَ ، ساءكَ أو سَرَّكَ ، فوجَّه رجلاً إلى خالدٍ يُخْبِره ، قال الرجلُ : فلما أخبرتُ خالدًا قال : كذبتَ ولَؤُمْتَ ، ودَخَل رجلٌ من قريشٍ فكذَّبنى ، وقال لى خالدٌ : والله لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَك ، قلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنْ كنتُ كاذبًا فاقتلنى ، وإن كنتُ صادقًا فأعْطِنِى مُطْرَفَ هذا المتَكَلِّفِ ! فقال خالدٌ : لَبِئْسَ ماأخْطرْتَ به دَمَك !! فما بَرِحْتُ حتى دخل بعضُ الفَلِّ .

وقَدِمَ عبدُ العزيزِ سوقَ الأهوازِ ، فأكرمَه المهلَّبُ وكساه ، وقَدِمَ معه على خالدٍ ، واستخلفَ ابنَه حبيباً ، وقال له : تَحَسَّسْ عن الأخبار ، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريبًا منك فانصرِفْ إلى البصرة ، فلم يَزَلْ حَبيبٌ مقيماً والأزارقةُ تدنُو منه ، حتى بَلَغُوا قنطرة أرْبُكَ ، فانصرفَ إلى البصرة

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) الزيادة من س و ف .

على نهر تِيرَى ، فلما دخلها أُعْلِمَ خالدٌ ، فغضِبَ عليه ، واستتر حبيبٌ فى بنى هلالِ بن عامر بن صعصعة ، فتزوَّج هناك فى استتارهِ الهِلاليّةَ أمَّ عبَّادِ بن حبيب .

وقال الشاعرُ لخالدٍ يُفَيِّلُ رأيَه ، أى يُخَطِّئُه :

بعثْتَ غلامًا مِّن قريشٍ فَرُوقَةً ... وتَتْرُكُ ذَا الرأيِ الأَصيلِ المُهَلّبَا

أَبَى الذمَّ واختارَ الوفاءَ وأُحْكِمَتْ ... قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

وقال الحرثُ بن خالدٍ المخزوميُّ :

فَرَّ عبدُ العزيز لمَّا رَأَى الأَبْـ ... طالَ بالسَّفْحِ نَازَلُوا قَطَرِيَّا

ويُرْوَى :

فَرَّ عبدُ العزيز إِذْ رَاءَ عِيسَى ... وابنَ دَاوُدَ نازَلَا قَطَرِيَّا(١)

عاهدَ اللهَ إنْ نجَا مِلْمَنايَا ... لَيَعُودَنَّ بعدَها حُرْمِيَّا(٢)

يَسْكُنُ الخَلَّ والصِّفَاحَ فَمَرَّا ... نَ وسَلْعًا وتارةً نَجْدِيَّا

حيثُ لا يَشْهَدُ القتالَ ولا يَسْـ ... مَعُ يومًا لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

قولُه « إِذْ رَاءَ عيسى » الأصلُ « رَأَى » ولكنه قلبَ فقدَّم الألفَ وأخَّرَ الهمزةَ ، كما قال كُثَيِّرٌ :

وكلُّ خليلٍ رَاءَنِي فهو قائلٌ ... مِّنْ اَجْلِكِ هذا هامةُ اليوم أوغَدِ

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ و ف « عَبْسًا » بدل « عيسى » .

(٢) فى ج و د « حَرَمِيًّا » .

والقلبُ كثير في كلام العربِ ، وسنذكر منه شيئاً في موضعه إن شاء اللهُ .

وقولُه « مِلْمَنَايَا » يريدُ مِنَ المنايا ، ولكنَّه حَذَفَ النونَ لقُربِ مخرجها من اللّام ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظٍ فيُحذفُ أحدُهما ، ومن كلام العرب أن يَحذفوا النونَ إذا لَقِيَتْ لامَ المعرفةِ ظاهرةً ، فيقولون في بني الحٰرِثِ وبني العَنْبَرِ وما أشبه ذلك « بَلْحٰرِثِ » و « بَلْعَنْبَرِ » و « بَلْهُجَيمِ » كما يقولون « عَلْماءِ بَنُو فلانٍ » فيحذفونَ إحدَى اللّامَيْنِ[1] .

وقولُه « لَيَعُودَنَّ بَعدَها حِرْمِيًّا » العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فيقولون[2] « حِرْمِيٌّ » و « حُرْمِيٌّ » على قولهم حُرْمَةُ البيتِ وحِرْمَةُ البيتِ ، وقال النابغة الذبيانيُّ :

من قولِ حِرْمِيَّةٍ قالتْ وقد رَحَلُوا ... هل في مُخِفِّيكُمُ مَن يَشْتَرِي أَدَمَا

و « الخَلُّ » ههنا موضعٌ ، وأصلُه الطريقُ في الرَّمْلِ .

❊

وكَتَبَ خالدٌ إلى عبد الملك بعُذْرِ عبد العزيز ، وقال للمهلّب : ما تُرَى عبدَ الملك صانعاً بي ، قال : يَعْزِلُكَ ، قال : أتُرَاهُ قاطعاً رَحِمِي ؟ قال : نعم ، أَتَتْهُ هزيمةُ أُمَيَّةَ أَخيكَ من البَحْرَيْنِ ، وتأتيه هَزيمةُ أخيك عبدِ العزيز من فارسَ .

---

(١) انظر أيضا ما مضى في هذا الجزء ص ١٠٤٨

(٢) في ج و س و د و ه و ف « فتقول » .

قال أبو العباس : فكَتَبَ عبدُ الملك إلى خالدٍ :

أما بعدُ ، فإنى كنتُ حَدَدْتُ لك حَدًّا فى أمر المهلَّب ، فلما ملكتَ أمرَك نبذتَ طاعتى واستبددتَ برأيك ، فولّيتَ المُهلَّبَ الجباية ، ووليتَ أخاك حَرْبَ الازارقة ، فقبَّحَ اللهُ[1] هذا رأيًا ، أتبعثُ غلامًا غِرًّا لم يُجَرِّبِ الحروبَ [للحرب][2] ، وتتركُ سيدًا شجاعا مُدَبِّرًا حازمًا قد مارَسَ الحروبَ تَشغَلُهُ بِالجِبايةِ ؟! أَمَا [واللهِ][3] لو كافأتُك على قدرِ ذنبك لأتاكَ مِن نكيرى مالا بَقِيَّةَ لك معه ، ولكنْ تذكَّرتُ رَحِمَك فَلَفَتَتْنِى عنك[4] ، وقد جعلتُ عقوبتَك عَزْلَكَ .

وولَّى بِشْرَ بن مَرْوانَ وهو بالكوفة وكَتب إليه :

أما بعدُ ، فإنك أخو أميرِ المؤمنين ، يجمعك وإيَّاه مَرْوانُ بن الحكَم ، وإن خالدًا لا مُجْتَمَعَ له مع أمير المؤمنين دون اميَّةَ ، فانظرِ المهلَّبَ [بنَ أبى صُفْرَةَ][5] ، فوَلِّهِ حربَ الأزارقة ، فإنه سيِّد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ ، فأَمْدِدْهُ[6] من من أهل الكوفة بثمانية آلافِ رجلٍ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُرَيْدٍ : قَبَّحَ اللهُ الرجلَ تَقْبيحًا ، وَقَبَحَهُ قَبْحًا ، مفتوحٌ ، فى معنى الدعاء عليه ، ورجلٌ قَبيحٌ وَقُبَاحٌ » .

(٢) الزيادة من س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) فى ع و د و هـ و ف «فَكَفَّتْنِى عنكَ» . وبحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : لَفَتُّ الشئَ أَلْفِتُهُ لَفْتًا : إذَا لَوَيْتَه . ولَفَتُّ ردائى على عُنُقِى : إذا عَطَفْتَه » .

(٥) الزيادة من ع و س و د و هـ و ف .

(٦) بحاشية ا مانصه : « يقال أَمَدَّ الأميرُ الجيشَ بجيشٍ . والمَدَدُ ما أَمْدَدت به قومًا فى الحربِ أو غيرِها من الطعامِ والأعوانِ » .

فَشَقّ عليه ما أَمَره [به][١] في المهلَّب . وقال : واللهِ لأَقتُلَنَّه[٢] ، فقال له موسى بن نُصَيْرٍ : [أيُّها الأميرُ][٣] ! إنَّ للمهلَّبِ حِفاظاً وَبلاءً ووفاءً .

وخَرجَ بشرُ بن مروانَ يريد البصرةَ ، فكتب موسى وعِكْرِمةُ إلى المهلَّب أن يتلقَّاه لِقاءً لا يَعرِفُه به ، فتلقَّاه المهلَّبُ على بغلٍ ، فسلَّم عليه في غُمَارِ الناسِ ، فلما جَلَسَ بِشرٌ مَجْلِسَهُ قال : ما فعل أميرُكم المهلّبُ ؟ قالوا : قد تلقَّاكَ أيُّها الأميرُ وهو شاكٍ[٤] .

فهَمَّ بِشْرٌ أن يُوَلِّي حَربَ الأَزارقة عُمَرَ بن عُبيد الله ، فقال له أسماء بن خارجةَ : إنما وَلّاكَ أميرُ المؤمنينَ لِتَرَى رأيَك ، فقال له عِكْرِمَةُ بن رِبْعِيّ : اكتُبْ إلى أميرِ المؤمنين وأَعْلِمْهُ عِلّةَ المهلّبِ ، فكتب إليه يُعْلِمُهُ عِلّةَ المهلَّبِ وأنَّ بالبصرة من يُغْنِي غَنَاءَهُ ، ووَجَّهَ بالكتاب مع وَفْدٍ أَوْفَدَهُمْ إليه ، رئيسُهم عبدُ الله بن حَكيمٍ المُجَاشِعِيُّ ، فلمّا قرأ الكتابَ خَلاَ بعبد الله بن حَكيمٍ فقال : إنَّ لك دِينًا ورأيًا وحَزْمًا ، فَمَنْ لِقتالِ هؤلاء الأزارقةِ ؟

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) في ج و س و د و هـ « لا قبلْتُه » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٤) بحاشية ا مانصه : «قال أبو يعقوب: حدثني ابنُ شاذانَ عن أبي عُمَرَ عن ثعلبٍ قال : الشَّكِيُّ الذي يَشْتَكِي وجَعًا أو غيرَه ، والشَّكِيُّ المَشْكُوُّ أيضًا ، شَكَوْتُه فهو شَكِيٌّ ومَشْكُوٌّ . قال : وقال الخليلُ : الشَّكْوَى الاشْتِكاءُ ، تقولُ اشتَكَى يَشْتَكِي اشتِكاءً ، يُسْتَعْمَلُ ذلك في المَوْجِدَةِ والمَرَضِ ، تقولُ هو شاكٍ ومريضٌ قد اشتَكَى وتَشَكَّى » .

قال : المهلَّبُ ، قال : إنه عَلِيلٌ ، قال : ليستْ عِلَّتُه بمانِعَتِه(١) . قال عبدُ الملك : أرادَ بِشْرٌ أن يفعلَ مافعلَ خالدٌ .

فكتَبَ [إليه](٢) يَعْزِمُ عليه أن يُوَلِّيَ المهلّبَ ، فوجَّهَ إليه ، قال المهلَّبُ : أنا عَلِيلٌ ولا يُمْكِنُنِي الاختلافُ ، فأَمَرَ بشرٌ بحمل الدواوين إليه ، فجعل يَنْتَخِبُ ، فاعترض بشرٌ عليه ، فاقتَطَعَ أكثرَ نُخْبَتِه ، ثم عَزَمَ [عليه](٣) أن لا يُقيمَ بعدَ ثالثةٍ ، وقد أخذَتِ الخوارجُ الأَهْوازَ وخلَّفوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُراتِ ، فخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهارْطاقَ ، فأتاه شيخٌ من بنى تميمٍ فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنَّ سِنِّى ما تَرَى ، فهَبْنى لعيالِى ، قال : على أن تقولَ للأَمير إذا خَطَبَ فحَثَّكُمْ على الجهادِ كيفَ تحُثُّنا على الجهادِ وأنتَ تحبسُ أشرافَنا وأهلَ النَّجْدةِ منَّا ؟ ففعلَ الشيخُ ذلك ، فقال له بشرٌ : [و](٣) ما أنتَ وذاكَ ؟ قال : لاشىءَ ، وأعطَى المهلَّبُ رجلاً ألفَ درهمٍ على أن يأتىَ بشرًا فيقولَ له : أيُّها الأمير أَعِنِ المهلَّبَ بالشُّرْطَةِ والمُقَاتِلةِ ، ففعلَ الرجلُ ذلك ، فقال له بشرٌ : ماأنتَ وذاكَ ؟ قال نَصيحةٌ [حَضَرَتْنِي](٣) للأَميرِ والمسلمينَ ولا أعُودُ إلى مثلها ، فأَمَدَّهُ بالشُّرْطَةِ والمُقَاتِلة .

وكتب بشرٌ إلى خليفتِه بالكوفة أن يَعْقِدَ لعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ على ثمانيةِ آلافٍ ، من كُلِّ رُبْعٍ ألفين ، ويُوَجِّهَ به مَدَدًا إلى المهلَّب ، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ الأَزْدِىِّ فعَقَدَ له ، واختارَ له من

---

(١) فى ج و س و د و ه و ف « بمَانِعَةٍ » .

(٢) الزيادة من ج و ه .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

كُلُّ رُبْعٍ ألفين ، فكان على رُبْعِ أهلِ المدينة بِشْرُ بن جَرِيرٍ البَجَلِيُّ ، وعلى رُبْعِ تميمٍ وهَمْدانَ عبدُالرحمن بنسَعيد بنقيس الهَمْدانىّ ، وعلى رُبْعِ كِنْدةَ ورَبِيعةَ محمدُبن إسحٰقَ بن الأَشعَثِ الكِنْدِىُّ ، وعلى مَذْحِجٍ وأَسَدٍ زَحْرُ بن قيسٍ المَذْحِجِيُّ ، فقدِموا على بشرٍ ، فَخَلا بعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ ، فقال له : قد عرفتَ رأيي فيك وثقتي بك ، فكُنْ عند ظَنِّى ، انظُرْ هذا المَزُونِيَّ فخالِفه فى أمرِه ، وأَفسِدْ عليه رأيَه ، فخرج عبدُ الرحمن بن مِخْنَفٍ وهو يقولُ : ما أعْجَبَ ماطَمِعَ منّى فيه هذا الغلامُ ! يأمُرُنِي أن أُصَغِّرَ شيخا من مشايخِ أهلِي وسيدًا من ساداتِهم ؟! فلَحِقَ بالمهلبِ .

⁂

فلمّا أحَسَّ الازارقةُ بِدُنُوِّه منهم انكشفوا عن الفُراتِ ، فاتَّبعهم المهلَّبُ إلى سوق الأهوازِ ، فنفاهم عنها ، ثم تَبِعهم(١) إلى رَامَ هُرْمُزَ فهزَمَهم منها ، فدخلوا فارسَ ، وأَبْلَى يزيدُ ابنُه فى وقائعه هذه بلاءً حسنًا(٢) ، تَقَدَّم فيه وهو ابنُ إحدى وعشرين سنةً ، فلما صارَ القومُ بفارسَ وَجَّهَ إليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فقال له عبدُ الرحمن بن صُبْحٍ : أيها الأمير ! [إنه](٣) ليس برأيٍ [لك](٤) قتلُ هذه الأَكْلُبِ، وَلَئِنْ ـ واللهِ ـ قَتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ فى بيتِك، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكُلْ بهم ، فقال : ليس هذا من الوَفاء .

---

(١) فى ج و د و ﻫ و ف « اتَّبَعهم » .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ و ف « بلاء شديدًا » .

(٣) الزيادة من ج و ﻫ

(٤) الزيادة من ف .

فلم يَلْبَثْ[١] بِرَامَ هُرْمُزَ إلّا شهرًا حتى أتاه[٢] موتُ بشرٍ ، فاضطرب الجندُ على ابنِ مِخْنَفٍ ، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحٰقَ بن الأَشْعَثِ وابنِ زَحْرٍ واستحلفهما أن لّا يَبْرَحَا ، لخلفا له ، ولم يَفِيا ، فجعل الجندُ من أهل الكوفة يتسلّلون حتى اجتمعوا بسوق الأَهْوازِ ، وأراد أهلُ البصرة الانسلالَ من المهلّب ، فخطبهم فقال : إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تَذُبُّونَ عن مصركم وأموالِكم وحُرَمِكُمْ ، فأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ .

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشرِ بن مروانَ ، فوَجَّهَ مَوْلًى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز ، يَحْلِفُ فيه بالله مجتهدًا ، لَئِنْ لم يَرْجِعُوا إلى مراكزهم وانصرفوا عُصاةً لا يَظْفَرُ بأحدٍ منهم إلّا قتله ، فجاء مولاه فجعل يقرأُ الكتابَ عليهم ولا يَرَى فى وجوههم قَبُولَه ، فقال : إنّى لَأَرَى وُجوهًا ما القبولُ من شأنها ! فقال له ابنُ زَحْرٍ : أيُّها العبدُ ! اقرأ ما فى الكتاب وانصرِفْ إلى صاحبِك ، فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا ، وجعلوا يَسْتَعْجِلُونه فى قراءته[٣] ، ثم قَصَدُوا قَصْدًا الكوفة ، فنزلوا النُّخَيلةَ ، وكتبوا إلى خليفة بشرٍ يَسْأَلُونَه أن يأذنَ لهم فى الدخول ، فأَبَى ، فدخلوها بغير إذنٍ .

فلم يَزَلِ المهلّبُ ومَن معه من قُوّادِهِ وابنُ مِخْنَفٍ فى عَدَدٍ قليلٍ ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلِىَ الحجّاجُ العِراقَ ، فدَخَلَ الكوفةَ قَبْلَ البصرةِ ، وذلك

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « يقال لَبِثَ بالمكانِ يَلْبَثُ لَبْثًا ولُبثًا فهو لابِثٌ ، وَأَلْبَثْتُهُ إلْبَاثًا ، وَلِى لَبْثَةٌ على هذا الأمر ، أى تَوَقُّفٌ » .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ و ف « أتاهم » .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ و ف « يَسْتَحِثُّونَهُ بقراءته » .

فى سنة خمسٍ وسبعين ، فخطبَهم وتهدَّدَهُمْ ، وقد ذكرنا الخطبةَ مُتقدِّمًا[١] ، ثم نَزَلَ فقال لوُجوهِ أهلها : ما كانتِ الوُلاةُ تفعلُ بالعُصاةِ ؟ فقالوا : كانت تَضرِبُ وتَحبِسُ ، فقال الحجَّاجُ : ولكنْ ليس لهم عندى إلّا السيفُ ، إن المسلمين لو لم يَغزُوا المشركين لغزاهُم المشركون ، ولو ساغتِ المعصيةُ لأهلها ماقُوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِيَ فَيْءٌ ولا عَزَّ دِينٌ .

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ ، فقال : قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثًا ، وأُقسم بالله لا يَتَخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابنِ مِخْنَفٍ بعدَها ولا مِن أهل الثُّغورِ إلّا قتلْتُهُ ، ثم قال لصاحب حَرَسِهِ وصاحبِ شُرَطِهِ : إذا مَضَتْ ثلاثةُ أيامٍ فاتخِذا سيوفَكما عِصِيًّا ، فجاءهُ عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِيُّ بابنه ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا أنفعُ لكم مِنّى ، هو أشدُّ بنى تميمٍ أيْدًا ، وأجمعُهم سلاحًا ، وأربطُهم جَأْشًا ، وأنا شيخٌ كبيرٌ عليلٌ ، واستَشْهَدَ جُلَساءَهُ ، فقال [له][٢] الحجاجُ : إنّ عُذْرَكَ لَواضِحٌ ، وإنّ ضَعْفَكَ لَبيِّنٌ ، ولكنِّى أكرهُ أن يجْتَرِئَ بك الناسُ علىَّ ، وبعدُ فأنتَ ابنُ ضابِئٍ صاحبُ عثمانَ ، ثم أمَرَ به فقُتِلَ ، فاحتمَلَ الناسُ ، وإنّ أحدَهُم لَيَتْبَعُ بزادِهِ وسلاحِه ، ففى ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأَسَدِىُّ :

أقولُ لعبدِ اللهِ يومَ لقيتُهُ أَرَى الأمرَ أمسَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبا
تخيَّرْ فإمّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابِئٍ عُمَيْرًا وإمّا أن تَزورَ المهلَّبا

---

(١) مضت الخطبة فى الجزء الأول ص ٣٢٣ وما بعدها .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف

هما خُطّتا خَسْفٍ نَجاؤكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْليًّا مِّن الثَّلْجِ أشْهَبَا
فَمَا إن أرَى الحجاجَ يَغْمِدُ سيفَه ... يَدَ الدهرِ حتى يتركَ الطِّفْلَ أشْيَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه ... رآها مَكانَ السُّوقِ أو هِيَ أقْرَبَا

وهَرَبَ سَوّارُ بن المُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ من الحجاجِ وقال:

أقاتِلِيَ الحجاجُ إن لَّم أزُرْ له ... دَرابَ وأتْرُكْ عندَ هندٍ فؤادِيَا

وقد مرت هذه الأبيات[١].

***

وخرج الناسُ عن الكوفة، وأتى الحجاجُ البصرةَ، فكان عليهم أشدَّ إلحاحًا، وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة، فتحمّلَ الناسُ قبلَ قدومه، فأتاه رجلٌ من بني يَشْكُرَ، وكان شيخًا كبيرًا أعورَ، وكان يَجعلُ على عينه العوراء صوفةً، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَةِ، فقال: أصلحَ اللهُ الأميرَ إنّ بي فَتْقًا، وقد عَذَرَني بِشْرٌ، وقد رَدَدتُ العطاءَ، فقال: إنك عندي لَصَادِقٌ، ثم أمَرَ به فَضُرِبَتْ عُنُقُه[٢]، ففي ذلك يقول كَعْبٌ الأشْقَرِيُّ أو الفرزدقُ:

لقد ضَرَبَ الحَجّاجُ بالمصرِ ضربةً ... تَقَرْقَرَ منها بطنُ كلِّ عَرِيفِ

ويُروى عن ابن مَيْرَةَ قال: إنّا لَنَتَغَدَّى معه يومًا إذ جاء[٣] رجلٌ من

---

(١) في الجزء الثاني ص ٤٤٥

(٢) بحاشية ا ما نصه: «قال ابنُ السِّكِّيتِ: العُنُقُ مُؤنَّثٌ في قول أهل الحجازِ، وتصغيرُها عُنَيْقَةٌ. وأسَدٌ تُذَكِّرُه، وإذا حَقَّرُوه قالوا: هذا عُنَيْقٌ طويلٌ».

(٣) في ج و د و هـ و ف «جاءه».

[بَنِي][١] سُلَيْمٍ برجلٍ يقودُهُ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا عاصٍ ، فقال : له الرجلُ : أَنْشُدُكَ اللهَ أيُّها الأميرُ في دَمِي ، فوالله ما قبَضْتُ دِيوانًا قَطُّ ، ولا شهدتُ عسكرًا ، وإنِّي لَحَائِكٌ أُخِذْتُ من تحتِ الحَفِّ[٢] ، فقال : اضربوا عنقَه ، فلمّا أحسَّ بالسيف سَجَدَ ، فلَحِقَه السيفُ وهو ساجدٌ ، فأمسكنا عن الطعام[٣] ، فأقبل علينا الحجاجُ فقال : مالِي أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحَدَّ نظرُكم مِن قتلِ رجلٍ واحدٍ ؟! إنّ العاصِيَ يَجمعُ خِلالًا : يُخِلُّ بِمَرْكَزِهِ[٤] ، ويَعْصِي أميرَه ، ويَغُرُّ المسلمينَ [من نفسِه][٥] وهو أجيرٌ لهم ، وإنما يأخذُ الأُجرةَ لِمَا يَعملُ ، والوالِي مُخَيَّرٌ فيه ، إن شاء قَتَلَ وإن شاء عفَا .

ثم كتَبَ الحجاجُ إلى المهلَّبِ : أمَّا بعدُ ، فإنَّ بِشْرًا رحمه الله استَكْرَهَ نَفْسَه عليك ، وأراكَ غَناءَهُ عنك[٦] ، وأنا أُرِيكَ حاجتِي إليك ، فأَرِنِي الجِدَّ في قتالِ عدوِّك ، ومَنْ خِفْتَهُ على المعصيةِ مِمَّن قِبَلَكَ فاقتُلْه ، فإني قاتلٌ مَنْ

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٢) « الحفّ » بفتح الحاء وتشديد الفاء : المنسج .

(٣) في ج و س و د و هـ و ف « عن الأكل » .

(٤) في بعض طبعات مصر « بمركزكم » وهو خطأ ومخالف لكل الأصول .

(٥) الزيادة من د و هـ و ف .

(٦) بحاشية ا ما نصه : « يقال ما يُغْنِي عنك غَنَاءً ، أي ما يُجْزِئُ عنك ، والغناء مثلُ الجدَاء ، والغَنَاءُ الإجْزَاءُ ، وتقول رجلٌ مُغْنٍ ، أي مُجْزِئٌ ، والفعلُ غَنِيَ عنه فهو غَانٍ » .

قِبَلِى ومَنْ كان عندى مِن وَلِىٍّ مَنْ هَرَبَ عنك فأعلمنى مكانَه ، فإنى أرَى أن آخُذَ الوَلِىَّ بالوَلِىِّ ، وَالسَّمِىَّ بِالسَّمِىِّ .

فكَتَبَ إليه المهلَّبُ : ليس قِبَلِى إلاّ مُطيعٌ ، وإنّ الناسَ إذا خافوا العقوبةَ كَبّرُوا الذنبَ ، وإذَا أَمِنُوا العقُوبةَ صَغّروا الذنبَ ، وإذا يَئِسُوا من العفو أكْفَرَهُم ذلك ، فهَبْ لِى هؤلاء الذين سَمَّيْتَهم عصاةً ، فإنما هم فرسانٌ أبطالٌ(١) ، أَرجو أن يَقْتُلَ اللهُ بهم العدوَّ ونادِمٌ على ذَنْبِه .

❊

فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال : اليومَ قُوتِلَ هذا العدوُّ . ولمّا رأى ذلك قَطَرِىٌّ قال : انهضوا بِنَا نُرِيدُ السَّرَدَانَ(٢) فنتحصَّنَ فيها ، فقال عُبَيْدةُ بن هِلالٍ : أو نَأْتِىَ سَابُورَ ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم ، فأتى أرَّجَانَ ، وخاف أن يكونوا قد تحصّنُوا بالسَّرَدَانِ(٢) ، وليست بمدينةٍ ، ولكنْ جِبالٌ مُحْدِقَةٌ مَنِيعَةٌ ، فلم يُصِبْ بها أحدًا ، فخرج نحوَهم فعَسْكَرَ بكازَرُونَ ، واستَعَدُّوا لقتالِه ، وخَنْدَقَ على نفسِه ، ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ : خَنْدِقْ على نفسِك ، فوجَّهَ إليه : خنادِقُنا سُيوفُنا ، فوجَّه إليه المهلَّبُ : إنى لا آمَنُ عليك البَيَاتَ ، فقال ابنُه جعفرٌ : ذاك أَهوَنُ علينا من ضَرْطَةِ جملٍ !

---

(١) فى س و د و هـ « فانهم فريقان : أبطال » الخ ولعله أجود .

(٢) كذا فى بعض الأصول بفتح الراء وزيادة ألف بعد الدال . وفى ج وس و د و هـ و ف « السَّرْدَنَ » و « بالسَّرْدَنِ » بسكون الراء وبدون ألف ، وهو الصواب ، كما ضبطه البكرى وياقوت . قال البكرى : « وهو موضع ببلاد فارس بازاء كازرون » .

فاقبلَ المهلّبُ على ابنه المغيرةِ فقال : لم يُصيبوا الرأىَ ولم يأخذوا بالوثيقةِ ، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ ، فبعَثَ إلى ابن مِخْنَفٍ يستمدُّه ، فأمَدَّه بجماعةٍ ، وجعل عليهمُ ابنَه جعفرًا ، فجاؤا وعليهم أَقْبِيَةٌ بِيضٌ جُدُدٌ ، فقاتَلوا يومئذٍ حتى عُرِفَ مكانُهم ، وحاربهمُ المهلّبُ ، وأَبْلَى بنوه يومئذٍ كَبَلاءِ الكوفيّينَ أو أَشَدَّ ، ثم نَظَرَ إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحُ بن مِخْراقٍ ، وهو يَنْتَخِبُ قومًا من جِلّةِ العسكرِ ، حتى بلغوا أَرْبَعمِائةٍ ، فقال لابنه المُغيرةِ : ما يُعِدُّ هؤلاءِ إلّا لِلبيَاتِ ، وانكشف الخوارجُ والأَمرُ للمهلّبِ عليهم ، وقد كَثُرَ فيهم القتلُ والجِراحُ .

⁂

وقد كانَ الحجاجُ فى كل يومٍ يتفقّدُ العُصاةَ ويُوَجِّهُ الرجالَ ، فكان يَحْبِسهم نهارًا ، ويَفتَحُ الحَبْسَ ليلاً ، فَيَنْسَلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلّبِ ، وكأَنَّ الحجاجَ لا يَعلم ، فإذا رأى إسراعَهُمْ تَمَثَّلَ :

إنَّ لها لَسائِقًا عَشَنْزَرَا إذا وَنَيْنَ وَنْيَةً تَغَشْمَرَا

«العَشَنْزَرُ» الصُّلْبُ[(١)] ، و«التَّغَشْمُرُ»[(٢)] رُكُوبُ الرَّأسِ ، و«المُتَغَشْمِرُ» الجادُّ على ما خَيَّلَتْ .

وكَتَبَ إلى المهلّب مِن قَبْلِ الوَقْعةِ : أما بعدُ ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جِبايةِ الخَراجِ ، وتركتَ قتالَ العدوّ ، وإنّى وَلّيتُكَ وأنا أرى مكانَ

(١) بحاشية ا مالصه : « المُهَلَّبِيُّ : العَشَنْزَرُ السَّرِيعُ » . وكلا التفسيرين صحيح .

(٢) فى ج . و د و هـ و ف « التَغَشْمَرةُ » .

عبدِ الله بن حَكيمٍ المُجاشِعِيّ وعَبَّادِ بن حُصَيْنٍ الحَبَطِيّ ، واخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ ، ثُم رجلٌ من الأَزْدِ ، فالْقَهُمْ يومَ كذا فى مكانِ كذا ، وإلّا أشْرَعْتُ إليكَ صَدْرَ الرُّمح !!

فشاوَرَ بَنِيهِ فقالوا : إنه أميرٌ ، فلا تَغْلُظْ عليه فى الجواب .

فكَتَب إليه المهلَّبُ : ورَدَ علىَّ كتابُك تزعم أنِّى أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوِّ ، ومَنْ عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوِّ أعجزُ ، وزعمتَ أنك وَلَّيتَنى وأنت تَرَى مكانَ عبد الله بن حكيمٍ المُجَاشِعِيّ وعَبَّادِ بن حُصَيْن الحَبَطِيّ ، ولو وَلَّيتَهما لكانا مُستَحِقَّيْنِ لذلك فى فَضْلهما وغَنائهما وبطشهما ، واخترتنى وأنا رجلٌ من الأَزْدِ ، ولَعَمْرِى إنّ شَرًّا من الأَزْدِ لَقبيلَةٌ تُنازِعُها ثلاثُ قَبائلَ ، لم تَسْتَقِرَّ فى واحدةٍ منهنَّ ، وزعمتَ أنِّى إن لم ألقهم فى يومِ كذا فى مكانِ كذا أشرعتَ إلىَّ صدرَ الرمح ، فلو فعلتَ لَقَلَبْتُ إليك ظَهْرَ المِجَنِّ ، والسلامُ .

ثم كانت الوقعةُ . فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرةِ : إنى أخافُ البيَاتَ على بنى تميمٍ ، فانْهَضْ إليهم فكُنْ فيهم ، فأتاهُم المغيرةُ ، فقال له الحَرِيشُ بنُ هلالٍ : ياأبا حاتمٍ ! أيَخافُ الأميرُ أن يُؤْتَى من ناحيتنا ؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمِنًا ، فإنَّا كافُوهُ ما قِبلَنا إن شاء الله . فلما انتصفَ الليلُ ، وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه ، سَرَى صالِحُ بن مِخْراقٍ فى القوم الذين أعَدَّهُم إلى ناحية بنى تميمٍ ، ومعه عَبِيدةُ بنِ هلالٍ ، وهو يقولُ :

إنى لَمُذْكٍ لِلشُّرَاةِ نارَهَا   ومانعٌ مِمَّنْ أتاها دارَهَا

* وغاسِلٌ بالطَّعْنِ عنها عارَهَا *

فوجدَ بنى تميمٍ أيقاظًا مُتَحَارسِينَ ، فخرج إليهم الحَرِيشُ بن هلالٍ وهو يقولُ :

لقد وَجَدتمُ وُقُرًا أَنجادَا   لا كُشُفًا مِيلاً ولا أَوْغَادَا

هَيْهاتَ لا تُلْفُونَنَا رُقَّادَا   لا بَلْ إذا صِيحَ بنا آسَادَا(١)

ثم حَمَلَ على القوم فرجَعوا عنه ، فاتبعهم وصاح بهم : إلى أينَ يا كلابَ النار ؟ فقالوا : إنما أُعِدَّتِ النارُ لك ولأصحابك ، فقال الحَرِيشُ : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن لم تَدْخُلُوا النارَ إنْ دخلَها مجوسيٌّ فيما بين سَفَوَانَ(٢) وخُراسانَ .

قوله : « وَجَدتُم وُقُرًا » جمعُ وقُورٍ . و « النَّجْدُ » ضدُّ البَليدِ ، وهو المتيقِّظُ الذى لا كَسَل عندَه ولا فُتورَ . و « الامْيلُ » فيه قولانِ : قالوا :

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شَاذَانَ : يقال رجلٌ نَجْدٌ ونَجِيدٌ بَيِّنُ النَّجْدَةِ : إذا كان جَلْدًا . قال : وحدثنى أبو عُمَرَ الزاهدُ عن ثَعْلَبٍ قال : الوَغْدُ الضَّعِيفُ من الرجالِ ، والجماعةُ أَوْغادٌ ، وقد وَغُدَ الرجلُ وَغَادَةً . قال ثعلبٌ : وحدثنى الأَثْرَمُ عن أبى عُبيدةَ قال : قال أَفَارُ بن لَقِيطٍ : كنتُ وَغْدًا يومَ الكُلَابِ ، أى ضعيفاً . قال أبو عُبيدةَ : قلتُ لأمِّ الهيثم : ما الوَغْدُ ؟ » . وهكذا هو بالأصل ذكر السؤال ولم يذكر الجواب .

(٢) « سفوان » بفتح الفاء : ماء قريب من البصرة .

الذى لا يَسْتَقِرُّ على الدابة ، وقالوا : هو الذى لا سَيْفَ معه . و «الأَكْشَفُ» الذى لا تُرْسَ معه . و «الأَجَمُّ» الذى لا رُمْحَ معه . و «الحاسِرُ» الذى لا دِرْعَ عليه . و «الأَعْزَلُ» الذى لا يَتَقَوَّمُ على ظَهْرِ الدابَّةِ . و «الوَغْدُ» الضعيفُ .

ثم قال بعضُهم لبعضٍ : نأتِى عسكرَ ابنِ مِخْنَفٍ فإنه لا خَنْدَقَ عليهم ، وقد تَعِبَ فرسانُهم اليومَ مع المهلَّب ، وقد زَعَموا أنَّا أَهْوَنُ عليهم من ضَرْطَةِ جَمَلٍ ، فأَتَوْهُم ، فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه بهم إلاَّ وقد خالَطُوهم فى عسكرِهم ، وكان ابنُ مِخْنَفٍ شريفاً ، يقولُ رجلٌ من غامدٍ لرجلٍ يعاتبُه ويَضْرِبُ بابنِ مِخْنَفٍ المَثَلَ :

تَرُوحُ وتَغْدُو كلَّ يومٍ مُعَظَّمًا ... كأنك فينا مِخْنَفٌ وابنُ مِخْنَفِ

فَتَرَجَّلَ عبدُ الرحمن بنُ مِخْنَفٍ بجالدهم فقُتِلَ ، وقُتِلَ معه سبعون من القُرَّاء ، فيهم نَفَرٌ من أصحاب علىِّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، ونفرٌ من أصحابِ ابن مسعودٍ ، وبَلَغَ الخبرُ المهلَّبَ ، وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ عندَ المهلَّبِ ، فجاءَهم مُغِيثًا ، فقاتَلَهم حتى ارْتُثَّ[(١)] وصُرِعَ ، ووَجَّهَ المهلَّبُ إليهم ابنَه حبيبًا فكَشَفَهم ، ثم جاء المهلَّبُ حتى صَلَّى على ابنِ مِخْنَفٍ وأصحابه رحمهم الله ، وصارَ جُنْدُه فى جُنْدِ المهلَّبِ ، فضمَّهم إلى ابنه حبيبٍ ، فعَيَّرَهم البصريون ، فقال رجلٌ لجعفرِ بن عبد الرحمن :

---

(١) بحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابنِ الأعرابىِّ قال : يقالُ أُرْتُثَّ الرجلُ ارْتِثاثًا : إذا حُمِلَ من المَعْرَكةِ وبه رَمَقٌ . قال ابنُ شاذانَ : قال النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ : ارْتُثَّ صُرِعَ» .

تركتَ أصحابَنَا تَدْمَى نُحورُهُمُ ... وجئتَ تَسْعَى إلينا خَضْفَةَ الجَمَلِ (١)

قوله « خَضْفَةَ الجَمَلِ » يريدُ ضَرْطَةَ (٢) الجَمَلِ ، يقال خَضَفَ البعيرُ »
وأنشدنى الرِّيَاشِيُّ لأعرابىٍّ يذمُّ رجلاً اتَّخذ وليمةً :

إنَّا وَجَدْنَا خَلَفًا بِئْسَ الخَلَفْ ... أَغْلَقَ عنَّا بابَهُ ثم حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البوابُ إلّا مَنْ عَرَفْ ... عَبْدٌ إذا ماناءَ بِالحِمْلِ خَضَفْ (٣)

يقال « نَاءَ بِحِمْلِهِ » إذا حَمَلَهُ فى ثِقَلٍ وتَكَلُّفٍ ، وفى القرآنِ : ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ﴾ (٤) والمعنى أنَّ العُصْبَةَ تَنُوء بالمفاتيح ، وقد مَضَى تفسيرُ هذا [وتقولُ العربُ « حَبَجَ الرجلُ وحَبَقَ وخَضَفَ ورَدَمَ » كلُّ ذلك إذا ضَرَطَ] (٥) .

فلامَهُم المهلَّبُ ، وقال : بِئْسَمَا قُلتم ، واللهِ مافرُّوا ولا جَبُنوا ، ولكنهم خَالَفُوا أميرَهم ، أفلاتذكرون فِرارَكم يومَ دُولابَ ، وفرارَكم بدارِس عن عثمان ، وفرارَكم عنى ؟!

❊

ووَجَّهَ الحجاجُ البَرَاءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّبِ يَسْتَحِثُّهُ فى مُناجزةِ القومِ ،

---

(١) فى د و ف « تَدْمَى كُلُومُهُمُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلب قال : يقال خَضَفَ الحمارُ وغيرُه يَخْضِفُ خَضْفًا وخُضَافًا : إذا ضَرَطَ ، ويقال للمرأة : ياخَضَافِ » .
قوله « ضرط » ضبط فى الأصل بفتح الراء ، وهو لغة فيه من باب « ضرب » والأكثر أنه من باب « فرح » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « عبدا » .

(٤) سورة القصص آية ٧٦

(٥) الزيادة من ج و ش وحاشية ف .

وكتب إليه : إنك لَتُحِبُّ بقاءهم لتأكلَ بهم . فقال المهلَّبُ لأصحابه : حَرِّكوهم ، فخرج فرسانٌ من أصحابِه إليهم ، فخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ ، فاقتتلوا إلى الليل ، فقال لهم الخوارجُ : ويْلَكُمْ أَمَا تَمَلُّونَ ؟ فقالوا : لا ، حتى تَمَلُّوا ، قالوا : فمن أنتم ؟ قالوا : تَميمٌ ، قالت الخوارجُ : ونحن بنو تَميم ، فلما أمْسَوُا افترقوا ، فلما كان الغَدُ خرج عشرةٌ من أصحاب المهلَّبِ وخرج إليهم عشرة من الخوارج ، فاحتَفَر كلُّ واحدٍ منهم حَفِيرَةً وأثبتَ قدَمَه فيها ، فكُلما قُتِلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجْتَرَّهُ ووقَفَ[1] مكانَه ، حتى أعْتَمُوا ، فقال لهم الخوارجُ : ارجِعُوا ، فقالوا : بلِ ارجِعوا أنتم ، فقالوا : ويلكم ! مَنْ أنتم ؟ فقالوا : تَميم ، قالوا : ونحن تَميم ، فرجَع البَرَاءُ بن قَبيصةَ إلى الحجاج ، فقال له : مَهْ ؟ قال : رأيتُ قومًا لا يُعينُ عليهم إلَّا اللهُ .

وكَتَب إليه المهلَّبُ : إنى منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ : موتٌ ذَرِيعٌ ، أو جوعٌ مُضِرٌّ ، أو اختلافٌ مِن أهوائهم .

وكان المهلَّبُ لا يَتَّكِلُ فى الحراسة على أحدٍ ، كان يتولَّى ذلك بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ فى الثقةِ عندَه .

وقال أبو حَرْملةَ العَبْديُّ يهجو المهلَّبَ :

عَدِمْتُكَ يا مُهَلَّبُ مِن أميرٍ ... أَمَا تَنْدَى يمينُك للفقيرِ
بِدُولابٍ أضعتَ دماءَ قومٍ ... وطِرْتَ على مُواشِكَةٍ دَرُورِ[2]

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « وقام » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « دماء قومى » . وبحاشية ا ما نصه . « ابنُ =

فقال المهلَّبُ : ويحكَ ! واللهِ إنى لأَقِيكُمْ بنفسى و وَلَدِى ، قال : جعلنى اللهُ فداء الأَميرِ ، فذَاكَ الذى نَكْرَهُ منك ، ما كلُّنا يُحِبُّ الموتَ ، قال : ويحكَ ! وهل عنه مَحِيصٌ ؟ قال : لا ، ولكنَّا نَكْرَهُ التَّعجيلَ ، وأنت تَقْدِمُ عليه إِقْدَامًا ، قال المهلَّبُ : أَمَا سمعتَ قولَ [هُبَيرَةَ][(١)] الكَلْحَبةِ اليَرْبُوعِيِّ :

فقلتُ لِكَأْسٍ أَلْجِمِيها فإنما نَزَلْنا الكَثِيبَ مِن زَرودَ لِنَفْزَعَا ؟

قال : بلى واللهِ قد سمعتُه ، ولكنْ قولى أَحَبُّ إِلَىَّ منه ، [وهو][(٢)] :

فلمَّا وقَفْتُمْ غُدْوَةً وعَدُوُّكُمْ إلى مُهْجتى وَلَّيْتُ أعداءَكم ظَهْرِى

وطِرْتُ ولم أَحْفِلْ مَقالَةَ عاجِزٍ يُسافِى المَنايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

فقال [له][(٣)] المهلَّبُ : بئس حَشْوُ الكَتِيبَةِ واللهِ أنتَ ! فإن شئتَ أَذِنْتُ لَكَ فانصرفتَ إلى أهلك ؟ فقال : بل أُقِيمُ معك أيُّها الأَميرُ ، فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه ، فقال يمدحُه :

يَرَى حَتْماً عليه أبو سَعيدٍ جِلادَ القومِ فى أُولَى النَّفِيرِ

= شاذَانَ : يقال فرسٌ دَرُورٌ ودَرِيرٌ ، أى سريعٌ . قال امرؤُ القيس :

دَرِيرٌ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ » .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف . وهو اسمه ، والكلحبة لقبه ، وهو من بنى عرين بن يربوع . والبيت من أبيات له فى المفضليات للضبى (ج ١ ص ٤ — ٥ طبعة التقدم سنة ١٣٢٤ و ص ٢٠ من شرح الأنبارى) وذكرها المرصفى فى شرح الكامل (ج ١ ص ١٨) .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ مَشَى فى رَفْلٍ مُحْـكَمةِ القَتِيرِ

« الرَّفْلُ » الذَّيْلُ[1] .

⁂

وقال المهلَّبُ[2] ما يَسُرُّنِى أنَّ فى عسكرِى ألفَ شجاعٍ بدلَ بَيْهَسِ بن صُهَيْبٍ ، فيقال له : أيها الأميرُ ! بيهسٌ ليس بشجاعٍ ، فيقول : أجَلْ ، ولـكنه سَديدُ الرأىِ[3] مُحْـكَمُ العقلِ ، وذو الرأىِ حَذِرٌ سَؤُولٌ ، فأنا آمَنُ أن يُغْتَفَلَ ، فلو كانَ مكانَه ألفُ شجاعٍ قلتُ إنهم يَنْشامونَ[4] حتى يُحْتاجَ إليهم[5] .

ومَطَرَتِ السماء ليلةً مطرًا شديدًا وهم بسابورَ ، وبين المهلَّبِ وبين الشُّراةِ عَقَبةٌ ، فقال المهلَّبُ : من يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ ؟ فلم يَقُمْ أحدٌ ، فلبس المهلبُ سِلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ . فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُالله : دعانا الأميرُ إلى ضبط العقبة ، والحَظُّ فى ذلك لنا ، فلم نُطِعْهُ ، فلبس سلاحَه واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكرِ فصاروا إليه ، فإذا المهلب

---

(١) « الرفل » ضبط فى كل الأصول بفتح الراء ، وهو جرّ الذيل . وأما الذيل نفسه فهو الرفل بكسر الراء .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « وكان المهلب يقول » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « يقال رأىٌ سَديدٌ وأمرٌ سَديدٌ وأَسَدُّ ، أى قاصدٌ ، وكذلك رجلٌ سَديدٌ ، من السَّدَادِ وهو قَصْدُ الطريقةِ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « قال الشيخ أبو يعقوبَ : يَنْشَامُونَ أى يَنْغَابُونَ ، يَنْفعِلونَ ، مِنْ شَامَهُ يَشِيمُهُ إذا غابَهُ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « حين يحتاج إليهم » ولعلها أجود .

والمغيرةُ لاثالثَ لهما ، فقالوا : انصرفْ أيها الأميرُ فنحن نكفيك إن شاء الله ، فلما أصبحوا إذا بالشُّراةِ على العقبة ، فخرج إليهم غلام من أهل عُمَانَ على فرسٍ ، فجعل يحْمِل وفرسُهُ يَزْلَقُ ، وتلقّاه مُدْرِكُ بن المهلَّبِ في جماعةٍ معه حتى رَدَّهم .

فلما كان يومُ النَّحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطبُ الناسَ إذَا الشُّراةُ قد تألَّبُوا ، فقال المهلَّبُ : سبحانَ اللهِ ! أَفِي مثلِ هذا اليوم ؟ يامُغيرةُ اكْفِنِيهِمْ ، فَخرج إليهم المغيرةُ بن المهلّبِ وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيُّ ، وكان سعدٌ شجاعًا متقدِّمًا في شجاعتِه ، وكان المهلّبُ[1] إذا ظَنَّ برجلٍ أنّ نفسَه قد أعجبَتْه قال له : لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ما عَدَا [وَقُرْدُوسٌ من الأَزْدِ] فَخرجَ أمامَ المغيرةِ ، وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسانِ المهلّبِ ، فالْتَقَوْا ، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ ، مَديدُ القامةِ ، كريهُ الوجهِ ، شديدُ الحَمْلةِ ، صحيحُ الفُروسيّةِ ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهو يقولُ :

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ ... بالخيلِ أمثالِ الوَشيجِ تَجْرِى[2]

---

(١) في ج و د و هـ و ف « وكان الحجاج » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المهلّبيُّ : الوَشيجُ القَنَا ، وسُمِّىَ وَشيجًا لتداخُلِ بعضِهِ في بعضٍ واشتباكِه . ويقال وشَجَتِ العُروقُ وشيجًا إذا تداخل بعضُها في بعضٍ »

وبحاشية بعض النسخ مانصه : «الوشيجُ الرماحُ ، شَبَّه الخيلَ الضُّمَّرَ بها . وقال غيره : الوشيجُ أصلُ القَنَاة ، والخَطِّيُّ فروعها ، ويُنْسَبُ الخَطِّيُّ إلى قرية باليمن تُعْرَفُ بالخَطِّ ، تَنْبُتُ بها الرماحُ » .

فخرج إليه سعدُ بن نجدٍ القُرْدُوسيُّ من الأزدِ، ثم تجا وَلا ساعةً، فطعنه سعدٌ فقتَلَه، والْتَقَى الناسُ، فصُرِعَ يومئذٍ المغيرةُ، فحامَى عليه سعدُ بن نجدٍ وذُبْيانُ السَّخْتِيانِيُّ(١) وجماعةٌ من الفُرْسانِ حتى رَكِب، وانكشفَ الناسُ عند سَقْطةِ المُغيرةِ، حتى صاروا إلى أبيه المهلَّب، فقالوا: قُتِلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السَّخْتِيانِيُّ، فأخبره بسلامتِه، فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرتِه.

⁂

ووجَّهَ الحجاجُ الجَرَّاحَ بن عبد الله إلى المهلبِ يَسْتَبْطِئُه فى مُناجزة القومِ، وكتبَ إليه: أما بعدُ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعِلَلِ، وتحصَّنْتَ بالخَنادق، وطاوَلْتَ القومَ، وأنت أعزُّ ناصرًا، وأكثرُ عددًا، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْنًا، ولكنك اتخذْتَ أُكُلًا(٢)، وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالِهم، فناجِزْهُمْ وإلَّا أنكرتَنى، والسلامُ.

فقال المهلَّبُ للجرَّاحِ: يا أبا عُقْبةَ! والله ما تركتُ حِيلةً إلَّا احتلْتُها، ولا مكيدةً إلَّا أعْملتُها، وما العَجَبُ من إبطاء النصرِ وتَراخِى الظَّفَرِ، ولكنَّ العجبَ أن يكونَ الرأيُ لمن يَملكُه دونَ من يُبْصِرُه!! ثم ناهضهم

---

(١) فى ج و د و هـ «السَّخْتِيانِى».

(٢) بحاشية ا ما نصه: «ابنُ شاذانَ: قال أبو عُمَرَ: الأُكْلُ الرِّزْقُ، يقال إنه لعظيمُ الأُكْلِ فى الدنيا، أى عظيمُ الرِّزْقِ، ومنه قيل للميِّتِ انْقَطَعَ أُكْلُه»

ثلاثةَ أيامٍ ، يُغادِيهم القتالَ ، ولا يزالون كذلك إلى المصرِ ، وينصرفُ أصحابُه وبهم قَرْحٌ ، وبالخوارجِ قَرْحٌ وقَتْلٌ ، فقال له [الجَرَّاحُ][1] : قد أَعْذَرْتَ .

فكتبَ المهلّبُ إلى الحجاج : أتاني كتابُك تَستبْطِئُني في لقاء القوم ، على أنك لا تَظُنُّ بي معصيةً ولا جُبْنًا ، وقد عاتبتني معاتبةَ الجبان ، وأوعدتني وَعِيدَ العاصي ، فَاسْئَلِ[2] الجَرَّاحَ ، والسلامُ .

فقال الحجّاجُ للجرّاح : كيف رأيتَ أخاك ؟ قال واللهِ ما رأيتُ أيها الأميرُ مثلَه قطُّ ولا ظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثلِ ماهو عليه ، ولقد شهدتُ أصحابَه أيامًا ثلاثةً يَغْدُون إلى الحربِ ثم ينصرفون عنها وهُم بها يَتطاعَنون بالرماحِ ويَتَجالدون بالسُّيوف ويتخابطون بالعَمَدِ ، ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئًا ، رَواحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم . فقال [له][3] الحجاج : لَشَدَّ مَامَدَحْتَهُ أبا عُقْبةَ ! قال : الحقُّ أَوْلَى .

وكانت رُكُبُ الناسِ قديمًا من الخَشَبِ ، فكان الرجلُ يُضرَبُ رِكابُهُ فينقطعُ ، فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعن لم يكن له مُعْتَمَدٌ ، فأمر المهلّبُ فضُربَتِ الرُّكُبُ من الحديد ، وهو أولُ من أَمر بطبعها ، ففي ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العنَزِيُّ :

ضَربوا الدراهمَ في إمارَتِهِمْ   وضَربتَ للحدَثانِ والحَرْبِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٢) رسمت في ج « فَسْئَلِ » وفي د و ف « فَسَلِ » .

(٣) الزيادة من ج و ف .

حَلَقًا تُرَى منها مَرَافِقُهم ... كَمَنَاكِبِ الجَمَّالَةِ الجُرْبِ(١)

*

وكَتَب الحجاجُ إلى عَتَّابِ بنِ وَرْقاءَ الرِّياحيِّ، من بني رِيَاحِ بن يربوعِ بن حَنْظَلَة، وهو وَالِي أَصْبَهَانَ(٢): يأمُرُه بالمسير إلى المهلّب وأن يَضُمَّ إليه جُنْدَ عبدِ الرحمن بن مِخْنَفٍ، فكلُّ بلدٍ تَدْخُلانِه من فتوح أهل البصرة فالمهلّبُ أميرُ الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفة، فإذا دخلتم بلدًا فَتْحُهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه](٣)، والمهلّب على أهل البصرة.

فَقَدِمَ عَتَّابٌ في إحدى جُمادَيَيْنِ من سنة سِتٍّ وسبعين على المهلّب، وهو بسابورَ، وهي من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّبُ أميرَ الناسِ،

(١) «الجمالة» في كل نسخ الكتاب بفتح الجيم وتشديد الميم، ويظهر أن الشيخ المرصفي لم يتجه له توجيهها، فضبطها بكسر الجيم وتخفيف الميم، وفسرها بالطائفة من الجمال، وادعى أن البيت دخله الوقص وهو حذف الجزء الثاني المتحرك. ولكن في إحدى النسخ الثابتة في جزء التعليقات من طبعة أوروبة (ص ١٩٩) زيادة فيها بعض بياض في الأصل ونصها: «قال أبو العباس: يقال جَمَّالَة لأصحاب الجمال، كما يقال بَغَّالَة لأصحاب البغال ... أن يكون عَنَى أن هذه الرُّكَب الحديد تُؤَثِّرُ ... كتأثير الكَدِّ في مناكب الحمالين، وقد ... يَصُكُّ الراجلَ بركابه الحديدِ فيُوهِنُ مرفقَه حتى يَصِيرَ كمَنْكِبِ الجمل الأجرب، كما قالَ:

إذا شئتَ لاقَيْتَنِي مُسْلِمًا ... تزاحِمُ كالجمل الأجربِ

قال: والجملُ الأجربُ يُتَوَقَّى لجربه، كما يُتَوَقَّى هذا في الحَرْبِ».
فقد ظهرت صحة الكلمة وتوجيهها والحمد لله.

(٢) بحاشية ا ما نصه: «قال أبو يعقوبَ: هي إِصْبَهَانُ بكسر الهمزة، إِصْبَهْ هو العسكر بالفارسية، وإصبهانُ العَسَاكِرُ». أقول: ولقد ثبت عنهم فتح الهمزة وكسرها، كما ضبطت بذلك مرارا في أصول الكامل، هنا وفيما مضى، وكذلك نص عليه ياقوت وغيره.

(٣) الزيادة من د و ش و ف.

وعتابٌ على أصحاب ابنِ مِخْنَفٍ ، والخوارجُ في أيديهم كِرْمانُ[١] ، وهم بإزاء المهلَّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى .

فوجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّبِ رجلين يَسْتَحِثَّانِهِ مُناجَزَةَ القوم ، أحدُهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن ، من بنى عامر بن صَعْصَعة ، والآخرُ من آل أبى عَقِيلٍ جدِّ الحجاجِ ، فضمَّ زيادًا إلى ابنِهِ حَبيبٍ ، وضمَّ الثَّقَفِيَّ إلى يزيدَ ابنِهِ ، وقال لهما : خُذَا يزيدَ وحبيبًا بالمناجَزَةِ ، فغَادَوُا الخوارجَ فاقتتَلُوا أشدَّ قتالٍ ، فقُتِلَ زيادُ بن عبد الرحمن ، وفُقِدَ الثَّقفيُّ ، ثم باكَروهم في اليوم الثاني وقد وُجِدَ الثقفيُّ ، فدَعَا به المهلَّبُ ودَعَا بالغَدَاء ، فجعل النَّبْلُ يقع قريبًا منهم ، والثقفيُّ يَعْجَبُ من أمرِ المهلَّبِ ، فقال الصَّلَتانُ العبديُّ :

أَلَا يا اصْبحانى قَبْلَ عَوْقِ العَوائِقِ ... وقبلَ اخْتراطِ القومِ مثلَ العَقَائِقِ

غداةَ حَبيبٌ فى الحـــديد يَقُودُنا ... نَخوضُ المَنايا فى ظِلال الخَوافِقِ

حَرُونٌ إذا ما الحربُ طار شَرارُها ... وهاجَ عَجاجُ الحرب فوق البَوارقِ

فَمَن مُبْلِغُ الحجاجِ أنْ أَمِينَه ... زيادًا أطاحتْـــهُ رِماحُ الأَزارقِ

قوله « وقَبْلَ اختراطِ القوم مثلَ العقائِق » يعنى السُّيوفَ و «العقائِقُ» جمع عَقِيقَةٍ ، يقال سيف كأنه عَقِيقَةُ بَرْقٍ ، أى كأنه لَمْعَةُ برقٍ ،

(١) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخ أبو يعقوبَ : هى كِرمانُ بكسر الكاف لاغيرُ ، ومعناها دِيدَانٌ جمعُ دُودٍ ، كِرْمْ دُودٌ وكِرْمان دِيدَانٌ » . أقول : وفتحها جائز أيضا كما ضبط مرارا فى الكتاب ، وانظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية ص ٢٩٢

ويقال انعقّ البرقُ إذا تبَسَّمَ ، وللعقيقةِ مواضعُ ، يقال فلانٌ بعَقِيقَةِ الصَّبِيِّ ، أي بالشَّعَرِ الذي وُلِدَ به لم يَحْلِقْه ، ويقال عَقَقْتُ الشيءَ أي قطعتُه ، ومِنْ ذا فلان يَعُقُّ أَبَوَيْهِ ، وكذا عَقَقْتُ عن الصبي ، إذا ذبحتَ عنه ، وقال أعرابيٌّ :

أَلم تَعلَمِي يادارَ بَلْجَاءَ أَنَّني ... إذا أَجْدَبَتْ أو كان خِصْبًا جَنَابُها

أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مُشْرِفٍ ... إليَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحابُها[١]

بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تَميمَتي ... وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها

فلم يَزَلْ عتَّابُ بن وَرْقاء مع المهلَّب ثمانيةَ أشهرٍ ، حتى ظَهَرَ شَبِيبٌ ، فكَتَب الحجاج إلى عتّاب يأمره بالمصير[٢] إليه ليوجِّهه إلى شبيب ، وكَتب إلى المهلَّب [يأمره][٣] بأَن يَرْزُقَ الجُنْدَ ، فرَزَقَ المهلَّبُ أهلَ البصرة ، وأَبَى أن يرزقَ أهلَ الكوفة ، فقال له عتَّابٌ : ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهلَ الكوفة ، فأَبَى ، فجَرَتْ بينهما غِلْظَةٌ ، فقال عتَّابٌ : قد كان يبلُغني أنك شجاعٌ فرأيتُك جَبانًا ، وكان يبلُغني أنك جوادٌ فرأيتك بخيلاً ، فقال له المهلَّبُ : يا ابن اللَّخْنَاءِ ! فقال له عتَّابٌ : لكنَّك مُعَمٌّ مُخْوَلٌ[٤] !! فغضبتْ بَكْرُ بن وائلٍ للمهلَّبِ لِلْحِلْفِ ، وَوَثَبَ ابنُ نُعيمِ بن هُبَيْرَةَ بن أبي مَصْقَلَةَ

(١) « مشرف » رمل بالدهناء . وفي ج و س و د و ﻫ « مَشْرِقٍ » .

(٢) في ج و س و ف « بالمسير » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ﻫ و ف .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شَاذانَ : حدثني أبو عُمَرَ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال : يقال رجل مُعَمٌّ مُخْوَلٌ ومُعِمٌّ مُخْوِلٌ : إذا كان كريمَ الأعمام والأخوال » .

على عتّابٍ فشتَمه ، وقد كان المهلّب كارهاً للحِلْفِ ، فلما رأى نُصْرَةَ بكر بن وائل له سَرَّهُ الحِلْف واغتَبَطَ به ، ولم يزل يُؤَكِّدُه ، فغضبت تميمُ البصرةِ لعتّاب ، وغضبت أَزْدُ الكوفةِ للمهلّبِ .

[قال أبو العباس : تحالفَ الأزْدُ وربيعةُ بعدَ الإسلام ، وادَّعَوْا أنَّ ذلك كان قديمًا فى الجاهلية ، لقول النبي عليه السلام : « لا حِلْفَ فى الإسلام ، وكلُّ حِلْفٍ فى الجاهلية فان يَزِيدَه الإسلامُ إلّا شِدَّةً » . والحِلْفُ العَهْد والصحبةُ ، والحليفُ الصاحبُ . وإنما نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنِ الحِلْفِ فى الإسلام لِئَلَّا يُعِينَ مسلمٌ على مسلمٍ ، فأمّا ما مَضَى فقد ثبتَ به حُرْمةٌ لا يزيدُها الإسلامُ إلَّا شِدّةً][(١)] .

فلما رأى ذلك المغيرةُ بن المهلّب مَشَى بين أبيه وبين عتّابٍ ، فقال لعتّابٍ : ياأبا ورْقاءَ ! إنّ الأميرَ يَصِيرُ لك إلى كُلِّ ما تُحِبُّ ، وسأل أباه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة ، فأجابه ، فَصَلَحَ الأمْرُ ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعتّابُ بن ورقاءَ يَحْمَدُونَ المُغيرةَ بنَ المهلّب ، وقال عتّابٌ : إنى لأعرفُ فضلَه على أبيه ، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إيادِ بن سُودٍ :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي وَرْقَاءَ عنّا ... فلولا أنّنا كُنّا غِضابَا[(٢)]
على الشيخِ المهلّبِ إذْ جفانا ... لَلَاقَتْ خيلُكم مِنّا ضِرابَا

---

(١) الزيادة من بعض النسخ الثابتة فى جزء التعليقات (ص ٢٠٠) .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ق « ألا أبلغ أبا ورقاء » .

☆

وكان المهلَّبُ يقولُ لبنيه : لاتبْدَؤُهم بقتالٍ حتى يَبْدَؤُكم فيَبْغُوا عليكم ، فإنهم إذا بَغَوْا نُصِرتم عليهم .

فشَخَصَ عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الحجاج فى سنة سبعٍ وسبعين ، فوجَّهه إلى شَبيبٍ ، فقتله شَبيبٌ ، وأقام المهلَّبُ على حربهم ، فلما انقضى من مُقامِهِ ثمانيةَ عشر شهرًا اختلفوا .

وكان سببُ اختلافهم أنَّ رجلاً حدَّادًا من الأزارقة كان يَعْمَلُ نِصالًا مسمومةً ، فيُرْمَى بها أصحابُ المهلَّبِ ، فرُفِعَ ذلك إلى المهلَّبِ فقال : أنا أكْفِيكُمُوه إن شاء الله ، فوجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتابٍ وألف درهمٍ إلى عسكرِ قَطَرِيٍّ فقال : ألْقِ هذا الكتابَ فى عسكرِ قَطَرِيٍّ واحْذَرْ على نفسك ، وكان الحدَّادُ يقال له أبزَى ، فمضى الرسولُ ، وكان فى الكتاب : أما بعدُ ، فإنَّ نِصالكَ قد وَصَلَتْ إلىَّ ، وقد وجَّهتُ إليك بألفِ درهمٍ ، فاقبِضْها وزِدْنَا من هذه النِّصالِ . فوقَعَ الكتابُ والدَّراهمُ إلى قطريٍّ ، فدَعَا بأبزَى ، فقال : ماهذا الكتابُ ؟ قال : لاأدرى ، قال : فهذه الدراهمُ ؟ قال : ما أعْلَمُ عِلْمها ، فأمر به فَقُتِلَ ، فجاءه عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مَوْلَى بنى قيسِ بن ثَعْلَبَةَ فقال له : أقَتَلْتَ رجلاً على غير ثقةٍ ولا تَبيُّنٍ ؟! فقال له : ماحالُ هذه الدراهمِ ؟ قال : يجوز أن يكون أمرُها كَذِبًا ويجوزُ أن يكون حقًّا ، فقال له قطريٌّ : قَتْلُ رجلٍ فى صلاح الناس غيرُ مُنْكَرٍ ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحًا ، وليس

للرعية أن تعترض عليه ، فتنكَّرَ له عبدُ رَبِّهِ فى جماعةٍ [معه][1] ، ولم يفارقوه .

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلاً نصرانيًا ، فقال له : إذا رأيتَ قَطَرِيًّا فاسْجُد له ، فإذا نَهَاكَ فقل: إنما سجدتُ لك ، ففعلَ النصرانىُّ ، فقال له قطرىٌّ: إنما السجودُ لله ، فقال : ماسجدتُ إلَّا لك ، فقال له رجلٌ من الخوارج : قد عَبَدَكَ من دُونِ الله ، وتلاَ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ[2] ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[3] فقال قطرىٌّ : إنَّ هؤلاء النصارى قد عَبدُوا عيسَى ابنَ مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئًا ، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانىِّ فقتَلَه ، فأنكر ذلك عليه وقال : أقتلْتَ ذِمِّيًّا ؟! فاختلفتِ الكلمةُ فبلَغَ ذلك المهلَّبَ ، فوَجَّهَ إليهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقَدَّمَ به إليه ، فأتاهم الرجلُ فقال : أرأيتم رجلين خَرَجَا مُهَاجِرَين إليكم ، فماتَ أحدُهما فى الطريق وبَلَغَكُمُ الآخَرُ فامتحنتموه فلم يُجِزِ المحنةَ ، ماتقولون فيهما ؟ فقال بعضُهم : أمَّا الميِّتُ فمؤمنٌ من أهل الجنة ، وأمَّا الآخَرُ الذى لم يُجِزِ المحنةَ فكافرٌ حتى يُجِيزَها ، وقال قومٌ آخرون : بل هما كافران حتى يُجِيزَا المحنةَ ، فكَثُرَ الاختلافُ .

---

(١) الزيادة من ج و هـ و ف .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عُبيدةَ : كلُّ شىء أَلْقَيْتَهُ فى النار فهو حَصَبٌ لها . ويقال حَصَبْتُ النارَ أَحْصِبُهَا حَصْبًا إذا أَلْقَيْتَ فِيهَا حَطَبًا » .

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٨

❊

فخرج قطرىٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ ، فأقام شهرًا والقومُ فى اختلافهم ، ثم أقبلَ ، فقال لهم صالح بن مِخْراقٍ : ياقومِ ! إنكم قد أقررتم أعْيُنَ عدوِّكم وأطمعتوهم فيكم ، لِمَا ظهَرَ من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماعِ الكلمة .

وخرج عَمْرُو القَنَا فنادَى : يا أيها المُحِلُّونَ ! هل لكم فى الطِّرَادِ فقد طال العهد به ؟ ثم قال :

ألم تَرَ أنَّا مُذْ ثلاثون ليلةً قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

فتَهَايَجَ القومُ وأسرعَ بعضُهم إلى بعض ، فأَبْلَى يومئذ المغيرةُ بن المهلبِ ، وصار فى وسَطِ الأزارقة ، فجعلتِ الرِّماحُ تَحُطُّهُ وتَرْفَعُه ، واعْتَوَرَتْ رأسَه السُّيوفُ ، وعليه ساعدُ حديدٍ ، فوضع يَدَه على رأسِه ، فَجَعَلت السيوفُ لاتَعملُ فيه شيئًا ، واستنقذه فُرْسانٌ من الأزدِ بعدَ أنْ صُرِعَ ، وكان الذى صَرَعَهُ عَبيدةُ بن هِلالٍ ، وهو يقولُ :

أنا ابنُ خَيْرِ قومِهِ هلالِ شيخٍ على دِينِ أبى بِلالِ

❊ وذاكَ دِينِى آخرَ اللّيالِى ❊

فقال رجلٌ للمغيرة : كُنَّا نَعْجَبُ كيفَ تُصْرَعُ ، والآنَ نَعجبُ كيف تَنْجُو ! !

وقال المهلَّبُ لِبَنِيهِ : إنّ سَرْحَكم لَغارٌّ ، ولستُ آمَنُهم عليه ، أفوَكَّلْتمْ به أحدًا ؟ قالوا : لا ، فلم يَسْتَتِمَّ الكلام حتى أتاه آتٍ فقال : إنّ صالح بنَ مِخْراقٍ

قد أغارَ على السَّرْحِ ، فشَقَّ ذلك على المهلَّبِ ، وقال : كلُّ أمرٍ لاأَلِيهِ بنفسى فهو ضائعٌ ، وتَذَمَّرَ عليهم ، فقال له بِشْرُ بن المغيرة : أَرِحْ نفسَك ، فإن كنتَ إنما تريدُ مِثْلَك فوالله لايَعْدِلُ أحدُنا شِسْعَ نَعْلِكَ ، فقال : خُذُوا عليهم الطَّرِيقَ ، فثار بِشْرُ بن المغيرة ومُدْرِكٌ والمُفَضَّلُ ابنا المهلَّبِ ، فسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق ، فإذا رجلٌ أسودُ من الأزارقة يَشُلُّ السَّرْحَ[1] ، أى يَطْرُدُهُ، وهو يقولُ :

نحنُ قَمَعْناكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وقد نَكَأْنَا القَرْحَ بعدَ القَرْحِ[2]

« الشَّلُّ » الطَّرْدُ . ويقال « نَكَأْتُ القَرْحَةَ » مهموزٌ ، و « نَكَيْتُ العَدُوَّ » غيرُ مهموزٍ مِنَ النِّكايَةِ ، و « نَكَأْتُ القرحةَ نَكْأً » قال ابن هَرْمَةَ :

ولا أَراها تَزالُ ظالمةً تُحْدِثُ لى قَرْحَةً وتَنْكَؤُهَا

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : السَّرْحُ المالُ الذى يُسَامُ فى المَرْعَى من الأَنعامِ ، يقال سَرَحَ القومُ إبلَهُمْ سَرْحًا ، وسَرَحَتِ الإبلُ سَرْحًا ، والمَسْرَحُ مَرْعَى السَّرْحِ ، ولا يُسَمَّى من المالِ سَرْحًا إلَّا مايُغْدَا بِهِ ويُرَاحُ ، والجمعُ السُّرُوحُ ، والسَّارِحُ يكونُ اسمًا للرّاعى الذى يَسْرَحُ الإبلَ ، ويكونُ السَّارِحُ اسمًا للقومِ الذين لهم السَّرْحُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ : تقولُ قَمَعْتُ فلانًا فانقَمَعَ ، أى ذَلَّلْتُهُ فَذَلَّ واخْتَبَأَ فَرَقًا . وقال مُؤَرِّجٌ : قَمَعْتُ الرجلَ أَقْمَعُهُ قَمْعًا إذا ضربتَ رأسَهُ » .

ولَحِقَهُ المفضلُ ومُدْرِكٌ ، فصاحَا برجل من طَيِّئٍ : اكْفِنَا الأَسْوَدَ ، فاعْتَوَرَهُ[١] الطائىُّ وبِشْرُ بن المغيرة فقتلاه ، وأسرا رجلاً من الأزارقة ، فقال له المهلَّبُ : مِمَّن الرجلُ ؟ قال : رجلٌ من هَمْدانَ ، قال : إنك لَشَيْنُ هَمْدانَ ، وخَلَّى سبيلَه .

[قال][٢] : وكان عَيَّاشٌ الكِنْدِيُّ شُجاعًا بَئِيسًا[٣] . فأبْلَى يومئذ ، ثم مات على فراشه بعدَ ذلك . فقال المهلَّبُ : لا وَأَلَتْ نفسُ الجَبانِ بعد عَيَّاشٍ[٤] .

وقال المهلَّبُ : ما رأيتُ كهؤلاء كلَّما يُنْقَصُ منهم يَزيدُ فيهم .

*

وَوَجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّب رجلين ، أحدُهما من كَلْب ، والآخَرُ من سُلَيم ، يَسْتَحِثَّانه بالقتالِ ، فقال المهلَّبُ متمثِّلاً :

ومُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى من أَنَاتِنا ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

الشِّعْرُ لأَوْسِ بن حَجَرٍ .

وقوله « زَبَنَتْهُ » يقول : دَفَعَتْهُ . و « لم يَتَرَمْرَمِ » أى لم يَتَحَرَّكْ ، يقال : قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ تعاوَرَ القومُ فلانًا واعْتَوَرُوهُ ضربًا ، أى كُلَّمَا كَفَّ واحدٌ ضَرَبَهُ آخرُ . والتَّعاوُرُ التَّداوُلُ » .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بَأْسًا فهو بَئِيسٌ ، إذا كان شديدَ البأسِ » .

(٤) أى لانجَتْ ، ومنه المآل والمَوْئِلُ ، أى المَلْجأُ والمَنْجا .

وقال لِيزِيدَ: حَرِّكْهُمْ، فَحَرَّكَهُمْ فَتَهَايَجُوا، وذلك فى قريةٍ من قرى إِصْطَخْرَ، فحمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطعَنه، فَشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلَّبُ للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ: كيف تُقاتل قومًا هذا طَعْنُهم؟

وحَمَلَ يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسانِ المهلَّبِ وهو أحدُ بنى مالك بن رَبيعةَ، على فرسٍ له أَدْهَمَ، وبه نَيِّفٌ وعشرون جِراحةً، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ، فلما حَمَلَ يَزِيدُ وَلَّى الجمعُ وحَمَاهم فارسانِ، فقال يزيدُ لِقيْسٍ الخُشَنِيِّ مَوْلَى العَتِيكِ: مَنْ لِهٰذَيْنِ؟ قال: أنا، فَحَمَلَ عليهما، فعَطَفَ عليه أحدُهما، فطعنه قيسٌ الخُشَنِيُّ فصرَعَه، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه، فسَقَطا جميعًا إلى الأرضِ، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنِيُّ، اقتُلُونا جميعًا، فحمَلَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلاء، فحجزوا بينهما، فإذا مُعَانِقُه امرأةٌ! فقام قيسٌ مُسْتَحْيِيًا، فقال له يزيدُ: أمّا أنت فبارَزْتَها على أنها رجلٌ، فقال: أرأيتَ لو قُتِلْتُ أما كان يُقالُ قَتَلَتْهُ امرأةٌ؟!

وأَبْلَى يومئذٍ ابنُ المُنْجِبِ السَّدُوسِيُّ، فقال له غلامٌ له يقال لَه خِلاجٌ: واللهِ لَوَدِدْنَا أنَّا فَضَضْنَا عَسْكَرَهم حتى أصيرَ إلى مُسْتَقَرِّهِمْ فأَسْتَلِبَ مما هناك جاريتين، فقال لَه مولاه: وكيف تَمَنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لِأُعْطِيَكَ إحداهما وآخذَ الأُخرى! فقال ابنُ المُنْجِبِ:

أَخِلاَجُ إنَّك لن تُعانِقَ طَفْلةً ... شَرِقًا بها الجَادِيُّ كالتِّمْثَالِ
حتى تُلاقِيَ فى الكَتِيبةِ مُعْلِمًا ... عَمْرَو القَنَا وعَبيدةَ بنَ هلالِ

وتَرَى المُقَعْطَرَ فى الكَتيبة مُقْدِمًا ... فى عُصْبةٍ قَسَطُوا مع الضُّلَّالِ

أو أن يُعَلِّمَكَ المهلَّبُ غَزْوةً ... وتَرَى جبالًا قد دَنَتْ لجبالِ

***

قوله « طَفْلةً » يقول ناعمة ، وإذا كسرتَ الطاء فقلت « طِفلة » فهي الصغيرة . و « الجادِىُّ » الزعفرانُ . و « الكَتِيبَةُ » الجيشُ ، وإنما سُمِّيَ الجيشُ كتيبةً لانضمام أهلِه بعضِهم إلى بعضٍ ، وبهذا سُمِّيَ الكتابُ ، ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ إذا خَرَزْتَ ذلك الموضعَ منها[1] وكَتَبْتُ القِرْبَةَ . و « المُعْلِمُ » الذى قد شَهَرَ نَفْسَه بعَلامةٍ ، إمَّا بعمامةٍ صَبيغٍ ، وإمَّا بِشُهْرةٍ ، وإمَّا بغير ذلك . وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلِب رضوانُ الله عليه مُعْلِمًا يومَ بدر بريشةِ نَعامةٍ فى صدره، وكان أبو دُجانةَ، وهو سِماكُ بن خَرَشةَ الأنصارىُّ، يومَ أُحُدٍ لَمَّا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يأخُذُ سيفى هذا بحقِّه ؟ قالوا : وما حَقُّهُ يارسول الله ؟ قال : أنْ يُضرَبَ به فى العدوِّ حتى يَنْحَنِيَ ، فقال أبو دُجانةَ : أنا ، فَدَفَعَه إليه ، فَلَبِسَ مُشَهَّرَةً فأَعْلَمَ بها ، وكان قومُه يَعْلَمُونَ لِما بَلَوْا منه أنه إذا لَبِسَ تلك المُشَهَّرَةَ لم يُبْقِ فى نفسِهِ غايةً ، ففعل، وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْنِ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنها لَمِشْيةٌ يُبْغِضُها اللهُ عزّ وجلّ إلّا فى مثل هذا الموضع » . ويُرْوَى « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِعَ عليًّا صلواتُ الله عليه يقولُ لفاطمةَ ورَمَى إليها

---

(١) أى يجمع بين شفريها بسير لئلا ينزو الفحل عليها . فهذا تفسير لقولهم « كتبت البغلة والناقة » . وأما قوله بعد « وكتبت القربة » فانه لم يذكر تفسيره لظهوره . وهذا هو الثابت فى جميع أصول الكتاب ، ولكن طبعات مصر قدمت قوله « وكتبت القربة » قبل قوله « إذا خرزت » الخ وهو مخالف لكل النسخ المخطوطة .

بسيفه فقال : هاكِ حَمِيدًا فاغْسِلِي عنه الدَّمَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَئِنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معك سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ وسَهلُ بن حُنَيْفٍ(١) والحٰرِثُ بن الصِّمَّةِ» وفى بعض الحديث «وقَيْسُ بنُ الرَّبِيعِ » وكلُّ هؤلاء من الأنصارِ .

*

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج

وعَمْرُو القَنَا من بنى سعدِ بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ ، وعَبِيدةُ بن هلالٍ من بنى يَشْكُرَ بن بكرِ بن وائلٍ ، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّبِ فى فخذه فشكَّها مع السَّرْجِ من بنى تميمٍ ، قال : ولا أدرِى أعَمْرٌو هو أم غيرُه ، والمُقَعْطَرُ من عَبْدِ القَيْسِ .

وقوله « قَسَطُوا » أى جارُوا ، يقال قَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ ، إذا جار ، قال اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(٢) . ويقال أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ ، إذا عَدَلَ ، قال اللهُ تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٣) .

---

(١) هنا فى هـ زيادة نصها : «وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بايَعَهُ : أُبَايِعُكَ يارسول الله على أن لَّا أَخِرَّ إلَّا قائمًا . قوله على أن لاأَخِرَّ إلَّا قائمًا يعنى أن لا أموتَ إلاَّ مُسْلِمًا ، ومنه قولُ الله عزَّ وجلَّ : فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ »

(٢) سورة الجن آية ١٥

(٣) سورة المائدة آية ٤٢ وسورة الحجرات آية ٩ وسورة الممتحنة آية ٨

وكان بَدْرُ بن الهُذَيلِ شجاعًا ، وكَانَ لَحَّانَةً ، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى : ياخَيْلِ(١) اللهِ ارْكَبِي ! وله يقولُ القائلُ :

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّبِ حاجةً   عَرَضَتْ تَوَابِــعُ دُونَه وعَبِيدُ

العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدٌ مِثْلُه   وعِلَاجُ بَابِ الأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ

« كُرْدُوسٌ » رَجُلٌ من الأَزْدِ ، وكان حاجِبَ المهلَّبِ . وقولُه « وعِلَاجُ بابِ الأَحمرين شديدُ » العربُ تُسَمِّي العَجَمَ الحمراءَ ، وقد مَرَّ تفسير ذا . وقوله « تَوَابِــعُ » أرادَ به الرجالَ ، فجاز في الشِّعْرِ ، وإنما رَدَّهُ إلى أصله للضرورة ، وما كان من النعوت على « فَاعِلٍ » فجمعه « فاعلون » لئلَّا يلتبسَ بجمع « فاعلةٍ » التي هي نعتٌ ، وقد قلنا في هذا ولِمَ قالوا « فَوارِسُ » و « هَالِكٌ في الهوَالِكِ » .

وكَانَ بِشْرُ بن المغيرة أبلَى يومئذٍ بلاءً حسنًا عُرِفَ مكانُهُ فيه ، وكانت بينَه وبينَ بَنِي المهلَّبِ جَفْوَةٌ ، فقال لهم : يابني عَمٍّ(٢) ! إنِّي قد قصَّرتُ عن شَكَاةِ العَاتِبِ(٣) ، وجاوَزْتُ شَكَاةَ المُسْتَعْتِبِ ، حتى كأنِّي لا مَوْصُولٌ ولا محْرُومٌ ، فاجعلوا لي فُرْجَةً أَعِشْ بها ، وهَبُونِي امْرَأً رَجَوْتُم نَصْرَهُ أو خِفْتم لسانَه . فرَجَعوا له ووَصَلُوه ، وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه .

(١) بكسر اللام ، كما ضبط في الأصول ، وهذا هو الشاهد على لحنه ، فان الصواب فتحها .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « يابني عمي » .

(٣) هنا بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : الشَكَاةُ والشكايَةُ وَاحِدٌ ، قال أبو ذُؤَيْبٍ

* وتلكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عنكَ عارُها *

يقالُ شَكَوْتُه أَشْكُوهُ شَكْوًا وشِكَايَةً وشَكَاةً » .

ووَلَّى الحجاجُ كَرْدَمًا فارسَ ، فوجَّهه الحجاجُ إليها والحربُ قائمةٌ ، فقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ .

ولو رَآها كَرْدَمٌ لَكَرْدَمَا　　كَرْدَمَةَ العَيْرِ أَحَسَّ الضَّيْغَمَا

« الضَّيْغَمُ » الأسدُ . و « الكَرْدَمَةُ » النُّفورُ .

⁂

فكَتَبَ المهلبُ إلى الحجاج يسأله أن يتجافَى له عن إصْطَخْرَ ودَرَابَجَرْدَ لأرْزَاقِ الجُنْدِ ، ففعل ، و [قد][1] كان قَطَرِيٌّ هَدَمَ مدينةَ إصْطَخْرَ ، لأنَّ أهلَها كانوا يكاتبون المهلَّبَ بأخباره ، وأراد مثلَ ذلك بمدينة فَسَا ، فاشتراها منه آزَاذْ مَرْدُ بنُ الهِرْبِذِ بمائةِ ألفِ درهمٍ فلم يهدمها ، فواقعه المهلَّبُ فهزمه ، ونفاه إلى كِرمانَ واتبَعَه ابنُه المغيرة ، وقد كان دفع إليه سيفًا وَجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلَّب ، وأقسم عليه أن يتقلده ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلّد به ، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دَمَّاه ، فسُرَّ المهلَّبُ بذلك وقال : مايَسُرُّنى أن أكونَ كنتُ [قد][2] دَفَعْتُه إلى غيرك من وَلَدِى ، اكْفِنِى جِبايةَ خراجِ هاتين الكُورَتَيْنِ ، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ ، فجعلا يَجْبِيانِ ولا يُعْطيانِ الجُنْدَ شيئًا ، ففى ذلك يقول رجلٌ منهم ، وأَحْسِبُه من بنى تميمٍ ، فى كلمةٍ له :

ولو عَلِمَ ابنُ يوسفَ ما نُلاقِى　　من الآفاتِ والكُرَبِ الشِّدادِ
لفاضتْ عينُهُ جَزَعًا علينا　　وأَصْلَحَ ما استطاعَ من الفسادِ
أَلَا قُلْ للأميرِ جُزِيتَ خيرًا　　أَرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقادِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) الزيادة من س و ف .

فما رَزَقَا الجنودَ بها قَفيزًا وقد ساسَتْ مَطامِيرُ الحَصَادِ

يقال « سَاسَ الطعامُ وأَسَاسَ » إذا وقع فيه السُّوس ، و « دَادَ وأَدَادَ » من الدُّودِ ، ورَوَى أبو زيدٍ « دِيدَ فهو مَدودٌ » فى هذا المعنى .

فحاربهم المهلَّبُ بالسِّيرْجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جِيرَفْتَ ، واتبعهم فنزل قريبًا منهم ، واختلفت كلمتهم .

وكان سببُ ذلك أن عَبيدةَ بن هلالٍ اليَشْكُرِىَّ اتُّهِمَ بامرأة رجلٍ حدّادٍ[1] رأوه مرارًا يدخل منزلَه بغير إذنٍ ، فأَتَوْا قَطَرِيًّا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عَبيدةَ من الدِّينِ بحيثُ علمتم ، ومن الجهاد بحيثُ رأيتم ، فقالوا : إنّا لا نُقَارُّه[2] على الفاحشة ، فقال : انصرِفوا ، ثم بَعَثَ إلى عَبيدةَ فأخبره وقال : إنا لا نُقارُّ على الفاحشة ، فقال : بَهَتونى يا أمير المؤمنين ! فما تَرَى ؟ قال : إنى جامِعٌ بينَك وبينَهم ، فلا تَخْضَعْ خُضوعَ المُذْنِبِ ، ولا تَتَطاوَلْ تَطاوُلَ البَرِىءِ ، فجَمَعَ بينهم فتكلَّموا ، فقام عَبيدةُ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ[3]

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « نجار » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال فلان قارٌّ أى ساكنٌ ، وما يتقارُّ فى مكانه . وفى الحديث : قارُّوا الصلاةَ ، ومعناه السكون » .

(٣) « تحسبوه » ضبطت فى أصول الكتاب بكسر السين ، وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة وأبى جعفر بفتحها ، وقرأ باقى الأربعة عشر بالكسر . وانظر إتحاف فضلاء البشر (ص ٣٢٣) . وفى اللسان « وحَسِبَ الشئَ كائناً يَحْسِبُه ويَحْسَبُه ، والكسر أجود اللغتين ، حِسْباناً ومَحْسَبَةً ومَحْسِبَةً : ظَنَّهُ ، ومحْسِبَةٌ مصدر نادرٌ » .

شَرًّا لَكُمْ ، بل هو خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ الآياتِ(١) فَبَكَوْا وقاموا إليه فاعْتَنَقُوه ، وقالوا : اسْتَغْفِرْ لَنَا ، فَفَعَلَ ، فقال لهم عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مولَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ : واللهِ لقد خَدَعكم ! فبايَعَ عبدَ ربِّه منهم ناسٌ كثيرٌ لم يُظْهِروا ولم يَجِدُوا على عَبيدةَ فى إقامة الحدِّ ثَبَتًا .

*

وكان قَطَرِيٌّ قد استعملَ رجلًا من الدَّهَاقِينِ فظهرتْ له أموالٌ كثيرةٌ ، فأَتَوْا قَطَرِيًّا فقالوا : إنَّ عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عُمَّالَهُ على مثل هذا ، فقال قَطَرِيٌّ : إنى استعملتُه وله ضِيَاعٌ وتجاراتٌ ، فأَوْغَرَ ذلك صدورَهم ، وبَلَغَ ذلك المهلَّبَ ، فقال : إنَّ اختلافَهم أشدُّ عليهم مِنِّى .

وقالوا لقطرىٍّ : ألا تَخْرُجُ بنا إلى عدوِّنا ؟ فقال: لا، ثم خرج، فقالوا : قد كَذَبَ وارْتَدَّ ! فاتَّبعوه يومًا فأَحَسَّ بالشَّرِّ، فدخل دارًا مع جماعةٍ من أصحابه ، فصاحوا به : يادابَّةُ اخرُج إلينا !! فخرج إليهم ، فقال : رَجَعْتم بَعْدِى كُفَّارًا ؟! فقالوا : أَوَ لَسْتَ دابةً ؟ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾(٢) ولكنك قد كفرتَ بقولك أَنَّا قد رَجَعْنا كفارًا ، فتبْ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فشاور عَبيدةَ ، فقال : إن تُبْتَ لم يَقْبَلوا منك ، ولكن قُلْ : إنما استفهمتُ فقلتُ أَرجعتم بعدى كفارًا ، فقال ذلك لهم ، فقبلوه منه ، فرجَع إلى منزله ، وعَزَمَ أن يبايِعَ المُقَعْطَرَ العَبْدِيَّ ، فكرهه القومُ وأَبَوْهُ فقال له صالح بن مِخْراقٍ عنه وعن القوم : ابْغِ لنا

---

(١) سورة النور الآيات ١١ فما بعدها .
(٢) سورة هود آية ٦

غيرَ المُقَعْطَرِ ، فقال [لهم][(١)] قطريٌّ : أرَى طولَ العهد قد غَيَّرَ كُمْ ، وأنتم بِصَدَدِ عَدُوِّ كُمْ ، فاتقُوا اللهَ وأَقبِلُوا على شأنِكم ، واستعِدُّوا للقاء القوم ، فقال له صالح بن مِخْرَاقٍ : إنَّ النَّاسَ قبلَنَا [قد][(١)] سامُوا عثمانَ بنَ عفَّانَ أن يَعْزِلَ عنهم سعيدَ بنَ العاصي ففَعَلَ ، ويجب على الإمام أن يُعْفِيَ الرعيَّةَ ممَّا كَرِهَتْ ، فأَبَى قطريٌّ أن يعزلَه ، فقال له القومُ : إنَّا خلعناكَ وولَّينا عَبْدَ رَبِّهِ الصغيرَ ، فانفصل إلى عبد ربه أكثرُ من الشَّطر ، وجُلُّهُمْ الموالى والعَجَمُ ، وكان هناكَ منهم ثمانيةُ آلافٍ ، وهم القُرَّاء ، ثم ندم صالِحُ بنُ مِخْرَاقٍ فقال لقطريٍّ : هذه نَفْحَةٌ من نفحات الشيطان ، فأَعْفِنَا من المُقَعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوِّك ، فأَبَى قطريٌّ إلَّا المُقَعْطَرَ ، فحَمَلَ فَتًى من العرب على صالِح بن مخراقٍ فطعنه فأنفذه وأَجَرَّهُ الرمحَ فقتَله .

ومعنى « أَجَرَّهُ الرمحَ » طعنه وتركَ الرمحَ فيه ، قال عَنْتَرَةُ :

وآخَرَ منهم أَجْرَرْتُ رمحى وفى البَجْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ[(٢)]

فنَشِبَتِ الحربُ بينهم ، فتهايجُوا ، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم ، فلما كان الغدُ اجتمعوا فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فأَجْلت الحربُ عن ألفِ قتيلٍ ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : بَجْلَةُ بطنٌ من العرب ، وهم حلفاء لبنى سُلَيمٍ . عنده ،، وفِي البَجْلِي ،، بإسكان الجيم . قال : وبَجِيلَةُ حيٌّ من اليَمَن ، وبنو بَجَالَةَ بَطْن من بنى ضَبَّةَ . قال الأخفشُ .... » . ثم ضاع باقى الكلام لتمزيق الورق فى هذا الموضع .

العربَ من المدينة ، وأقام عبدُ ربه بها ، وصار قَطَرِيٌّ خارجًا من مدينة جيرُفْتَ بإزائهم ، فقال له عَبيدَة : يا أميرَ المؤمنين ! إنْ أقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليك إلّا أن تُخَنْدِقَ ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة ، وجعل يُناوشهم .

وارتحلَ المهلَّبُ فكان منهم على ليلةٍ ، ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه ، فقال له : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، عاجِلْهُمْ قبلَ أن يصطلحوا ، فقال المهلَّبُ : إنهم لن يصطلحوا ، ولكن دَعْهُمْ ، فإنهم سيصيرون إلى حالٍ لا يفلحون معها ، ثم دَسَّ رجلًا من أصحابه فقال : إيتِ عَسْكَرَ قَطَرِيٍّ فقلْ : إني لم أزَلْ أرى قطريًّا يُصيبُ الرَّأيَ حتى نزلَ منزِلَه هذا ، فبانَ خَطَؤُه ، أيُقيمُ بين المهلَّبِ وعَبْدِ رَبِّهِ ، يغاديه هذا القتالَ ويُراوِحُهُ هذا ؟! فَنَمَى الكلامُ إلى قَطَرِيٍّ ، فقال: صَدَقَ ، تَنَحَّوْا بناعن هذا الموضع ، فإن اتَّبعَنا المهلبُ قاتلناه ، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون ، فقال له الصَّلْتُ بن مُرَّةَ : ياأمير المؤمنين ! إنْ كنتَ [إنما][1] تريدُ اللهَ فأَقْدِمْ على القوم ، وإن كنت [إنما][1] تريد الدنيا فأَعْلِمْ أصحابَك حتى يَسْتأمِنوا ، وأنشأ الصَّلت يقولُ :

قُل لِلْمُحِلِّينَ قد قَرَّتْ عُيونُكُمُ ... بفُرْقَةِ القوم والبَغْضاء والهَرَبِ
كنا أُنَاسًا على دِينٍ فغَيَّرَنَا ... طولُ الجِدالِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعبِ[2]
ما كان أغْنَى رجالًا ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عن الجدالِ وأغناهُم عن الخُطَبِ
إنِّي لأَهْوَنُكُمْ في الأرضِ مُضْطَرَبًا ... مالِي سِوَى فَرَسِي والرُّمْحِ مِن نَشَبِ

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) في ج و س و د « فَفَرَّقَنَا » بدل « فغيرنا » .

ثم قال : أصبحَ المهلَّبُ يرجو مِنَّا ما كُنَّا نطمعُ فيه منه ، فارتحل قطريٌّ ، وبلغ ذلك المهلَّبَ ، فقال لِهُرَيْم بنِ عَدِيٍّ بن أبي طَحْمَةَ المُجَاشِعِيِّ : إني لا آمَنُ أن يكونَ قطريٌّ كادَنا بتركِ موضعه ، فاذهبْ فتَعَرَّفِ الخبر ، فمضى هُرَيْمٌ في اثني عشر فارسًا ، فلم يرَ في المعسكر إلَّا عبدًا وعِلْجًا ، فسألهما عن قطريٍّ وأصحابه ؟ فقالا : مَضَوْا يرتادون غيرَ هذا المنزِلِ ، فرجَع هُرَيْمٌ إلى المهلَّبِ فأخبره ، فارتحلَ المهلَّبُ حتى نزلَ خَنْدَقَ قطريٍّ ، فجعل يقاتلهم أحيانًا بالغداةِ ، وأحيانًا بالعشيِّ ، ففي ذلك يقولُ رجلٌ من سَدُوسَ ، يقالُ له المُعَنِّقُ ، وكان فارسًا :

ليتَ الحرائرَ بالعراقِ شَهِدْنَنا ورأيْنَنَا بالسَّفْحِ ذي الأَجْبالِ
فنَكُحْنَ أهلَ الجُزْءِ من فُرْسانِنا والضَّاربينَ جماجِمَ الأَبْطالِ

❊

ووجه المهلَّبُ يزيدَ إلى الحجاج يُخْبِرُهُ أنه قد نَزَلَ منزلَ قطريٍّ ، وأنه مقيمٌ على عبدِ ربِّهِ ، ويسألُه أن يُوَجِّهَ في أَثَرِ قَطَرِيٍّ رجلًا جَلْدًا في جيشٍ ، فسَرَّ ذلك الحجاجَ سرورًا أظهرَهُ ، ثم كَتَب إلى المهلَّبِ يستحثُّه مع عُبَيْدِ بنِ مَوْهَبٍ ، وفي الكتابِ :

أمَّا بعدُ ، فإنكَ تَتَراخَى عن الحرب حتى تأتيَك رُسُلِي ، فتَرْجِعَ بعُذْرِكَ ، وذلك أنك تُمْسِكُ حتى تَبْرَأَ الجِراحُ ، وتُنْسَى القتلَى ، ويَجِمَّ النَّاسُ ، ثم تَلْقاهم فتَحْتَمِلُ منهم مثلَ ما يحْتَمِلُونَ منك ، مِن وَحْشَةِ القتل ، وأَلَمِ

الجراحِ ، ولو كنتَ تلقاهم(١) بذلك الجِدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ ، والقَرْنُ قد قُصِمَ(٢) ، ولَعَمْرِى ما أنتَ والقومُ سَواءٌ ؛ لأنّ مِن ورائك رجالًا وأمامَك أموالًا ، وليس للقوم إلّا ما معهم ، ولا يُدْرَكُ الوَجيفُ بالدَّبيبِ(٣) ، ولا الظَّفرُ بالتَّعذيرِ .

فقال المهلّبُ لأصحابه : إنّ الله عزّ وجلّ قد أراحكُمْ من أقرانٍ أربعةٍ : قطرىِّ بنِ الفُجاءةِ ، وصالحِ بنِ مِخراقٍ ، وعَبيدةَ بنِ هلالٍ ، وسعْدِ الطّلائع ، وإنما بينَ أيديكم عبدُ ربِّهِ ، فى خُشارٍ من خُشارِ الشيطانِ(٤) ، تقتلونَهم إن شاء الله .

فكانوا يتغادَوْنَ القتالَ ويتَراوَحُون ، فتصيبُهم الجراحُ ، ثم يتحاجَزُون كأنما انصرفوا من مجالس كانوا يتحدّثون فيه ، فيضحكُ بعضُهم إلى بعضٍ ،

---

(١) فى ع و س و د و هـ و ف « تقاتلهم » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قَصَمْتُ الشئَ أقصِمُهُ قصْمًا : إذا كسَرْتَه . جَمَّ الشئُ يَجِمُّ جَمَامًا بفتح الجيم : إذا كَثُرَ ، وجَمَّ الفرسُ جَمامًا : إذا تَرَكَ الضِّرابَ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : الوَجيفُ : ضربٌ من سَيْرِ الإبلِ ، وَجَفَ البعيرُ يَجِفُ وَجْفًا وَوَجِيفًا ، وربما استُعْمِلَ فى الخيلِ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال الأمَوِىُّ : الخُشارُ : الرّدِىءُ من كلِّ شىءٍ ، وقال أبو زيدٍ : الخُشَارةُ : ما بَقِىَ على المائدةِ وغيرِها ممّا لا خيرَ فيه . يقالُ : خَشَرْتُ أخشِرُ خَشْرًا : إذا نقّيْتَ الردىءَ منه » .

فقال عُبَيْدُ بنُ مَوْهَب للمهلَّبِ : قد بانَ عُذْرُكَ ، وأنا مُخْبِرٌ الأميرَ ، فكتب المهلَّبُ إليه :

أمَّا بعدُ ، فإنى لم أُعطِ رسلَك على قول الحقِّ أجرًا ، ولم أُحْتَجْ منهم مع المشاهدة إلى تَلْقِينٍ ، ذكرتَ أنِّى أُجِمُّ القومَ ، ولا بدَّ من راحةٍ يستريحُ فيها الغالبُ ، ويحتالُ فيها المغلوب ، وذكرتَ أنَّ فى ذلك الجمامِ ما يُنْسى القَتْلَى ، وتبرأُ منه الجراحُ ، وهيهاتَ أن يُنْسَى ما بيننا وبينهم ، تأْبَى ذلك قتلى لم تُجَنَّ ، وقُروحٌ لم تتقرَّفْ[1] ، ونحنُ والقومُ على حالةٍ ، وهُم يَرْقُبونَ منَّا حالاتٍ ، إن طَمِعُوا حارَبُوا ، وإن مَلُّوا وَقَفُوا ، وإن يَئِسُوا انصرَفُوا ، وعلينا أن نُقاتِلَهم إذا قاتلوا ، ونَتَحرَّزَ إذا وَقَفُوا ، ونَطْلُبَ إذا هَرَبُوا ، فإن تَرَكْتَنى والرأىَ كان القَرْنُ مَقْصُومًا ، والداءُ بإذنِ اللهِ مَحْسُومًا ، وإن أعجلتَنى لم أُطِعْكَ ولم أعْصِ ، وجعلتُ وَجْهِى إلى بَابِكَ ، وأنا أعوذ باللهِ من سخَطِ اللهِ ، ومَقْتِ الناسِ .

❁

ولما اشتدَّ الحِصارُ على عبدِ ربِّه قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى مَن ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلمَ لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره ، والمسلمُ إذا صَحَّ توحيدُه عَزَّ بربه ، وقد أراحكمُ اللهُ من غِلْظَةِ قَطَرِىٍّ ، وعجلَةِ صالحِ بنِ مخراقٍ

(١) بحاشية ا ما نصه : « المهلبى : كلُّ شىء استتر عنك فقد جُنَّ عنك ، وبه سمِّيَتِ الجنُّ ، وسمِّىَ القبرُ جَنَناً من هذا ، والطِّفْلُ ما دام فى بطن أمه جَنِينٌ ، ويقال : قَرَفْتُ القَرْحَةَ وغيرَها أقرِفها قَرْفاً : إذا نَكأْتَها حتى تَدْمَى » .

ونَخْوتِهِ ، واختلاطِ عَبيدةَ بنِ هِلالٍ ، ووَكَلَكُمْ إلى بَصائِرِكُم[١] ، فالقَوْا عَدُوَّكم بصبرٍ ونيةٍ ، وانتقلوا عن منزلِكم هذا ، مَنْ قُتِلَ منكم قُتِلَ شهيدًا ، ومَنْ سلِمَ من القتلِ فهو المَحْرومُ .

وقَدِمَ فى هذا الوقتِ على المهلَّبِ عُبَيْدُ بنُ أبى رَبيعةَ بنِ أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِىُّ ، يَسْتَحِثُّه بالقتال ، ومعه أمِينَانِ ، فقال له : خالفتَ وصيةَ الأمير ، وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ ، فقال له المهلَّبُ : ما تركتُ جُهْدًا ، فلما كان العَشِىُّ خرج الأزارِقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأموالَهم وخِفَّ مَتاعِهم لِيَنتقلوا ، فقال المهلَّبُ لأصحابه : الزموا مَصافَّكُمْ ، وأشْرِعُوا رماحَكم[٢] ، ودَعوهم والذَّهابَ ، فقال له عُبَيْدٌ : هذا لعَمْرِى أيسَرُ عليك ، فقال للناس : رُدُّوهم عن وِجْهَتِهم[٣] ، وقال لِبَنِيهِ : تَفَرَّقُوا فى الناس ، وقال لعُبَيْدِ بن أبى ربيعة : كُنْ مع يزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة أشدَّ الأَخْذِ ، وقال لأحدِ الأمينَيْنِ : كن مع

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : وَكَلْتُ فلانًا إلى كذا وكذا أَكِلُهُ وَكْلًا ووُكُولًا ، وتقول: كِلْنِى إلى كذا وكذا ، أى: دَعْنِى أقُمْ به ، ومنه اشتقاقُ الوكيلِ . ويقالُ فلانٌ حَسَنُ البَصِيرَةِ : إذا كان مُسْتَبْصِرًا فِى دِينِهِ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : يقالُ أَشْرَعَ القَوْمُ الرماحَ : إذا صَوَّبُوها للطَّعْنِ . قال : ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ : يقالُ أَشْرَعْنا الرماحَ نحوَهُم إِشْرَاعًا فهى مُشْرَعَةٌ ، وشَرَعَتِ الرماحُ أنفُسُها فهُنَّ شَوَارِعُ ، ولغةٌ أخرى : شرعْناها فهى مَشْرُوعَةٌ . وحكى النَّضْرُ بن شُمَيْل : أَشْرَعَتِ الرماحُ فهى مُشْرِعَةٌ » .

(٣) فى س و د و ه و ف « عن وجوههم » .

المغيرةِ ولا تُرَخِّصْ له فى التَّنُّور ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، حتى عُقِرَتِ الدوابُّ ، وصُرِعَ الفُرسانُ ، وقُتِلَتِ الرجالُ . فجعلتِ الخوارجُ تقاتِلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوطِ والعِلْقِ الخسيسِ أشدَّ قتالٍ ، وسَقَطَ رمحٌ لرجلٍ من مرادٍ من الخوارجِ ، فقاتَلوا عليه حتى كَثُرَ الجراحُ والقتلُ ، وذلك مع المَغْرِبِ ، والمُرَادِىُّ يقولُ :

اللَّيْلُ لَيْلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ   وسالَ بالقومِ الشُّرَاةِ السَّيْلُ

* إن جاز للأعداء فينا قَوْلُ *

فلما عظم الخَطْبُ فيه بعثَ المهلَّبُ إلى المغيرة : خَلِّ عن الرمح[1] عليهم لَعنُهُمُ اللهُ[2] ، فَخَلَّوْا لهم عنه .

ثم مَضَتِ الخوارجُ حتى نزلوا على أربعةِ فراسخَ من جِيرُفْتَ ، ودخلها المهلَّبُ ، وأمر بجَمعِ ما كان لهم فيها من المَتَاعِ ، وما خَلَّفُوه من رقيقٍ[3] ، وخَتَمَ عليه هو والثَّقَفِىُّ والأمينَانِ ، ثم اتَّبَعَهم ، فإذاهُم قد نَزَلُوا على عينٍ لايَشْرَب منها إلّا قَوِىٌّ ، يأتِى الرجلُ بالدَّلْوِ قد شَدَّها فى طَرَفِ رمحه فيستقِى بها ، وهناك قريةٌ فيها أهلُها ، فغاداهُم القتالَ ، وضمَّ الثقفىَّ إلى يزيدَ ، وأحدَ الأمينَيْنِ إلى المغيرةِ ، واقتتلَ القومُ إلى نصفِ النهار ، فقال المهلَّبُ لأبى عَلْقمةَ

---

(١) فى ج و س و ف « خَلِّ لهم عن الرمح » .

(٢) كذا فى بعض الأصول ، وفيه شىء من الإغراب، أو الشذوذ . وفى ج و س و د و ه و ف « عليهم لعنة الله » .

(٣) فى ج و س و د و ه و ف « من دقيق » . وهى أجود أو أصح ، لقوله بعد : « وختم عليه » .

العَبْدِيُّ ـ وكان شجاعًا عاتيًا : أَمْدِدْ بخَيْلِ اليَحْمَدِ(١) ، وقُلْ لهم : فلْيُعِيرُونا جَمَاجِمَهُمْ ساعةً ، فقال له : إنّ جَمَاجِمَهُمْ ليست بفَخَّارٍ فتُعَارَ(٢) وليستْ أعناقُهم كَرَادِيَ(٣) فتَنْبُتَ [قال أبو الحسن الأخْفَشُ : تقول العربُ لأعْذَاقِ النَّخْلِ(٤) : كَرَادٍ(٥) ، وهو فارسِيٌّ أُعْرِبَ](٦) وقال لحَبِيبِ بن أَوْسٍ : كُرَّ على القومِ ، فلم يفعلْ ، وقال :

يقولُ لِيَ الأميرُ بغيرِ علمٍ ... تَقَدَّمْ حين جَدَّ به المِرَاسُ

فمالِي إنْ أَطعتُكَ من حياةٍ ... ومالِي غيْرَ هذا الرأسِ راسُ

نَصَبَ « غيرَ » لأنه استثناء مُقَدَّمٌ ، وقد مَضَى تفسيرُه(٧) .

وقال لمَعْنِ بن المغيرة بن أبي صُفْرةَ : احْمِلْ ، فقال : لا ، إلّا أن تُزَوِّجَنِي أُمَّ مالكٍ بنتَ(٨) المهلَّبِ ، فزوّجه ، فحَمَلَ على القوم فكشَفَهم ، وطَعَنَ فيهم ، وقال :

---

(١) فى د « أَمْدُدْ بخيل اليَحْمَدِ » . وبحاشية ا ما نصه : « فى أُخْرَى : أُمْرُرْ بخيل اليَحْمَدِ » .

(٢) فى ج و ف « فتعار ساعةً » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « كَرَادِنَ » وبحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : الكَرْدُ العُنُقُ ، وهو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، وكان أصلُهُ الكَرْدَنَ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « لأعناق النخل » .

(٥) فيها أيضا « كَرَادِنَ » .

(٦) انظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية (ص ٢٧٩) وقد أشرنا إلى هذه القصة هناك .

(٧) فى ص ٤٣١ ــ ٤٣٣ من الجزء الثانى .

(٨) فى ا « بنت المغيرة » وعليها علامة التصحيح .

ليتَ مَنْ يَشْتَرِى الغَدَاةَ بِمالٍ هُلْكَهُ اليومَ عندَنا فيَرَانَا
نَصِلُ السَّكَرَّ عندَ ذاكَ بطَعْنٍ إنَّ لِلْمَوْتِ عندَنا أَلْوَانَا[١]

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَةً عند حَمْلَةٍ حَمَلَهَا عليهم الخوارجُ ، فالتفتَ عند ذلك المهلَّبُ إلى المغيرة فقال : ما فَعَلَ الأَمينُ الذى كان معك ؟ قال : قُتِلَ ، وكان الثَّقَفِىُّ قد هَرَبَ ، وقال ليزيدَ : ما فعلَ عُبَيْدُ بن أبى ربيعةَ ؟ قال : لم أرَهُ منذُ كانت الجولةُ . فقال الأَمينُ الآخرُ للمغيرةِ : أنت قتلتَ صاحبى ، فلما كان العَشِىُّ رجَعَ الثقفىُّ ، فقال رجلٌ من بنى عامرِ بن صَعْصَعَةَ :

ما زلتَ يا ثَقَفِىُّ تخْطُبُ بيننَا وتَغُمُّنا بوصيَّةِ الحَجَّاجِ
حتى إذا ما الموتُ أقبلَ زَاخِرًا وسَمَا لنا صِرْفًا بغيرِ مِزَاجِ
وَلَّيْتَ ياثَقَفِىُّ غيرَ مُنَاظِرٍ تَنْسَابُ بين أَحِزَّةٍ وفِجَاجِ
لستْ مقارعةُ الكماةِ لَدَى الوَغَى
شُرْبَ المُدَامَةِ فى إناءِ زُجاجِ

قوله « بَيْنَ أَحِزَّةٍ » هو جمع حَزِيزٍ ، وهو مَتْنٌ يَنقادُ من الأَرض ويَغْلُظُ ، و « الفِجَاجُ » : الطُّرُقُ ، واحدُها فَجٌّ .

وقال المهلَّبُ للأمين الآخَرِ : ينبغى أن تَتَوَجَّهَ مع ابنِى حَبِيبٍ فى ألفِ رجلٍ حتى تُبَيِّتُوا عسكرَهم ، فقال : ماتُرِيدُ أيُّها الاميرُ إلاّ أن تَقْتُلَنِى كما قَتَلتَ صاحِبِى[٢] ! قال : ذاكَ إليكَ ، وضحك المهلَّبُ ، ولم تَكُنْ للقوم

(١) فى ف زيادة نصها : « المَعْنَى : لَيْتَ مَن يَشْتَرِى النكاحَ بمالٍ ، أى: بمهرٍ يَرَانَا بأى شىءٍ نَشْتَرِيه » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « كما فَعَلْتَ بصاحِبِى » .

خَنادِقُ ، فكان كلٌّ حَذِرًا من صاحبِه ، غيرَ أن الطعامَ والعُدَّةَ مع المهلَّبِ ، وهم فى زهاء ثلاثين ألفاً ، فلما أصبح أشْرَفَ على وادٍ فإذا هو برجل معه رمحٌ مكسورٌ وقد خَضَبَه بالدِّماء ، وهو يُنْشِدُ :

جَزَانِى دَوَائِى ذُو الخِمَارِ وصَنْعَتِى ... إذا باتَ أطْوَاءَ بَنِىَّ الأصاغِرُ
أُخادِعُهم عنـــهُ ليُغْبَقَ دُونَهم ... وأَعْلَمُ غيرَ الظَّنِّ أنِّى مُغاوِرُ
كأنِّى وأبدانَ السِّلاحِ عَشِيَّةً ... يَمُرُّ بنا فى بطنِ فَيْحَانَ طائرُ

فدعاه المهلَّبُ فقال : أتَمِيمِىٌّ أنت ؟ قال : نعم ، قال : أحَنْظَلِىٌّ ؟ قال : نعم ، قال : أيَرْبُوعِىٌّ ؟ قال : نعم ، قال : أثَعْلَبِىٌّ ؟ قال : نعم ، قال : أمِنْ آلِ نُوَيْرَةَ ؟ قال : نعم ، أنا مِنْ وَلَدِ مالكِ بن نُوَيْرَةَ ، وسبحانَ اللهِ أيُّها الأميرُ ! أيكونُ مِثْلِى فى عسكرك لا تعرفه ؟ ! قال : عَرَفْتُك بالشِّعْرِ !!

قوله : « ذُو الخِمَارِ » يعنى فرساً ، وكان ذو الخِمارِ فَرَسَ مالكِ بن نُوَيرةَ ، قال جريرٌ يهجو الفرَزْدقَ :

بيَرْبوعٍ فَخَرْتُ وآلِ سَـــعْدٍ ... فلا مَجْدِى بَلَغْتَ ولا افتخارى
بيربوعٍ فَوارسُ كلِّ يومٍ ... يُوارِى شَمْسَـــهُ رَهَجُ الغُبارِ
عُتَيْبَةُ ، والأُحَيْمِرُ ، وابنُ عَمْرٍو ... وعَتَّابٌ ، وفارِسُ ذى الخِمارِ (١)

(١) بحاشية ا مانصه : « المهلَّبِىُّ : الرَّهَجُ : الغُبارُ ، بفتح الهاء وتسكينها . وعُتَيْبَةُ بنُ الحارثِ بن شِهابٍ اليَرْبُوعِىُّ ، والأُحَيْمِرُ بنُ أبى مُلَيْلٍ اليَرْبُوعِىُّ ، وابنُ قَيْسٍ (كذا فى الأصل) مَعْقِلُ بن قَيْسٍ اليَرْبُوعِىُّ . وعَتَّابٌ ابنُ هَرَمِىٍّ اليَرْبُوعِىُّ . وفارسُ ذى الخِمار مالكُ بن نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعِىُّ » .

قوله : « أَطْوَاءٌ » يقال: رجلٌ طَوِىّ البَطنِ ، أى مُنْطَوٍ ، يُخْبِرُ أنه كان يُؤْثِرُ فَرَسَه على وَلَده ، فيُشْبِعُهُ وهم جياعٌ ، وذلك قوله :

* أُخَادِعُهُمْ عنه لِيُغْبَقَ دُونَهُمْ *

و « الغَبُوقُ » : شُرْبُ آخرِ النهارِ ، وهذا شىء تفتخِرُ(١) به العربُ ، قال الأَسْعَرُ الجُعْفِىُّ :

لَـكِنْ قَعِيدَةُ بيتِنا مَجْفُوَّةٌ   بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِها ولَهَـا غِنَى(٢)
تُقْفِى بِعِيشَـــة أهلِها وَثَّابَةً   أوجُرْشُعًا نَهْدَالمَرَاكِلِ والشَّوَى(٣)

☆

قال : فَـمَكَثُوا أيامًا على غيرِ خَنادقَ ، يتحارسون ودوابُّهم مُسْرَجَةٌ ، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقانِ ، فلما كانت الليلةُ التى قُتِلَ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « تَفْخَرُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المهلَّبِىُّ : الجَنَاجِنُ:عِظَامُ الصَّدْرِ التى تَبْدُو من الإنسانِ إذا هُزِلَ ، واحدُها جِنْجِنٌ وجَنْجَنٌ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « روايةُ ابنِ شاذانَ :

* تُقْفِى بِعِيشَةِ أَهْلِهَا وَثَّابةً *   أو جُرْشُعٌ

قال: والجُرْشُعُ: المُنْتَفِـخُ الجَنْبَيْنِ » . وبحاشيتها أيضا على الشطر الثانى ما نصه : « ويُرْوَى :

* عَبْــــلَ المَحَارِمِ *

والمَرَاكِلُ والمَعَدُّ : مَوْضِـعُ رِجْــلِ الفارسِ من الفَرَسِ » وفى ف ما نصه : « الجَنَاجِنُ : أطرافُ ضُلوعِ الصَّدْرِ ، واحدُها جنجن . وَلهَـا غِنًى ، أى : مُسْتَغْنِيَةٌ . هى جُرْشُعٌ مُمتَلِئُ الجَنْبَيْنِ . والمَرْكَلُ والمَعَدُّ : مَوْضِـعُ رجلِ الفارس من الفَرَسِ » . . . .

فى صَبِيحَتِها(١) عبدُ رَبِّهِ جَمَعَ أصحابَه وقال : يا معشرَ المهاجرين ! إنَّ قَطَرِيًّا وَعَبِيدَةَ هَرَبَا طَلَبَ البقاء ، ولا سبيلَ إليه ، فالْقَوْا عدوَّكم ، فإن غلبوكم على الحياةِ فلا يَغْلِبُنَّكم على الموتِ ، فَتَلَقَّوُا الرماحَ بنُحورِكم ، والسيوفَ بوجوهكم ، وهَبُوا أنفسَكم لله فى الدنيا يَهَبْهَا لكم فى الآخرة .

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلَّبَ فقاتلوه قتالاً شديدًا ، نُسِىَ به ما كان قبلَه ، فقال رجل من الأَزْدِ من أصحاب المهلَّبِ : مَنْ يُبايعنى على الموتِ ؟ فبايعه أربعونَ رجلاً من الأَزدِ وغيرِهم ، فصُرِعَ بعضُهم ، وقُتِلَ بعضٌ ، وجُرِحَ بعضٌ . وقال عبدُ الله بن رِزَامٍ الحارِثِىُّ لأصحابِ المهلَّبِ : احْمِلُوا ، فقال المهلَّبُ : أعرابىٌّ مجنونٌ ! وكان من أهل نَجْرانَ ، فَحَمَلَ وحدَه ، فاخترقَ القومَ حتى نَجَمَ من ناحيةٍ أخرى ، ثم رجع ، ثم كَرَّ ثانيةً ، ففَعَلَ فَعْلَتَهُ الأُولَى ، وتَهايَجَ الناسُ ، فَتَرَجَّلَت الخوارجُ وَعَقَرُوا دوابَّهم ، فناداهم عَمْرُو القَنَا ، ولم يَتَرَجَّلْ هو وأصحابُه من العرب ، وكانوا زُهَاءَ أَرْبَعِمِائَةٍ : مُوتُوا على ظهور دوابِّكم ، ولا تَعْقِرُوها ، فقالوا : إنَّا إذا كُنَّا على الدوابِّ ذَكَرْنَا الفِرَارَ .

فاقتتلوا ، ونادى المهلَّبُ بأصحابه : الأَرضَ الأَرضَ ، وقال لبنيه : تفرَّقُوا فى النَّاسِ لِيَرَوْا وجوهَكم ، ونادى الخوارجُ : أَلاَ إنَّ العِيالَ لمن غَلَبَ ، فصَبَرَ بَنُو المهلَّبِ ، وَصَبَرَ يزيدُ بين يَدَىْ أبيه ، وقاتل قتالاً شديدًا أَبلَى فيه ، فقال له أبوه : يا بُنَىَّ إنى أَرَى مَوْطِنًا لا يَنْجُو فيه إلاَّ مَنْ صَبَرَ ، وَمَا مَرَّ بِى يومٌ مثلُ هذا مُنْذُ مارَسْتُ الحروبَ .

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ و ف « صُبْحَتِها » .

وكَسَرَتِ الخوارجُ أجفانَ سيوفِها ، وتجاولوا ، فأجْلَتْ جَوْلَتُهم عن عبد رَبِّه مقتولاً ، فهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصحابُه ، واستأمنَ قومٌ ، وأجلتِ الحربُ عن أربعةِ آلاف قتيلٍ ، وجَرْحَى كثيرٍ من الخوارج ، فأمَرَ المهلَّبُ بأن يُدْفَعَ كلُّ جريحٍ إلى عشيرته ، وظفِرَ بعسكرهم فحَوَى ما فيه ، ثم انصرفَ إلى جِيرُفْتَ ، فقال : الحمد لله الذى رَدَّنا إلى الخَفْضِ والدَّعَةِ ، فما كان عيشُنا بعيشٍ ، ثم نَظَرَ إلى قومٍ فى عسكره لم يعرفْهُم ، فقال : ما أشدَّ عادةَ السِّلاحِ ! ناوِلُونى دِرْعِى ، فلبسها ، ثم قال : خُذُوا هؤلاء ، فلما صيرَ بهم إليه قال : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ جئنا لِنَطْلُبَ غِرَّتَكَ لِنَفْتُكَ بك ، فأمَرَ بهم فقُتِلوا .

*

[قال أبو العباس][1] : ووَجَّهَ المهلَّبُ كَعْبَ بن مَعْدَانَ الاشْقَرِىَّ ، ومُرَّةَ بن تَلِيدٍ الأزْدِىَّ من أزْدِ شَنوءةَ ، فوَفَدَا على الحجاج ، فلما طَلَعَا عليه تقدَّمَ كعْبٌ فأنشده :

يا حَفْصَ إنِّى عَدَانِى عنكمُ السَّفرُ [وقد سَهِرْتَ فأَرْدَى نَوْمِىَ السَّهَرُ][2]

فقال له الحجاجُ : أشاعرٌ أم خطيبٌ ؟ قال : كلاهما ، ثم أنشده القصيدةَ[3] ، ثم أقبل عليه فقال له : أخبرنى عن بَنِى المهلبِ ؟ قال : المغيرةُ فارسُهم وسيِّدُهم ، وكَفَى بيزيدَ فارساً شجاعًا ، وجوادُهم وسَخِيُّهم قبيصةُ ، ولا يَسْتَحْيِى الشجاعُ أن يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكٍ ، وعبدُ الملك سَمٌّ ناقعٌ ، وحبيبٌ

(١) الزيادة من ف .
(٢) الزيادة من س و ف .
(٣) وهى قصيدة طويلة جيدة ٨٣ بيتا ، اقرأها فى تاريخ الطبرى (ج ٧ ص ٢٧٠ — ٢٧٣) من طبعة المطبعة الحسينية .

موتٌ زُعافٌ ، ومحمدٌ ليثُ غابٍ ، وكفاك بالمفضّلِ نَجْدةً ، قال : فكيف خَلَّفْتَ جماعةَ الناسِ ؟ قال : خلَّفْتُهم بخيرٍ ، قد أدركوا ما أمَّلوا ، وأَمِنُوا ماخافوا ، قال : فكيف كان بَنُو المهلَّبِ فيكم(١) ؟ قال : كانوا حُماةَ السَّرْحِ نهاراً ، فإذا أَلْيَلُوا ففرسانُ البيَاتِ ، قال : فأيُّهم كان أَنْجَدَ ؟ قال : كانوا كالْحَلْقةِ المفرَغةِ ، لايُدْرَى أين طَرَفُها(٢) ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم ؟ قال : كُنَّا إذا أخذنا عفَوْنَا ، وإذا أَخَذُوا يَئِسْنَا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طَمِعْنا فيهم(٣) ، فقال الحجاجُ : إنَّ العاقبة للمتَّقين ، كيف أَفلتَكُمْ قَطَرِيٌّ ؟ قال : كِدْناه ببعضِ ما كادَنَا به ، فَصِرْنا منه إلى الذى(٤) نُحِبُّ ، قال : فهلاَّ اتَّبعتموه ؟ قال : كان الحَدُّ عندنا آثرَ من الفَلِّ ، قال : فكيف كان لكم المهلبُ وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شَفَقَةُ الوالدِ ، وله منّا برُّ الولَدِ ، قال : فكيف اغتِبَاطُ الناسِ ؟ قال : فَشَا فيهمُ الأَمْنُ ، وشملَهُمُ النَّفَلُ . قال : أَكُنْتَ أعددتَ لى هذا الجوابَ ؟ قال : لايعلمُ الغيبَ إلاَّ اللهُ . قال : فقال : هكذا تكونُ واللهِ الرجالُ . المهلَّبُ كانَ أعلمَ بكَ حيثُ وَجَّهكَ .

وكان كِتَابُ المهلبِ إلى الحجاج :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدُ لله الكافى بالإسلام فَقْدَ ما سِوَاهُ ، الذى

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فيهم » .
(٢) فى د و هـ « طرفاها » .
(٣) فى ج و س و د و ف « بَلَغْنا فيهم ءآمَالَنا بإدْراكِ الفُرْصَةِ منهم » وفى س و ف « فيهم » بدل « منهم » .
(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « التى » .

حكم بأن لّا يَنْقَطِعَ[1] المَزِيدُ منه حتى يَنْقَطِعَ الشُّكرُ من عبادِه . أمّا بعد ؛ فقد كان من أمرنا ماقد بَلَغَكَ ، وكنا نحن وعدوُّنا على حالين مختلفَين ، يَسُرُّنا منهم أكثرُ مما يَسُوءُنَا ، ويَسُوءُهُم مِنّا أكثرُ مما يَسُرُّهُم ؛ على اشتداد شوكتهم ، فقد كان عَلَنَ أمرُهُم حتى ارتاعتْ له الفَتاةُ ، ونُوِّمَ به الرَّضيعُ ، فانتهزْتُ منهم الفُرْصَةَ فى وقتِ إمكانها ، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّوادِ ، حتى تعارفَتِ الوجوهُ ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجَلَهُ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَالحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] .

فكتب إليه الحجاج :

أمّا بعدُ ؛ فإنّ الله عزَّ وجلَّ قد فَعَلَ بالمسلمين خيرًا ، وأراحهم من حَدِّ الجهادِ ، وكنتَ أعلمَ بما قِبَلَكَ ، والحمد لله رب العالمين ، فإذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فَيْئَهُمْ ، ونَفِّلِ الناسَ على قَدْرِ بلائِهِمْ ، وفَضِّلْ مَنْ رأيتَ تفضيلَه ، وإن كانتْ بَقِيَتْ من القوم بَقِيَّةٌ فَخَلِّفْ خيلاً تقومُ بإزائِهم ، واسْتَعْمِلْ على كِرْمَانَ مَنْ رأيتَ ، ووَلِّ الخيلَ شهمًا من وَلَدِكَ ، ولا تُرَخِّصْ لأحدٍ فى اللَّحاقِ بمنزله دونَ أنْ تَقْدَم بهم علىَّ ، وعَجِّل القُدوم ، إن شاء اللهُ .

فوَلَّى المهلب ابنه يزيدَ كِرْمَانَ . وقال له : يابُنَىَّ ! إنكَ اليومَ لستَ كما كنتَ ، إنما لكَ من مالِ كِرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجّاج ، ولن تُحْتَمَلَ

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « الذى وَصَلَ المزِيدَ بالشكرِ ، والنِّعْمَةَ بالحمْدِ ، وَقَضى ألاّ ينقطعَ » الخ .

(٢) سورة الأنعام آية ٤٥

إلّا على ما احْتُمِلَ عليه أبوك ، فَأَحْسِنْ إلى مَنْ معك ، وإنْ أنكرتَ من إنسانٍ شيئاً فوَجِّهْهُ إليَّ وتَفضَّلْ على قَوْمِك [إن شاء اللهُ][1] .

وَقَدِمَ المهلَّبُ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه ، وأظهر إكرامَه وبِرَّهُ ، وقال : يا أهلَ العراقِ ! أنتم عبيدُ المهلب ، ثم قال : أنت واللهِ كما قال لَقِيطٌ الإيادِيُّ :

وقَلِّدوا أمرَكم للهِ دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِّراعِ بأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ رَيْثَ يبعثُهُ هَمٌّ يكادُ حَشاهُ يَقْصِمُ الضِّلَعَا
لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العيشِ ساعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مكروهٌ به خَشَعَا
ما زال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أَشْطُرَهُ يكونُ مُتَّبِعاً طَوْرًا وَمُتَّبَعَا
حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ مُسْتَحْكِمَ الرأيِ لاقَحْمًا ولاضَرَعَا

فقام إليه رجل ، فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، والله لَكَأَنِّي أسمعُ الساعةَ قَطَرِيًّا وهو يقولُ : المهلَّبُ كما قال لَقِيطٌ الإيادِيّ ، ثم أنشد هذا الشعرَ ، فَسُرَّ الحجاجُ حتى امتلأ سرورًا . قوله « نَفِّل » أي اقْسِمْ بينهم ، وَالنَّفَلُ : العطيةُ التي تَفْضُلُ ، كذا كان الأصلُ ، وإنما تفضَّلَ اللهُ عز وجل بالغنائم على عبادِه ، قال لَبِيدٌ :

إنَّ تَقْوى ربِّنا خَيْرُ نَفَلْ [وبإذْنِ اللهِ رَيْثٌ وَعَجَلْ]

وقال جل جلاله : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾ ويقال: نَفَّلْتُكَ كذا وكذا أي : أعطيتُك ، ثم صار النَّفَلُ لازمًا واجباً . وقول الإيادِيّ « رَحْبَ الذراع » فالرَّحْبُ : الواسع ، وإنما هذا مَثَلٌ ، يريد: واسعَ الصدرِ ، متباعِدَ

---

(١) الزيادة من س و د و هـ و ف .

ما بينَ المَنْكِبَيْنِ والذراعين، وليس المعنى على تباعُدِ الخَلْقِ، ولكنْ على سهولة الأمر عليه، قال الشاعرُ:

رَحيبُ الذراعِ بالتى لا تَشينُهُ وإن قيلَتِ العَوْراء ضاقَ بها ذَرْعَا

وكذلك قوله جل وعز: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا﴾[1] وقوله «مضطَلِعاً» إنما هو «مُفْتَعِلٌ» من الضَّلِيعِ، وهو الشديد، يريدُ أنه قوىٌّ على أمرِ الحرب، مستقلٌّ بها. وقوله: «يكون متَّبِعاً طوراً ومتَّبَعاً» أى قد اتَّبَعَ الناسَ فعَلِمَ ما يَصْلُحُ به أمرُ الناس، واتُّبِعَ فعَلِمَ ما يُصْلِحُ الرئيسَ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: قد أُلْنَا وَإِيلَ علينا، أى قد أَصْلَحْنا أُمورَ الناس، وأُصْلِحَتْ أُمورُنا. وقوله: «عَلَى شَزْرٍ مَرِيرتُه» فهذا مَثَلٌ، يقال شَزَرْتُ الحبلَ: إذا كَرَرْتَ فَتْلَه بعدَ استحكامِه راجعاً عليه، والمَرِيرةُ: الحبلُ. و«الضَّرَعُ»: الصَّغيرُ الضعيفُ. و«القَحْمُ»: آخرُ سِنِّ الشيخ، قال العَجّاجُ:

رأينَ قَحْمًا شَابَ واقْلَحَمَّا طالَ عليه الدهرُ فاسْلَهَمَّا

وَالمُقْلَحِمُّ مثلُ القَحْمِ، وهو الجافُّ، ويقال للصبىِّ مُقْلَحِمٌّ: إذا كان سَيِّءَ الغِذاء، أو ابنَ هَرِمَيْنِ، ويقال رجلٌ إنْقَحْلٌ وامرأةٌ إنْقَحْلَةٌ: إذا أسَنَّ حتى يَيْبَسَ، والمُسْلَهِمُّ الضامرُ، قال الشاعر:

✡ لمَّا رأتْنى خَلَقاً إنْقَحْلا ✡

ويقال فى معنى: قَحْمٍ قَحْرٌ، ويقال بعيرٌ قُحَارِيَةٌ، فى هذا المعنى.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥ و«حرجا» ضبطت فى الأصول بكسر الراء وهى قراءة نافع وأبى بكر وأبى جعفر وابن محيصن والحسن. وقرأ باقى الأربعة عشر «حرجا» بفتح الراء، وهما بمعنى.

وقوله « لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلاَّ رَيْثَ يبعثُهُ همٌّ » فَرَيْثٌ وَعَوْضٌ مما يضافُ إلى الأفعال ، وتأويلُه أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلاّ يسيرًا حتى يَبْعَثَه الهمُّ ، فمعناه مقدارُ ذلك ، ومما يضافُ إلى الأفعال أسماءُ الزمانِ ، كقوله عز ذكره : ﴿ هذا يومُ ينفَعُ الصادِقينَ صِدْقُهُمْ ﴾ فأسماءُ الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل ، نحو قولك : آتيكَ يومَ يخرجُ زيدٌ ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله ، وما كانَ منها في معنى الماضي جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر ، فتقولُ : جئتكَ يومَ زيدٌ أميرٌ ، ولا يجوز ذلك في المستقبل ، وذلك لأن الماضيَ في معنى إذْ ، وأنت تقول : جئتك إذْ زيدٌ أميرٌ ، والمستقبلُ في معنى إذَا ، فلا يجوز أن تقول : أجيئُك إذا زيدٌ أمير ، فلذلك لا يجوزُ أجيئك يومَ زيدٌ أميرٌ . فأما الأفعال في إذَا وإذْ فهي بمنزلةٍ واحدةٍ ، تقول : جئتك إذْ قام زيد ، وأجيئك إذَا قام زيد ، فهذا واضحٌ بيِّنٌ . ومما يضافُ إلى الفعل « ذُو » في قولك افْعَلْ ذاكَ بذِي تَسْلَمُ ، وافْعَلاهُ بذِي تَسْلَمَانِ ، معناه : بالذى يُسَلِّمُكُمَا ، ومن ذلك آيةٌ في قوله :

بآيةِ تُقْدِمُونَ الخيلَ شُعْثًا كأنَّ على سَنابكها مُدَامَا

والنحوُ يتَّصِلُ وَيكثُرُ ، وإنما تركنا الاستقصاءَ لأنه موضعُ اختصارٍ[1] * فقال المهلَّبُ : إنّا واللهِ ما كنّا أشدَّ على عدونا ولا أحدٌ ، ولكنْ دمَغَ الحقُّ الباطلَ ، وَقَهَرَتِ الجماعةُ الفتنةَ ، والعاقبةُ للتقوى ، وكان ما كرِهناهُ من المطاولة خيرًا مما أحببناهُ من العَجَلة . فقال له الحجاج :

(١) في نسخة زيادة « وقد أتينا على جميع هذا في الكتاب المقتضب » .

صدقتَ ، اذْكُرْ لىَ القومَ الذين أبْلَوْا وصِفْ لى بَلاءَهُمْ . فأمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج ، فقال لهم المهلَّبُ : ما ذَخَرَ اللهُ لكم خيرٌ لكم من عاجلِ الدنيا إن شاء الله . ثم ذَكَرَهم للحجاج على مَرَاتِبهم فى البلاء وتَفاضُلِهِمْ فى الغَنَاء ، وقَدَّمَ بَنيهِ المُغيرَةَ ويَزيدَ ومُدْرِكًا وحَبيبًا وقَبيصَةَ والمُفَضَّلَ وعبدَ الملك ومحمدًا ، وقال : إنه واللهِ لو تَقَدَّمَهُمْ أحدٌ فى البلاء لَقَدَّمْتُهُ عليهم ، ولولا أنْ أظلِمَهم لأخَّرْتُهم . قال الحجاجُ : صدقتَ ، وما أنتَ بأعلمَ بهم مِنِّى وإنْ حضرتَ وغِبْتُ ، إنهم لَسُيوفٌ من سُيوفِ الله . ثم ذَكَرَ مَعْنَ بنَ المُغيرة بنِ أبى صُفْرَةَ والرُّقَادَ وأشباهَهُما ، فقال الحجاجُ : أينَ الرُّقَادُ ؟ فدخَلَ رجلٌ طويلٌ أجْنَأُ(١) ، فقال المهلَّبُ : هذا فارسُ العربِ ، فقال الرُّقَادُ : أيها الأمير ! إنى كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب فكنتُ كبعض الناسِ ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُنى الصَّبرَ ويجعلُنى إسْوَةَ نفسِه وولدِه ويجازينى على البَلاء ، صرتُ أنا وأصحابى فُرْسانًا ؛ فأَمر الحجاجُ بتفضيلِ قومٍ على قومٍ على قَدْرِ بلائِهم ، وزادَ وَلَدَا المهلَّبِ ألفينِ ، وفعل بالرُّقَادِ وجماعةٍ شبيهًا بذلكَ .

قال يزيد بن حَبْناء منَ الأزارِقَةِ :

دَعِى اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليس بِدائِمِ ... ولا تَعْجَلى باللَّومِ يا أُمَّ عاصِمِ !
فإذْ عَجِلَتْ منكِ الملامةُ فاسْمَعِى ... مقالَةَ مَعْنِىٍّ بحقِّكِ عالِمِ
ولا تَعْذُلِينا فى الهَدِيَّةِ إنما ... تكونُ الهدايا مِن فُضولِ المَغانِمِ

---

(١) الأجنأ : الذى فى كاهله انحناء على صدره وليس بالأحدب .

فليس بمُهْدٍ مَنْ يكون نَهارُهُ جِلادًا ويُمْسِي ليلُهُ غيرَ نائمِ
يريدُ ثوابَ اللهِ يومًا بطعنةٍ غَمُوسٍ كَشِدْقِ العَنْبَرِيِّ بنِ سالمِ
أَبِيتُ وسِرْبالِي دِلَاصٌ حَصِينةٌ ومِغْفَرُها والسيفُ فوقَ الحَيازِمِ[1]
حلفتُ بربِّ الواقفين عَشِيَّةً لَدَى عرفاتٍ حَلْفَةً غيرَ آثِمِ
لقد كان فى القوم الذين لقيتُهمْ بِسَابُورَ شُغْلٌ عن بُزُوزِ اللَّطَائمِ
تَوَقَّدُ فى أيديهِمُ زاعِبِيَّةٌ ومُرْهَفَةٌ تَفْرِى شُؤُونَ الجَماجِمِ

قوله « مَنْ يكونُ نهارُه جلادًا ويُمْسِي ليلُه غيرَ نائمِ » يريد : يمسى هو فى ليله ويكونُ هو فى نهاره ، ولكنه جعلَ الفعلَ لِلَّيلِ والنهارِ على السَّعة ، وفى القرآن ﴿ بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ ﴾ والمعنى : بل مكرُكُم فى الليل والنهار ، وقال رجل من أهل البَحْرَيْنِ من اللُّصوصِ :

أمَّا النهارُ ففى قَيْدٍ وسِلْسِلَةٍ والليلُ فى جوفِ مَنْحوتٍ من السَّاجِ

وقال آخر :

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلَانَ فى السُّرىٰ ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائمِ

ولو قال : « مَنْ يكونُ نَهارَه جلادًا ويُمْسِي ليلَهُ غيرَ نائم » لكان جيداً ، وذاك أنه أرادَ : من يكونُ نهارَه يُجَالِدُ جلادًا ، كما تقول : إنما أنت سَيْرًا ، وإنما أنتَ ضَرْبًا ، تريد : تَسِيرُ سَيْرًا ، وتضرب ضربًا ، فأُضْمِرَ لعلم المخاطَب أنه لا يكونُ هو سيرًا ، ولو رَفَعَه على أن يَجْعَلَ الجِلادَ فى موضع

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : الدِّلَاصُ من كل شىء البرَّاق الأملس ، ومنه سميت الدرع دِلَاصًا » .

المُجَالِدِ ، على قوله : أنت سَيْرٌ : أى أنت سائرٌ ، كما قالت الخنساء :

* فإنما هِىَ إقْبالٌ وإدْبارُ *

وفى القرآن ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أى غائراً ، وقد مضى تفسير هذا بأكثرَ من هذا الشرح . ولو قال « ويُمْسِي ليلُهُ غيرُ نائمٍ » لجازَ ، يُصَيِّرُ اسمَه فى « يُمْسِي » ويجعل « ليلُه » ابتداء ، و « غيرُ نائمٍ » خبرُهُ على السعة التى ذكرنا . وقوله « غَمُوسٍ » يريدُ واسعةً مُحيطةً . و « العَنْبَرِىُّ بن سالمٍ » رجلٌ منهم ، كان يقال له الأَشدَقُ . و « اللَّطائِمُ » واحدتُها « لَطِيمةٌ » وهى الإبلُ التى تَحْمِلُ البَزَّ والعِطْرَ . وقوله : « تَوَقَّدُ فى أيديهِمِ زَاعِبِيَّةٌ » يعنى الرِّماحَ ، والتَّوَقُّدُ للأَسِنَّةِ ، والزَّاعبية منسوبةٌ إلى زاعِبٍ ، وهو رجل من الخزْرَجِ كان يعملُ الرماحَ ، و « تَفْرِى » : تَقُدُّ ، يقال : فَرَى : إذا قطعَ ، وأفْرَى : إذا أصْلَحَ .

وقال حَبِيبُ بن عَوْفٍ من قُوَّادِ المهلَّبِ :

أبا سَعيدٍ جَزَاكَ اللهُ صالحــــةً   فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنُفْ على أَحَدِ !
دَاوَيْتَ بالحِلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقَمَعُوا   وكنتَ كالوالدِ الحانى على الوَلَدِ

وقال عَبِيدةُ بن هلالٍ فى هَرَبِهم مع قَطَرِىٍّ :

ما زالتِ الأَقدارُ حتى قَذَفْنَنِى   بقُومِسَ بين الفَرَّخانِ وصُولِ

ويُرْوَى أنَّ قاضِىَ قَطَرِىٍّ وهو رجلٌ من بنى عبدِ القيسِ سمعَ قول عَبِيدةَ بنِ هلالٍ :

عَلاَ فوقَ عَرْشٍ فوقَ سبعٍ ودُونَهُ   سَماءٌ تَرَى الأَرْوَاحَ مِنْ دُونِها تَجْرِى

فقال له العبدىُّ : كَفَرْتَ إلاَّ أن تأْتِىَ بمَخْرَجٍ ، قال : نعم ، رُوحُ المؤمنِ تَعْرُجُ إلى السماء ، قال : صدقتَ . وقال يذكُر رجلاً منهم :

يَهْوِى وترفعُه الرِّماحُ كأنَّه   شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالِبِ ضَارِ[1]
فَثَوَى صَرِيعًا والرماحُ تَنُوشُه   إنَّ الشُّرَاةَ قَصِيرةُ الأَعْمَارِ .

« تَنُوشُهُ » : تأخذُه وتتناوَلُه ، قال الله عز وجل : ﴿ وأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أى التناوُلُ . ومثلُ بيتِه هذا قولُ حَبيبٍ الطائِىِّ :

فِيمَ الشَّمَاتَةُ إعْلانًا بأُسْدِ وَغًى   أَفْناهُمُ الصَّبْرُ إذْ أَبْقاكُمُ الجَزَعُ

وقال أيضاً فى شبيهٍ بهذا المعنى :

إنْ يَنْتَحِلْ حَدَثانُ الموتِ أنفسَكُمْ   ويَسْلَمِ الناسُ بَيْنَ الحوْضِ والعَطَنِ
فالماءُ ليس عَجيبًا أَنَّ أَعْذَبَهُ   يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ

وقال أيضاً :

عليكَ سلامُ اللهِ وَقْفًا فإِنَّنِى   رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ

وقال القاسمُ بن عيسى :

أُحِبُّكِ يا جَنَانُ فأَنْتِ مِنِّى   مكانَ الرُّوحِ من بَدَنِ الجَبانِ
ولَوْ أنِّى أقولُ : مكانَ رُوحِى   لَخِفْتُ عليكِ بادِرَةَ الزمانِ[2]

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : الشِلْوُ شِلْوُ الإنسانِ وغيرِه ، وهو جسده بعد بِلاهُ ، والجمعُ أشلاء » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : بادرة الرجل ما بدر منه من قول أو فعل فعجِلَ به » .

لإقدامِي إذَا ما الحربُ جاشَتْ   وهابَ حُماتُها حَرَّ الطِّعَانِ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ فى خلافِ هذا المعنى :

أكانَ الجبانُ يُرَى أنَّهُ   يُدافِعُ عنه الفِرارُ الأَجَلْ؟

فقد تُدْرِكُ الحادِثاتُ الجَبانَ   ويَسْلَمُ منها الشُّجَاعُ البَطَلْ

رجع الحديثُ : وقال رجلٌ من عبد القيس من أصحاب المهلَّبِ :

سائِلْ بِنا عَمْرَو القَنا وجُنُودَهُ   وأَبَا نَعَامَةَ سَيِّــــدَ الــكُفَّارِ

أبو نَعَامةَ : قطريٌّ . وقال المُغيرة بن حَبْناءَ الحَنْظَلِىُّ من أصحاب المهلَّبِ :

إنِّى امْرُؤٌ كَفَّنِى رَبِّى وأَكْرَمَنِى   عَنِ الأُمورِ التى فى رَعْيِهَا وَخَمُ

وإنما أَنَا إنسانٌ أَعِيشُ كما   عاشَتْ رجالٌ وعاشتْ قبلَها أُمَمُ

ما عاقنى عن قُفولِ الجُنْدِ إذْ قفَلُوا   عَنِّى بما صَنَعُوا عَجْزٌ ولا بَكَمُ

ولو أَرَدْتُ قُفُولاً ما تَجَهَّمَنِى   إذْنُ الأميرِ ولا الـكُتّابُ إذْ رَقَمُوا

إنَّ المُهَلَّبَ إنْ أَشْتَقْ لرؤيتِه   أَوْ أَمْتَدِحْهُ فإنَّ الناسَ قد عَلِمُوا

أنَّ الأَرِيبَ الذى تُرْجَى نوافِلُهُ   والمُسْتعانَ الذى تُجْلَى به الظُّلَمُ

القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائِرُهُ   أبو سَعيدٍ إذا ما عُدَّتِ النِّعَمُ

أَزْمَانَ أَزْمَانَ إذْ عَضَّ الحديدُ بهم   وإذْ تَمَنَّى رجالٌ أنهم هُزِمُوا

قال أبو العباس : وهذا الـكتابُ لم نَبْتَدِئْه لِتَتَّصِلَ فيه أخبارُ الخوارج ، ولـكن رُبَّما اتَّصَلَ شىءٌ بشىءٍ ، والحديثُ ذو شُجونٍ ، ويَقْتَرِحُ المُقْتَرِحُ ما يَفْسَخُ به عزمَ صاحبِ الـكتابِ ، ويصدُّه عن سَنَنِه ، ويزيلُه عن طريقه ، ونحن راجعونَ إن شاء الله إلى ما ابتدأنا له هذا الـكتابَ ، فإن مَرَّ

من أخبارِ الخوارج شىء مَرَّ كما يَمُرُّ غيرُه ، ولو نَسَقْناه على ما جَرَى من ذكرهم لكان الذى يَلِى هذا خبرُ نَجْدَةَ وأَبى فُدَيْكٍ وعُمارةَ الرجلِ الطويلِ وشَبيبٍ ، ولكان يكونُ الكتابُ للخوارجِ مُخْلَصًا .

بابٌ فى اختصار الخُطبِ والتَّحميدِ والمَوَاعظِ

كان الحسنُ يقولُ : الحمد لله الذى كلَّفَنا ما لو كلَّفَنا غيرَه لَصِرْنا فيه إلى معصيته ، وآجَرَنا على ما لا بُدَّ لنا منه . يقول : كلَّفنا الصبرَ ، ولو كلَّفنا الجزَعَ لم يمكنّا أن نقيمَ عليه ، وآجَرَنا على الصبرِ ، ولا بدَّ لنا من الرجوع إليه * وكان علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عندَ التعزية : عليكم بالصبر ، فإنَّ بهِ يَأْخُذُ الحازمُ ، وإليه يعود الجازِعُ * وقال للأَشْعَثِ بن قَيْسٍ : إنْ صبَرْتَ جَرَى عليكَ القَدَرُ وأنتَ مأجورٌ ، وإنْ جَزِعْتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنت مَوْزورٌ * وقال الُخرَيْمِىُّ :

ولو شئتُ أن أبْكِى دمًا لبكيتُهُ عليه ، ولكِنْ ساحةُ الصَّبرِ أوْسَعُ

وفى هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب :

وأَعْدَدْتُهُ ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المَنايا بالذَّخائرِ مُولَعُ

وخَطب أبو طالب بنُ عبد المطَّلِبِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خديجة بنتَ خُوَيْلِدٍ رحمة الله عليها ، فقال : الحمدُ لله الذى جعَلنا من ذرية إبراهيمَ وزَرْعِ إسمعيلَ ، وجعلَ لنا بلدًا حرامًا وبيتًا مَحْجُوجًا ، وجعلَنا الحكّامَ على الناس ، ثم إن محمدَ بن عبد الله ابنَ أخى مَنْ لا يُوَازَنُ به فتًى

من قريشٍ إلاّ رَجَحَ عليه برًّا وفضلاً وكرمًا وعقلاً ومَجْدًا ونُبْلاً ، وإن كانَ في المالِ قُلٌّ[1] فإنما المالُ ظِلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجَعةٌ ، وله في خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم من الصَّداقِ فَعَلَيَّ .
وهذه الخطبةُ من أقصدِ خُطَبِ الجاهلية .

ومن جميلِ محاوراتِ العربِ ما رُوِيَ لنا عن يحيى بن محمد بن عُرْوَةَ عن أبيه عن جده قال : أَقْحَمَتِ السَّنَةُ علينا النابغةَ الجَعْدِيَّ ، فلم يَشْعُرْ به ابنُ الزُّبَيْرِ حينَ صلَّى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقولُ :

حَكَيْتَ لنا الصِّدِّيقَ حين وَلِيتَنَا ... وعثمانَ والفاروقَ فارْتاحَ مُعْدِمُ
وسَوَّيْتَ بين الناسِ في العَدْلِ فاسْتَوَوْا ... فعادَ صَباحًا حالكُ الليـلِ مُظْلِمُ
أتاكَ أبو لَيْلَى يَشُقُّ به الدُّجَى ... دُجَى الليلِ جَوَّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ
لِتَرْفَعَ منه جانبًا ذَعْذَعَتْ به ... صُرُوفُ الليالي والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابنُ الزبير : هَوِّنْ عليكَ أبا لَيْلَى ! فأيْسَرُ وسائلكَ عندنا الشِّعْرُ ، أَمّا صِفْوةُ أموالِنا فلِبَنِي أَسَدٍ ، وأمّا عِفوتُها فلآلِ الصِّدِّيق ، ولك في بيت المالِ حَقّانِ : حقٌّ لصحبتكَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وحقٌّ بحقك في المسلمين ، ثم أمر له بسبعِ قلائِصَ وراحلةٍ رَحِيلٍ ، ثم أمر بأن تُوقَرَ له حَبًّا وتمرًا ، فجعل أبو ليلى يأخذُ التمر فيَسْتَجْمِعُ به الحَبَّ فيأكله ، فقال له ابنُ الزبير : لَشَدَّ ما بلغَ منك الجَهْدُ يا أبا ليلى ؟! فقال النابغة : أَمَا عَلَى ذاكَ

(١) بحاشية ا ما نصه : « المهلبي : القُلّ القليل ، ومن كلامهم : له القُلّ والذُّلّ ، أي القِلة والذلة » .

لسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول · ما استُرْحِمَتْ قريشٌ فَرَحِمَتْ ، وسُئِلَتْ فأعطتْ ، وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ ، ووَعَدَتْ فأنجزَتْ ، فأنا والنبيُّون على الحوض فُرَّاطٌ لِقَادِمِينَ * قوله : « أَقْحَمَتِ السَّنَةُ » يكونُ على وجهين : يقال : « اقتحَمَ » إذا دخل قاصداً ، وأكثرُ ما يقال من غير أن يُدْخُلَ ، ويَكون من « القُحْمَةِ » وهى السَّنةُ الشديدة ، وهو أشبه الوجهين ، والآخرُ حَسَنٌ . و « السَّنَةُ » الجَدْبُ ، يقال : أصابتهم سَنَةٌ أى جَدْبٌ ، ومن ذا قوله جل وعز : ﴿ ولقد أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ ﴾ أى بالجَدْبِ . وقوله : « صِفْوَةٌ » فهى فى معنى الصَّفْوِ ، وأكثرُ ما يُستعملُ الكَسْرُ ، والبابُ فى المصادر للحالِ الدائمةِ : الكَسْرُ ، كقولك : حَسَنُ الجِلْسَةِ والرِّكْبةِ والمِشْيَةِ والنِّيمَةِ ، كأنها خِلْقَةٌ . و « العِفْوَةُ » إنما هو ما عَفا ، أى ما فضَلَ ، و ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ قالوا : الفضل ، وكذلك قولُه جل اسمه : ﴿ ويسألونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلِ العَفْوَ ﴾ . وقولُه : « عَثَمْثَمٌ » يريدُ : المُوَثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ . و « ذَعْذَعَتْ » أى أذهبتْ مالَهُ وفرَّقتْ حالَه . وقوله : « راحلةٍ رَحِيلٍ » أى قويةٍ على الرِّحْلَةِ مُعَوَّدَةٍ لها ، ويقالُ : فَحلٌ فَحِيلٌ ، أى مُسْتَحكِمٌ فى الفِحْلَةِ ، وفى الحديث : أنَّ ابن عمر قال لرجلٍ : اشْتَرِ لِي كبشاً لأُضَحِّيَ به أَمْلَحَ واجْعَلْه أَقْرَنَ فَحِيلاً . وقوله : « فأنا والنبيون على الحَوْض فُرَّاطٌ لِقَادِمِينَ » « الفارط » الذى يتقدم القومَ فيُصْلِحُ لهم الدِّلاءَ والأَرْشيةَ وما أشبه ذلك من أمرِهم حتى يَرِدُوا ، ومن ذلك قولُ المسلمين فى الصلاة على الطفل : « اللهم اجْعَلْهُ لنا سَلَفًا وفَرَطًا » وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أنا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » . وكان يقال : يَكْفِيكَ من قريش أنها أقربُ الناسِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسَبًا ، ومن بيتِ الله بيتًا . ويقال : أنَّ دارَ أَسَدِ بن عبد العُزَّى كان يقال لها : رَضِيعُ الكَعْبَةِ . وذلك أنها كانت تَفِيءُ عليها الكعبةُ صباحًا وتَفِيءُ على الكعبة عَشِيًّا ، وإن كانَ الرجلُ من وَلَدِ أَسَدٍ لَيَطُوفُ بالبيت فينقطعُ شِسْعُ نعلِهِ فيَرْمِي بنعله فى منزله فتُصْلَحُ له ، فإذا عاد فى الطواف رُمِيَ بها إليه . وفى ذلك يقولُ القائلُ :

لِهاشِمٍ وزُهَيْرٍ فَضْلُ مَكْرُمَةٍ ... بحيثُ حَلَّتْ نُجومُ الكَبْشِ والاَسَدِ
مُجاوِرُ البيتِ ذى الأركانِ بيتُهما ... ما دُونَهُمْ فى جِوارِ البيتِ من أحَدِ

وقال آخرُ :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانِعٌ منكَ لَحْمَهُ ... وغَثُّ قريشٍ حيثُ كان سَمِينُ

وقال آخرُ :

وإذا ما أَصَبْتَهُ من قريشٍ ... هاشِمِيًّا أَصَبْتَ قَصْدَ الطريقِ

وقال حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ لأبى مَطَرٍ الحَضْرَمِيِّ يدعوه إلى حِلْفِهِ ونزول مكة :

أَبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إلى صَلاحٍ ... فَتَكْنُفَكَ النَّدامَى من قُرَيْشٍ(١)
وتَأْمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعِيشَ فيهم ... أَبَا مَطَرٍ هُدِيتَ لِخَيْرِ عَيْشِ
وتَسْكُنَ بلدةً عَزَّتْ قديمًا ... وتَأْمَنَ أن يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ

---

(١) فى بعض النسخ « فيكفيك الندامى » . وفى رواية ابن شاذان « فتكفيك الندامى » . وهى توافق رواية اللسان ٣ : ٣٤٩ . وفى طبعات مصر : « فتَكْنُفَ كالندامى » ! وهو خطأ عجيب مخالف للأصول المخطوطة .

« صَلَاحِ » اسمٌ من أسماء مكةَ (١) . وكانت مكةُ بلدًا لَقاحًا ، واللقاحُ : الذى ليس فى سلطانِ مَلِكٍ ، وكانت لا تُغْزَى تعظيماً لها ، حتى كان أمرُ الفِجَارِ ، وإنما سُمِّىَ الفِجارَ لفُجُورِهم إذ قاتلوا فى الحَرَمِ ، وكانت قريشٌ تُعِزُّ الحليفَ وتُكْرِمُ المَوْلَى وتكادُ تُلْحِقُهُ بالصَّمِيمِ ، وكانت العربُ تفعلُ ذلك ، ولقريش فيه تقدُّمٌ .

ودخل سُدَيْفٌ مَوْلَى أبى العباسِ السَّفَّاحِ على أبى العباس أميرِ المؤمنينَ ، وعنده سليمانُ بن هِشَامِ بن عبد الملك ، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقبَّلها ، فلمَّا رأى ذلك سُدَيْفٌ أقبلَ على أبى العباس وقال :

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من أُناسٍ إنَّ تحتَ الضُّلُوعِ داءً دَوِيًّا
فَضَعِ السَّيفَ وارْفَعِ السَّوطَ حتى لا تَرَى فَوْقَ ظهرها أُمَوِيًّا

فأقبلَ عليه سليمانُ فقال : قتلتنى أيها الشيخُ قَتَلَكَ اللهُ ، وقام أبو العباس فدخلَ ، فإذا المنديلُ قد أُلْقِىَ فى عُنُقِ سليمانَ ثم جُرَّ فقُتِلَ .

ودخل شِبْلُ بن عبد الله مولى بنى هاشمٍ على عبد الله بن علىٍّ وقد أجْلَسَ ثمانين رجلاً من بنى أُمية على سُمُطِ الطعامِ ، فَمَثَلَ بين يديه فقال :

أَصْبَحَ المُلْكُ ثابتَ الآساسِ بالبَهاليلِ من بنى العَبَّاسِ
طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فشفَوْهَا بعد مَيْلٍ من الزمان ويأسِ

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « فى الأصل صلاحٍ بالتنوين . قال المهلبى : صلاحِ بغير تنوين وهو اسم لمكة ، و روى صلاحُ بالضم . ابن شاذانَ : هى صلاحِ فى وزن حَذَامِ وقَطامِ ، اسم من أسماء مكة » . وفى اللسان : أنها بالصرف وبالمنع من الصرف .

لاَ تُقِيلَنَّ عبدَ شَمسٍ عِثارًا ... واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وأَوَاسِى
ذُلُّها أظهرَ التَّوَدُّدَ منها ... وبها منكُمُ كحَزِّ المَوَاسِى
ولقد غاظَنِى وغاظَ سَوَائِى ... قُرْبُهُمْ من نَمارقٍ وكَرَاسِى
أنْزِلُوهَا بحيثُ أنزَلَهَا اللهُ بدارِ الهَوَانِ والإتْعاسِ
واذكُرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزيدًا ... وقتيلاً بجانبِ المِهْرَاسِ
والقتيلَ الذى بحَرّانَ أَضحَى ... ثاوِيًا بيْنَ غُرْبَةٍ وتَنَاسِى
نِعْمَ شِبْلُ الهِرَاشِ مولاكَ شِبْلٌ ... لو نَجَا من حَبائِلِ الإفْلاَسِ

فأَمرَ بهم عبدُ الله فشُدِخُوا بالعَمَدِ ، وبُسِطَتْ عليهم البُسُطُ ، وجَلَسَ عليها ، ودعا بالطعام ، وإنه ليَسْمَعُ أَنينَ بعضهم ، حتى ماتوا جميعاً ، وقال لِشِبْلٍ : لولا أنكَ خلَطْتَ كلامَكَ بالمسئَلَةِ لأَغْنَمْتُكَ جميعَ أموالِهِمْ ، ولَعَقَدْتُ لك على جميعِ موالى بنى هاشمٍ * قوله : « الآساسِ » واحدها « أُسٌّ » ، وتقديرها « فُعْلٌ وأَفْعالٌ » وقد يقال للواحد : « أَسَاسٌ » وجمعه « أُسُسٌ » . و « البُهْلُولُ » الضَّحَّاكُ . وقوله : « بعْدَ مَيْلٍ منَ الزمانِ ويَاسِ » يقال : فيك مَيْلٌ علينا ، وفى الحائط مَيْلٌ ، وكذلك كلُّ مُنْتَصِبٍ[1]. وقوله : « واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ » الرَّقْلَةُ : النخلةُ الطويلةُ ، ويقال إذا وُصِفَ الرجلُ

---

(١) قال المرصفى : « فرق بين الميل بالسكون مصدر مال فهو مائل ، و بين المَيَل بالتحريك مصدر مَيِل كطرب فهو أميل ، فالأول فيما حدث وتجدد ، مثل ظل الشمس وجور الظالم ، والثانى فيما ثبت خلقة أو صناعة ، مثل سنام البعير وعنق الظليم والحائط وكل منتصب » .

بالطُّولِ : كأنه رَقْلَةٌ . و « الأَوَاسِيُّ » ياؤُه مشدَّدَةٌ فى الأصل ، وتخفيفها يجوزُ ، ولو لم يَجُزْ فى الكلام لجاز فى الشعر ؛ لأن القافيةَ تَقْتَطِعُه ، وكلُّ مُثقَّلٍ فتخفيفُه فى القوافى جائزٌ ، كقوله :

أَصَحَوْتَ اليومَ أَمْ شاقَتْكَ هِرْ [ومنَ الحُبِّ جُنونٌ مُسْتَعِرْ]

وواحدُها « آسِيَّةٌ » وهى أصلُ البناء بمنزلة الأساسِ . وقوله : « وغَاظَ سَوَائِى » تقول : ما عندى رجلٌ سِوَى زيد ، فتَقْصُرُ إذا كسرتَ أوله ، فإذا فتحتَ أولَه على هذا المعنى مددتَ ، قال الأعشى :

تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتِى وما قَصَدَتْ من أهلِها لِسَوَائِكا

و « السَّواء » ممدود فى كل موضعٍ وإن اختلفت معانيه ؛ فهذا واحدٌ منه ، و « السَّواء » الوَسَط ، منه قوله عز وجل : ﴿فَرَآهُ فى سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾ وقال حَسَّانُ :

يا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ ورَهْطِهِ بعدَ المُغَيَّبِ فى سَوَاءِ المَلْحَدِ

و « السَّواء » : العدلُ والاستواء ، ومنه قوله عز وجل : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ﴾ ومن ذلك : عمرو وزيدٌ سَوَاءٌ ، و « السَّوَاء » : التَّمَامُ ، يقال : هذا درهمٌ سَوَاءٌ ، وأصلُه من الأول ، وقوله عز وجل : ﴿فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ معناه تمامًا ، ومن قرأ ﴿سواءٍ﴾ فإنما وَضَعَه فى موضع مُسْتوياتٍ . و « النَّمَارِقُ » واحدتُها نُمْرُقَةٌ : وهى الوسائد ، قال الفرزدقُ :

وإِنَّا لتَجْرِى الكأسُ بين شُرُوبِنا وبينَ أَبِى قابُوسَ فوقَ النَّمارِقِ[1]

(١) « شروب » جمع شارب ، كشاهد وشهود . وأبو قابوس هو النعمان بن المنذر ملك العرب .

وقال نُصَيْبٌ :

إذا مَا بِساطُ اللَّهْوِ مُدَّ وقُرِّبَتْ ... لِلَذَّاتِهِ أَنْمَاطُهُ ونَمَارِقُهْ

وقوله : « مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ » يعني زيدَ بن عليّ بن الحسين ، كان خَرَجَ على هشام بن عبد الملك ، وقتَلَه يوسفُ بن عُمَرَ الثَّقَفيُّ وصَلَبَهُ بالكُنَاسةِ عُرْيانًا هو وجماعةٌ من أصحابه . ويَرْوِي الزُّبَيْرِيُّونَ أنه كان بين يوسفَ بنِ عُمَرَ وبين رجلٍ إِحْنَةٌ ، فكان يطلب عليه عِلَّةً ، فلما ظَفِرَ بزيد بنِ عليّ وأصحابه أَحَسُّوا بالصَّلْبِ فأَصْلَحُوا مِنْ أَبدانِهم واسْتَحَدُّوا(١) ، فصُلِبوا عُراةً ، وأخذ يوسفُ عَدُوَّه ذلك فَنَحَلَهُ أنه كان من أصحاب زيدٍ فقتلَه وصَلبه ، ولم يَكُنِ استَعَدَّ ؛ لأنه كان عندَ نفسه آمِنًا ، وكان بالكوفة رجلٌ معتوهٌ عَقْدُه التَّشَيُّعُ ، فكان يجيء فيقفُ على زيدٍ وأصحابِه فيقولُ : صلى الله عليك يا ابنَ رسولِ الله ، فقد جاهدتَ في الله حقَّ جهادِه ، وأنكرتَ الجَوْرَ ودافعتَ الظالمينَ ، ثم يُقْبِلُ عليهم رجلاً رجلاً فيقولُ : وأنتَ يا فلانُ : فجزاكَ الله خيرًا ، فقد جاهدتَ في الله حق جهادِه ، وأنكرتَ الجَوْرَ ونصرتَ ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يَقِفَ على عَدُوِّ يوسفَ فيقولُ : فأما أنت يا فلانُ فَوفورُ عانَتِكَ يَدُلُّ على أنكَ بريءٌ مما قُرِفْتَ(٢) به ! * وقال حَبيبُ بنُ جَدَرَةَ ، ويقال : جُدْرَةَ ، وهي السلعةُ ، الهِلاَليُّ . [قال الأَخْفَشُ : الصحيحُ عندنا « ابنُ خِدْرَةَ » بالخاءِ وكسرها ، وقال المبرِّدُ : لم أسمعه إلاَّ « جَدَرَةَ » ويقال : « جُدْرَةُ »] وهو من الخوارج ، يعني زيدَ بنَ عليّ :

---

(١) بحاشية ا : « قال المهلبي : الاستحداد : حلق الشيء بالشيء » .

(٢) قرفه بالشيء : اتهمه به .

يَابَا حُسَيْنٍ لو شُرَاةُ عِصَابَةٍ صَبَحُوكَ كانَ لِوِرْدِهِمْ إِصْدَارُ
يَابَا حُسَيْنٍ والجديدُ إلى بِلًى أولادُ دَرْزَةَ أسلموكَ وطَارُوا

تقول العربُ للسَّفِلَةِ والسُّقَّاطِ: « أولادُ دَرْزَةَ » وتقول لمن تَسُبُّهُ: « ابنُ فَرْتَنَا »، و« أولادُ فَرْتَنَا ». وتقول لِلُّصوصِ: « بنو غَبْرَاء »، وفى هذا بابٌ. ويُروى أنَّ شاعرًا لبنى أُمَيَّةَ قال معارضًا للشِّيَعِ فى تسميتهم زيداً المهدىَّ، والشاعرُ هو الأَعْوَرُ الكَلْبِىُّ:

صَلَبْنا لكم زيداً على جِذعِ نخلةٍ ولم نَرَ مَهْدِيًّا على الجِذعِ يُصْلَبُ

ونُظِرَ بعد زُمَيْنٍ إلى رأسِ زيدٍ مُلْقًى فى دارِ يوسفَ وديكٌ يَنْقُرُه، فقال قائلٌ من الشِّيعةِ:

اطْرُدُوا الديكَ عن ذُؤابةِ زيدٍ طالَ ما كانَ لا تطَاهُ الدَّجاجُ

وقولُه: « وقتيلاً بجانبِ المِهْرَاسِ » يعنى حمزةَ بنَ عبد المطّلب، والمِهْرَاسُ ماءٌ بأُحُدٍ، ويُروى فى الحديث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَطِشَ يومَ أُحُدٍ فجاءه علىٌّ فى دَرَقةٍ بماءٍ من المِهْرَاسِ، فعافه فغَسَلَ به الدمَ عن وجهه » وقال ابنُ الزِّبَعْرَى فى يوم أُحُدٍ:

ليتَ أشياخِى ببَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الخَزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ
فاسأَلِ المِهْرَاسَ مَنْ ساكِنُهُ بعدَ أَبْدَانٍ وهَامٍ كالحَجَلْ

وإنما نَسَبَ شِبْلٌ قتلَ حمزةَ إلى بنى أمية؛ لأن أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ كان قائدَ الناسِ يومَ أُحُدٍ. و« القتيل الذى بِحَرَّانَ » هو إبراهيمُ بن محمد بن علىّ، وهو الذى يقال له الإمامُ، وكان يُقال: ضَحَّى بنو حَرْبٍ بالدِّينِ يوم

كَرْبَلاَء ، وَضَحَّى بنو مروان بالمُرُوءة يوم العَقْرِ ؛ فيومُ كَرْبلاء يومُ الحسين بن على بن أبى طالبٍ وأصحابِهِ . ويومُ العَقْرِ يومُ قُتِلَ يزيدُ بن المهلب وأصحابُهُ * وإنما ذكرنا هذا لتَقَدُّمِ قريشٍ فى إكرامِ مواليها . ولّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشَ مُوتَةَ زيداً مولاه ، وقال : إن قُتِلَ فأميرُكم جعفرٌ ، وأمّرَ رسولُ الله أُسامةَ بن زيدٍ ، فبلغه أن قوماً قد طَعَنُوا فى إمارته ، وكان أمَّرَهُ على جيشٍ فيه جِلّةُ المهاجرينَ والأنصار ، فقال عليه السلامُ : « إنْ طَعَنْتُم فى إمارَته لقَدْ طَعَنْتُمْ فى إمارةِ أبيه قبلَه ، ولقد كان لها أهلاً ، وإنَّ أُسامةَ لها لأَهْلٌ ». وقالت عائشةُ : لو كان زيدٌ حيًّا ما استخلفَ رسولُ الله غيرَهُ . وقال عبد الله بنُ عمر لأبيه : لِمَ فَضَّلْتَ أسامةَ علىَّ وأنا وهو سِيَّانِ ؟ فقال : كان أبوه أَحَبَّ إلى رسول الله من أبيكَ ، وكان أحبَّ إلى رسول الله منكَ . وأوْصَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعضَ أزواجه لِتُميطَ عن أُسامةَ أذًى من مُخَاطٍ أو لُعابٍ ، فكأنها تَكَرَّهتْهُ ، فتَوَلَّى منه ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده . وقال له يوماً ، ولم يَكُنْ أُسامةُ من أجملِ الناسِ : « لو كنتَ جاريةً لنَحَلْنَاكَ وحَلَّيْنَاكَ حتى يَرْغَبَ الرجالُ فيكَ » . وفى بعض الحديث أنه قال: «أسامةُ مِنْ أَحَبِّ الناسِ إلىَّ». وكان صلى الله عليه وسلم أَدَّى إلى بنى قُرَيْظَة مكاتبةَ سَلْمانَ ، فكان سلمانُ مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام : سلمانُ مِنَّا أهلَ البيتِ . ويُرْوَى أنَّ المهدىَّ نُظِرَ إليه ويَدُ عُمارةَ بنِ حمزةَ فى يده ، فقال له رجلٌ : مَنْ هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : أخى وابنُ عمّى

عمارةُ بن حمزةَ ، فلما وَلَّى الرجلُ ذَكَرَ ذلك المهدىُّ كالمازحِ لعُمارةَ ، فقال له عمارةُ : انتظرتُ أن تقولَ ومولاىَ فأَنْفُضَ واللهِ يدَكَ من يدِى ، فتبسمَ أميرُ المؤمنين المهدىُّ . ولم يَكُنِ الإكرامُ للموالى فى جُفاة العربِ زَعَمَ الأَثْيِّ أنه كانتْ بينَ جعفرِ بن سليمانَ وبينَ مِسْمَعِ بنِ كِرْدِينَ منازعةٌ ، وبين يَدَىْ مِسْمَعٍ مَوْلًى له ، له بَهَاءٌ ورُوَاءٌ ولَسَنٌ(١) ، فوَجَّهَ جعفرٌ إلى مِسْمَعٍ مَوْلًى له ليُنَازِعَه ، ومجلسُ مِسْمَعٍ حافلٌ ، فقال : إنْ أنصفَنِى وَاللهِ جعفرٌ أَنْصَفْتُه ، وإن حَضَرَ حضرتُ معَه ، وإنْ عَنَدَ عنِ الحق عَنَدْتُ عنه ، وإنْ وَجَّهَ إلىَّ مولًى مثلَ هذا ، وأَوْمَأَ إلى مولَى جعفرٍ ، فقال : مَوْلًى مثلَ هذا عاضًّا لما يَكْرَهُ ، وَجَّهْتُ إليه ، وأَوْمَأَ إلى مولاه ، فَعَجِبَ أهلُ المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تَبَهَّى بمثله العربُ !! وقد قيلَ : الرجلُ لأبيه ، والمولَى من مَوَالِيه . وفى بعض الأحاديث أنَّ المُعْتَقَ من فَضْلِ طِينَةِ المُعْتِقِ . ويُرْوَى أنَّ سَلْمَانَ أَخَذَ من بين يَدَىْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تمرةً من تمرِ الصدقة فوضعها فى فيه ، فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أبا عبد الله ! إنما يَحِلُّ لك من هذا ما يَحِلُّ لنا » . ويُرْوَى أن رجلاً من موالى بنى مازنٍ يُقال له عبدُالله بن سليمانَ ، وكان من جِلَّةِ الرجالِ ، نازَعَ عَمْرَو بن هدَّابٍ المازنىَّ ، وهو فى ذلك الوقتِ سَيِّدُ بنى تميمٍ قاطبةً(٢) ،

---

(١) بحاشية : « يقال : بَهِىَ يَبْهَى بَهَاءً ، وبَهُوَ يَبْهُو ، والبَهِىُّ : السَّنِىُّ ، والبهاء : ماعلا العينَ حسنُه .. الرُّواء : حسنُ المَنْظَرِ فى البهاء والجمال ، يقال امرأة لها رُواء » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذانَ : يقال جاء القوم قاطبة ، أى بأجمعهم » .

فَظَهَرَ عليه المولَىٰ حتى أُذِنَ له فى هدم دارِه ، فَأَدْخَلَ الفَعَلَةَ دارَ عَمْرٍو ، فلما قَلَعَ من سَطْحِه سَافًا[١] كَفَّ عنه ، ثم قال : يا عَمْرُو ! قد أَرَيْتُكَ القُدْرَةَ وساريكَ العفوَ * وقد كان فى قريشٍ مَنْ فيه جَفْوَةٌ ونَبْوَةٌ . كان نَافِعُ بن جُبَيْرٍ ، أحدُ بنى نَوْفَلِ بن عبد مَنَافٍ ، إذا مُرَّ عليه بالجَنَازَةِ سأل عنها ، فإن قيل قرشىٌّ قال واقوماهُ ! وإن قيلَ عربىٌّ قال : وابَلَدَتَاهُ ! وإن قيل مَوْلًى أو عَجَمِىٌّ[٢] قال : اللهم هُمْ عبادُكَ تَأْخُذُ منهم من شِئْتَ وتَدَعُ مَنْ شِئْتَ !! ويُرْوَىٰ أَنَّ ناسكاً من بنى الهُجَيْم بن عَمْرِو بن تميم كان يقولُ فى قَصَصِهِ : اللهم اغْفِرْ للعربِ خاصّةً وللموالِى عامةً ، فأَمّا العَجَمُ فهم عَبِيدُكَ والأَمْرُ إليكَ !! وزَعَمَ الأصمعىُّ قال : سمعتُ أعرابيًّا يقول لآخر : أَتُرَىٰ هذه العَجَمَ تَنْكِحُ نساءَنَا فى الجنة ؟ قال : أُرىٰ ذلك واللهِ بالأعمالِ الصالحةِ ، قال : تُوطَأُ واللهِ رقابُنا قبلَ ذلك !! وهذا بابٌ لم نكنِ ابتدأنا ذكرَه ، ولكنَّ الحديثَ يَجُرُّ بعضُه بعضاً ، ويُحْمَلُ بعضُه على لفظ بعضٍ .

⁂

ثم نعودُ إلى ما ابتدأناه إن شاء الله ، وهو ما نختارُه من مختصراتِ

---

(١) الساف فى البناء : كل صف من اللبن ، يقال : سافٌ من البناء وسافان وثلاثة آسف ، وألفه واو فى الأصل .

(٢) بحاشية ا : « يقال : رجل أعجمى وعجمى ، فمن قال أعجمى نسبه إلى الأعجم ، ومن قال عجمى نسبه إلى العَجَم . وقالوا العَجَم والعَرَب والعُجْم والعُرْب والأعاجم والأعارب ، وقال الخليل : العَجَم الذين ليسوا من العرب ، ورجل عجمى ليس بعربى ، وأما الذى لا يفصح فهو أعجم والمرأة عجماء وقوم عُجْم لا يفصحون ، ويقولون : هؤلاء العُرب والعُجم ، والعَرب والعَجم أحسن اللغتين » .

الخُطَبِ وجميلِ المواعظِ، والزُّهدِ في الدنيا، المتصلِ بذلك، وبالله التوفيقُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنّا نذكرُ فيه خُطَباً ومواعظَ . فممّا نَذْكُره من ذلك أمرُ التعازِي والمَرَاثِي ؛ فإنّهُ بابٌ جامعٌ، وقد قيل أنه لم يُقَلْ في شيء قَطُّ كما قيل في هذا الباب ؛ لأن الناسَ لا يَنْفَكُّونَ من المَصايبِ، ومن لم يَثْكَلْ أخاه ثَكِلَهُ أخوه، ومن لم يَعْدَمْ نفيسًا كان هو المعدومَ دونَ النفيسِ، وحَقٌّ الإنسانِ الصبرُ على النوائب، واستشعارُ ما صدّرناه، إذ كانت الدنيا دارَ فِراقٍ ودار بَوارٍ، لا دار استواء . وعلى فِراقِ المألوفِ حُرْقَةٌ لا تُدْفَعُ، ولَوْعَةٌ لا تُرَدُّ، وإنما يَتَفاضَلُ الناسُ بصحة الفكر، وحسنِ العَزاء، والرغبةِ في الآخرةِ، وجميلِ الذِّكْرِ، فقد قال أبو خِراشٍ الهُذَلِيُّ، وهو أحدُ حُكَماء العربِ، يَذْكُرُ أخاه عُرْوَةَ بن مُرّةَ :

تَقُولُ أَرَاهُ بعدَ عُرْوَةَ لَاهِيًا ... وذلكِ رُزْءٌ لو عَلِمْتِ جَلِيلُ[1]
فلا تَحْسَبِي أنِّي تناسَيْتُ عهدَه ... ولكنَّ صَبْرِي يا أُمَيْمَ جَمِيلُ

وقال عَمْرُو بن مَعْدِي كَرِبَ :

كم من أخٍ لي حازمٍ ... بوّأتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا[2]

(١) بحاشية ١ : « رواية المهابي أراه بفتح الهمزة ، ورواية ابن شاذانَ أُراه بضمها . ابن شاذان : لاهياً لاعباً » .

(٢) بحاشية ١ : « قال ابن شاذان : قال أبو عمر : الرواية بِتَدِيَّ لحدًا . وقال : تَدِيٌّ اسم موضع » . وهذه فائدة نفيسة ، فان هذا المكان لم يذكر في معجم البلدان ولا صفة ..

أعْرَضْتُ عن تَذْكارِهِ وخُلِقْتُ يومَ خُلِقْتُ جَلْدَا

وكان يقال : من حدَّثَ نفسَه بالبقاء ، ولم يُوَطِّنْها على المصايب فعاجزُ الرَّأْيِ . وعَزَّىٰ رجلٌ رجلاً عن ابنه فقال : أ كانَ يغيبُ عنك ؟ قال : كانت غَيْبَتُه أكْثَرَ من حضوره ، قال : فأَنْزِلْهُ غائباً عنك ، فإنه إن لم يَقْدَمْ عليك قَدِمْتَ عليه . وقال إبْرٰهيمُ بنُ المَهْدِيِّ يذكر ابْنَهُ :

وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي لَعَالِمٌ بأَنِّى وإنْ أبطأْتُ منكَ قَرِيبُ
وإنَّ صَباحًا نَلْتَقِي فى مَسَائِهِ صباحٌ إلى قَلْبِي الغَدَاةَ حَبِيبُ

وكَفىٰ باليَأْسِ مُعَزِّيًا وبانقطاعِ الطَّمَعِ زاجِرًا ، كما قال الشاعرُ :

أَيَا عَمْرُو لم أَصْبِرْ ولِي فيكَ حِيلةٌ ولكنْ دَعانِى اليأسُ منكَ إلى الصَّبْرِ
تَصَبَّرْتُ مغلوباً وإنِّى لَمُوجَعٌ كما صَبَرَ العطشانُ فى البَلَدِ القَفْرِ

وقال بعضُ المُحْدَثِين [قال الأخفشُ : هو حَبِيبٌ الطائىُّ] . وليس بناقِصِهِ حَظَّهُ من الصوابِ أنه مُحْدَثٌ ، يقولُه لرجلٍ رثاه :

عَجِبْتُ لِصَبْرِى بعدَه وهْوَ مَيِّتٌ وقد كنتُ أَبْكِيهِ دَمًا وهو غائبُ
على أنها الأيامُ قد صِرْنَ كلُّها عجائبَ حتى ليسَ فيها عجائبُ

وحُدِّثْتُ : أنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز لمَّا مات ابنُه عبدُ الملك خطَبَ الناسَ فقال : الحمدُ لله الذى جَعَلَ الموتَ حَتْمًا واجبًا على عباده ، فسوَّىٰ فيه بين ضعيفِهم وقويِّهم ، ورَفيعِهم ودَنِيِّهم[1] ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموْتِ ﴾ . فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النُّهىٰ منهم أنهم صائرون إلى قبورهم ، مُفْرَدون

(١) بحاشية ا : « دَنَأَ الرجلُ يَدْنَأُ دناءةً ، ودَنُؤَ يَدْنُؤُ فهو دنىء : لا خيرَ فيه » .

بأعمالهم ، واعلموا أنّ لِله مسألةً فاحصةً . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وله يقولُ القائلُ :

تعزَّ أميرَ المؤمنين فإنّهُ ... لِمَا قَدْ تَرَىٰ يُغْذَىٰ الصَّغيرُ ويُولَدُ
هَلِ ابْنُكَ إلاّ مِنْ سُلالةِ آدمٍ ... لِـكُلٍّ على حَوْضِ المَنِيَّةِ مَوْرِدُ(١)

وقال رجلٌ من قريشٍ يرثى ابنَه [قال أبو الحسن : هو العُتْبِيُّ] :

بأَبِي وأُمِّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ ... بِيَدِي وَوَدَّعَنِي بِماءِ شَبابِهِ(٢)
كيفَ السُّلُوُّ وكيفَ صَبْرِي بعدَه؟ ... وإذَا دُعِيتُ فإنَّما أُكْنَىٰ بِهِ

وقال ابنٌ لعمرَ بن عبد العزيز يرثى عاصِمَ بن عُمَرَ :

فإِنْ يَكُ حُزْنٌ أوْ تَجرُّعُ غُصّةٍ ... أَمَارَا نَجيعاً مِنْ دَمِ الجَوْفِ مُنْقَمَا(٣)
تَجَرَّعْتُهُ فى عاصِمٍ واحْتَسَبْتُهُ ... لَأَعْظَمُ منه ما احْتَسَىٰ وتَجَرَّعَا

وقال أبو سعيدٍ إسحقُ بن خلفٍ يرثى ابنةَ أختِه ، وكان تَبَنَّاها ، وكان حَدِباً عليها كَلِفاً بها :

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : السلالة ما انسَلَّ من الشىء » .

(٢) بحاشية ا : « الهابى : عَبَأْتُ الطيبَ عَبْأً : إذا صنعتَه وخلطتَه . وعبَأْتُ المتاعَ عَبْأً : إذا هيأتَه ، وعبَّأْتُه تعبئةً . قال الخليل : الحنوط بفتح الحاء طِيب يخلط للميت خاصة ، قال : وفى الحديث أن ثموداً لما استيقنوا بالعذابِ تكفنوا بالأنطاع وتحنّطوا بالصَّبِرِ » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : مار يمور موراً : إذا جاء وذهب ، ومار الترابُ على الأرض : إذا جاء وذهب ، ومار التراب على الأرض : إذا نَسَفَتْه الريحُ وأمالته وأجالته » .

أمْسَتْ أُمَيْمَةُ معمورًا بها الرَّجَمُ لَقًى صَعيد عليها التُّرْبُ مُرْتَكِمُ (١)
يا شِقَّةَ النَّفْسِ إنَّ النَّفْسَ وَالِهَةٌ حَرَّى عليكِ ودمعُ العينِ مُنْسَجِمُ (٢)
قد كنتُ أخشى عليها أنْ تُقدِّمَني إلى الحِمَامِ فيُبْدِي وجْهَها العَدَمُ
فالآنَ نِمْتُ فلا هَمٌّ يُؤَرِّقُني يَهْدَا الغَيورُ إذا ما أُوْدَتِ الحُرَمُ
لِلْمَوْتِ عندي أيادٍ لستُ أُنْكِرُهَا أَحْيَا سرورًا وبِي ممَّا أَتَى أَلَمُ

وهذه المرثية ليستْ ممّا تَقَعُ مع الجزَع القَرَاحِ والحزن المُفْرَدِ ، ولكنه بابٌ للمَرَاثي يجْمَعُ أَفْرَاطَ الجزَعِ ، وحُسْنَ الاقتصادِ ، والميلَ إلى التشكي ، والركونَ إلى التَّعَزِّي ، وقَوْلَ مَنْ كان له واعظٌ من نفسه ، أو مُذَكِّرٌ من ربه ، ومَنْ غلبتْ عليه الجساوةُ (٣) ، وكان طبعُه إلى القَساوة ، فقد اختلط كُلٌّ بكلٍّ . وقال رجل من المحْدَثينَ يرثي أخاه (٤) :

تَجِلُّ رَزِيَّاتٌ وتَعْرُو مَصَايِبٌ ولا مِثْلَ ما أنْحَتْ علينا يَدُ الدَّهْرِ
لقد عَرَكَتْنَا للزمانِ مُلِمَّةٌ أذمَّتْ بمحمود الجَلادَةِ والصَّبْرِ (٥)

---

(١) الرجم — بالتحريك — القبر . اللَّقَى : الشيءُ الملقى لهوانه .

(٢) الشقة ، بكسر السين : نصف الشيء إذا شق . وبحاشية ا : « ابن شاذان : ولهت المرأة تَوْلَهُ فهي واله والجمع وُلَّهٌ : إذا استخفها الحزن ، ورجل وله ووراله وولهان ، ونساء ولهات ، الواحدة ولهة ووالهة » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : جسا الشيء يجسو جُسُوًّا وجساوةً : إذا غلظ » .

(٤) فى بعض النسخ « أباه » وهو الصحيح .

(٥) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال عراه يعروه عرواً : إذا حل به . قال : وقوله عركتنا أصل العرك عرك الأديم وغيره وهو الدلك ، وتعارك القوم فى الحرب تعاركا ومعاركة وعراكا . قال : ويقال أنحى عليه ينحى إذا أقبل عليه ضرباً ، وكل من جد فى أمر فقد انتحي فيه ينتحي كالفرس ينتحي فى عدوه » .

فهذا يَحْسُن من قائله أنّ الرُّزْء كان جليلاً بإجماع ، فللقائل أن يَتَفَسَّح فى القول فيه ، وهذا يقولُه عبد العزيز بنُ عبد الرحيم بن جعفر بن سليمانَ بن علىٍّ بن عبد اللهِ بن عباس ، وكان عبدُ الرحيم من جِلَّةِ أهله لَسَنًا[١] ونعمةً وسِنًّا وولايةً ، ومات معزولاً عن اليمن فى حبس الخليفةِ ، وأمُّ جعفر بن سليمانَ أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهم ، فلذلك يقولُ عبد العزيز فى هذه القصيدة :

بموتِك يا عبدَ الرحيم بنَ جعفرٍ ... تَفَاحَشَ صَدْعُ الدِّين عن الأَمِ الكَسْرِ
فيابْنَ النبىِّ المصطفى وابنَ بنتِه ... ويابْنَ علىٍّ والفواطمِ والحَبْرِ
ويابْنَ اختيارِ اللهِ من آلِ آدمٍ ... أبًا فأبًا طُهْرًا يُؤدِّى إلى طُهْرِ
ويابْنَ سليمانَ الذى كان مَلْجَأً ... لِمَنْ ضاقتِ الدنيا به من بنى فِهْرِ
ومَنْ مَلأَ الدنيا سَماحًا ونائلاً ... وروَّى حَجِيجًا بالْمُلَمَّعَةِ القَفْرِ[٢]
لَعَزَّ علينا ما قد نالَنا مِن رَزِيئةٍ ... بموتكَ محبوسًا عَلَى صاحب القَبْرِ
فإن تُضْحِ فى حبس الخليفة ثاوِيًا ... أبِيًّا لِمَا يُعْطِى الذَّلِيلُ على القَسْرِ
لَكَمْ من عدوٍّ للخليفة قد هَوَى ... بكفِّكَ أو أَعْطَى المَقادَةَ عن صُغْرِ
فوا حَزَنا لو فى الوَغَى كان موتُه ... بَكَيْنا عليه بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
وكنّا وَقَيْناه القَنَا بنُحُورِنا ... وفاتَ كذا فى غيرِ هَيْجٍ ولا نَفْرِ[٣]

---

(٤) بحاشية ا : « المهلبى : رجل لَسِنٌ بيِّن اللَّسَن : إذا كان حديد اللسان » .

(٥) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال أرض مُلَمَّعة ومُلمِعة ولمّاعة : يلمع فيها السراب » .

(٦) بحاشية ا : « ابن شاذان : الهَيْج والهِياج اسمان للحرب . والنفْر مصدر نفر ينفُر وينفِر نفراً ونفوراً ، والنفير القوم النافرون للحرب أو غيرها » .

وحُدِّثْتُ أنَّ عمرَ بن الخطاب لمّا وَلَّى كَعْبَ بن سُورٍ الأَزْدِيَّ قضاء البصرةِ أقام عاملاً له عليها إلى أن اسْتُشْهِدَ ، على أنه كان قد عزَله ثم رده ، فلما قام عثمانُ بن عفّانَ أقرَّه ، فلما كان يومُ الجَمَلِ خرج مع إخوة له ، قالوا ثلاثةٌ ، وقالوا أربعةٌ ، وفي عنقه مُصْحَفٌ ، فقُتِلوا جميعاً ، فجاءت أُمُّهم حتى وقفتْ عليهم فقالت :

يا عَيْنُ جُودِي بدمعٍ سَرِبْ   على فِتْيَةٍ من خِيار العَرَبْ
وما لهمُ غَيْرَ حَيْنِ النُّفو   سِ أَيُّ أَمِيرَيْ قريش غَلَبْ ؟

هـذه الرواية « سَرِب » وقالوا معناه : جارٍ فى طريقه ، من قولهـم : « انْسَرَبَ فى حاجته » وبيت ذى الرُّمَّةِ يُخْتارُ فيه الفتحُ * كأنَّه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ * لأنه اسمٌ ، والأولُ المكسورُ نعتٌ ، ويقبح وضعُ النعتِ فى موضع المنعوتِ غيرِ المخصوص [قال أبو الحسن : حقُّ النعتِ أن يأتىَ بعدَ المنعوت ، ولا يقعَ فى موقعه حتى يَدُلَّ عليه فيكونَ خاصًّا له دون غيره ، تقول : جاءنى إنسانٌ طويلٌ ، فإن قلتَ جاءنى طويلٌ لم يجُزْ ؛ لأن طويلاً أعمُّ من قولكَ إنسانٌ ، فلا يدل عليه ، فإن قلت : جاءنى إنسانٌ متكلمٌ ثم قلت بعْدُ : جاءنى متكلمٌ جازَ ؛ لأنك تَدُلُّ به على الإنسان ، فهذا شرحُ قوله المخصوص] . وقولها : « غَيْرَ حَيْنِ النُّفوسِ » نَصْبٌ على الاستثناء الخارج من أول الكلام ، وقد ذكرناه مشروحاً * والمراثى كثيرةٌ كما وصفنا ، وإنما نكتُبُ منها المختارَ والنادرَ والمُتَمَثَّلَ به السائرَ . فمن مَليح ما قِيلَ قولُ رجلٍ يرثى أباه [قال أبو الحسن : يقال أنه ابنٌ لأبى العَتاهِيَةِ] :

قَلْبِ يا قَلْبِ أَوْجَعَكْ مَا تَعَدَّى فَضَعْضَعَكْ (١)
يا أَبِى ضَمَّكَ الثَّرَى وطَوَى المَوْتُ أَجْمَعَكْ
لَيْتَنِى يَومَ مُتَّ صِرْ تُ إلَى تُرْبَةٍ مَعَكْ
رَحِمَ اللهُ مَصْرَعَكْ بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

وقال إبراهيم بنُ المهدىّ يرثى ابنَه، وكان مات بالبصرة :

نَأَى آخِرَ الأيامِ عنكَ حَبيبُ فلِلعَيْنِ سَحٌّ دائمٌ وغُرُوبُ (٢)
دَعَتْهُ نَوًى لاَ يُرْتَجَى أَوْبَةٌ لَها فقَلْبُكَ مسلوبٌ وأنتَ كَئِيبُ
يَؤُوبُ إلى أَوْطَانِهِ كلُّ غائبٍ وأَحْمَدُ فى الغُيَّابِ ليسَ يَؤُوبُ
تَبدَّلَ دارًا غيرَ دارِى وجِيرَةً سِوَايَ، وأحداثُ الزمانِ تَنوبُ
أَقامَ بها مستوطِنًا غيرَ أنَّه على طُولِ أيَّامِ المُقامِ غَرِيبُ
كأَنْ لم يكُنْ كالغُصْنِ فى مَيْعَةِ الضُّحَى سَقاهُ النَّدَى فاهْتَزَّ وهو رَطِيبُ (٣)
كأَنْ لَمْ يَكُنْ كالدُّرِّ يَلمَعُ نُورُهُ بِأَصْدَافِهِ لمَّا تَشِنْهُ ثُقُوبُ
كأَنْ لم يكن زَيْنَ الفِناءِ ومَعْقِلَ النِّـــساءِ إذَا يومٌ يكونُ عَصِيبُ (٤)
ورَيْحَانَ صَدْرِى كانَ حينَ أَشَمُّهُ ومُؤْنِسَ قَصْرِى كانَ حينَ أَغِيبُ
وكانتْ يَدِى مَلأَى به ثم أصبحتْ بحمدِ إلهى وهْىَ منه سَلِيبُ
قليلاً من الأيَّامِ لم يَرْوَ ناظِرِى بها منه حتى أَعْلَقَتْهُ شَعُوبُ (٥)

---

(١) بحاشيـة ا : « ابن شاذان : قوله ضعضعك أى أضعفك، تضعضع الرجل إذا ضعف وخف جسمه » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : السح الصبُّ . وغَرْب الدمع سيله ، والجميع غروب »

(٣) بحاشية ا : « المهلبي : ميعة كل شىء أوله ، وميعة الشباب حدته وأوله » .

(٤) بحاشية ا : « المهلبي : يوم عصيب شديد فى الشر خاصة ، ويوم عصبصب مثله » .

(٥) بحاشية ا : « شعوب من أسماء المنية ، لا يدخله الألف واللام » .

كَظِلِّ سَحَابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعةٍ ... إلى أن أطاحَتْهُ فطاحَ جَنُوبُ
أو الشمسِ لمّا مِنْ غَمامٍ تحَسَّرَتْ ... مَساءً وقد وَلَتْ وحانَ غُرُوبُ
سأبكيكَ ما أبقَتْ دموعِيَ والبُكَى ... بعينَىَّ ماءٌ يا بُنَيَّ يُجِيبُ
وما غارَ نَجْمٌ أوْ تغَنَّتْ حمامةٌ ... أو اخضَرَّ فى فَرْعِ الأَرَاكِ قَضِيبُ
حياتِيَ ما دامتْ حَياتِي فإنْ أمُتْ ... ثَوَيْتُ وفى قلبي عليكَ نُدُوبُ(١)
وأضْمِرُ إنْ أنفَدْتُ دَمْعِيَ لَوْعةً ... عليكَ لها تحتَ الضُلوعِ وَجِيبُ
دَعوتُ أطِبّاءَ العراقِ فلم يُصِبْ ... دَوَاءَكَ منهم فى البلادِ طَبِيبُ
ولَمْ يَمْلِكِ الآسُونَ دفعاً لِمُهْجَةٍ ... عليها لِأَشْرَاكِ المَنُونِ رَقِيبُ
قَصَمْتَ جَناحِي بعدَ ماهدَّ مَنْكِبِي ... أخُوكَ، فرَأسِي قد علاه مَشِيبُ
فأصْبَحْتُ فى الهلاكِ إلاّ حُشاشةً ... تُذَابُ بنارِ الحزْنِ فَهْيَ تَذُوبُ
تَوَلَّيْتُمَا فى حِقْبَةٍ فتَرَكْتُمَا ... صَدًى يَتَوَلَّى تارَةً ويَثُوبُ
فلا مَيْتَ إلاّ دونَ رُزْئِكَ رُزْؤُه ... ولو فُتِّتَتْ حُزْناً عليه قلوبُ
وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي لَعالِمٌ ... بأنِّى وإنْ أبطَأْتُ منكَ قَرِيبُ
وإنَّ صَباحاً نلتقِى فى مَسائِهِ ... صباحٌ إلى قلبِي الغَداةَ حَبِيب

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِي وتَتابَعَ له بَنُونَ:

كَلَّ لسانِى عن وصفِ ما أجِدُ ... وذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقَه أحَدُ
وأوطِنَتْ حُرْقَةٌ حَشايَ فقد ... ذاب عليها الفُؤادُ والكَبِدُ

---

(١) بحاشية ا: «ابن شاذان: النَّدَب الأثر فى الجلد، نَدِب ينْدَب نَدَبًا والجمع ندوب وأنداب. قال: ويقال وجَب قلب الرجل وجيبا إذا خفَق من فزع».

ما عالَجَ الحُزْنَ والحرارَةَ في الـــأَحشاء من لم يَمُتْ له وَلَدُ
فُجِعْتُ باثنين ليس بينهما إلاّ ليالٍ ليستْ لها عَدَدُ
فَكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى على قِدَمِ الـــدَّهرِ وحزني يُجِدُّه الأَبَدُ

وذكر بعضُ الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان عاملاً لعليّ بن أبي طالب على اليمن ، فشَخَصَ إلى عليّ واستخلفَ على اليمن عمرَو بن أَرَاكَةَ الثقفيّ ، فوَجَّهَ مُعاويةُ إلى اليمن ونواحيها بُسْرَ بن أَرْطَاةَ أحدَ بني عامر بن لُؤَيّ ، فقتَلَ عمرو بن أَرَاكَةَ ، فَجَزِعَ عليه عبدُ الله أخوه جَزَعاً شديداً ، فقال أبوه :

لَعَمْرِي لَئِنْ أَتْبَعتَ عينيكَ ما مَضَى به الدهرُ أو ساقَ الحِمامُ إلى القبرِ
لَتَسْتَنْفِدَنْ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ ولو كنتَ تَمْرِيهِنَّ من ثَبَجِ البحرِ
لعمري لقد أَرْدَى ابنُ أرطاةَ فارساً بصَنْعَاءَ كالليث الهِزَبْرِ أبي أَجْرِ
وقلتُ لعبد الله إذْ حَنَّ باكياً تَعزَّ ، ومَاءُ العين مُنْهَمِرٌ يَجْرِي
تَبَيَّنْ فإنْ كان البُكا رَدَّ هالِكاً على أهله فاشْدُدْ بكاكَ على عَمْرِو
ولا تَبْكِ مَيْتاً بعد مَيْتٍ أَجَنَّهُ عليٌّ وعباسٌ وآلُ أَبِي بَكْرِ(١)

قوله : « من ثَبَجِ البحرِ » فثَبَجُ كلّ شيءٍ وَسَطُهُ ، ويروى في الحديث : كنتُ إذا فاتحتُ الزُّهْرِيَّ فَتَحْتُ منه ثَبَجَ البحرِ . وقوله : « تَمْرِيهِنَّ » هو مَثَلٌ ، يقال : « مَرَيتُ الناقةَ » إذا مسحتَ ضَرْعَها لتَدُرَّ ، فإنما هو استخراج اللبن ، ويقال : « مَرَيتُ برجلي الأَرضَ » إذا مسحتَها ، والأصل

(١) بحاشية ا : « أجنّه ، يعني النبي عليه السلام » .

ذلك ، فإنما أراد : ولو كنتَ تستخرجُ الدموعَ من ثَبَج البحر . وكان بُسْرُ بن أَرْطَاةَ فى تلك الحروب أُرْشِدَ عَلَى ابنينِ لعُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهما طفلانِ ، وأمُّهما من بنى الحٰرث بن كعب ، فوارَتْهما ، فيقال أنه أخذهما من تحت ذَيْلِها فقتلهما ، ففى ذلك تقول الحارِثيَّةُ :

أَلاَ مَنْ بَيَّنَ الأَخَوَيْــنِ أُمُّهما هِىَ الثَّكْلَىٰ
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا وتَسْتَنْبِى فَمَا تُنْبَىٰ

وفى ذلك تقول أيضاً :

يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هما كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّىٰ عنهما الصَّدَفُ(١)
يا من أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هما سمعى وطرْفى فطرْفِى اليومَ مُخْتَطَفُ(٢)
يا من أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللذَيْنِ هما مُخُّ العِظامِ فمُخِّى اليومَ مُزْدَهَفُ(٣)
نُبِّئْتُ بُسْرًا ، وما صدَّقتُ ما زعموا مِن قولِهم ومِنَ الإِفْكِ الذى اقْتَرَفُوا
أَنْحَىٰ على وَدَجَىْ طِفْلَىَّ مُرْهَفَةً مَشْحوذةً ، وعظيمُ الإِفكِ يُقْتَرَفُ
مَنْ دَلَّ وَالِهةً حَرَّىٰ مُفَجَّعَةً على صَبِيَّيْنِ غابا إِذْ مَضَى السَّلَفُ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال شَظِىَ الشىْ عن موضعه وتَشَظَّى إذا زال ، والشظا عُظَيم لاصق بعظم الذراع ، فإذا زال عن موضعه قيل شظى يشْظَى » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال حسَّ يَحُسُّ حسًّا وأحسَّ ، من قولهم : حسَسْتُ الشىْ وأحسسته ، والمصدر الحسّ والحسِيس » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب قال : الزهَف الحزن ، زَهِفَ يزهف زهفاً ، وأزهف إزهافاً ، وكذاك ازدهفتَ ازدهافاً » .

ويُروى أن معاويةَ لمّا أتاه موتُ عُتْبةَ تمثّلَ :

إذا سار مَنْ خَلفَ امْرِئٍ وأَمامَهُ ... وأُوحِشَ من أصحابه فهو سائرُ

فلما أتاه موتُ زيادٍ تمثّلَ :

وأُفْرِدْتُ سَهْمًا فى الكِنانة واحدًا ... سَيُرْمى به أو يَكْسِرُ السَّهْمَ كاسِرُ

وماتت امرأةٌ للفرزدقِ بِجُمْعٍ ، ومعنى « جُمْعٍ » وَلَدُها فى بطنها [وإن شئتَ قلتَ « جِمْعٌ » يا فتى] فقال :

وجَفْنِ سِلاحٍ قد رُزِيتُ فلم أَنُحْ ... عليه ولم أَبْعَثْ عليه البَواكيا

وفى جوفِه من دارمٍ ذو حَفيظةٍ ... لَوَ انَّ المَنايا أَنسأَتْهُ لياليا

وهذا من البَغْيِ فى الحُكمِ والتقدُّمِ . وقال رجلٌ من المُحْدَثِينَ فى ابنينِ لعبد الله بن طاهرٍ أُصيبا فى يومٍ واحدٍ وهما طفلانِ ، شَبيهًا بهذا ، ولكنه اعتذر فَحَسُنَ قولُهُ وصحّ معناه باعتذاره ، وهو الطائيُّ :

لَهْفِى على تلك الشواهدِ فيهما ... لو أُمْهِلَتْ حتى تكونَ شمائلا

إن الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّهُ ... أيقنتَ أَنْ سيكونُ بَدْرًا كاملاَ

وقال الفرزدقُ يرثى حَدْراءَ الشَّيْبانيَّةَ :

يقولُ ابنُ صَفْوانٍ بكيتَ ولم تَكُنْ ... على امرأةٍ عَيْنِى إِخالُ لِتَدْمَعا

يقولون زُرْ حَدْرَاءَ، والتربُ دُونَها ... وكيفَ بشىءٍ عَهْدُهُ قد تَقَطَّعا

ولَسْتُ وإنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بزائرٍ ... ترابًا على مَرْمُوسةٍ قد تَضَعْضَعا

وأَهْوَنُ مَفْقودٍ إذا الموتُ نالَهُ ... على المَرْءِ من أصحابه مَنْ تَقَنَّعا

وما ماتَ عندَ ابنِ المَراغةِ مثلها ... ولاَ تَبِعَتْهُ ظاعِنًا يومَ وَدَّعا

وقال جَرِيرٌ يرثى امرأته :

لولا الحياء لهاجني استعبارُ ولزُرتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

نِعْمَ الخليلُ وكنتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ ولدَيَّ منكِ سَكينةٌ ووقارُ

لن يُلبثَ القُرَناء أنْ يتفرَّقوا ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهارُ

صلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّرُوا والصالحون عليكِ والأبْرارُ

أفأُمَّ حَزْرَةَ يا فرزدقُ عِبْتُمُ غَضِبَ المليكُ عليكمُ الجبّارُ

وقال رجلٌ من خُزاعة ، ويُنْحَلُه كُثَيِّرٌ ، يرثى عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان [قال أبو الحسن : الذى صَحَّ عندنا أن هذا الشعرَ لقُطْرُبٍ النحوىّ :

أمَّا القُبُورُ فإنهنَّ أوانِسٌ بجِوارِ قبركَ والديارُ قُبورُ]

جَلَّتْ رَزِيَّتُهُ فَعَمَّ مُصابُهُ فالناسُ فيه كلُّهمْ مأجورُ

[رَدَّتْ صَنائِعُهُ إليه حياتَهُ فكأنَّه من نَشْرها مَنْشُورُ]

والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليه واحدٌ فى كل دارٍ رَنَّةٌ وزَفيرُ

يُثْنِي عليك لسانُ مَنْ لم تُولِهِ خيرًا لأنك بالثَّناء جَديرُ

ومثلُه قولُ عُمارةَ يمدح خالد بن يَزيدَ بن مَزْيَدٍ :

أَرَى الناسَ طُرًّا حامدينَ لخالدٍ وما كلُّهم أفْضَتْ إليه صَنائعُهْ

ولن يَتْرُكَ الأقوامُ أن يمدحوا الفتى إذا كَرُمَتْ أخلاقُه وطَبائعُهْ

فَتًى أمْعَنَتْ ضَرَّاؤُهُ فى عدوِّهِ وخَصَّتْ وعَمَّتْ فى الصديق منافِعُهْ

ومن قوله : « والناسُ مَأْتَمُهم عليه واحدٌ » أخذَ الطائىُّ فى مَرْثِيَتِهِ :

لَئنْ أُبْغِضَ الدهرُ الخؤونُ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي به حَيًّا يُحَبُّ به الدَّهرُ

لئن عَظُمَتْ فيهِ مُصيبةُ طَيِّءٍ   لَمَا عُرِّيَتْ منها تميمٌ ولا بَكْرُ

وقال القرشيُّ :

قد كنتُ أبكي على مَنْ فات من سَلَفي   وأهلُ وُدِّي جميعٌ غيرُ أشتاتِ
فاليومَ إذْ فرّقَتْ بيني وبينَهمُ   نَوًى بكيتُ على أهل المُرُوآتِ
وما بقاءُ امرئٍ كانت مَدامعهُ   مقسومةً بين أحياءٍ وأمواتِ

ويُروى أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه تمثّل عند قبرِ فاطمةَ عليها السلام :

[لِكُلِّ اجتماعٍ من خليلَيْنِ فُرْقَةٌ   وإنَّ الذي دُونَ الفِراقِ قَليلُ]
وإنَّ افتقادِي واحدًا بعدَ واحدٍ   دليلٌ على أن لّا يدومَ خليلُ

وقال عَقيلُ بن عُلَّفَةَ المُرِّيُّ من غَطفانَ :

لَعَمْرِي لقد جاءتْ قَوافِلُ خَبَّرَتْ   بأمرٍ من الدنيا عليَّ ثقيلِ
وقالوا ألاَ تَبْكي لِمَصْرَعِ هالِكٍ   أصابَ سبيلَ الله خيرَ سَبيلِ
كأنَّ المَنايا تبتَغِي في خِيارِنا   لها تِرَةً أو تهتدِي بدليل
لِتأتِ المَنايا حيثُ شاءتْ فإنها   مُحَلَّلَةٌ بعدَ الفَتَى ابنِ عَقيلِ
فَتًى كان مولاه يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ   فَحَلَّ المَوالِي بعدَه بمَسيلِ

وتمثّلتْ عائشةُ عندَ قبرِ عبد الرحمن بن أبي بكرٍ بقول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ :

وكُنَّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً   من الدهرِ حتى قيلَ لن يَتَصَدَّعَا
وعِشْنا بخيرٍ في الحياةِ وقبْلَنا   أصابَ المنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا
فلمّا تفرّقنا كأنِّي ومالكًا   لطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

ومات صَدِيقٌ لسليمانَ بن عبد الملك ، يقال له شَرَاحِيلُ ، فتمثَّل عندَ قبرِه :

وهَوَّنَ وجْدِي عن شَرَاحيلَ أَنّنِي إذا شئتُ لاقيتُ امْرَأً مات صاحِبُهْ

وقال أعرابيٌّ :

أَلاَ لَهْفَ الأَرَامِلِ واليَتَامَى ولَهْفَ الباكِياتِ على قُصَيٍّ
لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ على قُصَيٍّ مَتَالِفَ بين حَجْرٍ والسُّلَيِّ
ولـكِنِّي خَشِيتُ على قُصَيٍّ جَرِيرَةَ رُمْحِهِ فى كل حَيِّ
فَتَى الفِتْيانِ مُحْلَوْلٍ مُمِرٌّ وأَمَّارٌ بِإِرْشــادٍ وغَيِّ

فهذا الشعرُ من أجْفَى أشعار العربِ ، يُنْبِىءُ صاحبُه أنَّ تقديرَه فى المَرْثِيِّ أن تكونَ منيَّتُه قتلاً ، ويتأسَّفُ من موته حَتْفَ أنفِه ، ويقول فى مدحه : « وأَمَّارٌ بِإِرْشادٍ وغَيٍّ » * وشبيهٌ بهذا قولُ لَبِيدٍ فى أخيه أَرْبَدَ ، لمَّا أصابته الصاعقةُ وأصابتْ عامِرًا الغُدَّةُ بدعوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عامِرُ بن الطُّفَيْلِ صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أَرْبَدُ ، فقال لِأَرْبَدَ : أنا أَشْغَلُهُ لكَ واضْرِبْهُ أنت بالسيفِ من ورائِه ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على أن يجعل له أَعِنَّةَ الخيلِ ، فقال عامِرٌ : ومَنْ يمنعُها اليومَ منِّى ، ولـكنْ إن شئتَ فَلَكَ المَدَرُ ولِيَ الوَبَرُ ، أوْ لِيَ المَدَرُ ولك الْوَبَرُ ، فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : فاجعلْ لِي هذا الأمرَ بعدكَ ، فأعلمه النبيُّ أنَّ ذلك ليس بكائنٍ ، قال : فأَبْشِرْ بخيلٍ أَوَّلُها عندكَ وآخرُها عندِى ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَأْبَىَ اللهُ ذلكَ وابنا قَيْلَةَ ، يعنى الأَوْسَ والخزْرَجَ . ويُرْوَى

أنَّ سعدَ بن عُبَادَةَ قال : يا رسول الله ، عَلامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابيُّ لسانَه عليكَ ؟! دَعْنِي أقتُلْهُ . ويُروَى أن عامرًا قال للنبي عليه السلام : لَأَغزُوَنَّكَ على ألفِ أشقَرَ وألفِ شقراء ، فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ اكْفِنِيهِما . وتَرْوِي قَيْسٌ أنه قال : اللهمَّ إن لم تَهْدِ عامرًا فاكْفِنِيهِ .
وقال عامرٌ لأَرْبَدَ : قد شغلته عنك مرارًا فألَّا ضربتَهُ ؟ قال : أرْبَدُ : أردتُ ذلك مرتين فاعتَرضَ لى فى إحداهما حائطٌ من حديدٍ ، ثم رأيتكَ الثانيةَ بيني وبينَه ، أفأقتُلُكَ ؟ فلم يَصِلْ واحدٌ منهما إلى منزله ، أمَّا عامرٌ فغُدَّ فى ديارِ بني سَلُولِ بن صَعْصَعَةَ ، فجعلَ يقول : أغُدَّةً كغُدَّةِ البعيرِ وموتًا فى بيتِ سَلُولِيَّةٍ ؟! وأمّا أرْبَدُ فارتفعتْ له سحابةٌ فرَمَتْهُ بصاعقةٍ فأحرقتْه ، وكان أخا لبيدٍ لأُمه ، فقال يرثيه :

أخْشَىٰ على أرْبَدَ الحُتُوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
ما إنْ تُعَرِّى المَنُونُ من أحدٍ ... لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ
فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصواعقُ بالـ ... ـفارسِ يومَ الكريهةِ النَّجُدِ
يا عَيْنِ هَلَّا بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وقامَ العَدُوُّ فى كَبَدِ(١)

وقال أيضًا :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكْنافِهِمْ ... وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يتحدَّثون مَخانَةً ومَلاذةً ... ويُعابُ قائلُهم وإن لم يَشْغَبِ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال رجل نَجْد ونَجُد ونَجِد بيِّن النجدة : إذا كان جلداً قويا . قال : والكَبَد الشدة والمشقة » .

يا أَرْبَدَ الخيرِ الكريمَ جُدُودُهُ غادَرْتني أَمْشِي بقَرْنٍ أَعْضَبِ
إنَّ الرَّزِيئةَ لا رَزِيئةَ مثلُها فِقْدانُ كلِّ أخٍ كَضَوْءِ الكَوْكَبِ

قوله : « فى خَلْفٍ » يقال : هو « خَلْفُ فلانٍ » لمن يَخْلُفُهُ من رهطه ، وهؤلاء « خَلْفُ فلانٍ » إذا قاموا مَقامَه من غير أهلِه ، وقلما يستعمل « خَلْفٌ » إلاّ فى الشرّ ، وأصلُه ما ذكرنا . و « المَخَانَةُ » مصدرٌ من الخيانة . و « المَلُوذُ » الذى لا يَصْدُقُ فى مودَّتِه ، يقال : رجل مَلوذٌ ومَلْذانٌ ، و«مَلاذةٌ» مصدرُه . و «الأَعْضَبُ» المقطوعُ ، وفى الحديث : « لا يُضَحَّى بعَضْبَاء » . ويُروَى أن رجلاً قال لِمَعْنِ بن زائدة فى مرضِه : لولا ما مَنَّ اللهُ به من بقائِك لَكُنّا كما قال لَبيدٌ :

ذَهَبَ الذين يُعاشُ فى أَكنافِهم وبقيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ(١)

فقال له مَعْنٌ : إنما تَذْكُر أَنِّى سُدْتُ حين ذهبَ الناسُ ! هلاَّ قلتَ كما قال نَهارُ بن تَوْسِعةَ :

قَلَّدَتْهُ عُرَى الأُمورِ نِزَارٌ قبلَ أن تَهْلِكَ السَّرَاةُ البُحورُ

ثم نَرجِع إلى ذكر المراثى : وقال أعرابىٌّ :

لَعَمْرِى لقد نادَى بأرفعِ صوتِه نَعِيُّ حُيَيٍّ أن سيِّدَكم هَوَى
أَجَلْ صادقاً والقائلُ الفاعلُ الذى إذا قال قولاً أَنْبَطَ الماءَ فى الثَّرَى

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال إنما يقال فلان خَلَفٌ صالح وفلان خَلْفُ سَوْء ، وهم خِلاَف صدقٍ وأخلاف صدقٍ » .

فتًى قُبُلٌ لم تُعْنِسِ السِّنُّ وَجْهَهُ ... سِوَى وَضَحٍ فى الرأسِ كالبَرْقِ فى الدُّجَى
أشارتْ له الحربُ العَوَانُ فجاءها ... يُقَعْقِعُ بالأَقْرابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى[1]
ولم يَجْنِها لكنْ جَناها وَلِيُّهُ ... فآسَى وآداهُ فكان كمَنْ جَنَى

ويُروى : أنَّ عائشةَ رضى الله عنها نظرتْ إلى الخنساءِ وعليها صِدَارٌ[2] من شَعَرٍ ، فقالت : يا خنساءُ ! أتَلْبَسِينَ الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه ؟ فقالت : لم أعلمْ بِنَهْيِهِ ، ولكنْ لهذا الصِّدارِ سببٌ ، فقالت : وما هو ؟ قالت لها : كان زوجى رجلاً مِتْلافًا فأَخْفَقَ ، فأرادَ أن يسافرَ ، فقلتُ له : أقِمْ وأنا آتِى أخى صَخْرًا فأسألُه ، فأتيته فشاطَرَنى مالَهُ ، فأتلفه زوجى ، فعُدْتُ له فعادَ لى بمثل ذلك ، فأتلفه زوجى ، فعدتُ له ، فلما كان فى الثالثة أو الرابعة قالت له امرأةٌ [له][3] : إن هذا المال مُتْلَفٌ ، فامنَحْها شِرارَها ، فقال صخرٌ :

واللهِ لا أَمْنَحُها شِرارَها ... ولو هَلَكتُ خَرَّقَتْ خِمارَها
واتَّخَذَتْ من شَعَرٍ صِدارَها .

فلما هلكَ اتخذتُ هذا الصِّدارَ . وكان صخرٌ أخا الخنساءِ لأبيها فقط .

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : القعقعة اضطراب السلاح بعضه ببعض : والقُرْبُ الكشح ، وهو الخصر ، وجمعه أقراب . ويقال: هذا وليّ الأمر دون فلان ، وهو الأَوْلى ، ويقال آساه وواساه وآداه إيداء ، أى أعانه » .

(٢) بحاشية ا : « المهلبى: الصدار ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر والمنكبين تلبسه المرأة ، وأنشد :

* وتدمع حتى اخضلّ منها صِدارُها * » .

(٣) الزيادة من ثلاث نسخ .

ويُروى عن بعض نساء بنى سُلَيمٍ أنها نظرتْ إليها فى صِدارٍ وهى تُصنع طِيبًا لابنتها لتَنقُلَها إلى زوجها ، فقَاوَلَتْها فى شىء كرِهتْه الخنساء ، فقالت لها : اسكتِى ، فواللهِ لقد كنتُ أبسطَ منكِ عَرْفًا[1] ، وأطيبَ منكِ وَرْسًا ، وأحسنَ منك عُرْسًا ، وأرَقَّ منكِ نَعْلًا ، وأكرمَ منك بَعْلًا .
وكان بَشّارٌ يقول : لم تَقُلِ امرأةٌ شعرًا قَطُّ إلا تَبيَّنَ الضعفُ فيه ، فقيلَ له : أوَ كذلكَ الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربعُ خصًى ! !

وقال القُرَشِىُّ وتَتابَعَ لَهُ بنونَ :

أسُكَّانَ بطْنِ الأرضِ لو يُقْبَلُ الفِدَا ... فُدِيتُمْ وأعْطَيْنَا بكم ساكِنِى الظَّهْرِ
فيا ليتَ مَنْ فيها عليها وليَتَ مَنْ ... عليها ثَوَى فيها مقيمًا إلى الحشْرِ
فماتوا كأنْ لم يَعْرِفِ الموتُ غيرَهم ... فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قَبْرِ
لقد شَمِتَ الأعداءُ بِى وتَغَيَّرَتْ ... عيونٌ أراها بعد موتِ أبى عَمْرِو
تَجَرَّى علىَّ الدهرُ لمَّا فَقَدْتُهُ ... ولو كان حَيًّا لاجْتَرَأْتُ على الدهْرِ
وقاسَمَنِى دهرِى بَنِىَّ مُشاطِرًا ... فلمّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مالَ فى شَطْرِى[2]

وحدثنى العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشِىُّ قال : قَدِمَ رجلٌ من البادِيَة ، فلما صارَ بجَبَلِ سَنَامٍ ماتَ له بنونَ ، فدفَنَهم هناكَ وقال :

دَفَنْتُ الدافِنِينَ الضَّيْمَ عَنِّى ... بِرابِيَــةٍ مُجاوِرَةٍ سَنَامَا
أقولُ إذا ذَكرتُ العَهْدَ منهمْ ... بنفسِى تلكَ أَصْداءً وهَامَا

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال شَمِمْتُ منه عَرفًا طيِّبًا ، أى أرِيجًا » .
(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : الشطر النصف من كل شىء » .

فلم أرَ مثلَهم ماتوا جميعًا ولم أرَ مثلَ هذا العامِ عامَا

قال أبو الحسن الأخفشُ : وفيها عن غيرِ أبي العباسِ :

فليتَ حِمامَهمْ إذْ فارقوني تلقَّانا فكانَ لنا حِمامَا

قال أبو العباس : ويُروى أنَّ رجلاً كان له بنونَ سبعةٌ ، يَرْوِى ذلك أبو الحسن المَدائِنيُّ ، قال أبو العباس : فاختُلِفَ عليَّ فيهم ، فقال قوم : كانوا تحتَ حائطٍ ، وقال قومٌ آخرون : بل حُلِبَ لهم فى عُلْبةٍ فمَجَّ فيها أفْعَى فبُعِثَ بها إليهم فشربوها فماتوا جميعاً ، والرجلُ يقالُ له الحٰرِثُ بن عبد الله الباهلىُّ ، وهلكتْ لجارٍ له شاةٌ فجعلَ يُعْلِنُ بالبكاء عليها ! فقال قائلٌ :

يا أيُّها الباكِى على شاتِهِ يَبْكِى جِهارًا غيرَ إسْرارِ

إنَّ الرَّزِيَّاتِ وأمثالَها مَا لَقِىَ الحٰرِثُ فى الدَّارِ

دَعَا بَنِى مَعْنٍ وإخوانَهُمْ فكُلُّهم يَعْدُو بِعِحْفارِ

⁂

قال أبو العباس : والمصائبُ ما عَظُمَ منها وما صَغُرَ تقع على ضربين : فالحزْمُ التَّسَلِّى عمّا لا يُغْنِى الغَمُّ فيه ، والاحتيالُ لدفعِ ما يُدْفَعُ بالحيلةِ .
ومِنْ أحْسَنِ القولِ فى هذا المعنَى فى الإسلام ، قولُ علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالبٍ عليهم السلام ، حينَ مات ابنُه فلم يُرَ منه جزَعٌ ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : أمْرٌ كُنّا نتوقَّعُه ، فلما وَقَع لم نُنْكِرْهُ . وفى هذا زيادةٌ تُنْتَظَرُ ، وفضْلُ تسليمٍ لقضاء الله عز وجل . والعربُ تقولُ : الحذَرُ أشَدُّ من الوَقِيعة . وقال رجلٌ من الحكماء : إنما الجزَعُ والإشْفاقُ قبلَ وقوعِ

الأمر ، فإذا وقع فالرِّضا والتسليمُ . ومن هذا قولُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : إذا استأثر اللهُ بشيءٍ فالْهَ عنه . يقال : « لَهِيتُ عن الأمرِ ألْهَى » إذا أضربتَ عنه[١] ، و « لَهَوْتُ ألْهُو » من اللَّعِبِ . ومن أقْدَمِ ما قيلَ في هذا المعنى قولُ أوْسِ بن حَجَرٍ الأُسَيْدِيِّ ، من بنى أُسَيِّدِ[٢] بن عَمْرِو بن تَمِيم ، يَرْثِي فَضَالَةَ بنَ كَلَدَةَ أحدَ بنى أسَدِ بن خُزَيْمَة :

أيَّتُها النفسُ أجْمِلِي جَزَعا ... إنَّ الذى تَحْذَرِينَ قد وَقَعا
إنَّ الذى جَمَّعَ السَّماحَةَ والـنَّجْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعا
[أوْدَى فما تَنْفَعُ الإساءةُ مِن ... شَيْءٍ لِمَنْ قد تُحاوِلَ البِدَعا]
الأَلْمَعِيُّ الذى يَظُنُّ لكَ الـظَّنَّ كأنْ قد رَأَى وقد سَمِعا
المُخْلِفُ المُتْلِفُ المُرَزَّأُ لَمْ ... يُمْتَعْ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعا
والحافظُ الناسَ فى تَحُوطَ إذا ... لم يُرْسِلوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعا
وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّياحَ وقد ... أمْسَى كَمِيعُ الفتاةِ مُلْتَفِعا
وشُبِّهَ الهَيْدَبُ العَبامُ مِنَ الـأَقْوامِ سَقْبًا مُلَبَّسًا فَرَعا
وكانتِ الكاعبُ المُنَعَّمَةُ الـحَسْناءُ فى زَادِ أهلِها سَبُعا
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ والمُدامَةُ والـفِتْيانُ طُرًّا وطامعٌ طَمِعا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَواشِرُها ... تُصْمِتُ بالماء تَوْلَبًا جَدِعا

---

(١) بحاشية ا : « يقال أضرب فلان عن الشيء : إذا كف عنه » .

(٢) بحاشية ا : « النسبُ إلى أُسَيِّدٍ أُسَيْدِيٌّ بالتخفيف لا غير » . وفى الاشتقاق لابن دريد ص ١٢٧ : « كرهوا كثرة الكسرات » .

وفيها زيادةٌ لَكِنَّا اختَرْنَا. قولُه: «الألمعيُّ» الحديدُ اللسانِ والقلبِ، وقد أبانَه بقوله: «الذى يَظُنُّ لك الظَّنَّ كأنْ قَدْ رَأى وقد سَمِعَا». وقوله: «المخلِفُ المتلِفُ» أراد أنه يُتْلِفُ مالَه كَرَمًا ويُخْلِفهُ نَجْدةً، كما قال:

ناقَتُهُ تُرْقِلُ فى النِّقَالِ مُتْلِفُ مَالٍ ومُفِيدُ مالِ (١)

وقال آخر:

* فأتلَفَ ذاكَ مِتْلافٌ كَسُوبُ *

و «المُرَزَّأُ» الذى تنالُه الرَّزيئاتُ فى ماله لما يُعْطِي ويُسْئَل. و «الإمتاعُ» الإقامة، فيقول: لم يُقِمْ وهو ضعيفٌ. و «الطَّبَعُ» أسوأُ الطَّمَعِ، وأصلُه أنَّ القلبَ يعتادُ الخَلَّةَ الدنيئةَ فتركَبُه كالحائل بينه وبينَ الفهم، لِقُبْحِ ما يظهر منه، وهذا مثلٌ، وأصلُه فى السيفِ وما أشبهه. يقال: «طَبِعَ السيفُ» إذا ركبه صدأٌ يَسْتُرُ حديدَهُ و ﴿طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ﴾ مِنْ ذَا. و «مَحُوطُ» و «قَحُوطُ» اسمانِ للسَّنَةِ الجَدْبَةِ، كما يقال حَجْرَةُ وكَحْلُ. وقوله: «لم يُرْسِلُوا خَلْفَ عائِذٍ رُبَعًا» فالعائذُ الحديثةُ النِّتاجُ، و «الرُّبَع» الذى يُنْتَجُ فى الربيعِ، ومن شأنِهم فى سَنَةِ الجَدْبِ أن يَنْحَرُوا الفِصالَ، لِئلاَّ تَرْضَعَ فَتَضُرَّ بالأُمَّهاتِ. وقوله: «وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّيَاحَ» يقولُ غَلَبَتْها، وتلك علامةُ الجَدْبِ وذَهابِ الأمطارِ، ومن ذلك قولُهم: «مَنْ عَزَّ بَزَّ»

---

(١) بحاشية ١: «ابن شاذان: يقال أرقلت الناقة إرقالاً، وهو ضرب من المشى، وناقة مُرقِل من إبل مَراقيلَ. ابن شاذان: النقَل الحجارة، وناقلت الناقة نِقالاً إذا جرت كأنها تتقى ذلك، لا يكون إلاّ فى أرض ذات حجارة».

أى مَنْ غَلَبَ استَلَبَ ، وفى القرآن : ﴿ وَعَزَّنى فى الخِطابِ ﴾ أى غَلَبَنِى فى المخاطبة . وقولُه : « وقد أَمْسَىٰ كَمِيعُ الفَتَاةِ » فالكَمِيعُ الضَّجِيعُ ، وهو الكِمْعُ ، قال الراجزُ :

* ومَشْحُوذُ الغِرَارِ يَبِيتُ كِمْعِي *

يعنى السيفَ ، أى يَبِيتُ مُضاجِعِى . « مُلْتَفِعًا » يقال : تَلَفَّعَ فى مُطْرَفِهِ وفى كسائه » إذا تَلَفَّفَ وَتَزَمَّلَ فيه ، فيقول : من شِدَّةِ الضّرِّ يَلتفعُ به دون ضَجِيعه . و « الكاعِبُ » التى كَعَبَ ثَدْيُها ، يقول : تصيرُ كالسَّبُعِ فى زادِ أهلها بعد أن كانت تعافُ طَيِّبَ الطعامِ . وقولُه « وذاتُ هِدْمٍ » . يعنى امرأةً ضعيفةً ، و « الهِدْمُ » الكساءُ الخَلَقُ الرَّثُّ . وقوله : « عارٍ نَوَاشِرُها » . « النواشِرُ » عروقُ الساعد . و « التَّوْلَبُ » الصغيرُ . و « الجدعُ » السَّيِّءُ الغِذاءِ ، وهو الجِحْنُ والقَتِينُ * وقال أعرابيٌّ :

خَلِيلَيَّ عُوجَا بارَكَ اللهُ فيكما ... على قبرِ أَهْبَانٍ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الفَتَىٰ كلُّ الفَتَىٰ كان بينَه ... وبينَ المُزَجَّىٰ نَفْنَفٌ مُتَباعِدُ
إذا نازعَ القومَ الأحاديثَ لم يكنْ ... عَيِيًّا ولا عِبأً على مَنْ يُقَاعِدُ

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

دَعَا قابضًا والمُرْهَفَاتُ يَنُشْنَهُ ... فَقُبِّحْتَ مَدْعُوًّا ولَبَّيْكَ دَاعِيَا
فَلَيْتَ عُبَيْدَ اللهِ كانَ مكانَه ... صَرِيعًا ولم أَسمعْ لِتَوْبَةَ نَاعِيَا

وكان سببُ هذا الشعر أنَّ تَوْبَةَ بن حُمَيِّرٍ العُقَيْلِيَّ ثم الخَفاجيَّ غزا

فَغَنِمَ ، ثم انصرفَ فعرَّسَ فى طريقه فَأَمِنَ فقال[١] ، فَنَدَّتْ فرسُه ، فأحاط به عدوُّه ، ومعه عبيدُ الله أخوه وقابضٌ مولاه ، فدعاهما ، فَذَبَّبَ عُبيدُ الله شيأً وانهزما وقُتِلَ توبةُ ، فى ذلك تقولُ ليلَى الأَخيلِيَّةُ :

أَعَيْنَىَّ أَلاَ فَابْكِى على ابْنِ حُمَيِّرٍ بدمعٍ كَفَيْضِ الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ
لِتَبْكِ عليه من خَفاجةَ نِسْوَةٌ بماءِ شُؤُونِ العَبْرَةِ المُتَحَدِّرِ
سَمِعْنَ بِهَيْجَا أَزْحَفَتْ فَذَكَرْنَهُ وقد يَبْعَثُ الأَحزانَ طولُ التَّذَكُّرِ
كَأَنَّ فَتَى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ
ولم يَرِدِ الماءَ السِّدَامَ إذا بَدَا سَنَا الصُّبحِ فى أعقابِ أَخْضَرَ مُدْبِرِ
ولم يَقْدَعِ الخصمَ الأَلَدَّ ويَمْلَإِ الـ ـجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نَكْباءَ صَرْصَرِ[٢]
أَلاَ رُبَّ مكروبٍ أَجَبْتَ وخائفٍ أَجَرْتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ
فَيا تَوْبَ لِلْمَوْلَى ويا تَوْبَ لِلنَّدَى ويا تَوْبَ للمُسْتَنْبِحِ المُتَنَوِّرِ

قولها : « لِتَبْكِ عليه من خفاجةَ نسوةٌ » تعنى خفاجةَ بن عُقَيْلِ بن كَعبِ بن ربيعةَ بن عامرِ بن صَعْصعةَ . و « الهيجاءُ » تُمَدُّ وتُقصر ، وقد مَرَّ هذا . وقولها : « بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ » فالنَّجْدُ كلُّ ما أشْرَفَ

---

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال قال الرجل يَقيل قَيْلاً ومَقيلاً من القيلولة والقائلة، وهو نوم نصف النهار ، والقَيْلُ شرب نصف النهار ، تقيّل الرجلُ وقال إذا شرب فى وقت المقيل ، قال الراجز * إن قال قيلوا لم أكن فى القُيَّلِ * ويروى : إن قِيل قيلوا » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب : يقال ريح صرصر ، أي باردة » .

من الأرضِ ، والغَوْرُ كلُّ ما انخفضَ . ويقال : « ماءٌ سِدَامٌ ومياهٌ سُدُمٌ » وهى القديمة المنْدَفِنَةُ(١) ، قال الشاعرُ :

وعِلْمِي بأسْدَامِ المياهِ فلم تَزَلْ قَلائِصُ تَخْدى فى طَرِيقِ طَلائِحِ

و « سَنَا الصُّبحِ » ضَوْءه ، وهو مقصورٌ ، فإذا أردتَ الحَسَبَ مددتَ .
و « الأخْضَرُ » الذى ذَكَرَتِ الليلُ ، والعربُ تُسَمِّى الأسودَ أخضَرَ .
وقولها « ولم يَقْدَعِ الخَصْمَ الألَدَّ(٢) » فالألَدُّ الشديدُ الخصامِ . و « السَّدِيفُ » شِقَقُ السَّنَامِ . و « النَّكْباء » الرِّيحُ بين الرِّيحَيْنِ الشديدةُ الهُبوبِ .
و « الصَّرْصَرُ » الشديدةُ الصَّوتِ . و « المُسْتَنْبِحُ » الذى يَسْرِي فلا يَعرِفُ مَقْصِدًا ، فيَنْبِحُ لتُجيبَه الكِلابُ فيَقْصِدَها . و « المُتَنَوِّرُ » الذى يلتمسُ ما يَلوحُ له من النارِ فيقصدُه . قال الأخطَلُ يُعيِّرُ جريرًا :

قومٌ إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ قالوا لِأُمِّهِمُ : بُولِي على النّارِ

فيقال أن جريرًا توجَّع من هذا البيتِ ، وقال : جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبًا من الهجاء والشتم ، منها البخلُ الفاحشُ ، ومنها عقوقُ الأُمِّ فى ابتذالها دونَ غيرِها ، ومنها تقذيرُ الفِناء ، ومنها السَّوْءة التى ذَكَرَها من الوالدة . وقال آخرُ :

وإنِّى لَأَطْوِى البَطْنَ من دُونِ مِلْئِهِ لِمُخْتَبِطٍ فى آخرِ الليلِ نَابِحِ

---

(١) فى بعض النسخ وعليها طبعات مصر « المندفقة » بالقاف بدل النون ، وهو خطأ ، وانظر شرحنا على المفضليات فى البيت ٢٦ من القصيدة ٦٧ .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قدعتُ الإنسانَ وغيره أقدعه قَدْعًا : إذا كففته عما يريد ، وقدعتُ الفرسَ باللجام » .

وإنَّ امتلاءَ البطنِ في حَسَبِ الفتى ... قليلُ الغَناءِ وهو في الجسمِ صالحُ[(١)]

وقالت لَيْلَى الأخيليّةُ :

نَظَرْتُ وَرُكْنٌ من بُوَانَةَ دونَنا ... وأركانُ حُسْمَى أيَّ نَظْرَةِ ناظِرِ[(٢)]

إلى الخيلِ أَجْلَى شَأْوُها عن عَقيرةٍ ... لعاقِرِها فيها عَقِــيرةُ عاقِرِ

كأنَّ فتى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ ... قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحصى بالكَراكِرِ

ولم يَبْنِ أَبْرَادًا رِقاقًا لِفِتْيَةٍ ... كِرامٍ ويَرْحَلْ قبلَ فَيْءِ الهَواجِرِ

فتًى لا تَخَطَّاهُ الرِّفاقُ ولا يَرَى ... لِقِدْرٍ عِيالاً دونَ جارٍ مُجاوِرِ

وكنتَ إذا مَوْلاكَ خاف ظُلامةً ... دعاكَ ولم يَفْزَعْ سِواكَ بناصِرِ

قولُها : « أيَّ نَظْرَةِ ناظِرِ » يصلح فيه الرفعُ والنصبُ ، على قوله : نظرتُ أيَّ نظرةٍ وأيَّةَ نظرة وأيَّتَما نظرةٍ وأيَّما نظرةٍ ، كما تقول : مررتُ برجلٍ أيِّما رجلٍ ، وتأويلُه مررتُ برجلٍ كاملٍ ، فأيُّما في موضع كاملٍ ، وتقول : مررتُ بزيدٍ أيَّما رجلٍ ، على الحالِ ، ومن قال : « أيُّ نظرةِ ناظرٍ » فعلى القَطْعِ والابتداءِ ، والمَخْرَجُ مَخْرَجُ استفهامٍ ، وتقديرُه : أيُّ نظرةٍ هي ؟ كما تقول : سبحانَ اللهِ أيُّ رجلٍ زيدٌ ؟ وهذا البيتُ يُنْشَدُ على وجهين :

فأَوْمَأْتُ إيماءً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ ... وللهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أيَّما فَتَى

و « أيُّما » إنْ شئتَ على ما فسرنا . وقولها : « إلى الخيلِ أَجْلَى شَأْوُها

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال أبو عمر : الغَناء الإجزاء ، يقال ما يغني عنك غَنَاءً : ما يجزئ عنك ، ورجلٌ مُغْنٍ : مجزئ ، والفعل غَنِيَ فهو غانٍ » .

(٢) « حسمى » ضبطت في الأصول بكسر الحاء وضمها معاً ، والذي في معجم البلدان والقاموس الكسر فقط . و « بوانة » و « حسمى » موضعان .

عن عَقِيرَةٍ » شَاوُها طَلَقُها . وقولها : « لِعَاقِرِها فيها عَقِيرَةُ عَاقِرِ » أى قد أصابوا عقيرةً نَفِيسةً ، كقول القائل : نِعْمَ غَنِيمةُ المُغْتَنِمِ ، وكقولهم : عَقِيرةٌ وكما تَــكُونُ ، وهذا نظيرُ قولِهِ :

ولمّا أصابوا نَفْسَ عمرِو بن عامرٍ   أصابوا به وِتْرًا يُنِيمُ ذَوِى الوِتْرِ

يقال : « ثأرٌ مُنِيمٌ » إذا أصابه المُثْـئِرُ هَدَأَ واستقرَّ ، لأنه أصاب كُفُؤًا ، وهذا خلافُ قولِ الآخرِ :

قومٌ إذا جَرَّ جَانٍ قومِهِمْ أَمِنُوا   لِلُؤْمِ أحسابِهِمْ أنْ يُقْتَلُوا قَوَدَا

وخلافُ قولِ الحرْثِ بن عُبَادٍ :

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قتيلاً ولا رَهْــــطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلَالِ

ولــكنْ كما قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ :

قَتَلْتُ بعبدِ اللهِ خيرَ لِدَاتِهِ   ذُؤَابًا فلم أَفْخَرْ بذاكَ وأَجْزَعَا

وكما قال عُبيدُالله بن زياد بن ظَبْيَانَ التَّيْمِيُّ ، من بنى تَيْمِ اللَّاتِ بنِ ثَعْلبةَ ، حيث قَتَلَ مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْرِ بأخيه النَّابِى بنِ زِيادٍ :

إنَّ عُبَيْدَ اللهِ ما دامَ سَالِماً   لَسَارٍ عَلَى رَغْمِ العدوِّ وغَادِى

ونحن قَتَلْنَا ابنَ الزُّبير ورأسَهُ   حَزَزْنَا برأسِ النابِى بنِ زِيادِ

كَسَرَ الياءَ على الأصل ، كما قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

لا باركَ اللهُ فى الغوانِى هَلْ   يُصْبِحْنَ إلاَّ لَهُنَّ مُطَّلَبُ

ومَنْ أَخَذَه من « نَبَأْتُ على القوم » أى طلعتُ عليهم ، فلا عِلَّةَ فيه ولا ضرورةَ [قال الأخفشُ : المعروفُ فيه الهمزُ ، والمبرِّدُ لم يَهْمِزْهُ] .

فإنما أخذه من « نَبا يَنْبُو » فصارَ مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما] . وقال أبو الأَسَدِ مَوْلَىٰ خالد بن عبد الله القَسْرِيّ ، لمّا قَتلوا الوَلِيدَ بنَ يزيدَ بنِ عبدِ الملك بخالدِ بن عبد الله :

فإنْ تَقْتُلُوا مِنّا كَرِيمًا فإنَّنَا قَتَلْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالِدِ
وإن تَشْغَلُونا عن نَدَانَا فإننا شَغَلْنَا وليدًا عن غِنَاءِ الوَلائِدِ
تَرَكْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ مُكِبًّا على خَيْشُومِهِ غيرَ ساجِدِ

وقال الخُزاعِيُّ بعدُ[1] :

قَتَلْنَا بالفَتَى القَسْرِيِّ منهمْ وَلِيدَهُمُ أميرَ المؤمنينا
[ومَرْوانًا قَتَلْنَا عن يزيدٍ كذاكَ قضاؤُنا في المعتدينَا
وبابْنِ السَّمْطِ منّا قد قتلْنا محمدًا بنَ هرونَ الأَمينا]
فمن يكُ قتلُهُ سُوقًا فإنَّا جعلْنا مَقْتَلَ الخلفاءِ دِينَا

وقولها : « ويَرْحَلْ قَبلَ فَيْءِ الهَوَاجِرِ » تريد أنه متيقِّظٌ ظَعَّانٌ . و « المَوْلَى » في قولها : « إذا مولاكَ خاف ظُلامَةً » يحتمل ضروبًا ، فالمولى ابنُ العمّ ، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ يريدُ بني العم . قال الفَضْلُ بن العباس :

مَهْلاً بَنِي عَمِّنا مهلاً مَوالِيَنا لا تَنْبُشُوا بيننا ما كان مَدْفُونا

ويكونُ المولى المُعْتَقُ ، ويكون المَوْلَى من قوله جَلَّ ثناؤُه ﴿وَأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَىٰ لهم﴾ ويكون المَوْلَى الذي هو أحقُّ وأَوْلَىٰ ، منه قوله

(١) قال المرصفي : « هو دعبل بن علي الشاعر العباسي » .

﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أى أَوْلَى بكم ، والمَوْلَى المالكُ . وقولها : « ولم يَبْنِ أَبْرَادًا » تريدُ الخِيَامَ .

قال أبو العباس : وكانت الخنساءُ ولَيْلَى بائنَتَيْنِ فى أشعارِهما ، متقدِّمَتَيْنِ لأكثرِ الفحول ، ورُبَّ امرأةٍ تتقدم فى صناعةٍ ، وقلَّما يكونُ ذلك ، والجملةُ ما قال الله عز وجل ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وهو فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ(١) ﴾ وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ عَوْجاء ، وإنَّك إنْ تُرِدْ إقامَتَها تَكْسِرْها ، فدَارِها تَعِشْ بها » . فمن نَدَرَ(٢) من النساء فى بابٍ من الأبواب : أمُّ أيوبَ الأنصاريةُ ، وأمُّ الدَّرْداء ، ورابعةُ القَيْسيَّةُ ، ومُعاذَةُ العَدَوِيَّةُ ، فإنَّ هؤلاء النسوةَ تَقَدَّمْنَ فى الفضل والصلاحِ ، على تَقَدُّمِ بعضِهنَّ بعضاً . حدثنى الجاحظُ عن إبراهيم بن السِّنْديِّ قال : كانت تصيرُ إلىَّ هاشِمِيَّةٌ جاريةُ حَمْدونةَ فى حاجاتِ صاحبتِها ، فأَجْمَعُ نفسى لها وأطرُد الخواطرَ عن فكرى وأُحضِرُ ذِهْنِي جُهْدِى ، خوفاً من أن تُورِدَ علىَّ ما لا أفهمُه ، لبُعْدِ غَوْرِها واقتدارِها على أن تُجْرِيَ على لسانها ما فى قلبها . وكذلك ما يُؤْثَرُ عن خالِصَةَ وعُتْبَةَ جارِيَتَيْ رَيْطَةَ بنتِ أبى العباس .

---

(١) سورة الزخرف آية ١٨ و « يَنْشَأُ » بفتح الياء مضارع « نَشَأَ » ثلاثى لازم مبنى للفاعل ، وهى قراءة أكثر القراء الأربعة عشر ، وقرأ حفص وحمزة والكسائى وخلف « يُنَشَّأُ » بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ، مضارع « نَشَّأَ » بالتضعيف مبنيا للمفعول ، وأثبتناه على قراءة الأكثر موافقة لأصول الكامل .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : كل شيء زال عن مكانه فقد نَدَر يندُر نَدْرًا فهو نادر ، وبه يسمى نوادر الكَلام ؛ لأنه كلام نَدر وظهر من بين الكَلام » .

فأمّا النساءِ الأشرافُ فإنَّ القولَ فيهنّ كثيرٌ مُتَّسِعٌ. فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولُها ترثى صخراً :

يا صخْرُ ورَّادَ ماءٍ قد تَناذَرَهُ ... أهلُ المياهِ وما فى وِرْدِهِ عارُ
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاء مُعْضِلَةٍ ... له سلاحانِ : أنيابٌ وأظفارُ(١)
وما عَجُولٌ على بَوٍّ تَحِنُّ له ... لها حَنينانِ : إعْلانٌ وإسْرارُ
تَرْتَعُ ماغفَلَتْ حتّى إذَا ادَّكَرَتْ ... فإنما هى إقْبالٌ وإدْبارُ
يوماً بأَوْجَعَ مِنِّى يومَ فارَقَنى ... صَخْرٌ، ولِلْعيش إحْلاءٌ وإمْرارُ
وإنَّ صخراً لَوَالِينَا وسيِّدُنا ... وإنَّ صخراً إذَا نَشْتُوا لَنَحَّارُ
وإنَّ صخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ
لم تَرَهُ جارةٌ يَمْشِى بساحَتِها ... لِرِيبةٍ حين يُخْلِى بيتَهُ الجارُ

قولها : « يا صَخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَه * أهلُ المياهِ ومافى وِرْدِهِ عَارُ » تعنى المَوتَ ، أى لإقْدامِهِ على الحرب . و « السَّبَنْتَى » و « السَّبَنْدَى » واحدٌ ، وهو الجرىء الصَّدْرِ ، وأصلُه فى النَّمِرِ . و « العَجُولُ » التى فارقها ولدُها . و « البَوُّ » قد مضى تفسيره . وكذلك « فإنما هِىَ إقبالٌ وإدْبارُ » وقد شرَحْنا كيف مَذْهَبُه فى النحو . وقولها « إلى هيجاء مُعْضِلَةٍ » تعنى الحربَ . وقولها : « كَأَنَّهُ عَلَمٌ فى رأسه نارُ » فالعَلَمُ الجبلُ ، قال الله جل وعز ﴿ وله الجوارِ المُنْشَآتُ فى البَحْرِ كالأعْلَامِ ﴾ وقال جريرٌ :

* إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ *

(١) بحاشية ١ : « الهيجاء الحرب ، بالمدّ والقصر » .

ومن حَسَنِ شعرِها قولُها :

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدا ... أَلاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلاَ تَبْكِيَانِ الجرىءَ الجميلَ ... أَلاَ تَبْكِيانِ الفتَى السَّيِّدا
طويلَ النِّجَادِ رَفيعَ العِمَا ... دِ سادَ عَشيرتَهُ أَمْرَدَا
إِذَا القومُ مَدُّوا بأيديهِمُ ... إلى المَجْدِ مَدَّ إليه يَدَا
فنالَ الذى فوقَ أيديهِمُ ... منَ المجدِ ثم مَضَى مُصْعِدَا
يُكَلِّفُهُ القومُ ما عالَهُمْ ... وإِنْ كانَ أصغرَهم مَوْلِدَا
تَرَى الحمدَ يَهْوِى إلى بيتِهِ ... يَرَى أفضلَ الكَسْبِ أن يُحْمَدَا

قولها : « طويلُ النِّجاد » . « النِّجادُ » حَمائِلُ السَّيْفِ ، تريدُ بطولِ نجادِهِ طولَ قامتِهِ ، وهذا مما يُمْدَحُ به الشريفُ ، قال جريرٌ :

فإِنى لَأَرْضَى عبدَ شَمْسٍ وما قَضَتْ ... وأَرْضَى الطِّوَالَ البِيضَ من آلِ هاشِمِ

وقال مَرْوانُ المَهْدِىُّ :

قَصُرَتْ حَمائِلُهُ عليه فَقَلَّصَتْ ... ولقد تَأَنَّقَ قَيْنُها فأَطالَهَا

وقال رجلٌ من طَيِّءٍ :

جَدِيرٌ أَنْ يُقِلَّ السيفَ حتى ... يَنُوسَ إذا تَمَطَّى فى النِّجادِ(١)

وقال الحَكَمِىُّ أبو نُواسٍ :

سَبِطُ البَنانِ إذا احْتَبَى بِنِجَادِهِ ... غَمَرَ الجماجِمَ والسِّمَاطُ قِيامُ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : النَّوْس الحركة ، نَاسَ يَنُوسُ نَوْسًا ».

وقال عَنْترةُ :

بَطَلٍ كَأَنَّ ثيابَه في سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْأَمِ[1]

وقولها : « رَفِيعَ العِمادِ » إنما تريدُ ذاك ، يقال : رجل « مُعَمَّدٌ » أى طويل ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ إِرَمَ ذاتِ العِمادِ ﴾ أى الطِّوالِ . وقولها : « ما عَالَهُمْ » أى نابَهُمْ ونَزَلَ بهم[2] ، تقول العربُ : « ما عالَكَ فهو عائِلِي » أى ما نابَكَ فهو نائِبي ، ومِنْ ذا قولُ كُثَيِّرٍ :

يا عَيْنِ بَكِّى لِلَّذِى عالَنِي منكِ بدمعٍ مُسْبِلٍ هامِلِ

ومِن جيِّدِ قولِها :

أَبَعْدَ ابنَ عَمْرٍو مِنَ آلِ الشَّرِيـــدِ حَلَّتْ به الأَرضُ أثقالَهَا

لعَمْرُ أبيــه لَنِعْمَ الفَتَى إذا النفسُ أعجَبها ما لَهَا

فإنْ تَكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به فقد كان يُكْثِرُ تَقْتالَهَا

فَخَرَّ الشَّوامِخُ من فَقْدِه وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَهَا

هَمَمْتُ بنَفْسِيَ كلَّ الهُمومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا

لأَحْمِــلَ نفسِى على آلةٍ فإمَّا عليها وإمَّا لَهَا

قولها : « حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَها » حلَّتْ من الحَلْيِ ، تقولُ :

---

(١) بحاشية ا : « ويروى بطلٌ بالرفع . والسرحة شجرة . وفى ههنا بمعنى على ، فكان المعنى : كأن ثيابه على سرحة من طوله . والسِّبْت الجلود المدبوغة » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال أبو عمر : العَوْل الثِّقَل ، يقال عالَنِي الامرُ يعولنى عَوْلا أى أثقلنى » .

زينتْ به الأرضُ المَوْتَىٰ ، وقال المفسرون في قول الله عز وجل ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قالوا المَوْتَىٰ . وقولها « لَنِعْمَ الفَتَىٰ إذَا النفسُ أعجبها مالَهَا » تقول : يَجودُ بِما هُوَ لَه في الوقتِ الذي يُؤْثِرُهُ أهلُهُ على الحمدِ . و« الشوامخُ » الجبالُ ، والشامخُ العالِي ، ويقال المتكبِّرِ شَمَخَ بأنفه . وقولها « على آلةٍ » أي على حالةٍ وعلى خُطَّةٍ هي الفَيْصَلُ ، فإمَّا ظَفِرْتُ وإمَّا هَلَكْتُ . وقولها : « فأَوْلَىٰ لنفسِيَ أولَىٰ لها » يقولُ الرجلُ إذا حاول شيأً فأفلتَهُ من بعدِ ما كادَ يصيبُه : « أَوْلَىٰ له » وإذا أَفْلَتَ من عظيمةٍ قال « أَوْلَىٰ لِي » ، ويُروىٰ عن ابن الحَنَفِيَّة أنه كان يقول إذا مات ميِّتٌ في جُوارِهِ أو في داره : أَوْلَىٰ لِي كِدْتُ واللهِ أكونُ السَّوادَ المُخْتَرَمَ ، وقد مضَى هذا مُفَسَّرًا ، وأُنْشِدَ لرجلٍ يقْتَنِصُ ، فإذا أَفْلَتَهُ الصيدُ قال: أَوْلَىٰ لكَ ، فكَثُر ذلك منه فقال :

فلو كان «أَوْلَىٰ» يُطْعِمُ القومَ صِدْتُهُمْ ولكنَّ «أَوْلَىٰ» يَتْرُكُ القومَ جُوَّعَا

وقالت الخَنْسَاء ترثى أخاها معاويةَ بنَ عَمْرٍو ، وكان معاويةُ أخاها لأبيها وأُمِّها ، وكان صَخْرٌ أخاها لأبيها ، وكان أحبَّهما إليها ، وكان صخرٌ يستحقُّ ذلك منها بأمورٍ : منها أنه كان موصوفًا بالحلم ، ومشهوراً بالجود ، ومعروفًا بالتقدُّمِ في الشجاعة ، ومَحْظوظًا في العَشيرةِ :

أَرِيقِي من دُموعِكِ واسْتَفِيقِي وصَبْرًا إنْ أَطَقْتِ ، ولن تُطِيقِي
وقُولِي : إنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ وفارِسَهَا بصَحْراءِ العَقِيقِ

ألاَ هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنَا اللَّيَالِي ... وأيامٌ لنا بِلِوَى الشَّقِيقِ
وإذْ نحنُ الفَوارسُ كلَّ يومٍ ... إذا حَضَروا وفتيانُ الحُقُوقِ
وإذْ فِينَا معاويةُ بن عمرٍو ... على أَدْمَاء كالجَمَلِ الفَنِيقِ
فَبَكِّيهِ فقد أَوْدَى حَمِيدًا ... أَمِينَ الرَّأْيِ محمودَ الصَّدِيقِ
فلا واللهِ لا تَسْلاكَ نفسِي ... لِفَاحشةٍ أَتيتَ ولا عُقُوقِ
ولٰكِنِّي رأيتُ الصبرَ خيرًا ... من النَّعْلَيْنِ والرأسِ الحَلِيقِ

قولها « أَرِيقِي من دموعكِ واستفيقي » معناه : أَنَّ الدَّمْعَةَ تُذْهِبُ اللَّوْعَةَ ، ويُروى عن سليمانَ بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوبَ لعمرَ بن عبد العزيز ورَجاء بنِ حَيْوَةَ : إني لأَجِدُ في كَبِدِي جَمْرَةً لا تطفئُها إلّا عَبْرَةٌ ، فقال عمرُ : اذْكُرِ اللهَ يا أمير المؤمنين وعليك الصبرَ ، فنظر إلى رجاء بن حَيْوَةَ كالمستريح إلى مَشُورَتِهِ ، فقال له رجاء : أَفِضْهَا يا أميرَ المؤمنين فما بذاكَ من بأسٍ ، فقد دَمَعَتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيمَ ، وقال : « العينُ تَدْمَعُ ، والقلبُ يُوجَعُ ، ولا نقولُ مَا يُسْخِطُ الربَّ ، وإنَّا بكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ » . فأرسلَ سليمانُ عينَه فبكَى حتى قضَى أَرَبًا ، ثم أَقْبَلَ عليهما فقال : لو لم أُنْزِفْ هذه العَبْرَةَ لَانْصَدَعَتْ كَبِدِي ، ثم لم يَبْكِ بعدَها ، ولٰكنّه تمثّلَ عند قبره لمّا دفنه وحثَا على قبره الترابَ ، وقال : يا غلامُ دابّتي ، ثم وَقَفَ متلفتًا إلى قبره فقال :

وَقَفْتُ على قبرٍ مُقيمٍ بِقفْرَةٍ ... مَتاعٌ قليلٌ من حَبيبٍ مُفارقِ

رجعنا إلى تفسير قولها ، وقولها : « وصَبْرًا إن أَطَقْتِ ولن تُطِيقِي »

كقولِ القائلِ إن قَدَرْتَ على هذا فافعلْ ، ثم أبانَتْ عن نفسِها فقالت : « ولن تُطِيقِ » . وقولها : « فلا واللهِ لا تَسْلاكَ نفسِي » تريد : لا تَسْلُو عنك ، كقوله عز وجل : ﴿ وإذا كَالُوهُمْ أوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى : كَالُوا لهم ، أو وَزَنُوا لهم . وقولها : « لفاحشةٍ أتيتَ ولا عُقُوقِ » . معناه : لا أجدُ فيكَ ما تسلُو نفسِي عنكَ له ، ثم اعتذرَتْ من إقصارها بفضلِ الصَّبْرِ فقالت :

« ولٰـكِنِّى رأيتُ الصَّبْرَ خيراً　　من النعلينِ والرأسِ الحَلِيقِ »

تأويلُ « النعلينِ » : أنَّ المرأة كانت إذا أصيبتْ بحَمِيمٍ جعلتْ فى يديها نعلينِ تُصَفِّقُ بهما وجهَهَا وصدرَها . قال عبدُ منافِ بن رِبْعٍ الهُـذَلِيُّ :

ماذَا يُغِيرُ ابْنَتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا　　لا تَرْقُدَانِ ولا بُؤْسَىٰ لِمَنْ رَقَدَا

كِلتاهما أُبْطِنَتْ أحشاؤُها قَصَبًا　　من بَطْنِ حَلْيَةَ لا رَطْبًا ولا نَقِدَا

إذا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قامَتَا مَعَهُ　　ضَرْبًا أليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِـلِدَا

قوله : « ماذَا يُغِـيرُ ابْنَتَىْ رِبْـعٍ عَوِيلُهُمَا » يعنى أُخْتَيْهِ ، يقولُ : ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ . وقولُه : « كِلْتَاهُمَا أُبْطِنَتْ أحشاؤُها قَصَبًا » أراد لترديدِ النائحةِ صوتًا كأنه زَمِيرٌ ، وإنما يَعْنِى بالقَصَبِ المَزَامِيرَ ، كما قال الراعِى :

زَجِلُ الحُدَاءِ كأنَّ فى حَيْزُومِهِ　　قَصَبًا ومُقْنَعَةَ الحَنِينِ عَجُولاَ

[قال الأخفشُ : « الزَّجَلُ » اختلاطُ الصوتِ الذى لصوتِه تطريبٌ ، و « الحَيْزُومُ » الصَّدرُ ، و « قَصَبًا » يعنى زِمَارًا ، شَبَّهَ صوتَ الحادى بالمِزْمارِ ،

و « مُقْنَعَة » أرادَ وصوتَ مُقْنَعَةٍ ، يعنى ناقةً ، ثم حذَف الصوتَ وأقام « مُقْنَعَة » مَقامَه | وقال عَنْتَرةُ :

بَرَكَتْ على ماء الرِّدَاعِ كأنَّما بَرَكَتْ على قَصَبٍ أجَشَّ مُهَضَّمِ

قال الأصمعىُّ : هو نَرْمَنَاىْ . وقوله « لا رَطْبًا ولا نَقِدًا » يقول : ليس برطْبٍ لا يَبِينُ فيه الصوتُ ، ولا بمُؤْتَكِلٍ ، يقال « نَقِدَت السِّنُّ » إذا مَسَّها ائتكالٌ ، وكذلك القَرْنُ ، قال الشاعرُ :

* يألَمُ قَرْنًا أرُومُهُ نَقِدُ *

وقوله « بِسِبْتٍ » يعنى النعلَ المُنْجَرِدَةَ . و « يَلْعَجُ » يُؤَثِّرُ . واحتاج إلى تحريك « الجِلِدِ » فأتْبَعَ آخرَه أوّلَه ، وكذلك يجوزُ فى الضرورةِ فى كل شىءٍ ساكنٍ . وأمَّا قولُ الفرزدقِ :

خَلَعْنَ حُلِيَّهُنَّ فهُنَّ عُطْلٌ وبِعْنَ به المُقَابَلَةَ التُّوَامَا

يعنى اشترَيْنَ النعالَ ، فليس هذا من هذا الباب ، إنما سُبِينَ فاشتَرَيْنَ نعالاً للخدمة ، وكذلك قولُه :

أُخِذْنَ حَرِيراتٍ وأبْدَيْنَ مِجْلَدًا ودَارَ عليهِنَّ المُنَقَّشَةُ الصُّفْرُ

يعنى القِدَاحَ ، يقول : سُبِينَ فاقتُسِمْنَ بالقِدَاحِ .

وإنما قالتِ الخنساءُ هذا الشعرَ فى معاويةَ أخيها قبلَ أن يُصابَ صَخْرٌ أخوها ، فلمَّا أُصِيبَ صَخْرٌ نسِيَت به مَنْ كان قبلَه . وكان معاويةُ فارساً شجاعاً ، فأغار فى جَمْعٍ من بنى سُلَيْمٍ على غَطَفَانَ ، وكان صَمِيمَ خيلِهم ، فنَذِرَ به القومُ فاحْتَرَبوا ، فلم يَزَلْ يَطْعُنُ فيهم ويضربُ ، فلما رأوا ذلك تهيَّأَ

له ابنا حَرْملةَ : درَيْدٌ، وهاشمٌ، فاستطردَ له أحدُهما، فحمل عليه معاويةُ فطعنَه ، وخرجَ عليه الآخرُ وهو لا يَشعُرُ فقتَلَه ، فتنادَى القومُ : قُتِلَ معاويةُ ، فقال خُفافُ بنُ نَدْبَةَ : قتَلَنِي اللهُ إن رِمْتُ حتى أثْأَرَ به ، فحَمَلَ على مالكِ بن حِمار ، وهو سيدُ بني شَمْخِ بن فَزارةَ فقتَلَه ، وقال :

فإنْ تكُ خَيْلِي قد أُصِيبَ صَمِيمُها   فَعَمْدًا على عَيْنٍي تيمَّمْتُ مَالِكَا
وَقَفْتُ له عَلْوَىٰ وقد خَامَ صُحْبَتِي   لِأَبْنِيَ مَجْدًا أو لِأَثْأَرَ هالِكَا(١)
أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ   تَأَمَّلْ خُفَافًا إنَّنِي أنا ذٰلِكَا(٢)

فلمَّا دخلتِ الأشهرُ الحُرُمُ وَرَدَ عليهم صَخْرٌ ، فقال : أيُّكم قاتلُ أخِي ؟ فقال أحدُ ابْنَيْ حَرْمَلَةَ للآخرِ : خَبِّرْهُ ، فقال : اسْتَطْرَدْتُ له فطعَنَني هذه الطعنةَ وحَمَلَ عليه أخِي فقتَلَه ، فأيُّنا قتَلْتَ فهو ثأرُكَ ، أمَا إنا لم نَسْلُبْ أخاكَ ، قال : فما فعلتْ فرسُهُ الشَّمَّاءُ ؟ قال : ها هِيَ تلكَ فخُذْهَا ، فانصرفَ بها ، فقيلَ لصخرٍ : ألا تهْجُوهُمْ ؟! فقال : ما بيني وبينَهم أقْذَعُ من الهِجاء، ولو لم أمْسِكْ عن سَبِّهِم إلَّا صيانةً لِلِسانِي عن الخَنا لفعلتُ ، ثم خاف أن يُظَنَّ به عِيٌّ فقال :

(١) « علوى » اسم فرسه . « خام صحبتي » نكبوا وجبنوا ، يعني أصحابه .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال أبو زيد : أطَرْتُ القوسَ آطِرُها أطْرًا إذا حَنَيْتها ، وأطرتُ السهم أطرًا إذا لَفَفْتَ على مجمع الفُوق عَقَبَةً واسمها الأُطْرَة ، وأطرتُ العُودَ إذا عطفتَه . قال الخليل : تقول أطرتُ الشيء آطره أطرًا إذا عطفتَه ، والأطر تعويجك الشيء تقبض على أحد طرفيه ، ثم تأطِرُه فينأطر ، قال العجاج * يضرب بالسيف اذا الرمحُ انأطَرْ * قال أبو يعقوب : رأيتُ في في الرواية يأطِرُ متنُه، بضم النون من المتن مصحح عليه من أبي الحسن المهلّبي » .

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تَلُومُني ... ألاَ لاَ تَلُومِيني كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا
تقولُ ألاَ تَهْجُو فوارسَ هاشمٍ ... ومَالِيَ إِذْ أَهْجوهُمُ ثم مَالِيَا
أَبَىَ الشَّتْمَ أَنِّى قد أصابوا كَرِيمَتِي ... وأَنْ ليس إِهْداءُ الخَنَا من شِمالِيَا
إذا ما امْرُؤٌ أَهْدَى لِميْتٍ تَحِيَّةً ... فَحَيَّاكَ ربُّ العرشِ عَنِّى مُعاوِيَا
وهَوَّنَ وَجْدِى أَنني لم أَقُلْ له ... كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ عليه بِمالِيَا

قال أبو عُبيدةَ : فلما أصاب دُرَيْدًا زاد فيها :

وذِي إِخْوَةٍ قَطَّعْتُ أرحامَ بَيْنِهِمْ ... كما تَرَكُونِي وَاجِدًا لا أَخَالِيَا[1]

[قال أبو الحسن الأخفشُ : وزادنى الأحْوَلُ بعد قوله « معاويا » :

لَنِعْمَ الفَتَى أَدْنَى ابنُ صِرْمَةَ بَزَّهُ ... إذا راحَ فَحْلُ الشَّوْلِ أَجْدَبَ عارِيَا]

قال أبو العباس : فلمَّا انقضتِ الأشهرُ الحُرُمُ جَمَعَ لهم لِيُغيرَ عليهم ، فنظرتْ غَطَفَانُ إلى خيلِه بمَوْضِعها ، فقال بعضُهم لبعضٍ : هذا صخرُ بنُ الشَّرِيدِ على فرسه الشُّمَّى ، فقيلَ : كَلاَّ الشُّمَّى غَرَّاءُ ، وكان قد حَمَّمَ غُرَّتَها ، فأصابَ فيهم ، وقَتَلَ دُرَيْدَ بنَ حَرْمَلَةَ ، وأما هاشمٌ ، فإِنَّ قَيْسَ بنَ الأَسْوَارِ الجُشَمِيَّ ، من جُشَمَ بن بكرِ بن هَوازِنَ بن منصورٍ ، والخنساء من بنى سُلَيْم بن منصورٍ ، لَقِيَهُمْ منصرفينَ كلٌّ واحدٍ منهم من وجهه ، فرآهُ وقد انفردَ لحاجتِه ، فقال : لا أَطْلُبُ بمعاويةَ بعدَ اليومِ ، فأرسل عليه سهماً فَفَلَقَ قُحْقُحَهُ[2] ، فقالتِ الخنساءُ :

---

(١) « واجداً » بالجيم من الوجد ، وهو الحزن ، وفى بعض النسخ « واحداً » بالحاء مهملة .

(٢) بحاشية ا : ابن شاذان : القُحْقُحُ عظم العُصْعُصِ الذى يسمى عَجْبَ الذنَب .
قال المهلّبي : القُحْقُح العظم النائيُ من الظهر بين الأَلْيتين » .

فِدًى للفارسِ الجُشَمِيِّ نفسي ... وأَفْدِيهِ بمَنْ لِي من حَمِيمِ
فَذَاكَ الحيُّ حَيُّ بني سُلَيْمٍ ... بظاعِنِهِمْ وبالأَنَسِ المقيمِ
كَمَا مِنْ هاشمٍ أَقْرَرْتَ عَيْنِي ... وكانتْ لا تَنَام ولا تُنِيمُ(١)

فأمَّا صخرٌ فسنذكر مَقْتَلَهُ مع انقضاء ما نذكُر من مراثي الخنساء إياه ،

قالت الخنساء :

أَلاَ يا صخرُ إنْ أبكيْتَ عيني ... لقد أَضْحَكْتَنِي دهرًا طويلاَ
بكيتُكَ في نِساءٍ مُعْوِلاتٍ ... وكنتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العَوِيلاَ
دَفَعْتُ بك الجليلَ وأنت حَيٌّ ... فمن ذَا يدفعُ الخطْبَ الجليلاَ
إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاَ

وقالت أيضاً :

تَعَرَّقَنِي الدهرُ نَهْسًا وحَزًّا ... وأوجعني الدهرُ قَرْعًا وغَمْزَا(٢)
وأَفْنَى رجالِي فبادوا مَعًا ... فأَصبحَ قلبي بهم مُسْتَفَزَّا
كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى ... إذِ الناسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا
وكانوا سَراةَ بني مالكٍ ... وزَيْنَ العشيرةِ مَجْدًا وعِزَّا
وهمْ في القديمِ سَراةُ الأديـ ... ـمِ والكائنونَ مِنَ الخوفِ حِرْزَا

(١) « تنيم » ضبطت في الأصول بالرفع وبخفض الميم ، ففيه الإقواء على الأول ، والثاني على اتّباع القافية .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : النهس أخذُكَ الشيءَ بمقدَّم فيك ، نهسَتْه الحيّةُ تنهَسه نهساً . والحزّ القطع في اللحم غير بائنٍ » .

وهمْ منَعوا جارَهُمْ والنِّسا ءَ يُحْفِزُ أَحْشَاءَها الخوفُ حَفزَا[(١)]
غَداةَ لَقُوهُمْ بمَلْمُومَةٍ رَدَاحٍ تُغادِرُ للأرض رِكْزَا[(٢)]
وخَيْلٍ تَكَدَّسَ بالدارِعيـ ـنَ تحتَ العَجاجةِ يَجْمِزْنَ جَمْزَا[(٣)]
بِبِيضِ الصِّفاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ فبالبِيضِ ضَرْبًا وبالسُّمْرِ وَخْزَا[(٤)]
جَزَزْنَا نَوَاصِيَ فُرْسانِهمْ وكانوا يَظُنُّونَ ألاَّ تُجَزَّا
ومَنْ ظَنَّ ممن يُلاقِي الحروبَ بأن لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزَا
نَعِفُّ ونَعرِفُ حق القِرَى ونَتَّخِذُ الحمدَ ذُخْرًا وكَنْزَا
[ونَلْبَسُ طَوْرًا ثيابَ الوَغَى وطورًا بِياضًا وعَصْبًا وخَزًّا][(٥)]

وكان سببُ قتلِ صخرِ بن عمرِو بن الشَّرِيدِ: أنه جَمعَ جمعًا وأغار على بني أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ، فَنَذِرُوا به، فالتَقَوْا فاقتَتَلوا قتالاً شديداً، فارْفَضَّ أصحابُ صخرٍ عنه، وطعَنَه أبو ثورٍ طعنةً في جنبه استَقَلَّ بها، فلمّا صار إلى أهله تَماثَلَ منها، فنَتأَ من الجُرْحِ كمثل اليَدِ، فأضناه ذلك حَوْلاً، فسمع سائلاً يسألُ امرأتَه وهو يقول: كيف صَخْرٌ اليومَ؟ فقالت: لا مَيِّتٌ فيُنْعَى، ولا صحيحٌ فيُرْجَى، فعلِمَ أنها قد بَرِمَتْ به، ورأى تَحَرُّقَ أُمِّه عليه فقال:

---

(١) بحاشية ا: «المهلبي: أصل الحفز حثُّك الشيء من خلفِه وغيرَ سوقٍ، والرجل يحتفز في جلوسه: يريد القيام والبطش بشيء».

(٢) بحاشية ا: «المهلبي: كتيبة رَدَاح كثيرة الفرسان. وملمومة وململمة: مجتمعة».

(٣) بحاشية ا: «ابن شاذان: الجمز ضرب من سير الإبل أشدّ من العَنَق».

(٤) بحاشية ا: «الوخز الطعن، وخزه وخزاً: إذا طعنه بالرمح. والرِّكْز: الحسُّ والصوت».

(٥) البيت زيادة من بعض النسخ.

أرَى أمَّ صخرٍ ما تجِفُّ دُموعُها ... ومَلَّتْ سُلَيمَى مَضْجَعِي ومكانِي

وما كنتُ أخْشَى أن أكون جِنازةً ... عليكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ

أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

لَعَمْرِى لقد أنبهْتِ مَنْ كان نائمًا ... وأسمعتِ مَنْ كانتْ له أُذُنانِ

فأىُّ امْرِىءٍ ساوَى بأُمٍّ حَليلةً ... فلا عاشَ إلاَّ فى شَقًى وهَوانِ

ثم عَزم على قطع ذلك الموضع ، فلمّا قطعه يَئِسَ من نفسه ، فبكاها فقال :

أيا جارَتَا إنَّ الخُطوبَ قَريبُ ... منَ الناس ، كلَّ المُخْطِئِينَ تُصيبُ

أيا جارَتَا إنّا غَريبانِ هٰهنا ... وكلُّ غَريبٍ للغَريبِ نَسيبُ

كأنِّى وقد أدْنَوْا إلىَّ شِفارَهُمْ ... من الأُدْمِ مَصْقُولُ السَّراةِ نَكيبُ

❊

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ المَراثِى وحَسَنِ التَّأْبِينِ شِعْرُ ابنِ مُناذِرٍ ، فإنه كان رجلاً عالمًا مُقدَّمًا شاعرًا مُفْلِقًا ، وخطيبًا مِصْقَعًا ، وفى دهرٍ قريبٍ ، فله فى شعره شِدَّةُ كلام العرب بروايته وأدبه ، وحَلاوةُ كلامِ المُحْدَثِينَ بعَصْرِه ومشاهدتِه ، ولا يزالُ قد رَمَى فى شعره بالمَثَلِ السائرِ ، والمعنى اللطيف ، واللفظِ الفَخْمِ الجليلِ ، والقولِ المُتَّسِقِ النَّبيلِ . وقصيدتُه لها امتدادٌ وطولٌ ، وإنما نُمْلِى منها ما اخترنا مِنْ نحوِ ما وصفنا . قال يرثى عبدَ المجيد بنَ عبدِ الوهاب الثَّقفِىَّ ، وكان به صَبًّا ، واعْتُبِطَ عبدُ المجيد لعشرينَ سنةً من غير ما عِلَّةٍ ، وكان من أجمل الفِتْيان وآدَبِهِمْ وأظرفِهم ، فذلك حيثُ يقولُ ابنُ مُناذِرٍ :

حين تمّتْ آدابُه وتَرَدَّى بِرداءٍ منَ الشّبابِ جَديدِ
وسَقاهُ ماءُ الشّبيبةِ فَاهتزَّ اهتزازَ الغُصْنِ النّدِي الأُمْلودِ
وسَمَتْ نَحْوَهُ العيونُ وما كا نَ عليه لزائدٍ من مَزيدِ
وكأنّى أدعوهُ وهو قريبٌ حين أدعوهُ من مكانٍ بعيدِ
فلَئنْ صار لا يُجيبُ لقد كا ن سميعاً هَشا إذا هُو نُودِي
يا فتًى كان للمَقاماتِ زَيْنًا لا أراه فى المَحْفِلِ المشهودِ
لَهْفَ نفسِي أمَا أراكَ ، وما عنـــدكَ لِي إن دَعَوْتُ من مردودِ
كان عبدُ المجيد سَمَّ الأعادِي مِلْءَ عَيْنِ الصديقِ رَغْمَ الحسودِ
عادَ عبدُ المجيدِ رُزْأً وقد كا نَ رَجاءً لرَيْبِ دَهْرٍ كَنُودِ[1]
خُنْتُكَ الوُدَّ لم أمُتْ كَمَدًا بعـــدكَ إنّى عليكَ حقٌّ جَليدِ
لو فَدَى الحيُّ ميتًا لَفَدَتْ نفـــسَكَ نفسى بطارِفِي وتَليدِي
ولئن كنتُ لم أمُتْ من جوَى الحزْ نِ عليه لأَبْلُغَنْ مَجْهُودِي
لأُقيمنَّ مَأْتَمًا كنجومِ اللّيـــلِ زُهْرًا يَلْطِمْنَ حُرَّ الخدودِ
مُوجِعاتٍ يَبْكِينَ لِلكَبِدِ الحرَّى عليه وللفُؤاد العَميدِ
ولِعَيْنٍ مَطْروفةٍ أبدًا قا لَ لها الدَّهْرُ: لا تَقَرِّى وجُودِي[2]

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الكنود من قولهم : كند فلان نعمة الله ، أى: كفرها ، وفلان كنود لنعمة الله عنده ، ومنه اسم كِنْدة أبى قبيلة من العرب » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان . يقال قَرِرْتُ بهذا الشيء عيناً فأنا أقَرُّ به ، والاسم القُرة ، ويقال : قرت عينى به قُرَّةً . ويقال : قَرَرْتُ فى منزلى فأنا أقِرُّ فيه قراراً وقروراً . ابن شاذان : يقال: طَرَفْتُ عينَه إذا ضربتَها بيدك أو بشيء حتى تدمع ، والاسم الطَّرْفَة » .

كُلَّمَا عَزَّكِ البكاءُ فأنْفِدْ تِ لعبد المجيد سَجْلاً فَعُودِي
لِفَتًى يَحْسُنُ البكاءُ عليه وفَتًى كان لامتداحِ القَصِيدِ

وأولُ هذا الشعرِ :

كلُّ حَيٍّ لاقِي الحِمَامِ فمُودِي ما لِحَيٍّ مُؤَمَّلٍ من خُلودِ
لا تَهابُ المَنونُ شيأً ولا تُرْ عِي على والدٍ ولا مَوْلودِ
يَقْدَحُ الدهرُ فى شَمَارِيخِ رَضْوَى ويَحُطُّ الصُّخورَ من هَبُّودِ(١)
ولقد تَتْرُكُ الحوادثُ والأ يَّامُ وَهْياً فى الصخرةِ الصَّيْخُودِ(٢)

وفى هذا الشعرِ مما استحسنتُه :

أيْنَ رَبُّ الحِصْنِ الحصينِ بسُورَا ءَ ورَبُّ القَصْرِ المنيفِ المَشِيدِ
شادَ أركانَهُ وبَوَّبَهُ بَا بَيْ حـديدٍ وحَفَّهُ بجُنُودِ
كان يُجْبَي إليه ما بين صَنْعا ءَ فَمِصْرٍ إلى قُرَى يَبْرُودِ
وتَرَى خَلْفَه زَرافاتِ خيـلٍ جافلاتٍ تَعْدُو بمثلِ الاسودِ
فَرَمَى شَخْصَهُ فأَقْصَدَهُ الدَّهْـرُ بسهمٍ من المنايا سَديدِ
ثم لم يُنْجِهِ من الموتِ حِصْنٌ دونَه خَنْدقٌ وبَابَا حَديدِ
ومُلوكٌ من قبلِه عَمَرُوا الأَرْ ضَ أُعينوا بالنَّصْر والتأييدِ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : هَبُّودُ جبل ، ويروى من عَبُّودٍ، وهو جبل أيضاً » .

(٢) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب عن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه أبى عمرو قال : يقال: يوم صَيْخُودٌ وصَيْخَدٌ وصَيْهَدٌ وصَهْدَانٌ : إذا كان شديد الحرّ . المهلبي : صخرة صيخودٌ- صماءُ صلبة » .

فلَوَ أنَّ الأيامَ أخْلَدْنَ حَيًّا لِعَلاءٍ أخْلَدْنَ عبدَ المجيدِ
ما دَرَىٰ نَعْشُه ولا حامِلوهُ ما على النعشِ من عَفافٍ وجُودِ
وَيْحَ أيْدٍ حَثَتْ عليه وأيْدٍ دَفَنَتْه، ما غَيَّبَتْ فى الصَّعيدِ
إنَّ عبدَ المجيد يوم تولَّىٰ هَدَّ رُكْنًا ما كان بالمَهْدودِ
[وأرَانا كالزّرعِ يَحْصُدُه الدهـــرُ فَمِنْ بين قائمٍ وحَصيدِ
وكأنَّا للموتِ رَكْبٌ مُجِبُّو نَ سِراعًا لِمَنْهَلٍ مَوْرُودِ]
هَدَّ رُكْنِي عبدُ المجيدِ وقد كُنْـــتُ بِرُكْنٍ أنُوءُ منهُ شَديدِ
[فَبِعبدِ المَجيدِ تأمُورُ نَفْسِي عَثَرَتْ بى بَعْدَ انتعاشِ جُدودِي
وبعبدِ المجيدِ شَلَّتْ يدى اليُمْــنَىٰ وشَلَّتْ به يمينُ الجودِ]

وفى هذا الشعر :

فَبِرَغْمِي كنتَ المُقَدَّمَ قَبْلِي وبِكُرْهِي دُلِّيتَ فى المَلْحودِ
كنتَ لى عِصْمةً وكنتَ سَماءً بك تَحْيا أرضِي ويَخْضَرُّ عُودِي

قال أبو العباس : وكانت العربُ تُقدِّمُ مراثِيَ وتُفَضِّلُها ، وتَرَىٰ قائلَها بها فوقَ كلِّ مُؤَبِّنٍ ، وكأنهم يرَوْنَ ما بعدَها من المراثى منها أُخِذَتْ ، وفى كَنَفِها تَصْلُحُ . فمنها قصيدةُ أعْشَىٰ باهِلَةَ ، ويُكْنَىٰ أبا قُحافةَ ، التى يَرْثِي بها المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهِلِيَّ ، وكان أحدَ رِجْلِيِّ العربِ[1] [قال الأخفشُ : هو منسوبٌ إلى الرَّجْلِ] وهم السُّعاةُ السابقون فى سعيهم ، وكان من خَبَرِهِ

(١) بحاشية ا : « قال المهلبي : الرجليّ الشديد العدو والقويّ عليه ، وهم الذين يغزون رجّالة ، والجمع رجليّون » .

أنه أَسَرَ صَلاءَةَ بن العَنْبَرِ الحارِثِىَّ، فقال: أُفْدِ نَفْسَك، فأَبَىٰ، فقال: لأُقَطِّعَنَّكَ أُنْمَلَةً أُنْمَلَةً(١)، وعُضْوًا عُضْوًا ما لم تَفْتَدِ نفسَك؛ فجعلَ يفعلُ ذلك به حتى قتله، ثم حَجَّ من بعدِ ذلك المُنْتَشِرُ ذَا الخَلَصةِ، وهو بيتٌ كانت خَثْعَمُ تَحُجُّه، زعم أبو عبيدةَ أنه بالعَبَلاَتِ، وأنه مسجدُ جامِعِها، فَدَلَّتْ عليه بنو نُفَيْلِ بن عمرِو بن كلابٍ الحارِثِيِّينَ؛ فقبضوا عليه، فقالوا: لنفعلنَّ بك كما فعلتَ بصَلاءَةَ، ففعلوا ذلك به، فأتى راكبٌ أَعْشَىٰ باهلَة، فقال له أعشَىٰ باهلةَ: هل من جائِبَةِ خَبَرٍ(٢)؟ قال: نعم، أَسَرَتْ بنو الحْرثِ المنتَشِرَ، وكانت بنو الحْرثِ تُسمِّى المنتشرَ مُجَدِّعًا، فلمّا صار فى أيديهم قالوا لَنُقَطِّعَنَّكَ كما فعلتَ بصلاءَةَ، فقال أعشَىٰ باهلةَ يرثى المنتشرَ:

إِنِّى أَتَتْنِى لِسَانٌ لا أُسَرُّ بها ... مِنْ عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ
فَبِتُّ مُرْتَفِقًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ ... حَيْرَانَ ذَا حَذَرٍ لو ينفعُ الحَذَرُ
فجاشَتِ النفسُ لمّا جاء جَمْعُهُمُ ... وراكبٌ جاء مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ
يأتى على الناسِ لا يَلْوِى على أحدٍ ... حتى الْتَقَيْنا وكانتْ دُونَنا مُضَرُ
يَنْعَىٰ امْرأً لا تُغِبُّ الحىَّ جَفْنَتُهُ ... إذَا الكواكبُ أخطَا نَوْءَها المَطَرُ
مَنْ ليس فى خيرِه شَرٌّ يُكَدِّرُهُ ... على الصَّدِيقِ ولا فى صَفْوِهِ كَدَرُ

---

(١) بحاشية ا: «قال الأصمعى: يقال: أُنْمُلَةٌ وأَنْمَلَةٌ، والجميع الأنامل، وهى منتهى المفاصل الأوائل من كل إصبع من اليدين والرجلين».

(٢) بحاشية ا: «قال ابن شاذان: قال أبو عمر: الجوائب والجائبات من الأخبار، الواحدة جائبة، تقول: عندك جائبة، أى ما يأتى من الأخبار، قال أبو زبيد: وقد ثابتْ إليكم جوائبُ الأخبارِ».

طَاوِى المَصِيرِ على العَزَّاءِ مُنْصَلِتٌ ‌ ‌ بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

لا تُنْكِرُ البازلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَهُ ‌ ‌ بالمَشْرَفِىِّ إذا ما اجْلَوَّذَ السَّفَرُ(١)

وتَفْزَعُ الشَّوْلُ منه حينَ تُبْصِرُهُ ‌ ‌ حتى تَقَطَّعَ فى أعناقِها الجِرَرُ

لا يُصْعِبُ الأَمرَ إلَّا رَيْثَ يَرْكَبُه ‌ ‌ وكلَّ أمرٍ سِوَى الفحشاء يأْتَمِرُ

تَكْفِيهِ فِلْذَةُ كَبْدٍ إنْ أَلَمَّ بها ‌ ‌ من الشِّواء ويَكْفِى شُرْبَهُ الغُمَرُ(٢)

لا يَتَأَرَّى لِمَا فى القِدْرِ يَرْقُبُهُ ‌ ‌ ولا تَرَاهُ أَمامَ القومِ يَقْتَفِرُ

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولا وَصَبٍ ‌ ‌ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ‌ ‌ عنه القَمِيصُ ، لِسَيْرِ الليلِ مُحْتَقِرُ

عِشْنَا بذلك دَهْرًا ثم فَارَقَنَا ‌ ‌ كذلك الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ

[فإنْ جَزِعْنا فقد هَدَّتْ مُصِيبَتُنا ‌ ‌ وإنْ صَبَرْنَا فإنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ

إنِّى أَشُدُّ حَزِيمِى ثم يُدْرِكُنِى ‌ ‌ منكَ البَلاءُ ومن آلائِكَ الذِّكَرُ]

لا يَأْمَنُ الناسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ‌ ‌ مِنْ كلِّ أَوْبٍ وإنْ لم يَأْتِ يُنْتَظَرُ

إمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ فى مُبَاوَأَةٍ ‌ ‌ يومًا فقد كنتَ تَسْتَعْلِي وتَنْتَصِرُ(٣)

---

(١) بحاشية ا : « عند ابن شاذان : لا تأمن البازلُ . وعنده : إذا ما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ ، أى امتدّ . وقال ابن شاذان : يقال اجْلَوَّذَ الليل واخرَوَّطَ السفر » .

(٢) بحاشية ا : « عند ابن شاذان : تكفيه حَزَّةُ لحم . وعنده : ويُرْوِى شُرْبَه الغُمَرُ » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : وإن يصبك عدوٌّ فى مناوأة . يقال ناوأْتُ الرجل مناوأةً إذا عاديتَه » .

لو لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وهْيَ خائِنَةٌ ... أَلَمَّ بالقوْمِ ورْدٌ منه أوْ صَدَرُ
وَرّادُ حَرْبٍ شِهابٌ يُسْتضاءُ به ... كما يُضيءُ سَوادَ الطَّخْيَةِ القَمَرُ
إمّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ... فاذهبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنْتَشِرُ
مَنْ ليس فيه إذا قاوَلْتَهُ رَهَقٌ ... وليس فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ(١)

قوله: « إنّي أتتني لسانٌ » يقال: هو اللسانُ وهي اللسانُ، فمن ذَكَّرَ جَمَعَهُ « ألسِنَةٌ »، ونظيره « حِمارٌ وأحمِرَةٌ »، و« فراشٌ وأفرِشَةٌ »، « وإزارٌ وآزِرَةٌ »، ومن أنَّثَ قال « لسانٌ وألْسُنٌ » كما تقولُ « ذِراعٌ وأذْرُعٌ » و« كُراعٌ وأكْرُعٌ » لا تبالي أمَضْمُومَ الأوّلِ كان أو مفتوحًا أو مكسورًا إذا كان مؤنثًا، ألا ترى أنك تقول « شِمالٌ وأشْمُلٌ » قال أبو النَّجْمِ:

* يأتي لها مِنْ أيْمُنٍ وأشْمُلِ *

وقال آخرُ، أنشدنيه المازنيُّ:

فَظَلَّتْ تَكُوسُ على أكْرُعٍ ... ثلاثٍ وكانَ لها أرْبَعُ(٢)

وأرادَ باللسانِ هٰهنا: الرسالةَ. وقوله: « مِنْ عَلُ » يقولُ: مِنْ فَوْقُ، فإذا كان معرفةً مفرداً بُنِيَ على الضَّمِّ، كقبلُ وبعدُ، وإذا جعلتَه نكرةً نَوَّنْتَه وصرفتَه، كما قال جريرٌ:

إنّي انْصَبَبْتُ من السماءِ عليكُمُ ... حتى اختطفتُك يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

---

(١) بحاشية ا: « في رواية ابن شاذان: إذا ياسَرْتَه عَسَرُ ».

(٢) بحاشية ا: « ابن شاذان: يقال كاسَ البعيرُ يكُوس كَوْساً: إذا قطعتَ إحدى قوائمه فحبا على ثلاثٍ ».

والقوافي مجرورةٌ ، وإن شئتَ رددتَ ما ذهبَ منه ، وهي ألِفٌ منقلبةٌ من واوٍ ، لأنَّ بناءه « فَعَلُ » من « عَلاَ » يا فتى ، قال الراجزُ :

وهي تَنوشُ الحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلاَ　　نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلاَ

وقوله : « فَبِتُّ مُرْتَفِقًا » وهو المتَّكئُ على مِرْفَقِهِ ، وإنما أرادَ السَّهرَ ، كما قال أبو ذُؤَيْبٍ :

إنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ الليلَ مُرْتَفِقًا　　كأَنَّ عَيْنِيَ فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

وقوله : « جاشَتِ النَّفْسُ » يقولُ : خَبُثَتْ ، يكونُ ذلك من تذكُّرِها للتَّهَوُّعِ ومن جَزَعِها منه ، ويُرْوَى عن معاويةَ أنه قال : اجعَلُوا الشِّعْرَ أكثرَ همِّكُمْ وأكثرَ آدابِكم ؛ فإن فيه مآثِرَ أسْلافِكم ومواضعَ إرشادِكم ، فلقد رأيتُنِي يوم الهَرِيرِ ، وقد عَزَمْتُ على الفِرار ، فما يَرُدُّنِي إلاَّ قولُ ابنِ الإطنابةِ الأنصاريِّ :

أَبَتْ لي عِفَّتِي وأَبَى بَلاَئِي　　وأَخْذِي الحمدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وإجْشامِي على المكروه نَفْسِي　　وضَرْبِي هامةَ البَطَلِ المُشِيحِ(١)
وقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وجاشَتْ　　مكانَكِ تُحْمَدِي أو تَسْتَرِيحِي(٢)

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : أشاح الرجلُ إشاحةً فهو مُشِيحٌ : حاذَرَ من الأمر ، وأشاح : جَدَّ ، وهو من الأضداد ، وشايَحَ فهو مُشايِح ، وشاح فهو شائحٌ وشِيحٌ » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قوله جشأَتْ وجاشت : نهضتْ نفسُه إليه ، ومنه اشتقاق تَجَشَّأْتُ ، والاسم الجُشَأَة ، وهو تنفس المعدة عند الأكل ، ويقال جشَأَت الغنمُ ، وهو صوت يخرج من الحلق ، قال امرؤ القيس : إذا جَشَأَتْ سمعتَ لها » .

يقال : « جَشَأَتْ » مهموزٌ ، و « جاشَتْ » غيرُ مهموز . و « تَثْلِيثُ » موضعٌ بعينِه . وقوله : « لا يَلْوِى على أحدٍ » يقال: استقام فلانٌ فما لَوَىٰ على أحدٍ ، ويقال: أَلْوَىٰ بالشىء إذا ذَهبَ به . وقوله : « إذَا الـكواكبُ أَخْطَا نَوْءَهَا المطرُ » ، فالنَّوْء عنـدهم طلوعُ نجمٍ وسقوطُ آخرَ ، وليس كلُّ الـكواكبِ لها نوء ، وإنما كانوا يتقوَّلون هذا فى أشياء بعينها ، ويُرْوَىٰ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا ذُكِرَتِ النجومُ فأَمْسِكُوا » يعنِى أَمْرَ الأَنْوَاء ، لم يختلفْ فى ذلك المفسرون ، وعنه عليه السلام فى غِبِّ سَماءٍ : « أتدرون ما قال ربُّكم تبارك وتعالى ؟ قال : أَصْبَحَ عبادِى مؤمنًا بى وكافراً بالـكواكب ، وكافراً بِى ومؤمناً بالـكواكبِ . فأما المؤمنُ بى الـكافرُ بالـكواكب فهو الذى يقول مُطِرْنَا بِنَوْء الرَّحْمَةِ ، والمؤمنُ بالـكواكب الـكافرُ بى الذى يقول مُطِرْنا بنَوْء كذا » . و : « النَّوْء » مهموزٌ ، وهو منْ قولك « ناء بِحِمْلِهِ » أى استَقَلَّ به فى ثِقَلٍ(١) ، فالنوء مهموزٌ ، وهو فى الحقيقة الطالعُ من الـكواكبِ لا الغَائِرُ ، وكان الأصمعىُّ لا يُفَسِّرُ من الشِّعْرِ ما فيه ذِكرُ الأَنْوَاء ، بل كان لا يسمعُ ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذِكْرُ النجومِ ، ولا يفسرُ ما وافق تفسيرُه بعضَ ما فى القرآن إلاَّ ساهِيًا ، فيما يذكر أصحابه عنه ، ويُرْوَىٰ أنه سُئل عن غير شىء

---

(١) بحاشية ا : « قال الخليل : الثِقَل مصدر الشىء الثقيل ، تقول : ثَقُلَ الشىء يثقل ثِقْلاً فهو ثقيل ، والثِقَل رجحان الثقيل » .

من ذلك فأباه وزَجَرَ السائلَ . وقوله « طَاوِى المَصِيرِ » يقال لواحد المُصْرَانِ «مَصِيرٌ» ، وتقديره «قَضِيبٌ وقُضْبانٌ» ، و «كَثِيبٌ وكُثْبانٌ» ، و «العَزَّاءُ» الأمرُ الشديد ، يقال : فلانٌ صابرٌ على العَزَّاء ، وكذلك اللأْوَاء ، وكذلك الجُلَّى مقصورٌ ؛ فأما العزَّاء ، واللأْوَاء فمدودانِ . وقوله « مُنْصَلِتٌ » يقال سيفٌ مُنْصَلِتٌ وصَلْتٌ : إذا جُرِّدَ من غِمْدِهِ . وقوله « ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ » يريد : القَفْرَ ، ووقتَ الصُّعوبة . وقوله « لا تُنْكِرُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَه بالمشرفيّ » يقول : قد عوَّدَ الإبلَ أن ينحرها ، ومِنْ شأنِهِم أن يُعَرْقِبُوها قبل النَّحرِ ، والمَشْرَفِيُّ : السيفُ ، وهو منسوبٌ إلى المشارفِ . وقوله « اجْلَوَّذَ » امتَدَّ ، وأنشدنى الرِّيَاشِيُّ لرجلٍ من أهل الحجاز ، أَحْسِبُهُ ابنَ أبى رَبيعةَ :

ألاَ حَبَّذَا حبذَا حبذَا   حَبيبٌ تَحَمَّلْتُ منه الأذَى
ويا حبذَا بَرْدُ أنيابه   إذا أظلمَ الليلُ واجْلَوَّذَا

وقوله : « حتى تَقَطَّعَ فى أعناقِها الجِرَرُ » يقول : حتى اعتادتْ أن ينحرَها ، فهى تَفْزَعُ منه حتى تَقَطَّعَ جِرَّتُها ، ومثلُ هذا قولُ الخَنَوْتِ :

سأَبكى خليلِى عَنْتَرًا بعد هَجْعَةٍ   وسَيْفِى مِرْداسًا قَتيلَ قَنَانِ
قَتيلانِ لا تبكى اللِّقاحُ عليهما   إذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأفانِ[1]

يقول : كانا يَنْحَرانِ الإبلَ ، فهى لا تجزعُ لفقدهما ، وقَرْمَلٌ وأَفَانٍ :

(١) بحاشية ف : « القرمل والأفانى : الأجود إذا أدخلت الألف واللام أن تلحق الياء الأفانى » .

ضربانِ من النَّبْتِ(١) . وشبيهٌ بهذا قولُه حيث يقولُ :

فلو كان سَيْفِى باليمينِ تَباشَرَتْ ضِبابُ المَلَا من جمعِهم بقَتيلِ

يقول : هؤلاء قومٌ كانوا يحترشون الضِّبابَ ، فكلَّما قُتِلَ منهم واحدٌ سُرَّتْ بذلك الضِّبابُ واستبشرتْ . وقوله « لا يَتأَرَّىٰ لِمَا فى القِدْرِ يَرْقُبُه » يقول : لا يَتَحَبَّسُ له ، ومن ذا سُمِّىَ الآرِىُّ ؛ لأنه يَحْبِسُ الدابة . وقوله « ولا تَرَاه أمامَ القومِ يَقْتَفِرُ » يقول : لا يسبقهم إلى شىء من الزادِ . وقوله « ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ » الشَّراسِيفُ : أطرافُ الضلوعِ ، والصَّفَرُ هٰهنا : حَيَّةُ البطنِ ، وله مواضع . وقوله « مُهَفْهَفٌ » يعنى ضامرًا ، وأَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ توكيدٌ له . وقوله : « إمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ فى مُباوَأَةٍ » يقول : فى وِتْرٍ ، يقال باء فلان بكذا ، كما قال مُهَلْهِلٌ : بُؤْ بِشِسْعِ كُلَيْبٍ : أى هو ثأرٌ بالشِّسْعِ . و « الطَّخْيَةُ ، والطُّخْيَةُ ، والطِّخْيَةُ » ثلاثُ لغاتٍ : شِدَّةُ الظُّلْمَةِ ، وكان الذى أصابَهُ هِنْدَ بن أسماء الحارثىَّ ، فى ذلك يقولُ :

أَصَبْتَ فى حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ هندَ بنَ أسماءَ لا يَهْنِئْ لكَ الظَّفَرُ

يقال « هَنَأَهُ ذلك وهَنَأَ له » كما تقولُ « هَنِيأً لك » قال الأَخْطَلُ :

---

(١) بحاشية ا : « قال أبو زياد الكلابى : الأفانى من العُشْب ، وهى غبراء لها زهرة حمراء ، وهى طيبة ، الواحد أفانيَةٌ . وقال أبو عمرو : الأفانى من أحرار البقل ، ولها زهرة صغيرة حمراء ، وقال لى بعض الأعراب : الأفانية بقلة ثم تصير كالشجرة خضراء غبراء . وقال الأصمعى : يشبه فرخ القطاةِ المشوِّك ، وقال : من الأفانى أحمر وأصفر . قال أبو زياد الكلابى : القَرْمَل والواحدة قرملة ، وهى شجرة من الحَمْضِ تنبت فى السباخ على ساق واحدة ، لا ورق لها » .

إلى إمامٍ تُغَادِينا فَواضِلُهُ أَظْفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئْ له الظَّفَرُ

وقوله « وليسَ فيـه إذا عَاسَرْتَهُ عَسَرُ » مَدْحٌ شريفٌ ، مثلُ قولهم « إذا عَزَّ أخوكَ فهُنْ » وإنما هذا فيمنْ لا يَخَافُ استِذْلالَه ، بأنْ يَخرُجَ صاحبُه عند مُسَاهَلَتِهِ إلى باب الذُّلِّ ، فأما مَنْ كان كذلك فمُعاسَرَتُهُ أَحْمَدُ ، ومُدَافعَتُهُ أَمْدَحُ ، كما قال جريرٌ :

بِشْرٌ أبو مَرْوَانَ إنْ عاسَرْتَهُ عَسِرٌ ، وعندَ يَسَارِه مَيْسُورُ

☆

قال أبو العباس : ومن أشعارِ العربِ المشهورةِ المُتَخَيَّرَةِ فى المراثى قصيدةُ مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ فى أخيه مالكٍ ، وسنذكُرُ منها أبياتاً نختارُها ، من ذلك قولُه[1] :

أقولُ وقد طارَ السَّنَا فى رَبابِه وغَيْثٌ يَسُحُّ الماءَ حتى تَرَيَّعا[2]

سَقَى اللهُ أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ ذِهابَ الغَوادِى المُدْجِناتِ فأَمْرَعَا

وآثَرَ سيلَ الوادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا من النَّبْتِ خِرْوَعَا

تَحِيَّتَهُ مِنِّى وإن كان نائياً وأَضْحَى تُراباً فوقَهُ الأرضُ بَلْقَعا

فما وَجْدُ أَظْآرٍ ثلاثٍ رَوَائِمٍ رَأَيْنَ مَجَرًّا مِنْ حُوارٍ ومَصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذَا البَثِّ الحزينَ بِبَثِّهِ إذا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعَا

---

(١) هو من قصيدة فى المفضليات بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام هرون برقم ٦٧ .

(٢) بحاشية ا : « عند ابن شاذان : وجونٍ يسحُّ الماء . وقال : الجون ههنا سحاب أسود » .

بأَوْجَعَ منِّى يومَ فارقتُ مالكاً ونادَى به الناعِى الرفيعُ فَأَسْمَعَا

وفيها :

وكنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً من الدَّهرِ حتى قيلَ لن يتَصَدَّعَا
فلما تفرَّقْنا كأنِّى ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا
وعِشْنا بخيرٍ فى الحياةِ وقبْلَنَا أصابَ المَنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا
فإنْ تكنِ الأيامُ فَرَّقْنَ بيننَا فقد بانَ محموداً أخِي يوم وَدَّعَا
تقول ابنةُ العَمْرِىِّ: مالكَ بعدَما أراكَ حَديثًا ناعمَ البال أفْرَعَا
فقلتُ لها: طولُ الأسَى إذْ سألْتِنِي ولَوْعةُ حُزْنٍ تتركُ الوجهَ أسْفَعَا
وفَقْدُ بَنِي أمٍّ تَفَانَوْا فلم أكُنْ خِلافَهُمُ أنْ أسْتَكِينَ وأضْرَعَا
ولستُ إذَا ما الدَّهْرُ أحْدَثَ نَكْبَةً ورُزْءًا بزَوَّارِ القَرَائِبِ أخْضَعَا
ولا فَرِحٍ إنْ كنتُ يومًا بغِبْطةٍ ولا جَزِعٍ إن نابَ دَهْرٌ فَأَوْجَعَا
ولكِنَّنِى أَمْضِى على ذاكَ مُقْدِمًا إذا بعضُ مَنْ لاقَى الخُطوبَ تكَعْكَعَا
فَعَمْرَكِ ألَّا تُسْمِعِينى مَلامةً ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الفؤادِ فَيِيجَعَا
وقَصْرَكِ إنِّى قد شهدتُ فلم أجِدْ بكَفِّيَّ عنه للمَنِيَّةِ مَدْفَعَا
فلو أنَّ ما ألْـقَى أصاب مُتالِعًا أوِ الرُّكْنَ من سَلْمَى إذًا لَتَضَعْضَعَا

وفى هذه القصيدة :

لقد كَفَّنَ المِنْهالُ تحتَ ردائِهِ فَتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعَا
ولا بَرَمٍ تُهْدِى النساءُ لعِرْسِهِ إذَا القَشْعُ من بَرْدِ الشِّتاءِ تَقَعْقَعَا
لَبِيبًا أعانَ اللُّبَّ منه سماحةٌ خَصيبًا إذَا ما رائدُ الجَدْبِ أوْضَعَا

تَرَاهُ كنَصْلِ السيفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى ... إذا لم تَجِدْ عند امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا
إذا ابْتَدَرَ القومُ القِداحَ وأُوقِدَتْ ... لهمْ نارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا
بِمَثْنَى الأَيادِي ثم لم تُلْفِ مالكاً ... على الفَرْثِ يَحْمِي اللحمَ أن يُتَمَزَّعَا

قوله « وقد طارَ السَّنا في رِبَابِهِ » . « السَّنَا » الضوء ، وهو مقصور ، قال الله جل وعز : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ ﴾ ، و « السَّنَاء » من الحسب ممدودٌ ، و « الرَّبَابُ » سحابٌ دُونَ السحابِ كالمتعلِّقِ بما فوقَه ، قال المازنيُّ :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السحابِ ... نَعامٌ تَعَلَّقُ بالأَرْجُلِ

وقوله « يَسُحُّ » معناه يَصُبُّ ، فإذا قلتَ « يَسْحُو » ، أو « يَسْحَى » فمعناه يَقْشِرُ ، ومن ذا سُمِّيَتْ « سِحَاءَةُ » القِرْطاسِ و « سِحابَتُهُ » ، ومنه قيل للحديدةِ التي يُقْشَرُ بها وجهُ الأرض « مِسحاةٌ » قال عَنْتَرةُ :

سَحًّا وسَاحِيَةً فكلُّ قَرارةٍ ... يَجْرِي عليها الماءُ لم يَتَصَرَّمِ

وقوله « تَرَيَّعَ » أي كَثُرَ حتى جاء وذهبَ ، يقال رَاعَ يَرِيعُ إذا رجعَ ، ومنه سُمِّيَ رَيْعُ الطعام ؛ لأنه يرجع بفَضْلٍ ، قال مُزَرِّدٌ :

خَلَطْتُ بِصَاعَيْ عَجْوةٍ صاعَ حنطةٍ ... إلى صاعِ سَمْنٍ فوقَه يَتَرَيَّعُ

و « الذِّهابُ » الأمطارُ اللَّيِّنة(١) . و « المُدْجِنَاتُ » من السحاب

---

(١) بحاشية ١ : « قال أبو زيد : الذِّهاب اسم للمطر كله ، ضعيفه وشديده . وقال الخليل : الذِّهْبَة المَطْرَةُ الجَوْدُ ، والجميع الذِّهاب ، والذِهبة المرة الواحدة من الذِهاب . وقال ابن الأعرابي : الذِهاب الأمطار » .

السُّودُ ، وهو مأخوذٌ من الدَّجْنِ والدُّجُنَّةِ ، ومعناه إِلْبَاسُ الغيم وظلمتُه ، قال طَرَفةُ :

وتَقْصِيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنةٍ تحتَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ

ويقال « أَمْرَعَ الوادِى » إذا أَخْصَبَ ، من ذلك قولُ مولاةِ بنِ الأَجْيَدِ عن أَوْفَى بنِ دَلْهَمٍ ، قال أبو العباس : حدثنى به ابنُ المهدىِّ أحمدُ بن محمدٍ النحوىُّ ، يُحَدِّثُ به عن الأصمعىّ عن أبيه ، عن مولاة بنِ الأَجْيَدِ عن أَوْفَى قال : فى النساء أربعٌ ، فمنهنّ الصَّدَعُ ، تُفَرِّقُ ولا تَجْمَعُ ، ومنهنّ مَنْ لها شَيْئُها أَجْمَعُ ، ومنهنّ غَيْثٌ وقَعَ فى بلدٍ فأَمْرَعَ ، ومنهنّ التَّبَعُ ، تَرَى ولا تَسْمَعُ ، قال : فذكرتُ ذلك لرجلٍ فقال : ومنهنّ القَرْثَعُ ، قلتُ : وما هى ؟ قال التى تَكْحُلُ عيناً وتَدَعُ الأُخرى ، وتلبسُ ثوبَها مقلوباً . [قال الأخفشُ : حدثنى بذلك أبو العَيْناء عن الأصمعىّ ، وذَكَرَ نحوَ ذلك] . وقوله « وآثَرَ سَيْلَ الوادِيَيْنِ بديمَةٍ » زعَم الأصمعىُّ وغيرُه من أهل العلم أن الدِّيمَةَ المطرُ الدائمُ أيامًا برِفْقٍ . وقوله « تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا » أى تُهَيِّئُه لذلك ، يقال فلانٌ يُرَشَّحُ للخلافة ، و « الوَسْمِىُّ » أوّلُ مطرٍ يَسِمُ الأرضَ ، و « الوَلِىُّ » كلُّ مَطْرَةٍ بعدَ مطرةٍ ، فالثانية وَلِىٌّ للأخرى ؛ لأنها تَليها . و « الخِرْوَعُ » كلُّ عُودٍ ضعيفٍ . وقوله « فمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثلاثٍ روائمٍ » . « أظْآرٌ » جمعُ ظِئْرٍ ، وهىَ النُّوقُ تَعْطِفُ على الحُوَارِ فتَأْلَفُه » ، و « رَوَائِمُ » واحدتُها رَؤُومٌ ، ومعنى تَرْأَمُه تَشَمُّهُ ، والحُوَارُ وَلَدُ

الناقةِ، ويقال له حيثُ يَسْقطُ من أُمِّهِ « سَلِيلٌ » قبلَ أن تقعَ عليه الأسماءُ ، فإن كان ذكرًا فهو « سَقْبٌ » ، وإن كانت أُنثَى فهى «حَائِلٌ» وهو فى ذلك كلِّه «حُوَارٌ» سَنَةً . وقوله «نَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ» يعنى جَذيمةَ الأَبْرَشَ الأَزْدِيَّ، وكان مَلِكاً ، وهو الذى قتلَتْه الزَّبَّاءُ ، وهو أولُ من أَوْقَدَ بالشَّمَعِ [١] ونَصَبَ المَجَانِيقَ للحربِ ، وله قِصَصٌ تَطُولُ ، وقد شرحنا ذلك فى كتاب الاختيار ، ونديماه يقالُ لهما مالكٌ ، وعَقيلٌ ، ففى ذلك يقولُ أبو خِرَاشٍ الهُـذَلِيُّ :

أَلَمْ تَعْلَمِى أَنْ قد تفرَّقَ قبلَنا ... خليلاَ صَفَاءٍ : مالكٌ وعَقِيلُ

والمَثَلُ يُضْرَبُ بهما لِطُولِ ما نَادَمَاه ، كما يُضْرَبُ باجتماع الفَرْقَدَيْنِ ، قال عَمْرُو بن مَعْدِى كَرِبَ :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخوه ... لَعَمْرُ أبيكَ إلاَّ الفَرْقَدَانِ

قال هذا من قبلِ أن يُسْلِمَ . وقال إسمٰعيلُ بن القاسِمِ :

ولم أَرَ ما يَدُومُ له اجتماعٌ ... سَيَفْتَرِقُ اجتماعُ الفَرْقَدَيْنِ

وقوله « أَرَاكَ حـديثًا ناعِمَ البالِ أَفْرَعَا » « الأَفْرَعُ » التامُّ شَـعَرِ الرأسِ ، وقيل لعمرَ بن الخطاب رضى الله عنه : الفُرْعانُ خيرٌ، أَمِ الصُّلْعانُ ؟ فقال : بلِ الفُرْعانُ ، وكان أبو بكرٍ أَفْرَعَ ، وكان عمرُ أَصْلَعَ ، فوَقَع

---

(١) بحاشية ا : « قال الخليل : الشَّمَعُ مُومُ العَسَلِ ، والقطعة شَمَعَة . وقال ابن دريد : الشَّمَعُ الذى يُسمَّى المُومَ بالفارسية . وقال ابن قتيبة : يقال: شَمْع وشَمَع . وحُـكِى عن الفراء ، قال : الشَّمَع بتحريك الميم ، والمولدون يقولون : شَمْع » .

فى نفسِه أنه يُسْئَل عنه وعن أبى بكرٍ . و « الأَسْفَعُ » الأسودُ ، يقال « سَفَعَتْهُ النارُ » أىْ غَيَّرَتْ وجهَه إلى السَّوادِ . وقوله « فَعَمْرَكِ » يُقْسِمُ عليها ، ويقال « عَمْرَكَ اللهَ » أىْ أُذَكِّرُكَ اللهَ(١) قال :

عَمَّرْتُكِ اللهَ إلاَّ ما ذَكَرْتِ لَنا ... هل كنتِ جارتَنا أيَّامَ ذِى سَلَمِ

وقوله « غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ » . يقول : كان لا يأكلُ فى آخرِ نهارِه انتظارًا للضيفِ ، ويروىٰ أن عمر بن الخطاب سأله فقال : أكذبتَ فى شىءٍ مما قلتَه فى أخيكَ ؟ فقال : نعم ، فى قولى « غيرَ مِبْطَانٍ » ، وكان ذَا بَطْنٍ ، ويقال فى غيرِ هذا الحديثِ : إنَّ مِنْ سِيماَ الرئيسِ السيِّدِ أن يكونَ عظيمَ البطنِ ضَخْمَ الرأسِ فيه طَرَشٌ ! وقال رجلٌ لفتًى : واللهِ ما أنتَ بعظيمِ الرأسِ فتكونَ سيِّدًا ، ولا بأَرْسَحَ فتكونَ فارساً . وقال رجلٌ لرجلٍ : واللهِ ما فُتِقْتَ فَتْقَ السَّادَةِ ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسَانِ . و « الأَرْوَعُ » ذو الرَّوْعَةِ والهيْئَةِ . و « البَرَمُ » الذى لا يَنْزِلُ مع الناسِ ولا يأخذُ فى المَيْسِرِ ، ولا يَنْزِعُ إلاَّ نَكِدًا ، قال النابغةُ :

هلاَّ سأَلْتِ بنى ذُبْيانَ ما حَسَبِى ... إذَا الدُّخَانُ تَغَشَّىٰ الأَشْمَطَ البَرَمَا

وقوله « إذا القَشْعُ » وهو الجِلْدُ اليابسُ ، ويقال لِكُنَاسةِ الحَمَّامِ « القِشْعُ » قال أبو هريرة : وكُذِّبْتُ حتى رُميتُ بالقِشْعِ .

---

(١) بحاشية ا : « قال المهلبى : عَمْرَكَ اللهَ ، أى سألتُ اللهُ تعميرَكَ ، وهو معنى قول العامة : بالذى يُعَمِّرُكَ . وقال ابن الأعرابى : عمرُكَ اللهُ بالرفع . والنصبُ الوجهُ ، وعليه رواه أهل العربية . وقال آخرون : عَمْرَ اللهِ » .

وحدثني العباسُ بن الفَرَج الرِّياشِيّ عن محمد بن عبد الله الأنصاريُّ القاضي في إسنادٍ ذَكَرَه ، قال : صلَّى مُتَمِّمٌ مع أبي بكرٍ الصديقِ الفَجْرَ في عَقِبِ قتلِ أخيه ، وكان أخوه خَرَجَ مع خالدٍ مَرْجِعَهُ من اليمامَةِ ، يُظْهِرُ الإسلامَ ، فظَنَّ به خالدٌ غيرَ ذلك ، فأمر ضِرارَ بن الأَزْوَرِ الأَسَدِيَّ فقتَلَه ، وكان مالكٌ من أَرْدَافِ الملوكِ ، ومن مُتَقدِّمِي فُرْسانِ بني يَرْبوعٍ ، قال : فلمَّا صلَّى أبو بكرٍ قامَ مُتَمِّمٌ بحِذَائِه ، واتَّكَأَ على سِيَةِ قَوْسِهِ ، ثم قال :

نِعْمَ القَتِيلُ إذَا الرِّيَاحُ تَناوَحَتْ   خَلْفَ البُيُوتِ قَتَلْتَ يا بْنَ الأَزْوَرِ
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ كنتَ وحاسِرًا   ولَنِعْمَ مَأْوَى الطَّارِقِ المُتَنَوِّرِ
أَدَعَوْتَهُ باللهِ ثم غَرَرْتَهُ   لَوْ هُوْ دَعَاكَ بذِمَّةٍ لم يَغْدِرِ

وأومأَ إلى أبي بكرٍ ، فقال : واللهِ ما دَعَوْتُه ولا غَرَرْتُه ، ثم أَتَمَّ شِعْرَه ، فقال :

لا يُمْسِكُ الفحشاءَ تحتَ ثيابِه   حُلْوٌ شَمائِلُهُ عَفِيفُ المِئْزَرِ

ثم بكَى وانْحَطَّ على سِيَةِ قوسِه ، وكان أعورَ دَمِيماً ، فما زال يَبْكي حتى دَمَعَتْ عينُه العَوْرَاءُ ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال : لَوَدِدْتُ أنِّي رَثَيْتُ أخِي زيدًا بمثلِ ما رَثَيْتَ به مالكًا أخاكَ ، فقال له : يا أَبا حَفْصٍ ! واللهِ لو علمتُ أنَّ أخِي صارَ بحيثُ صارَ أخوكَ ما رَثَيْتُهُ ، فقال عمر : ما عَزَّانِي أحدٌ بمثلِ تعزيتِكَ . وكان زيدُ بنُ الخطابِ قُتِلَ شهيدًا يومَ اليمامةِ ، وكان عمرُ يقول : إنِّي لأَهَشُّ للصَّبَا ؛ لأنها تأْتِينا من ناحيةِ زيد .
ويُروَى عن عمرَ أنه قال : لو كنتُ أقولُ الشِّعرَ كما تقولُ لَرَثَيْتُ أخِي

كما رثيتَ أخاكَ . ويُروى أَنَّ مُتَمِّمًا رثَى زيدًا فلم يجِدْ ، فقال له عمر : لم ترْثِ زيدًا كما رثيتَ أخاكَ مالكاً ! فقال : لأنه واللهِ يُحَرِّكُنِي لمالكٍ ما لا يُحَرِّكُنِي لزيدٍ . ومن طَرِيفِ شعرِهِ :

لَعَمْرِي وما دَهْرِي بتأْبينِ هَالكٍ ولا جَزَعٍ والموتُ يَذْهَبُ بالفَتَى
لَئِنْ مَالِكٌ خَلَّى عليَّ مكانَهُ لَفِى أُسْوةٍ إنْ كُنْتِ باغيةَ الأُسَا
كُهولٌ ومُرْدٌ من بنى عمٍّ مالكٍ وأَيْفاعُ صِدْقٍ قد تَمَلَّيْتُهُمْ رِضَا
سُقُوا بالعُقَارِ الصِّرْفِ حتى تَتَابَعُوا كَدَأْبِ ثَمُودٍ إذْ رَغَا سَقْبُهم ضُحَى
إذَا القَوْمُ قالوا : مَنْ فتًى لِمُلِمَّةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى ، ولـكِنَّهُ الفَتَى

ومثلُ هذا الشعرِ قولُ النَّهْشَلِيِّ :

لو كانَ فى الألفِ مِنَّا واحدٌ فَدَعَوْا مَنْ فارسٌ ؟ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا !

وأوَّلُ هذا المعنَى لِطَرَفَةَ :

إذَا القومُ قالوا : مَنْ فَتًى ؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أَتَبَلَّدِ

وقال متممٌ أيضاً فى كلمةٍ له يرثى بها مالكاً :

جَمِيلُ المُحَيَّا ضاحكٌ عند ضَيْفِهِ أَغَرُّ جَمِيعُ الرَّأْيِ مُشْتَرَكُ الرَّحْلِ
وَقُورٌ إذَا القومُ الـكِرامُ تَقَاوَلُوا فَحَلَّتْ حُبَاهُم واسْتُطِيرُوا من الجَهْلِ
وكنتَ إلى نفسِي أشدَّ حلاوةً من الماءِ بالمَاذِيِّ من عَسَلِ النَّحْلِ
وكلُّ فَتًى فى الناسِ بعدَ ابنِ أُمِّهِ كساقِطةٍ إحْدَى يَدَيْهِ من الخَبْلِ
وبَعْضُ الرجالِ نَخْلَةٌ لا جَنًى لها ولا ظِلٌّ ، إلاّ أنْ تُعَدَّ من النَّخْلِ

وقال له عمرُ بن الخطاب : إنك لَجَزْلٌ فأينَ كان أَخُوكَ منك ؟ فقال :

كان واللهِ أخِي في الليلةِ المُظْلمةِ ذاتِ الازيزِ والصُّرَّادِ ، يركبُ الجملَ الثَّفَالَ ، ويجنُبُ الفرسَ الجَرُورَ ، وفي يدِهِ الرُّمح الثّقيلُ ، وعليه الشَّمْلةُ الفَلوتُ ، وهو بَيْنَ المَزَادَتَيْنِ حتى يُصْبِحَ ، فيُصبِحَ أهلَه مُتَبَسِّماً !

« الجملُ الثَّفَالُ » البَطِىء الذى لا يكاد يَنبَعِثُ . و « الفرسُ الجَرُورُ » الذى لا يكادُ يَنْقادُ مع مَنْ يجنُبُه ، إنما يَجُرُّ الحَبْلَ . و « الشَّمْلَةُ الفَلُوتُ » التى لا تكادُ تَثْبُتُ على لابِسِها . وذُكِرَ لنا أنَّ مالكاً كان من أَرْدَافِ الملوكِ ، وفى تَصْدَاقِ ذلك يقولُ جَريرٌ يفْخَرُ ببنى يَرْبُوعٍ :

منهم عُتَيْبَةُ والمُحِلُّ وقَعْنَبٌ والحَنْتَفَانِ ومنهمُ الرِّدْفانِ

فأَحَدُ الرِّدْفَيْنِ مالكُ بن نُوَيْرَةَ اليربوعىُّ ، والرِّدْفُ الآخر من بنى رِياحِ بن يَرْبوعٍ . وللرِّدَافَةِ موضعانِ : أحدهما أن يُرْدِفَهُ المَلِكُ على دابّته فى صَيْدٍ أو تَرَيُّفٍ أو ما أشبه ذلك من مواضعِ الأُنْسِ ، والوجه الآخرُ أَنْبلُ : وهو أن يَخْلُفَ المَلِكَ إذا قامَ عن مجلسِ الحُكْمِ فينظرَ بَيْنَ الناسِ بعْدَهُ .

باب

قال أبو العباس : لمَّا احْتُضِرَ إبراهيمُ النَّخَعِىُّ رحمه الله جَزِعَ جَزَعًا شديدًا ، فقيل له فى ذلك ، فقال : وأىُّ خَطَرٍ أعظمُ من هذا ؟ إنّما أتوَقَّعُ رسولاً يَرِدُ علىَّ من ربِّى ، إما بالجنةِ وإما بالنارِ . ولما احتُضِرَ ابنُ سيرينَ جعلَ يقولُ : نفسِي واللهِ أعَزُّ الأَنْفُسِ علىَّ . ولما احتُضِرَ حُجْرُ بنُ عدِىٍّ لِيُقْتَلَ سأَلَ أن يُمْهَلَ حتى يصلِّىَ ركعتينِ ، وظهرَ منه جزعٌ شديدٌ ، فقال له

قائلٌ : أَتجزَعُ ؟ ! فقال : وكيف لا أَجزَعُ ! ! سيفٌ مشهورٌ ، وكفنٌ منشورٌ ، وقبرٌ محفورٌ ، ولستُ أَدرى أَيُؤَدِّينِي إلى جنةٍ ، أم إلى نارٍ .

[قال أبو الحسن : ما يقومُ بقتلِ حُجْرِ بنِ عدىٍّ شىء ، وإنى لأَعجَبُ من قوله هذا : « ولستُ أدرِى أيُدْنِيني إلى جنةٍ أو إلى نارٍ » وهو شهيدُ الشهداء ! رحمه الله] . وقد ذكرنا موتَ عمْرِو بنَ العاصِى وكلامَه عند الموت .

***

ومِمن ظهَرَتْ منه عند الموت قسْوةٌ : حَلْحَلَةُ الفَزَارِىُّ ، وسعيدُ بن أَبَانَ بنِ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفَزارِىُّ ، فإن عبدَ الملك لمَّا أَحضرَهما لِيُقِيدَ منهما قال لحلحلةَ : صبْرًا حَلْحَلَ ! فقال إِى واللهِ

أَصْبَرُ مِنْ ذِى ضَاغِطٍ عَرَكْرَكِ ... أَلْقَى بَوَانِى زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ

ثم قال لابنِ الأسودِ الكَلْبِىِّ : أَجِدِ الضَّرْبَةَ ، فإنى واللهِ ضربتُ أباكَ ضربةً أَسْلَحَتْهُ فعددتُ النجومَ فى سَلْحِتهِ ! ثم قال عبدُ الملك لسَعيدِ بن أبانَ : صبرًا سعيدُ ! فقال : إِى واللهِ

أَصْبَرُ مِن عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ الْجُلَبْ ... قد أَثَّرَ البِطَانُ فيه والحَقَبْ[1]

ومنهم وكيعُ بنُ أَبِى سُودٍ ، أحدُ بنى غُدَانَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ ، فإنه لما يُئِسَ منه خرجَ الطبيبُ من عنده ، فقال له محمدٌ ابنُه : ما تقولُ ؟ قال : لا يُصَلِّى الظُّهْرَ ، وكان محمدٌ ناسكاً فدخلَ إلى أبيه ، فقال له أبوه وكيع : ما قال

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الجُلْبَةُ قِشْرَةٌ تَرْكَبُ الجُرْحَ عند البرء ، والجميع جُلَبٌ » .

لك المَعْلُوجُ ؟ قال : وَعَدَ أنك تبرَأُ ، قال : أسألُك بحقِّي عليكَ ؟ قال : ذَكَرَ أنكَ لا تصلِّى الظهرَ ، قال : وَيْلِي على ابنِ الخبيثةِ ! واللهِ لو كانتْ فى شِدْقِى لَلُكْتُهَا إلى العصْرِ !! ويُرْوَى أنَّ إبراهيمَ النَّخَعِىَّ قال فى الحديثِ الذى ذكرناه : واللهِ لَوَدِدْتُ أنها تَلَجْلَجُ فى حَلْقِى إلى يومِ القيامة ! وفى وَكيعِ بنِ أبى سُودٍ يقولُ الفرَزْدَقُ :

لقد رُزِئَتْ بأسًا وحزْمًا وسُودَدًا … تَمِيمُ بنُ مُرٍّ يومَ ماتَ وَكِيعُ

وما كان وقَّافًا وَكيعٌ إذا دَنَتْ … سحائبُ مَوْتٍ وَبْلُهُنَّ نَجِيعُ

إذَا الْتقَتِ الأبطالُ أبْصَرْتَ لَوْنَهُ … مُضِيأً وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ

فصبرًا تَمِيمُ إنَّما الموتُ مَنْهَلٌ … يَصِيرُ إليه صابرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضاً :

لِتَبْكِ وَكِيعًا خَيْلُ ليلٍ مُغِيرةٌ … تَسَاقَى المَنَايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

لَقُوا مِثْلَهُم فاستهزَمُوهم بدَعْوَةٍ … دَعَوْها وكيعًا والجيادُ بهم تَجْرِى

ومن الجُفاةِ عندَ الموتِ هُدْبةُ بن خَشْرَمٍ العُذْرِىُّ ، وكان قَتَلَ زِيَادَةَ بنَ زيدٍ العُذْرِىَّ ، فلما حُمِلَ إلى معاويةَ ، تقدَّم معه عبدُ الرحمنِ أخُو زيادةَ بنِ زيدٍ ، فادَّعَى عليه ، فقال له معاويةُ : ما تقولُ ؟ قال : أتحبُّ أن يكونَ الجوابُ شعرًا أم نثرًا ؟ قال : بل شعرًا فإنه أمْتَعُ ، فقال هُدْبَةُ :

فلمَّا رأيتُ أنَّمَا هِيَ ضَرْبةٌ … منَ السيفِ أو إغضاءِ عَيْنٍ على وِتْرِ

عَمَدْتُ لِأَمْرٍ لا يُعَيَّرُ والدِى خَزَايَتَهُ ولا يُسَبُّ به قبرِى[1]
رُمِينَا فَرَامَيْنَا فصادَفَ سَهْمُنَا مَنِيَّةَ نَفْسٍ فى كتابٍ وفى قَدَرِ
وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنَا وراءكَ من مَعْدًى ولا عنكَ من قَصْرِ
فإن تكُ فى أَمْوالِنا لا نَضِقْ بها ذِراعًا ، وإن صَبْرٌ فنَصْبِرُ للصَّبْرِ

فقال له معاويةُ : أَراكَ قد أَقْرَرْتَ يا هدبةُ ! قال : هو ذاكَ ، فقال عبدُ الرحمن : أَقِدْنِى ، فَكَرِهَ ذاكَ معاويةُ وضَنَّ بهُدْبَةَ عنِ القَتْلِ ، وكان ابنُ زيادةَ صغيرًا ، فقال له معاويةُ : أَوَمَا عليكَ أَنْ تَشْفِىَ صَدْرَكَ وتَحْرِمَ غيرَكَ ! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال : يُحْبَسُ إلى أن يبلُغَ ابنُ زِيادَةَ ، فبَلَغَ ، وكان والِى المدينةِ سعيدَ بنَ العاصِى ، فمَّا وُقِفَ عليه من قسوتِه قولُه :

ولمَّا دخلتُ السجنَ يا أُمَّ مالكٍ ذكرتُكِ والأطرافُ فى حَلَقٍ سُمْرِ
وعندَ سَعيدٍ غيرَ أَنْ لم أُبُحْ به ذكرتُكِ إنَّ الأمرَ يُذْكَرُ بالأَمْرِ

فسُئِلَ عن هـذا القول ؟ فقال : لمَّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ ، وكان سعيدٌ حسنَ الثغرِ جدًّا ، ذَكَرْتُ به ثَغْرَها ! ويقال أنه عُرِضَ على ابنِ زيادةَ عَشْرُ دياتٍ فأَبَى إلاَّ القَوَدَ ، وكان ممن عَرَضَ الدياتِ عليه ممن ذُكِرَ لنا : الحسينُ بن علىّ ، وعبدُ الله بنُ جعفرٍ ، عليهما السلام ، وسعيدُ بن العاصِى ، ومَرْوَانُ بن الحكَمِ ، وسائرُ القوم من قريشٍ والأنصارِ ، فلما خُرِجَ به

---

(١) بحاشية ا : « قال ثعلب : عَمَدْتُ الشىءَ أَعْمِدُ إذا قصدتُ إليه . الخَزَايَةُ الاستحياء ، وقال الخليل : الخزاية شدة الاستحياء . يقول : لا يأنف منه ولا يَخْزَى . وقال ابن دريد : خَزِىَ الرجل يَخْزَى خَزاية إذا استحيا فهو خزيانُ » .

لِيُقادَ بالحَرَّةِ جَعَلَ يُنشِدُ الأشعارَ ، فقالتْ له حُبَّى المَدِينيَّةُ : ما رأيتُ أقسَى قلباً منك ، أتُنشِدُ الأشعارَ وأنتَ يُمضَى بك لتُقتَلَ ، وهذه خَلْفَكَ كأنها ظَبْيٌ عطشانُ تُوَلوِلُ ؟! تَعْنِي امرأتَه ، فوقَفَ ووقفَ الناسُ معه ، فأقبلَ على حُبَّى فقال :

ما وَجَدَتْ وَجْدِى بها أمٌّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابنِ أمٍّ كِلابِ
رأته طويلَ الساعدَيْنِ شَمَرْدَلاً كما انعتَتْ من قُوَّةٍ وشَبابِ(١)

فأغلقتْ حُبَّى البابَ فى وجهه وسَبَّتْهُ ، وعَرَضَ له عبدُ الرحمن بن حَسَّانٍ ، فقال : أنشِدْنى ، فقال له : أعَلَى هذه الحال ؟! قال : نعم ، فأنشدَه :

ولَستُ بِمِفْراحٍ إذا الدهرُ سَرَّنِى ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ
ولا أتَبغَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكِى ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أرْكَبِ
وحَرَّبَنِى مولاىَ حتى غَشِيتُهُ متى ما يُحَرِّبْكِ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ

فلما قُدِّمَ نَظَرَ إلى امرأتِه ، فدخلتْه غَيْرةٌ ، وقد كان جُدِعَ فى حَرْبِهِمْ ، فقال :

فإنْ يَكُ أنفِى بانَ منه جَمالُه فما حَسَبِى فى الصالحينَ بأجْدَعا
فلا تَنْكِحِى إنْ فَرَّقَ الدهرُ بيننا أغَمَّ القَفَا والوجهِ ليس بأنزَعا

---

(١) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال : الشمردل الحسنُ الخَلْقِ ، ويقال : السريع ».

فقالت : قِفُوا عنه ساعةً ، ثم مَضَتْ ورَجَعَتْ وقد اصْطَلَمَتْ أنفَها ! فقالت : أهذا فِعْلُ مَنْ له فى الرجالِ حاجةٌ ؟ ! فقال : الآنَ طابَ الموتُ ، ثم أقبل على أبَوَيْهِ فقال :

أَبْلِيَانِى اليــومَ صَبْرًا منكما　　إِنَّ حُزْنًا منكما اليومَ لَشَرّْ

ما أظنُّ الموتَ إلاَّ هَيِّنًا　　إِنَّ بعدَ الموتِ دارَ المُسْتَقَرّْ

ثم قال :

أَذَا العَرْشِ إِنِّى عائِذٌ بكَ مؤمِنٌ　　مُقِرٌّ بِزَلاَّتِى إليكَ فَقِــيرُ

وإِنِّى وإنْ قالوا أَمِيرٌ مُسَلَّطٌ　　وحُجَّابُ أبوابٍ لَهُنَّ صَرِيرُ

لَأَعْلَمُ أنَّ الأمْرَ أمْرُكَ إن تَدِنْ　　فَرَبٌّ وإنْ تَغْفِرْ فأنتَ غَفُورُ

ثم قال لابنِ زِيادَةَ : أَثْبِتْ قَدَمَيْكَ ، وأَجِدِ الضربةَ ، فإنى أيتَمْتُكَ صغيرًا ، وأَرْمَلْتُ أُمَّكَ شابَّةً ! ! ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبار أنه قال : ما أجْزَعُ من الموتِ ، وآيةُ ذلك أنِّى أضْرِبُ برِجلِى اليُسْرَى بعدَ القتل ثلاثًا . وهو باطلٌ موضوعٌ ، ولكنْ سَأَلَ فَكَّ قيودِه ، فَفُكَّتْ ، فذلك حيث يقولُ :

فإِنْ تَقْتُلُونى فى الحَدِيدِ فإِنَّنِى　　قَتَلْتُ أخاكم مُطْلَقًا لم يُقَيَّدِ

قال أبو العباس : وَوَقَفَ جَبَّارُ بنُ سَلْمَى على قبرِ عامرِ بن الطُّفَيْل ، ولم يكنْ حَضَرَهُ ، فقال : أَنْعِمْ صباحًا أبا علىٍّ ! فواللهِ لقد كنتَ سريعًا إلى المَوْلَى بِوَعْدِكَ ، بَطِيئًا عنه بإيعادِكَ ، ولقد كنتَ أهْدَى من النَّجْمِ ،

وأجرَىٰ من السَّيْلِ . ثم التفت إليهم فقال : كان ينبغى أن تجعَلُوا قبر أَبِى علىٍّ مِيلاً فى مِيلٍ . وذَكَرَ الجِرْمازِىُّ : أن الأَحْنَفَ بن قَيْسٍ لما مات ، وكان موتُه بالكوفة ، مَشَىٰ المُصْعَبُ بن الزُّبير فى جنازته بغير رِداءٍ ، وقال : اليومَ ماتَ سيدُ العربِ ، فلمّا دُفِنَ قامتِ امرأةٌ على قبره ، أَحْسِبُها من بنى مِنْقَرٍ ، فقالت : لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ فى جَنَنٍ⁽¹⁾ ، ومُدْرَجٍ فى كَفَنٍ ، فنسألُ الذى فَجَعَنا بموتِكَ ، وابتلانا بفقدِكَ ، أن يجْعَلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ ، ودليلَ الخيرِ دليلَكَ ، وأن يُوَسِّعَ لك فى قبركَ ، ويغفرَ لك يومَ حَشْرِكَ ، فوالله لقد كنتَ فى المحافِلِ شريفاً ، وعلى الأراملِ عَطُوفاً ، ولقد كنتَ فى الحىِّ مُسَوَّدًا ، وإلى الخليفةِ مُوَفَّدًا ، ولقد كانوا لقولِكَ مستمعينَ ، ولرأيك مُتَّبِعِينَ ، قال : فقال الناسُ : ما سمعنا كلامَ امرأةٍ أبلغ ولا أصْدَقَ معنًى منها . ووقفَ رجلٌ على قبرِ النجاشىِّ فترَحَّمَ وقال : لولا أنَّ القولَ لا يُحيطُ بما فيكَ ، والوصفَ يقصُرُ دونَك ، لأَطْنَبْتُ ، بل لأَسْهَبْتُ ، ثم عقرَ ناقتَه على قبره ، وقال :

عقرْتُ على قبرِ النَّجاشىِّ ناقتِى ... بأَبيضَ عَضْبٍ أخلَصَتْهُ صَياقِلُهْ

على قَبْرِ مَنْ لو أنَّنِى مُتُّ قَبْلَه ... لهانَتْ عليه عندَ قبرِى رَوَاحِلُهْ

---

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال : جَنَّ الشىءَ وأجنّه إذا ستره ، وبه سُمِّى الجنين ؛ لأن البطن جَنَّهُ ، وبه سُمِّى القبرُ الجَنَنَ ، وبه سمى القلب الجنانَ . وبه سُمِّى جنُّ الأرض » .

ورَوَى ابنُ دَأْبٍ أنَّ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ اجتازَ بقبرِ رَبِيعَةَ بنِ مُكَدَّمٍ فأنشدَ :

لا يَبْعَدَنَّ رَبِيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ وسَقَى الغَوادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ
نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجارةِ حَرَّةٍ نُصِبَتْ على طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ
لا تَنْفِرِي يا نَاقَ منه فإنه شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ (١)
لولاَ السِّفارُ وطولُ قَفْرٍ مَهْمَهٍ لتركْتُها تَحْبُو على العُرْقُوبِ (٢)
نِعْمَ الفَتَى أَدَّى نُبَيْشَةَ رَحْلَهُ يومَ الكَدِيدِ نُبَيْشَةُ بنُ حَبِيبِ

و « رَبِيعةُ بن مُكَدَّمٍ » رجلٌ من بنى كِنانَةَ ، وكانَ قَتَلَه أُهْبَانُ بن غَادِيَةَ الخُزَاعِيّ ، وقَيْسٌ تقول قَتَلَه نُبَيْشَةُ بن حَبِيبٍ السُّلَمِيُّ ، وكان أُهبانُ أخَا نُبَيْشَةَ لأُمِّه ، وكان أتاه زائرًا ، وأغارَ رَبيعةُ بن مُكَدَّم على بنى سُلَيم ، فخرج أُهبانُ مع أخيه ، فحَمَلَ عليه فقتَله ، وحَمَلَ أخو رَبيعة على أُهبانَ ففاتَه ، فلأنَّهُ فى بنى سُلَيْمٍ . قال حسانٌ :

* نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجَارَةِ حَرَّةٍ *

لأنَّ الحَرَّةَ هناكَ لبنى سُلَيْمٍ ، وفى تَصْدَاقِ ما تَدَّعِيهِ خُزَاعةُ يقولُ أُهبانُ :

ولقد طَعَنتُ رَبيعةَ بنَ مُكَدَّمٍ يومَ الكَدِيدِ فخَرَّ غيرَ مُوَسَّدِ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال رجل مسعر حرب من قوم مساعيرَ إذا كان يَسْعَرُها ويَشُبُّها » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : المهمه القفر من الأرض ، والجمع المهامه » .

فى عارِض شَرِقٍ بَنَاتُ فُؤادِهِ منه بأَحْمَرَ كالنَّقِيعِ المجْسَدِ
ولقد وَهَبْت سِلاحَهُ وجَوادَهُ لأَخِى نُبَيْشَةَ قبلَ لَوْمِ الحُسَّدِ

وقال أخُو ربيعةَ يجيبُه :

فات ابن غادِيَةَ المَنِيَّة بعدَ ما رَفَّعْتُ أسفلَ ذيْلِهِ بالمِطْرَدِ
قُلْ لِابْنِ غَادِيَةَ المُتَاحِ لقتْلِنَا ما كان يَقْتُلُنا الوَحِيدُ المُفْرَدُ

يريدُ أنَّ أُهْبَانَ مُفْرَدٌ من قومه فى أخوالِه ، وقال أيضاً :

فإِنْ تَذْهَبْ سُلَيْمُ بِوِتْرِ قَوْمِي فَأَسْلَمُ مِنْ مَنَازِلِنَا قَرِيبُ

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

آلَيْتُ أَبْكِى بعدَ تَوْبةَ هالكاً وأحْفِلُ مَنْ دارتْ عليه الدَّوَائِرُ
لَعَمْرُكَ ما بِالموتِ عارٌ عَلَى الفَتَى إذا لم تُصِبْهُ فى الحياةِ المَعَايِرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ إنما لِقاءِ المَنَايَا دَارِعًا مثلُ حَاسِرُ

ويُرْوَى :

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ هالكاً أخا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَّوَائِرُ
فكلُّ جَدِيدٍ أو شَبابٍ إلى بِلًى وكلُّ امْرِىءٍ يومًا إلى اللهِ صائِرُ

وذَكَرَ المدائِنِيُّ أنَّ رجلاً عَزَّى رجلاً أفْرَطَ عليه الجَزَعُ على ابنه فقال : يا هذا سُرِرْتَ به وهو حُزْنٌ وفِتْنَةٌ ، وجَزِعْتَ عليه وهو صَلاَةٌ ورحمةٌ ، فَسُرِّىَ عنه . ويُرْوَى أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « تعزَّوْا عَنْ مَصائِبِكُم بِى » . وقال رجلٌ لابنِ عمرَ : أَعْظَمَ اللهُ أجْرَكَ ، فقال : نَسْأَلُ اللهَ العافيةَ ! معناه : أنه لما قال له : « أعظَمَ اللهُ أجرَكَ » .

إنما دَعَا بأن يَكْثُرَ ما يُؤْجَرُ عليه ، ودلَّ على أنه من باب المصائب تعزِيَتُهُ إيَّاه !

وهذا باب طريفٌ من أشعارِ المُحْدَثِينَ

قال مُطيعُ بنُ إياسٍ اللَّيْثيُّ يَرْثِى يحيىٰ بنَ زيادٍ الحارثىَّ ، وكان صديقَهُ ، وكانا مَرْمِيَّيْنِ جميعاً بالخروج عن الملةِ :

يا أهْلُ بَكُّوا لِقَلْبِيَ القَرِحِ ‏ ‏ ‏ ‏ ولِلدُّموعِ الهَوامِلِ السُّفُحِ
رَاحُوا بيَحْيَىٰ إلى مُغَيَّبَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فى القبرِ بينَ التُّرابِ والصُّفُحِ (١)
رَاحُوا بيحيىٰ ولو تُطاوِعُنِى الـ ‏ ‏ ‏ ‏ أقدارُ لم يَبْتَكِرْ ولم يَرُحِ
يا خيرَ مَنْ يَحْسُنُ البُكاءُ له ‏ ‏ ‏ ‏ اليومَ ومَنْ كانَ أمْسِ للمِدَحِ

وفى يحيىٰ يقولُ مطيعٌ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما :

كنتُ ويَحْيَىٰ كيَدَىْ واحدٍ ‏ ‏ ‏ ‏ نَرْمِى جميعاً ونُرَامِى مَعَا
إنْ سَرَّهُ الدَّهْرُ فقد سَرَّنِى ‏ ‏ ‏ ‏ أو حادثٌ نابَ فقد أفْظَعَا
أو نامَ نامتْ أعْيُنٌ أرْبَعٌ ‏ ‏ ‏ ‏ مِنَّا ، وإن هَبَّ فلَنْ أهْجَعَا
حتى إذا ما الشَّيْبُ فى عارضِى ‏ ‏ ‏ ‏ لاحَ وفى مَفْرِقِهِ أسْرَعَا
سَعَىٰ وُشَاةٌ طَبِنٌ بيْننَا ‏ ‏ ‏ ‏ فكادَ حَبْلُ الوَصْلِ أن يُقْطَعَا (٢)

(١) بحاشية ا : « الصُّفُح جمع صفيحة ، وهى القطعة العريضة من الصخر ، والجمع أيضاً صفائح ، وكانوا يجعلون ذلك فى القبور واللحود مكانَ اللبن » .

(٢) بحاشية ا : « قال أبو زيد : يقال طبِنتُ له وطَبَنْتُ له : من الفطنة ، ورجل طَبِنٌ بيِّن الطَّبَانَةِ والطَّبَانِيَةِ . وقال غيره : يقال رجل طَبِنٌ وطابِنٌ ، وذلك إذا لَزِقَ بالرجل وعرف كل أمره » .

فلم أَلْمَ يَحْيَىٰ على حادثٍ ولم أَقُلْ خَانَ ولا ضَيَّعا

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبيُّ يَرْثِي عليَّ بن سَهْلِ بن الصَّبَّاحِ ، وكان له صَديقاً :

يا خَيْرَ إِخْوَانِهِ وأعطفَهُمْ عليهمُ راضياً وغَضْبانَا
أَمْسَيْتَ حُزْناً وصارَ قُرْبُكَ لِي بُعْدًا وصارَ اللِّقاءُ هِجْرانَا
إِنَّا إلى الله راجعون لقد أَصْبَحَ حزني عليكَ أَلْوَانَا
حُزْنُ اشتياقٍ وحزنُ مَرْزِئَةٍ إذا انقضَىٰ عادَ كالذى كَانَا

قوله : « يا خَيْرَ إخوانِهِ » محالٌ وباطلٌ ، وذلك أنه لا يضافُ « أَفْعَلُ » إلى شيءٍ إلاّ وهو جزءٌ منه . وقال أيضاً :

دَعَوْتُكَ يا أُخَيَّ فلم تُجِبْني فرَدَّتْ دَعْوَتِي حُزْناً عَلَيَّا
بموتِكَ ماتَتِ اللَّذَّاتُ مِنِّي وكانتْ حَيَّةً إذْ كنتَ حَيَّا
فيا أَسَفَىٰ عليكَ وطولَ شَوْقِي إليكَ لَوَ انَّ ذاكَ يَرُدُّ شَيَّا

وحدثني رجلٌ من أصحابنا قال : شهدتُ رجلاً فى طريق مكةَ معتكفاً على قبرٍ ، وهو يُرَدِّدُ شيئاً ، ودموعُهُ تَكِفُ من لحيتِه ، فدَنَوْتُ إليه لأسمع ما يقولُ ، فجعلتِ العَبْرَةُ تَحُولُ بينَه وبينَ الإبانةِ ، فقلتُ له : يا هذا ! فرفعَ رأسَه إليَّ ، وكأنما هَبَّ من رَقْدةٍ ، فقال : ما تشاء ؟ فقلت : أَعلَى ابنك تبكي ؟ قال : لا ، قلتُ . فعلَى أبيك ؟ قال : لا ، ولا علَى نَسيبٍ ولا صَديقٍ ، ولكنْ علَى مَنْ هو أَخَصُّ منهما ، قلتُ : أَوَ يكونُ أحدٌ أَخَصَّ ممن ذَكرتَ ؟ قال : نعم ، مَنْ أُخْبِرُكَ عنه ، إنَّ هذا المَدْفونَ كان

عدوًّا لِي من كل باب يَسْعَى عليَّ في نفسي وفي مالِي وفي ولدي ، نخرج إلى الصَّيْدِ أَيْأَسَ ما كنتُ من عَطَبِهِ ، وأَكْمَلَ ما كان من صحتِه ، فرمَى ظَبْيًا فأقصدَهُ ، فذهبَ ليأخذَه ، فإذا هو قد أنفَذَه حتى نجمَ سهمُه من صَفْحةِ الظَّبي ، فعثَرَ فتلَقَّى بفؤادِه ظُبَةَ السَّهْمِ ، فلحِقَهُ أولياؤُه فانتزَعُوا السهمَ وهو والظَّبيُ مَيِّتانِ ، فنَمَى إلىَّ خبرُه ، فأسرعتُ إلى قبره مُغْتَبِطًا بفقدِه ، فإني لَضاحِكُ السِّنِّ إذْ وقعتْ عيني على صخرةٍ ، فرأيتُ عليها كتابًا ، فَهَلُمَّ فاقرَأْهُ ، وأَوْمَأَ إلى الصخرة ، فإذا عليها :

وما نَحْنُ إلاَّ مِثْلُهُمْ غيرَ أَنَّنا ... أَقمْنَا قليلاً بعدَهم وتَقَدَّمُوا

قلتُ : أَشْهدُ أَنك تبكي على مَنْ بُكاؤُكَ عليه أحقُّ من النَّسِيبِ .

ومما استطرفْنا من شعر المُحْدَثِينَ قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبيعِ في جاريةٍ طالَبها سبعَ سنينَ ، يبْذُلُ فيها جاهَه ومالَه وإخوانَه حتى مَلَكَها ، فأقامت عنده ستةَ أشهرٍ ثم ماتَتْ ، فقال فيها أشعارًا كثيرةً ، اخترنا منها بعضَها ، من ذلك قولُه :

لِلهِ آنِسَةٌ فُجِعْتُ بها ... ما كان أبْعَدَها من الدَّنَسِ
أَتَتِ البشارةُ والنَّعِيُّ مَعًا ... يا قُرْبَ مَأْتَمِها من العُرُسِ
يا مُلْكُ نالَ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ ... فَرَمَى فؤادًا غيرَ مُحْتَرِسِ
كم من دُموعٍ لا تَجِفُّ ومن ... نَفَسٍ عليكِ طويلةِ النَّفَسِ
أبكيكِ ما ناحتْ مُطوَّقَةٌ ... تحتَ الظَّلامِ تنوحُ في الغَلَسِ
يا مُلْكُ فِيَّ وفيكِ مُعْتَبَرٌ ... ومواعِظٌ يُوحِشْنَ ذا الأُنُسِ

ما بعدَ فُرْقةِ بيْنِنا أبدًا ... في لَذّةٍ دَرَكٌ لِمُلْتَمِسِ

وأخَذَ ما في صدرِ هذا الكلامِ من قولِ القائلِ :

رُبَّ مَغْروسٍ يُعاشُ به ... فَقَدَتْهُ كفُّ مُغْتَرِسِهْ

وكذاكَ الدَّهْرُ مأْتَمُهُ ... أقْرَبُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرْثِي زوجَها ، ولم يكن دَخَلَ بها[1] :

أَبْكيكَ لا لِلنَّعِيمِ والأُنُسِ ... بل للمَعالِي والرُّمْحِ والفَرَسِ

أَبْكِي على فارسٍ فُجِعْتُ به ... أرْمَلَنِي قبلَ ليلةِ العُرُسِ

يا فارسًا بالعَراءِ مُطَّرَحًا ... خانَتْهُ قُوَّادُهُ مع الحَرَسِ

مَنْ لليتامَى إذا هُمُ سَغِبُوا ... وكلِّ عانٍ وكُلِّ مُحْتَبَسِ

أَمَّنْ لِبِرٍّ أَمَّنْ لفائدةٍ ... أَمَّنْ لِذِكْرِ الإلٰهِ والغَلَسِ[2]

ومما أستطرفُه من شعرِ يعقوبَ قولُه :

ليتَ شِعْرِي بأيِّ ذنبٍ لِمُلْكٍ ... كان هَجْرِي لِقَبْرِها واجْتِنابي

أَلِذَنْبٍ حَقَدْتُهُ كانَ منها ... أمْ لِعِلْمِي بشُغْلِها عن عِتابي

أمْ لِأَمْنِي لِسُخْطِها ورِضاها ... حين واريتُ وَجْهَها في الترابِ

ما وَفَى في العبادِ حَيٌّ لِمَيْتٍ ... بعد يأْسٍ منه له في الإِيابِ

---

(١) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : هذا الشعر لِلُبانَةَ بنت موسى الهادى فى محمد الأمين ، وهى بنت عمه ، وكانت تحت الأمين ، وقُتِلَ ولم يدخل بها ، فقالت ترثيه » .

(٢) فى بعض النسخ : « فى الفلس » وعليها طبعات مصر .

وفى هذا الشعر :

إنما حسرتى إذا ما تذكرْ ... تُ عنائى بها وطولَ طِلابى
لم أزلْ فى الطلّابِ سبعَ سنينٍ ... أتأتّى لذاكَ من كلِّ بابِ
فاجتمعنا على اتفاقٍ وقدْرٍ ... وغنينا عن فُرقةٍ باصْطحابِ
أشهُرًا ستّةً صحبتُكِ فيها ... كُنّ كالحُلْمِ أو كلَمْعِ السّرابِ
وأتانى النّعىُّ منكِ مع البُشْـــرَىٰ فيا قُربَ أوْبةٍ من ذهابِ

ومن مليحِ شعرهِ قوله يرثيها :

حتى إذا فَترَ اللسانُ وأصبحتْ ... للموتِ قد ذبلتْ ذُبولَ النّرْجسِ
وتسهّلَتْ منها محاسنُ وجهها ... وعلا الأنينُ تحثُّهُ بتنفُّسِ
رجَعَ اليقينُ مطامعِى يأسًا كما ... رجَعَ اليقينُ مَطامعَ المُتلمِّسِ

ومن مليح شعره أيضاً قوله :

فُجعتُ بمُلْكٍ وقد أينعتْ ... وتمّتْ فأعظِمْ بها مِنْ مُصيبهْ
فأصبحتُ مُغتربًا بعدَها ... وأمستْ بحُلْوانَ مُلْكٌ غريبهْ
أرانى غريبًا وإنْ أصبحَتْ ... منازلُ أهلِيَ منّى قريبهْ
خلفتُ على أختِها بعدَها ... فصادفتُها ذاتَ عقلٍ أديبهْ
فأقبلتُ أبكى وتبكى معى ... بُكاءَ كئيبٍ بحُزنِ كئيبهْ
وقلتُ لها مرحبًا مرحبًا ... بوجهِ الحبيبةِ أُختِ الحبيبهْ
سأُصفيكِ وُدّى حفاظًا لها ... فذاكِ الوفاءُ بظَهْرِ المَغيبهْ
أراكِ كمُلْكٍ وإنْ لم تكنْ ... لمُلْكٍ من الناسِ عندى ضَريبهْ

ومما اخترنا من مَرْثِيَةِ يزيدَ الْمُهَلَّبِيِّ لِلْمُتَوَكِّلِ على اللهِ قوله :

لا حُزْنَ إِلاَّ أَراهُ دُونَ ما أَجِدُ ... وهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عيناىَ مُفْتَقَدُ
لا يَبْعَدَنْ هالِكٌ كانتْ مَنِيَّتُهُ ... كما هَوَىٰ عن غِطاءِ الزُّبْيَةِ الأَسَدُ
لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيْماً بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إِذْ لا تُمَدُّ إلى الجانِى عليكَ يَدُ
لَوْ أَنَّ سيفِى وعَقْلِى حاضرانِ له ... أَبْلَيْتُهُ الْجُهْدَ إِذْ لم يُبْلِهِ أَحَدُ
جاءتْ مَنِيَّتُهُ والعَيْنُ هاجعةٌ ... هَلاَّ أَتَتْهُ المَنايَا والقَنا قِصَدُ
هــلا أَتَتْهُ أَعادِيهِ مُجاهِرَةً ... والحربُ تُسْعَرُ والأَبْطالُ تَجْتَلِدُ
فَخَرَّ فوقَ سريرِ الْمُلْكِ مُنْجَدِلاً ... لم يَحْمِهِ مُلْكُهُ لمّا انْقَضَىٰ الأَمَدُ
قد كان أنصارُه يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ ... ولِلرَّدَىٰ دونَ أَرْصادِ الفَتَىٰ رَصَدُ(١)
وأصبحَ الناسُ فَوْضَىٰ يَعْجَبُونَ له ... لَيْثاً صَرِيعاً تَنَزَّىٰ حَوْلَهُ النَّقَدُ(٢)
عَلَتْكَ أسيافُ مَنْ لاَ دُونَه أَحَدٌ ... وليسَ فوقَكَ إِلاَّ الواحدُ الصَّمَدُ
جاؤُا عَظِيماً لِدُنْيا يَسْعَدُون بها ... فقد شَقُوا بالذى جاؤُا وما سَعِدُوا
ضَجَّتْ نِساؤُكَ بعدَ العِزِّ حينَ رَأَتْ ... خَدّاً كريماً عليه قارِتٌ جَسِدُ(٣)

---

(١) بحاشية ا : « المهلبى : الرصَد القوم الراصدون ، كما قالوا طَلَبٌ للقوم الطالبين ، وجَلَبٌ للقوم الجالبين » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : النَّقَد من الشاء الصغارُ الأجرام » .

(٣) بحاشية ا : « قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ قُروتاً ، قال أبو عمر : قَرَتَ الدمُ يقرِتُ ويقرُت وقَرِتَ يَقْرَت قَرْتاً وقُروتاً والدمُ قارِتٌ ، وقَرِتَ الجِلْدُ إذا ضُرب فاخضرَّ أو اسودَّ ، وقَرِتَ الرجلُ إذا تغيّر وجهُه من حزن أو غيظ . ابن شاذان : يقال دم جَسِدٌ وجاسِدٌ إذا جفَّ » .

أَضْحَى شهيدُ بنى العباسِ موعظةً ... لِكلِّ ذى عِزَّةٍ فى رأسِهِ صَيَدُ(١)
خَليفةٌ لم يَنَلْ ما نالَهُ أحدٌ ... ولم يُضَعْ مثلَه رُوحٌ ولا جَسَدُ
كم فى أَدِيمِكَ مِنْ فَوْهاءَ هادِرَةٍ ... من الجَوائفِ يَغْلِى فوقَها الزَّبَدُ(٢)
إذا بُكِيتَ فإنَّ الدمعَ مُنْهَمِلٌ ... وإنْ رُثِيتَ فإن القولَ مُطَّرِدُ
قد كنتُ أُسْرِفُ فى مالى وتُخْلِفُ لى ... فَعَلَّمَتْنِى اللَّيالى كيفَ أَقْتَصِدُ
لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أُناسًا لا حُلُومَ لهمْ ... ضِعْتُمْ وضَيَّعْتُمُ مَنْ كان يعتَقِدُ
ولو جَعَلْتُمْ على الأَحْرارِ نِعْمَتَكُمْ ... حَمَتْكُمُ السادةُ المذكورةُ الحُشُدُ
قومٌ همُ الجِذْمُ والأَنسابُ تجمعُهم ... والمَجْدُ والدِّينُ والأَرْحامُ والبَلَدُ
إذا قريشٌ أَرادُوا شَدَّ مُلْكِهِمُ ... بغيرِ قَحْطانَ لم يَبْرَحْ به أَوَدُ
قد وُتِرَ الناسُ طُرًّا ثُمَّ قد صَمَتُوا ... حتى كأَنَّ الذى نِيلُوا به رَشَدُ
مِنَ الأُلَى وَهَبُوا للمَجْدِ أنفسَهم ... فما يُبالونَ ما نالُوا إذا حُمِدُوا

[قال أبو الحسن : قولُه « قارِتٌ » يقال « قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ قُرُوتًا ، ودَمٌ قارِتٌ » قد يَبِسَ بين الجِلْدِ واللحمِ ، ومِسْكٌ « قارِتٌ » وهو أَخَفُّهُ وأَجْوَدُهُ ، قال :

* يُعَلُّ بقَرَّاتٍ من المِسْكِ قاتِنِ *

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الصَّيَدُ داء يصيب الإبلَ تلتوى منه أعناقها ، فلذلك سُمِّىَ المتكبر أصْيَدَ ، إذا لَوَى عنقه » .

(٢) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : ويقال طعنة جائفة والجمع جوائفُ إذا بلغت الجوفَ ، وهذه الياء أصلها واو ، وطعنة فوهاء أى واسعة » .

و « قَرَّاتٌ » « فَعَّالٌ » و « قَانِنٌ » مسكٌ قانِنٌ قد قَنَ قُنونًا ، أى يابسٌ لا نُدوّةَ فيه] .

باب ذِكرِ الأَذْواءِ من اليَمَنِ فى الإِسلامِ

فأمَّا فى الجاهلية فيكثُرُونَ ، نحو « ذِى يَزَنٍ » و « ذِى كَلَاعٍ » و « ذى نُوَاسٍ » و « ذى رُعَيْنٍ » و « ذى أَصْبَحَ » و « ذى المَنارِ » و « ذى القَرْنَيْنِ » . فأمّا فى الإِسلام فمنهم خُزَيْمَة بن ثابتٍ ذو الشهادتين ، سَمّاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أنصاريٌّ . ومنهم قَتادةُ بن النُّعمانِ الأنصاريُّ ذو العَيْنِ ، كانت عَيْنُه أُصيبتْ فردَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسنَ عينيه ، وكانت تَعْتَلُّ عينُه الصحيحةُ فلا تَعْتَلُّ المردودةُ معها . ومنهم أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ الأنصاريُّ ذو السَّيفينِ ، كان يَتَقَلَّدُ سيفينِ فى الحربِ . ومنهم حُبابُ بن المُنْذِرِ بن الجَمُوحِ ذو الرأْىِ ، وهو صاحب المَشُورةِ يومَ بدرٍ ، أَخذ برأيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتْ له آراءٌ فى الجاهلية مشهورةٌ . ومنهم سَعْدُ بنُ صُفَيْحٍ ذو الشِّبَالِ . ومنهم ذو المُشَهَّرَةِ ، وهو أبو دُجانَةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ ، وكانت له مُشَهَّرَة إذا لبسها وخرجَ يختالُ بين الصَّفَّيْنِ لم يُبْقِ ولم يَذَرْ . وكلُّ هؤلاءِ من الأنصار . ومن اليمن من غيرِهم عبدُ الله بن الطُّفَيْلِ الأَزْدِىُّ ثم الدَّوْسِىُّ ذو النُّورِ ، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نورًا فى جبينِهِ لِيَدْعُوَ به قومَه ، فقال : يا رسول الله هذه مُثْلَةٌ(١) ، فجعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال مَثُلَةٌ ومُثْلَةٌ ، وهو التنكيل ، والجمع مَثُلَاتٌ » .

فى سَوْطِه ، فلما وَرَدَ على قومه بالسَّرَاةِ جَعَلُوا يقولون : إنَّ الجبلَ لَيَلْتَهِبُ ، وكان أبو هريرةَ ممن اهتَدَىٰ بتلك العلامة . ومنهم ، ثُمَّ من خُزَاعةَ ، ذو اليَدَيْنِ ، سماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين ، وكان قبلُ يُدْعَىٰ ذا الشمالين ، وكان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صلَّىٰ بهم الظُّهْرَ فسلَّمَ فى الركعةِ الثانية ، فقال ذُو اليدين : يا رسولَ الله أَقَصُرَتِ الصلاةُ أم نَسِيتَ ؟ فقال : ما كان ذاكَ ، فقال : بَلَىٰ يا رسول الله ، فالْتَفَتَ إلى أصحابه فقال : ما يقولُ ذو اليدين ؟ فقالوا : صَدَقَ يا رسولَ الله ، فنهض فَأَتَمَّ ، ثم قال : إِنِّى لَأَنْسَىٰ أو أُنَسَّىٰ لِأَسْتَنَّ(١) .

وهذه تسميةُ من كانَ بينَه وبينَ الملائكةِ سَبَبٌ من اليمانيةِ

منهم سعدُ بن مُعاذٍ الأنصارىُّ ، وهبط لموته سبعون ألفَ مَلَكٍ لم يهبطوا إلى الأرض قبلَها ، وقَبَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلاَّ يَطَأَ على جَنَاحِ مَلَكٍ ، واهْتزَّ لموته عَرْشُ الله جل وعز ، وفى ذلك يقولُ حسانُ :

وما اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ مِنْ مَوْتِ هالكٍ سَمِعْنَا به إلاَّ لِسَعْدٍ أبِى عَمْرِو

وكَبَّرَ عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تِسْعًا كما كَبَّرَ على حمزةَ بن عبد المطَّلب ، وشُمَّ من تُرَابِ قبرِه رائحةُ المِسْكِ . ومنهم حسانُ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال استَنَّ يَسْتَنُّ ، أى يذهب فى أىِّ سَنَنٍ شاء لا يمنعه أحد ولا يَرُدُّه عن وجهه ، والسَّنَنُ المذهب ، وفى المَثَل : اسْتَنَّتِ الفِصَالُ حتى القَرْعَىٰ » .

بن ثابتٍ الأنصاريُّ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اهْجُهُمْ ورُوحُ القُدُسِ معك» . وقال فى حديثٍ آخر: « إن الله مُؤَيِّدٌ حَسَّانًا بروح القُدُسِ ما نَافَح عن نبيه » . وقالت عائشةُ : كان يوضَع لحسانَ مِنْبَرٌ فى مُؤَخَّرِ المسجد فيُنافِحُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم حَنْظَلَةُ بن أبى عامرٍ الأنصاريُّ ، غَسَلَتْه الملائكةُ ، وذاك أنه خرج يوم أُحُدٍ فأُصيبَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صاحِبُكم هذا قد غَسَلَتْهُ الملائكةُ » فسُئِلَ عن ذلك ، فقالت امرأتُه : كان معى على ما يكونُ الرجلُ مع امرأتِه ، فأَعْجَلَتْهُ حَطْمَةٌ[1] بلَغَتْه فى المسامين ، فخرج فأُصيب ، ففى ذلك يقولُ الأَحْوَصُ بن محمد بن عاصم بن ثابتِ بن أبى الأَقْلَحِ[2] حَمِىُّ الدَّبْرِ[3] ، وكان خالَ أبيه :

غَسلَتْ خالِىَ الملائكةُ الأبـــرارُ مَيْتاً أَكْرِمْ به من صريعِ
وأنا ابنُ الذى حَمَتْ ظهرَه الدَّبْـــرُ قتيلِ اللِّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الحطمةُ الكَسْرَة ، حَطَمْتُ الشىء أحطِمه حطماً إذا كسرتَه ، وكل منكسِر حُطامٌ » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : القَلَح صفرة الأسنان من ترك السواك ، قَلِحَ الرجلُ يقلَح قَلَحًا ، والرجل أقلح والمرأة قلحاء ، وقوم قُلْحٌ وقُلْحانٌ ، وقال النبى عليه السلام : ما لكم تدخلون علىّ قُلْحاً . فأما القَلْخُ بالخاء معجمةً فيقال منه قَلَخَ البعيرُ يَقْلَخُ قَلْخاً إذا هَدَرَ فردَّد هديرَه فى غَلْصَمتِه ، والغَلْصَمَةُ العُجْرَة التى على ملتقى اللهاة إذا ازدرد الآكل اللقمة فزلّت عن الحلق دخلت فى فم الغلصمة » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : الدَّبْر النحل ، الواحدة دَبْرَةٌ » .

ومنهم حارثةُ بن النُّعمانِ ، رأى جبريلَ صلى الله عليه وسلم مرّتين ، وأقرأه جبريلُ السلامَ . ومنهم، ثمّ من خُزاعةَ، عِمْرانُ بن حُصَيْنٍ ، كانت تصافحه الملائكةُ وتَعودُهُ ، ثم افتقَدَها ، فأَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن رجالاً كانوا يأتوننى لم أَرَ أَحْسَنَ منهم وُجوهاً ولا اطيبَ أرواحاً ثم قد انقطعوا عنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصابك جُرْحٌ فكنتَ تَكْتُمه ؟ فقال : أَجَلْ ، قال : ثم أظهرتَهُ ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : أَمَا لو أقَمْتَ على كِتْمانِهِ لزارتْكَ الملائكةُ إلى أن تموتَ.

ومنهم جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِيُّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَطْلُعُ عليكم من هذا الفجِّ خيْرُ ذى يَمَنٍ ، عليه مَسْحةُ مَلَكٍ » . ومنهم دِحْيَةُ بن خَليفةَ الكَلْبِيُّ، كان جبريلُ صلى الله عليه وسلم يَهْبِطُ فى صورته، فمن ذلك يومُ بنى قُرَيْظَةَ لمّا انصرفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخَنْدَقِ وهَبَطَ عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد أقد وَضَعْتُمْ سِلاحَكم ؟ ما وَضَعَتِ الملائكةُ أسلحتَها بعْدُ ، إنَّ الله يأمرُكَ أنْ تَسيرَ إلى بنى قُرَيْظَةَ وها أنا ذا سائِرٌ إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم ، فأَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ألاَّ يُصَلُّوا العصرَ إلاَّ فى بنى قُرَيظةَ ، فجعل يَمُرُّ بالناس فيقول : أمَرَّ بكم أَحَدٌ ؟ فيقولون مَرَّ بنا دِحْيةُ بن خليفةَ على بغلةٍ عليها قَطيفةُ خَزٍّ نحوَ بنى قُرَيظةَ ، فيقول : ذاكَ جِبْرَئيلُ ، ثم مَرَّ دِحْيةُ[1] بعدَ ذلك ، وكان لا يزال عليه السلام فى غير

(١) بحاشية ا : « يقال دَحَا اللهُ الأرضَ وطَحاها ، أى بَسَطَها ، ويقال دَحا يدْحا دَحْوًا ، والدَّحْوُ البَسْطُ ، والمدحاة خشبة يدْحاها الصبىُّ فتمُرُّ على وجه الأرض لا تأتى على شىء إلا اجْتحَفتْهُ » .

هذا اليوم ينزلُ فى صورتِه ، كما ظهرَ إبليسُ فى صورة الشيخ النَّجْدِيِّ .

وهذا بابٌ قد تقدَّم ذِكْرُنا إيَّاه ووَعَدْنا استقصاءه

اِعْلَمْ أنَّ كلَّ شىء من الحيوانِ كان ممَّا يُخْبِرُ الناسُ عنه كما يُخبرون عن أنفسِهم ومما يَقْتَنُونَه ويتَّخذونه فبهم حاجةٌ إلى الفصْلِ بين معرفتِه ونكرتِه ومُذَكَّرِه ومؤنَّثه . تقول : « جاءنى رجلٌ » إذا لم تَدْرِ مَنْ هو بعينه ، أو دَرَيْتَ فلم تُرِدْ أن تُبيِّنَ ، ثم تُعَرِّفُهُ لصاحبك إذا أردتَ ذلك إمَّا بألفٍ ولامٍ ، وإمَّا باسمٍ معروفٍ أو إضافةٍ أوغير ذلك . وكذلك يَفْصِلُ الناسُ بين الخيلِ بأسماءٍ أو نعوتٍ يَعْرِفُون بها بعضَها من بعضٍ ، وكذلك الشَّاءُ والكِلابُ والإبلُ ، ولولا تمييزُ بعضِها من بعضٍ لم يَستقِم الإخبارُ عنها والاختصاصُ بما أُرِيدَ منها . فإذا كان الشىء ليس مما يتَّخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضِه و بعضٍ ، يقولُ الرجلُ : « رأيتُ الأسدَ » فليس يَعْنِى أسَدًا بعينه ، ولكن يريدُ الواحدَ من الجنس الذى قد عَرَفْتَ ، وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيةُ وما أشبه ذلك ، ألا تَرَى أنَّ ابنَ عِرْسٍ وسامَّ أبْرَصَ وأُمَّ حُبَيْنٍ وأبا الحُرثِ وأبا الحُصَيْنِ معارفُ لا عَلَى أن تُمَيِّزَ بعضها من بعضٍ ولكن تعريفَ الجنسِ ؟! وقولك : « ابنُ مَخاضٍ » و« ابنُ لَبونٍ » و « ابنُ ماءٍ »[1] نَكِراتٌ ، لأنَّ هذا مما يتَّخِذُه الناسُ ، و« ابنُ ماء » إنما هو مضاف إلى الماء الذى يُعرفُ . فإذا أردتَ التعريف من هذا لهذه النكراتِ أدخلتَ فيما أُضيفتْ إليه الألفَ واللامَ ، أو لَقَّبْتَها

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : ابن ماء طائرُ الماء ».

ألقاباً تُعرفُ بها ، كزيدٍ وعمرٍو . واعلمْ أنَّ كلَّ جمعٍ مؤنثٌ ؛ لأنك تُريدُ معنى جماعةٍ ، ولا تُذكِّرُ من ذلك إلّا ما كان فِعْلُه يَجْرِى بالواو والنون في الجمع ، وذلك كلُّ ما يَعْقِلُ ، تقولُ : « مسلمٌ ومسلمون » كما تقول : « قومٌ يُسْلِمونَ » وتقولُ للجِمَال : « هِيَ تَسيرُ وهُنَّ يَسِرْنَ » كما تقول للمؤنَّث ، لأن أفعالَها على ذلك ، وكذلك المَوَاتُ ، قال الله عز وجل في الأصنام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كثيراً من الناسِ ﴾ ، والواحدُ مذكَّر ، وقال المفسرون في قوله : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ من دُونِه إِلَّا إِناثاً ﴾ قالوا : المَواتُ ، فكلُّ ما خَرَجَ عمّا يَعقِلُ تَجْمَعُه بالتأنيث وفِعْلُهُ عليه ، لا يكونُ إلّا ذلك ، إلّا ما كان من باب المنقوصِ نحو « سِنينَ وعِزِينَ » وليس هذا موضعَه . وجملتُه أنه لا يكونُ إلّا مؤنَّثاً ، فلهذا كان يَقَعُ على بعضِ هذا الضربِ الاسمُ المؤنَّثُ ، فيَجْمَعُ الذَّكَرَ والأُنْثَى ، فمن ذلك قولهم : « عَقْرَبٌ » فهو اسمٌ مؤنَّث ، إلّا أنك إن عَرَّفتَ الذَّكَرَ قلتَ : « هـذا عقربٌ » ، وكذلك الحيةُ تقولُ للأُنثى « هذه حيةٌ » ، وللذَّكرِ « هذا حَيَّةٌ » قال جرير :

إن الحَفَافِيثَ منكم يا بَنِي لَجَأٍ ... يُطْرِقْنَ حيثُ يَصُولُ الحيةُ الذَّكَرُ

[قال الأخفش : « الحفافيثُ » ضربٌ من الحيّاتِ يكونُ صغيرَ الجِرْمِ يَنْتَفِخُ ويَعْظُمُ ويَنْفُخُ نفخاً شديداً لا غائلةَ له] وتقول « هـذا بَطَّةٌ » للذكر ، و « هذه بَطَّةٌ » للأنثى ، و « هذا دَجاجةٌ » ، و « هذه دَجاجةٌ » قال جريرٌ :

لمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَنِي صوتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّواقيسِ

يريد زُقاء الدُّيوكِ ، فالاسم الذى يجمعها « دَجاجـة » للذكر والأنثى ، ثم يُخَصُّ الذَّكر بأن يقالَ « ديكٌ » وكذلك تقول « هـذا بقرةٌ » لهما جميعاً ، و « هـذا حُبارَى » ، ثم يُخَصُّ الذَّكر فتقول « ثَوْرٌ » وتقولُ للذَّكر من الحُبارى « خَرَبٌ » ، فعلى هـذا يَجرِى هذا البابُ ، وكلُّ ما لم نذكره فهذا سبيلُه .

❊

وقد كُنَّا أرْجَأْنا أشياء ذكرنا أنَّا سَنَذْكُرها فى آخرِ هذا الكتاب ، منها خُطَبٌ ومواعظُ ورسائلُ ، ونحن ذاكرونَ ما تَهَيَّأَ من ذلك إن شاء اللهُ .

قال الأصمعىُّ فيما بلغنى : خَطَبنا أعرابىٌّ بالبادية ؛ فحَمِدَ اللهَ واستغفرَه ووَحَّدَهُ وصلَّى على نبيه ، فبَلَغَ فى إيجازٍ ، ثم قال : أيُّها الناسُ ! إنَّ الدنيا دارُ بَلاغٍ ، والآخرةَ دارُ قَرارٍ ، فخُذُوا من مَفَرِّكم لِمَقَرِّكم ، ولا تَهْتِكُوا أستارَكم عندَ مَنْ لا تَخْفَى عليه أسرارُكم ، فى الدنيا كُنْتُمْ ، ولِغَيرِهَا خُلِقْتُمْ ، أقولُ قولى هذا وأستغفرُ اللهَ لى ولكم ، والمُصَلَّى عليه رسولُ الله ، والمَدْعُوُّ له الخليفةُ ، والأميرُ جعفرُ بن سُلَيْمَنَ * وحُدِّثْتُ فى بعض الأسانيدِ أنَّ عمرَ بن عبد العزيز قال فى خطبة له : أيُّها الناسُ ! إنما الدنيا أمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وأجَلٌ مُنْتَقَصٌ ، وبَلاغٌ إلى دارِ غيرِها ، وسَيْرٌ إلى الموتِ ليس فيه تَعْرِيجٌ ، فرَحِمَ اللهُ امْرَأً فكَّرَ فى أمرِه ، ونَصَحَ لنفسِه ، وراقَبَ ربَّه ، واستقالَ ذَنْبَه ، ونَوَّرَ قَلْبَه . أيها الناسُ ! قد علمتم أنَّ أباكم قد أُخْرِجَ من الجنة بذنبٍ

واحدٍ ، وأنَّ ربَّكم وَعدَ على التوبة ، فَلْيَكُنْ أحدُكم من ذنبه على وَجَلٍ ، ومن ربه على أَمَلٍ * ويُرْوَى أنْ رجلاً معروفاً ، ذَهَبَ اسمُه عَنِّى ، قال : أتيتُ ابنَ عُمرَ فقلتُ : أتجبُ الجنةُ لعاملٍ بكل الخيراتِ وهو مُشرِكٌ ؟ فقال : لا ، فقلتُ له : أتجبُ النارُ لعاملٍ بالشَّرِّ كلِّه وهو مُوَحِّدٌ ؟ قال : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ . قال : وأتيتُ ابنَ عباسٍ فسألتُه فأجابنى بمثلِ جوابه سَواء ، وقال : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ(١) . قال : وحدثنى بهذا الحديثِ القاضى [يعنى إسمعيل بن إسحق] * وذكر العُتْبِىُّ ، أحْسِبُه عن أبيه عن هشامِ بن صالحٍ عن سَعْدِ القَصْرِ قال : خَطَبَ الناسَ بالمَوْسِمِ عُتْبَةُ فى سنة إحدى وأربعين ، وعَهْدُ الناسِ حديثٌ بالفتنة ، فاستفتَحَ ثم قال : أيها الناسُ ! إنَّا قد وَلِينا هذا الموضعَ الذى يُضاعِفُ اللهُ فيه للمحسنِ الأَجْرَ وعلى المُسِيء الوِزْرَ ، فلا تَمُدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تَنْقَطِعُ دونَنا ، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفُهُ فى أُمْنِيَّتِهِ ، اقبلُوا العافيةَ ما قَبِلْناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لَوْ » فقد أتعبَتْ مَنْ كان قبلكم ، ولن تُرِيحَ مَنْ بعدكم ، فأَسْئَلُ اللهَ أن يُعِينَ كُلًّا على كلٍّ ، فنَعَقَ به أعرابىٌّ من مُؤَخَّرِ المسجدِ فقال : أيُّها الخليفةُ ! فقال: لَسْتُ به ولم تُبْعِدْ ، قال: فيا أخاهُ ! قال: قد أسمعتَ فقلْ ، فقال: واللهِ لأَنْ تُحْسِنُوا وقد أسَأْنا خيرٌ لكم من أن تُسِيئُوا وقد أحْسَنَّا ، فإن كانَ

(١) فى بعض النسخ : « وهذا مَثَلٌ من أمثال العرب ، إذا مَرَرْتَ بمرعًى تقول : عَشِّ ولا تغتَرَّ ، أى لا تتركه وتجُوزُ إلى آخر تظن أن به مرعًى فلا تجدُ فيه شيئاً » .

الإحسانُ لكم فما أحقَّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمكافأتنا ، رجلٌ من بنى عامرٍ يَمُتُّ إليكم بالعُمومة ، ويَختَصُّ إليكم بالخُؤُولَة ، وقد وَطِئَهُ زمانٌ وكثرةُ عيالٍ ، وفيه أجرٌ ، وعنده شُكرٌ ، فقال عُتْبَةُ : أستعيذُ بالله منكَ ، وأستعينُه عليك ، قد أمرْتُ لك بغِنَاكَ ، فليتَ إسراعنَا إليك يقومُ بإبطائِنَا عنكَ * وذكر العُتْبِيُّ أنَّ عُتْبَةَ خطَبَ الناسَ بمصر عن مَوْجِدَةٍ فقال : يا حامِلِي ألأَمِ آنفٍ رُكِّبَتْ بين أعْيُنٍ ، إنى إنما قَلَّمْتُ أظفارى عنكم لِيَلِينَ مَسِّى لكم ، وسألتُكم صَلَاحَكم إذْ كان فسادُكم باقيًا عليكم ، فأمَّا إذْ أبيتم إلاَّ الطَّعْنَ على السلطان والتَّنَقُّصَ للسَّلَفِ ، فوالله لأُقَطِّعَنَّ بطونَ السِّيَاطِ على ظهوركم ، فإن حَسَمَتْ أدواءَكم[1] ، وإلاّ فإن السيفَ مِن ورائكم ، فكم من حكمةٍ مِنَّا لم تَعِهَا قلوبُكم ، ومِن موعظةٍ منّا صَمَّتْ عنها آذانُكم ، ولَسْتُ أبخَلُ عليكم بالعقوبة إذْ جُدْتُمْ بالمعصية ، ولا أُويِسُكُمْ من مراجعةِ الحُسْنَى إن صِرْتُم إلى التى هى أبَرُّ وأتْقَى . ثم نزل * وذكر العُتْبِيُّ أو غيرُه أن داوودَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس خطَبَ الناسَ فى أول موسمٍ مَلَكَهُ بنو العباس بمكةٍ ، فقال : شُكرًا شُكرًا ، إنّا والله ما خرجنا لِنَحْفِرَ فيكم نَهَرًا ، ولا لِنَبْنِيَ فيكم قَصْرًا ، أظَنَّ عدوُّ الله أنْ لن نَقْدِرَ عليه إن رُوخِيَ له من خِطامِهِ ، حتى عَثَرَ فى فَضْلِ زِمامِهِ ؟ فالآنَ حيثُ

---

(١) بحاشية ١ : « قال ابن شاذان : أخبرنى أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال : الحَسْمُ استئصالك الشيء قطعاً ، ثم كثر ذلك حتى قالوا حسمتُ الداء إذا كويتَه واستأصلتَه » .

أخذ القوسَ باريها ، وعادت النَّبْلُ إلى النَّزَعَةِ ، ورجعَ المُلْكُ فى نِصَابه فى أهل بيت النبوة والرحمةِ ، والله لقد كنّا نتوجّعُ لكم ونحن فى فُرُشِنا ، أَمِنَ الأَسْوَدُ والأحمرُ ، لكم ذِمَّةُ الله ، لكم ذمةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكم ذمةُ العباسِ ، لا وَرَبِّ هذه البَنِيَّةِ ، وأومأ بيده إلى الكعبةِ ، لا نَهيجُ منكم أحدًا * قال : وخطَب الناسَ معاويةُ بن أبى سفيان ، فحمِدَ اللهَ وصلَّى على نبيه ثم قال : أيها الناسُ ! إنِّى مِنْ زَرْعٍ قد استَحْصَدَ ، ولن يأتيَكم بَعْدِى إلاَّ مَنْ أنا خيرٌ منه ، كما لم يكن قبلى إلاَّ مَنْ هو خيرٌ مِنِّى * وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناتِه عند وفاتِه : قَلِّبْنَنِى ، فَفَعَلْنَ ، فقال : إنكنَّ لتُقَلِّبْنَهُ حُوَّلاً قُلَّبًا إنْ وُقِىَ كَبَّةَ النارِ ، ثم قال متمثلاً :

لاَ يَبْعَدَنَّ رَبِيعةُ بنِ مُكَدَّمٍ   وسَقَى الغَوَادِى قَبْرَه بِذَنُوبِ

وقال لابنةِ قَرَظَةَ(١) : ابكِينِى ، فقالت :

أَلاَ أَبْكِيهِ أَلاَ أَبْكِيهِ   أَلاَ كلُّ الفَــتَى فِيهِ

فلما مات دخل الناسُ على يزيدَ يُعَزُّونَه بأبيه ويُهَنِّئُونَه بالخلافة ، فجعلوا يقولون ، حتى دخل رجلٌ من ثَقيفٍ فقال : السلامُ عليك أميرَ المؤمنين ورحمتُ الله وبركاتُه ، إنك قد فُجِعْتَ بخيرِ الآباء ، وأُعْطِيتَ جميعَ الأشياء ، فاصبرْ على الرَّزِيَّة ، واحْمَدِ الله على حُسْنِ العطيّةِ ، فلا أُعْطِىَ أحدٌ كما أُعْطِيتَ ، ولا رُزِىَ كما رُزِيتَ ، فقام ابنُ هَمَّامٍ السَّلُولِىُّ فأنشده شعرًا كأنما فاوَضَهُ الثَّقَفِىُّ فقال :

---

(١) هى إحدى زوجاته ، واسمها فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. قاله المرصفى.

اِصْبِرْ يَزِيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقةٍ ... واشْكُرْ بَلاءَ الذى بالمُلْكِ أصْفَاكا
أصبحتَ تَملكُ هذا الخلقَ كلَّهُمُ ... فأنتَ تَرْعاهُمُ واللهُ يَرْعَاكا
ما إنْ رُزِئَ أحدٌ فى الناس نَعْلَمُهُ ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْبَاكا
وفى معاويةَ الباقِى لنا خَلَفٌ ... إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكا

« الحُوَّلُ » معناه ذو الحيلة . و « القُلَّبُ » الذى يُقلِّبُ الأُمُورَ ظهرًا لبطنٍ . وقوله : « إنْ وُقِىَ كَبَّةَ النارِ » فكَبَّةُ النار مُعْظَمُهَا ، وكذلك كَبَّةُ الحرب ، ويقال : لقيتُه فى كَبَّةِ القوم ، ويُرْوَىٰ عن بعض الفرسانِ أنه طَعَنَ رجلاً فى حربٍ فقال : طعنتُه فى الكَبَّةِ فوضعتُ رمحى فى اللَّبَّةِ وأخرجتُه من السَّبَّةِ ، و « السَّبَّةُ » الدُّبُرُ * ويروَىٰ أن خالدَ بن صَفْوانَ دخل على يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ وهو يَتَغَدَّىٰ ، فقال : ادْنُ فكُلْ يا أبا صفوانَ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، لقد أكلتُ أكلةً لستُ ناسِيَها ، قال : وما أكلتَ ؟ قال : أتيتُ ضَيْعَتِى لإِبَّانِ الغِرَاسِ وأَوَانِ العِمارة ، فَجُلْتُ فيها جَوْلَةً ، حتى إذا صَخَدَتِ الشمسُ وأزْمَعْتُ بالرُّكودِ ، مِلْتُ إلى غُرْفَةٍ لى هَفَّافةٍ ، فى حَديقةٍ قد فُتِحَتْ أبوابُها ، ونُضِحَ بالماءِ جوانبُها ، وفُرِشَتْ أرضُها بألوانِ الرَّياحِينِ ، من بين ضَيْمَرَانٍ نافِحٍ ، وسُمْسُقٍ فائحٍ ، وأُقْحُوانٍ زاهرٍ ، ووَرْدٍ ناضرٍ ؛ ثم أتيت بخُبْزِ أُرْزٍ كأنه قِطَعُ العَقيقِ ، وسَمَكٍ بُنَانِىٍّ بيضِ البُطُونِ ، زُرْقِ العُيونِ ، سُودِ المُتُونِ ، عِرَاضِ السُّرَرِ ، غِلاظِ القَصَرِ ، ودُقَّةٍ وخُلُولٍ ، ومُرْىٍ وبُقُولٍ ، ثم أتيتُ برُطَبٍ أصفرَ ، صافٍ غيرِ أكْدَرَ ، لم تَبْتَذِلْهُ الأيدِى ، ولم يَهْشِمْهُ كَيْلُ المَكَايِيلِ ، فأكلتُ هذا ثم هذا ،

فقال يزيدُ : يا ابنَ صَفْوَانَ ! لَأَلْفُ جَرِيبٍ من كلامِكَ مَزْرُوعٍ ، خيرٌ من ألفِ جَرِيبٍ مَذْرُوعٍ .

*

[وتحدَّثَ العتبيُّ قال : حدثنى أبى عن خالد عن أبيه قال : وجدتُ فى كُتُبِ سفيان بن عمرو بن عُتْبَةَ كتاباً إلى عمرٍو وعبدِ الله ابْنَىْ عتبة ، وكانا قَدِمَا على زيادٍ فى خمسةٍ من أولاد أبى سفيانَ ، فإذا الكتابُ : سلامٌ ، أما بعد فالزَمَا ما أنتما عليه ، فقد بلغنى عنكما فَضْلٌ ، واعلما أن لكل شىءٍ زينَةً ، وزينةُ الشرفِ العفافُ ، وقد كُفِيتُما ما قبلَكُمَا فأثِّلَ لكما ، ووَلِيتُما أمرَ أنفُسِكُما فقوما بما لديكما ولا تَقْعُدا به ، فإنه مَن لم يَصِلْ شرفَ أبيه كان اللسانُ إليه أسْرَعَ ، واتَّزِرَا بالعفاف ، وتَرَدَّيَا بالحِلم ، وانفِيَا عنكما الألسُنَ ، ولا تَسْتَعْظِمَا عظيماً فإنكما أعظمُ منه ، وعَوِّلاَ على عمِّكما فإنه أبوكما ، واستزيدانى بالطاعة أزِدْكُما ، فإنَّ أحبَّكما إلىَّ من اتَّبَعَ أمرى وحفظ نفسَه . وكتب عمرو بن يزيد فى سنة أربع وخمسين * العُتْبِىُّ قال : حدثنى أبى عن أبى خالد عن أبيه قال : قال سفيان بن عُتبة : لمَّا بلغتُ خمسَ عشرةَ سنةً قال أبى : قد انقطعتْ عنك شرائعُ الصِّبَا ، فاختَلِطْ بالخير تَكُنْ من أهله ، ولا تُزَايِلْهُ فتَبِينَ منه كله ، ولا يغُرَّنَّكَ مَن اغترَّ فيك فمدحَك بخلافِ ما تَعرِفُ من نفسِك ، فإنه ليس أحدٌ يقول فى أحدٍ من الخير ما لا يَعلَم إذا رَضِىَ ، إلاّ قال فيه من الشرِّ مثلَ ذلك إذا سَخِطَ ، فاستأْنِسِ الوَحْدَةَ من جلساءِ السُّوءِ ، ولا تَنقُلْ حُسْنَ ظَنِّى بك إلى غيره . قال سفيانُ : فوالله مازال

كلامُ أبى لى قِبْلَةً أنْتقِلُ معها ولا أنْتقلُ عنها * العتبيُّ قال : حدثنى أبو أحمد المرادىُّ عن رجل من بنى ليثٍ قال : كتب معاوية إلى عتبةَ فى عقوبةِ أقوامٍ يأمرُه أن لا يراجعه فى ذلك ، فكتب إليه عتبة : بالله على أداء حقِّكَ أستعينُ ، وعليه فى جميع أمورى أتوكَّلُ ، أنا مُقْتَدٍ بكتابك ، ومُنْتَهٍ إلى أمرِكَ ، ومُتَّخِذُهُ إمامًا ما أمَّ الحزْمَ ، فإذا خالفه فعندها لم يَغِبْ أميرُ المؤمنين عمّا شَهِدْتُ ، ولم يَرْجِعْ إليه ضررُ ما فعلتُ ، وقد عَلِمَ مِن قبلُ أن نارى ذَكِيَّةُ الشَّعَلِ لمن عاداكَ ، وجنابِى أَحْلَىٰ من العَسَلِ لمن والاكَ ، فَثِقْ بذلك مِنِّى لهم وعليهم ، واسْتَكْفِ اللهَ لك الذى كفانى بك * العتبيُّ قال : حدثنى أبى عن هشام بن صالح عن أبيه عن سعدِ القَصْرِ ، وهو مولى عتبة بن أبى سفيان ، قال : ولَّانى عتبة أموالَه بالحجاز ، فلما ودَّعتُه قال : يا سعد ! تَعَهَّدْ صغيرَ مالى يَكبُرْ ، ولا تَجْفُ كبيرَه فيَصغُرَ ، فإنه ليس يمنعنى كبيرُ ما عندى عن إصلاح قليل مالى ، ولا يمنعنى قليلُ ما فى يدى عن الصبر على كبير ما يَنُوبُنِى ، قال سعد : فقدمتُ المدينة فحدثتُ بهذا الحديث رجالات قريش فمزّقوا بها الكُتُبَ إلى الوكلاء * العتبيُّ قال : حدثنى أبى عن أبى خالد عن أبيه قال : لمّا استعمل يزيدُ بن معاويةَ سَلْمَ بن زياد وأراد التسليم عليه قال له يزيدُ : إن أباكَ كَفَى أخاه عظيماً ، وقد استكفَيْتُكَ صغيرًا فلا تَتَّكِلَنَّ على عُذْرٍ منِّى ، فقد اتكلتُ على كفاية منك ، وإياكَ منِّى أن أقول أتانى منك ، فلا تُرِحْ نفسَك ، وادْأَبْ فى أدنَىٰ حَظِّكَ تَبلُغْ أقصاه ، واذكُرْ فى يومكَ أحاديثَ غدكَ * العتبيُّ قال : خطب داود بن على

بن العباس قال : غدرًا غدرًا يأَهْلَ الكفر والتبديل ! أَلَمْ يَرْعَكُمْ الفتح المبينُ عن القول فى أمير المؤمنين ! الآنَ يا منابتَ الدِّمَنِ إذْ أصبح كثيرُ الكفر فيكم نطِيحًا ، ونابُه مفلولاً ، مَشَيْتُمُ الضَّرَاءَ ودببتم الخَمَرَ ، أَمَا ورُوحِىْ محمد والعباس لَئِنْ عدتم لِسَخَطاتِ القول لأَحْصِدَنَّكُمْ بِظُبَةِ الهِنْدِىّ ، وما ذلك على الله بعزيز][1] .

☼

ونحن ذاكرونَ الرسائلَ بين أميرِ المؤمنينَ المنصورِ ، وبين محمد بن عبد الله بن حسن العَلَوىّ ، كما وَعَدْنا فى أول الكتابِ ، ونختصرُ ما يجوز ذكره منه ، ونُمْسِكُ عن الباقى ، فقد قيلَ : الراويةُ أحدُ الشَّاتِمَيْنِ * قال : لمَّا خرجَ محمدُ بن عبد الله على المنصور كَتَبَ إليه المنصورُ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله ، أمَّا بعدُ ، فإنما جَزاءُ الذينَ يُحَارِبُونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْنَ فى الأرضِ فسادًا أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيديهِمْ وَأَرْجُلُهم مِنْ خِلَافٍ أو يُنْفَوْا من الأرضِ ذلكَ لهم خِزْىٌ فى الدُّنيا ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ إلاَّ الذين تَابُوا من قَبْلِ أن تَقْدِرُوا عليهم فاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ، ولكَ عَهْدُ الله وذِمَّتُهُ وميثاقُهُ وحقُّ نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم إنْ تُبْتَ من قَبْلِ أَنْ أَقْدِرَ عليك أن أُؤَمِّنَكَ على نفسِكَ ووَلَدِكَ وإخوتِكَ ومَن بايَعكَ وتابَعكَ وجميعَ شِيعَتِكَ ، وأن أُعطيَك ألفَ ألفِ درهمٍ ، وأُنْزِلَكَ من البلادِ حيثُ شئتَ ،

---

(١) هذه القطعة كلها زيادة من أحد الأصول العتيقة من الكتاب ، وهو أصل مكتوب فى النصف من جادى الآخرة سنة ٤٨٨ بخط يحيى بن المبارك الصحاوى . وهذه الزيادة لم تذكر فى النسخ المطبوعة بمصر .

وأقضيَ لكَ ما شئتَ من الحاجاتِ ، وأن أُطلِقَ مَنْ فى سجنى من أهلِ بيتكَ وشيعتِك وأنصارِكَ ، ثم لا أتتبَّعَ أحدًا منكم بمكروهٍ ، فإن شئتَ أن تتوثَّقَ لنفسِك ، فوَجِّهْ إلىَّ مَنْ يأخذُ لكَ من الميثاق والعهدِ والأمانِ ما أحببتَ ، والسلامُ . فكتب إليه محمدُ [بن عبد الله بن حَسَنٍ][1] : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله محمدٍ المهدىِّ أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن محمد ، أما بعدُ ، طسم تلك آياتُ الكتابِ المبينِ . نَتْلُوا عليكَ من نبأِ موسىٰ وفرعونَ بالحقِّ لقوم يؤمنونَ . إنَّ فرعونَ عَلاَ فى الأرضِ وجَعَلَ أهلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائفةً منهم يُذَبِّحُ أبناءَهم ويَسْتَحْيِي نساءَهم إنه كان من المُفْسدينَ . ونُريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفوا فى الأرضِ ونَجعلَهم أئمَّةً ونجعلَهم الوارثينَ . ونُمَكِّنَ لهم فى الأرضِ ونُرِىَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يَحْذَرُونَ . وأنَا أَعْرِضُ عليك من الأمانِ مثلَ الذى أعطيتَنى ، وقد تَعْلَمُ أنَّ الحقَّ حقُّنا ، وأنكم إنّما طلبتموه بنَا ، ونَهَضْتُمْ فيه بشيعتنا ، وخَبَطْتُمُوه بفضلنا ، وأنّ أبانَا عليًّا عليه السلام كان الوصىَّ والإمامَ ، فكيفَ ورِثْتُمُوهُ دُونَنَا ونحن أحْياءٌ ، وقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من بنى هاشم يَمُتُّ بمثل فَضْلِنَا ، ولا يَفْخَرُ بمثل قَدِيمِنَا وحديثِنَا ونَسَبِنَا وسَبَبِنَا ، وأنَّا بَنُو أُمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ بنتَ عمرٍو فى الجاهلية دونَكم ، وبنو ابنتِه فاطمةَ فى الإسلام مِنْ بينكم ، فأنا أَوْسَطُ بنى هاشمٍ نَسَبًا ، وخيرُهم أُمًّا وأَبًا ، لم تَلِدْنِى العَجَمُ ، ولم تُعْرِقْ فِىَّ أُمَّهاتُ الأولادِ ، وأنَّ اللهَ تبارك وتعالى لم يَزَلْ يَختارُ

(١) الزيادة من س .

لنا ، فولَدَنِي من النبيين أفضلُهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، ومن أصحابه أقدمُهم إسلامًا ، وأوسعُهم علمًا ، وأكثرُهم جهادًا ، عليٌّ بن أبي طالبٍ ، ومن نسائِه أفضلُهنَّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، أولُ من آمن بالله وصلَّى القبلةَ ، ومن بناتِه أفضلُهنَّ وسيدةُ نساء أهلِ الجنة ، ومن المولودينَ في الإسلام الحسنُ والحسينُ سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنة ، ثم قد علمتَ أنّ هاشمًا وَلَدَ عليًّا مرَّتينِ ، وأنّ عبد المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين ، وأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولدنِي مرتين ، من قِبَلِ جدَّيَّ الحسنِ والحسينِ ، فما زال اللهُ يختارُ لي حتى اختارَ لي في النار ، فولَدَنِي أرفعُ الناسِ درجةً في الجنة وأهونُ أهلِ النار عذابًا ، فأنا ابنُ خيرِ الأخيارِ وابنُ خيرِ الأشرارِ ، وابنُ خيرِ أهلِ الجنة وابنُ خيرِ أهلِ النارِ ، ولك عهدُ الله إنْ دخلْتَ في بَيْعتِي أن أؤمِّنَكَ على نفسِك وولدِك وكلِّ ما أصبتَهُ ، إلاَّ حدًّا من حدودِ الله ، أو حقًّا لمسلم أو مُعاهَدٍ ، فقد علمتَ ما يلزَمُكَ في ذلك ، فأنا أوْفَى بالعهد منكَ ، وأحْرَى لِقَبُولِ الأمانِ ، فأمَّا أمانُكَ الذي عرضتَ عليَّ فأيُّ الأماناتِ هو ؟ أأمانُ ابنِ هُبَيْرَةَ ، أم أمانُ عمِّكَ عبدِ الله بن عليّ ، أم أمانُ أبي مُسْلِمٍ ؟! والسلامُ .

فكتب إليه المنصور : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أميرِ المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ، أما بعدُ ، فقد أتاني كتابُك ، وبلغني كلامُك ، فإذا جُلُّ فخرِكَ بالنساء ، لِتُضِلَّ به الجُفاةَ والغَوْغاءَ ، ولم يجعلِ اللهُ النساءَ كالعُمومةِ ، ولا الآباءَ كالعَصَبةِ والأولياء ، ولقد جعَلَ العمَّ أبًا ، وبدأ به على الوالدِ الأدْنَى ، فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام : واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي

إبراهيمَ وإسمٰعيلَ وإسحٰقَ ويعقوبَ ، ولقد علمتَ أنّ الله تبارك وتعالى بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم وعُمومتُهُ أربعةٌ ، فأجابه اثنانِ أحدُهما أبي ، وكفرَ اثنانِ أحدُهما أبوكَ ، فأمّا ما ذكرتَ من النساءِ وقراباتِهنّ فلو أُعطِينَ على قُرْبِ الأنساب وحقّ الأحساب ، لكان الخيرُ كلُّه لآمنةَ بنتِ وهْبٍ ، ولكنَّ اللهَ يختارُ لدينه مَنْ يشاءُ مِن خَلْقِه ، فأمّا ما ذكرتَ من فاطمةَ أمّ أبي طالبٍ ، فإن اللهَ لم يهْدِ أحدًا من ولدها للإسلامِ ، ولو فعلَ لكانَ عبدُ الله بن عبد المطَّلِبِ أولاهُمْ بكلّ خيرٍ في الآخرةِ والأُولى ، وأسعدَهم بدخول الجنة غداً ، ولكنَّ الله أَبَى ذلك فقال : إنَّكَ لا تهْدِي مَنْ أحببتَ ولكنَّ الله يهْدِي من يشاء ، فأمّا ما ذكرتَ من فاطمةَ بنتِ أَسَدٍ أمّ عليّ بن أبي طالب وفاطمةَ أم الحسنِ ، وأنّ هاشماً وَلَدَ عليًّا مرتين ، وأنّ عبدَ المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين ، فخيرُ الأوّلين والآخِرينَ محمدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مَرّةً واحدةً ، ولم يَلِدْهُ عبدُ المطلب إلاّ مرةً واحدةً ، وأما ما ذكرتَ من أنك ابنُ رسولِ الله ، فإن الله عزّ وجل أَبَىٰ ذلك فقال : ما كانَ محمدٌ أبَا أحَدٍ من رِجَالِكُم ولكن رسول الله وخاتَمَ النبيينَ ، ولكنكم بنُو ابْنَتِهِ ، وإنها لَقَرَابةٌ قريبةٌ ، غيرَ أنها امرأةٌ لا تحوزُ الميراثَ ، ولا يجوزُ أن تؤُمَّ ، فكيفَ تُورَثُ الإمامةُ من قِبَلِها ؟ ولقد طَلَبَ بها أبوكَ بكل وجهٍ ، فأخرجَها تُخاصِمُ ، ومَرَّضَها سِرًّا ، ودَفَنَها ليلاً ، فأَبَىٰ الناسُ إلاّ تقديمَ الشَّيخينِ ، ولقد حضرَ أبوكَ وفاةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأَمَرَ بالصلاة غيرَهُ ، ثم أَخذَ الناسُ رجلاً رجلاً ، فلم

يأخذوا أباكَ فيهم ، ثم كان فى أصحاب الشُّورَى فكلٌّ دفعَه عنها ، بايعَ عبدُ الرحمن عثمانَ وقَبِلَها عثمانُ ، وحارب أباكَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ ، ودعا سعدًا إلى بيعتِه فأغلق بابه دونَه ، ثم بايعَ معاويةَ بعدَه ، وأفضَى أمرُ جَدِّك إلى أبيكَ الحسنِ ، فسلَّمه إلى معاويةَ بخِرَقٍ ودراهمَ ، وأسْلَمَ فى يديه شيعتَهُ ، وخرج إلى المدينة ، فدفعَ الأمرَ إلى غير أهلِه ، وأخذ مالاً من غير حِلِّه ؛ فإن كان لكم فيها شىءٌ فقد بعتموه ، فأما قولُك أنَّ اللهَ اختار لكَ فى الكفر فجعل أباكَ أهْوَنَ أهلِ النار عذابًا ، فليس فى الشرِّ خيارٌ ، ولا مِنْ عذابِ الله هيِّنٌ ، ولا ينبغى لمسلمٍ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن يَفْخَرَ بالنارِ ، وستَرِدُ فتَعْلَمُ ، وسيعلمُ الذينَ ظلَمُوا أىَّ مُنْقلَبٍ ينقلبُونَ ، وأما قولُكَ أنكَ لم تَلِدْكَ العجمُ ولم تُعرِقْ فيك أُمّهاتُ الأولادِ وأنك أوسطُ بنى هاشمٍ نسبًا وخيرُهم أمًّا وأبًا ، فقد رأيتك فخَرْتَ على بنى هاشمٍ طُرًّا ، وقدَّمْتَ نفسَكَ على مَنْ هو خيرٌ منكَ أولاً وآخِرًا ، وأصلاً وفصلاً ، فخَرْتَ على إبراهيمَ بن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدِ وَلَدِه ، فانظرْ ويحَكَ أينَ تكونُ من اللهِ غدًا ، وما وُلِدَ فيكم مولودٌ بعد وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من علىِّ بن الحسيْن ، وهو لأمِّ وَلَدٍ ، ولقد كان خيرًا من جَدِّكَ حسنِ بنِ حسنٍ ، ثم ابنُه محمدُ بن علىٍّ خيرٌ من أبيكَ ، وجدتُه أُمُّ ولدٍ ، ثم ابنُه جعفرٌ ، وهو خيرٌ منكَ ، ولقد علمتَ أن جدَّكَ عليًا حكَّمَ حكَمَيْنِ وأعطاهما عهدَه وميثاقَهُ على الرِّضا بما حكَما به ، فاجتمعَا على خَلْعِه ، ثم خرجَ عمُّكَ الحسينُ بن علىٍّ على ابنِ مَرْجانةَ ، فكان الناسُ

الذين معه عليه حتى قتلوه ، ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية ، كالسبي المجلوب ، إلى الشأم ، ثم خرج منكم غيرُ واحد فقتلتكم بنو أمية ، وحرّقوكم بالنار ، وصلّبوكم على جذوع النخل ، حتى خرجنا عليهم ، فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه ، ورفعنا أقداركم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تُلعن الكفرة ، فعنّفناهم وكفّرناهم ، وبيّنّا فضله ، وأشدنا بذكره ، فاتخذتَ ذلك علينا حجة ، وظننت أنا لما ذكرنا من فضل عليّ أنا قدّمناه على حمزة والعباس وجعفر ، كلُّ أولئك مضوا سالمين مُسلَّمًا منهم ، وابتُلي أبوك بالدماء ، ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقايةُ الحجيج الأعظم ، وولايةُ زمزم ، وكانت للعباس دون إخوته ، فنازعنا فيها أبوك إلى عمر ، فقضى لنا عمرُ عليه ، وتُوفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحدٌ حيًّا إلا العباسُ ، فكان وارثَه دون بني عبد المطّلب ، وطلب الخلافةَ غيرُ واحد من بني هاشم ، فلم ينلها إلا ولدُه ، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وبنوه القادةُ الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا أنّ العباسَ أُخرج إلى بدر كرهًا لمات عمّاك طالبٌ وعقيلٌ جوعًا أو يلحسا جفانَ عتبةَ وشيبةَ ، فأذهبَ عنهما العارَ والشّنارَ ، ولقد جاء الإسلامُ والعباسُ يَمُونُ أبا طالب للأزْمة التي أصابتهم ، ثم فدى عقيلاً يومَ بدر ، فقد مُنّاكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وورثنا دونكم خاتمَ الأنبياء ، وحُزنا شرفَ الآباء ، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم

عنه ، ووضعنا كم بحيثُ لم تضمُّوا أنفسَكم ، والسلامُ .

[قال أبو العباس : وقد كان المشركونَ أخرجوا عَقِيلاً وطالِباً ابنَىْ أبى طالبٍ كَرْهًا حينَ أُخْرِجَ العباسُ للمحاربةِ مع المشركين ، فأمّا طالبٌ فأظهرَ الكراهِيَةَ للخروج لمحاربة ابن عمه عليه السلامُ ، ففى ذلك يقول :

يَا رَبِّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طالبْ ... فى مِقْنَبٍ من هذه المقَانِبْ

فَلْيَكُنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ ... ولْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ

قال : ففُقِدَ طالبٌ وأُسِرَ العباسُ وعَقِيلٌ ، فقال النبىُّ عليه السلامُ للعباسِ : افْدِ نفسَك وابنَ أخيكَ ، فقال : إنِّى أُخْرِجْتُ كُرْهًا ، فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أمّا ظاهرُ أمرِكَ فأنتَ علينا ، فقال : ما عندى فِداءٌ ، فقال النبى عليه السلام : ما فعلتِ الأربعةُ آلافِ درهم التى دَفَعْتَها عند خروجكَ إلى أهلك ؟ فقال : أَشْهَدُ أنك رسولُ الله][1]

⁂

قال أبو العباس : وقد ذكرنا رسالةَ هشامٍ إلى خالد بن عبد الله ، وأنّا سنذكُرها بتمامها فى غير هذا الموضع الذى ابتدأْنا ذِكْرَها أوّلاً فيه ، وكان سببُ هذه الرسالةِ إفراطَ خالدٍ فى الدالّةِ على هشامٍ ، وأنه أخذ ابنَ حسّانَ النَّبَطِىَّ فضربَه بالسِّياط ، وكان يقال له سُهَيْلٌ ، قال : فبعثَ بقميصه إلى أبيه وفيه آثارُ الدم ، فأدخله أبوه إلى هشامٍ ، مع ما قد أَوْغَرَ صدرَ هشامٍ عليه من إفراط الدالّة ، واحتجانِ الأموال ، وكُفْرِ ما أَسْداهُ

(١) هذه الزيادة من نسخة ه ولم تثبت فى النسخ المطبوعة بمصر .

إليه من توليته إياه العِراقَ ، فكتبَ هشامٌ إلى خالدٍ : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمَّا بعدُ : فقد بلغ أميرَ المؤمنين عنك أمرٌ لم يَحْتَمِلْهُ لكَ ، إلاَّ لِمَا أَحَبَّ مِن رَبِّ الصَّنيعةِ قِبَلَكَ ، واستِمامِ معروفِه عندَكَ ، وكان أميرُ المؤمنين أحقَّ مَنِ استَصْلَحَ ما فَسَدَ عليه منك ، فإن تَعُدْ لمثلِ مقالتِك وما بلغَ أميرَ المؤمنين عنكَ رأَى في معاجلتك بالعقوبة رَأْيَه ، إنَّ النعمةَ إذا طالتْ بالعبد مُمْتَدَّةً أَبْطَرَتْهُ ، فأَساءَ حَمْلَ الكرامة ، واستَقَلَّ العافيةَ ، ونَسَبَ ما في يديه إلى حيلتِه وحَسَبِه وبيتِه ورَهْطِه وعَشيرتِه ، فإذا نزلَتْ به الغِيَرُ ، وانكَشَطَتْ عنه عَمَايَةُ الغَيِّ والسلطانِ ، ذَلَّ مُنْقَادًا ، ونَدِمَ حَسيرًا ، وتَمَكَّنَ منه عدوُّه قادرًا عليه قاهرًا له ، ولو أرادَ أميرُ المؤمنين إفسادَكَ لَجَمَعَ بينَكَ وبين من شَهِدَ فَلَتَاتِ خَطَلِكَ ، وعظيمَ زَلَلِكَ ، حيثُ تقولُ لجلسائكَ : «والله مازادتني ولايةُ العراق شَرَفًا ، ولا ولاَّني أميرُ المؤمنين شيأً لم يكن مَنْ قَبْلِي ممن هو دُوني يَلِي مثلَه » ! ولَعَمْرِي لو ابْتُلِيتَ ببعضِ مَقاوِمِ الحجَّاج في أهلِ العراقِ ، في تلك المَضايقِ التي لَقِيَ ، لعلمتَ أنك رجلٌ من بَجِيلةَ ، فقد خَرج عليك أربعون رجلاً فغلبوكَ على بيتِ مالِكَ وخزائِنِكَ ، حتى قلتَ : « أطعموني ماءً » !! دَهَشًا وبَعَلاً(١) وجُبْنًا ، فما استطعتَهم إلا بأمانٍ ، ثم أَخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ منهم رَزِينٌ وأصحابُهُ ، ولَعَمْرِي أَنْ لو حاول أميرُ المؤمنين مكافأتك بخَطَلِكَ في مجلسك ، وجحودِكَ فضلَه إليكَ ، وتصغيرِ ما أنعم به عليكَ ، فَحَلَّ العُقْدَةَ ، ونَقَضَ الصَّنيعةَ ، ورَدَّكَ إلى منزلةٍ أنت أهلُها ،

(١) البعل بفتح العين : الفرق والدهش عند الروع .

كنتَ لذلك مستحِقًّا ، فهذا جَدُّكَ يزيدُ بن أَسَدٍ قد حَشَدَ مع معاويةَ في يوم صِفِّينَ ، وعَرَّضَ له دينَه ودمَه ، فما اصطَنَعَ إلاّ عندَه ، ولا ولاَّهُ ما اصطنعَ إليك أميرُ المؤمنين ووَلاَّكَ ، وقِبَلَهُ من أهل اليمنِ وبيوتاتِهم مَنْ قَبيلُهُ أكْرَمُ مِنْ قبيلتك ، من كِنْدَةَ وغسَّانَ وآلِ ذى يَزَنٍ وذى كَلاَعٍ وذى رُعَيْنٍ ، فى نُظَرَائِهِمْ من بُيوتاتِ قومِهم ، كلُّهم أكْرمُ أَوَّلِيَّةً ، وأشرفُ أسلافًا ، من آل عبد الله بن يزيدَ ، ثم آثرَكَ أميرُ المؤمنين بولاية العراق ، بلا بيتٍ رَفيعٍ ، ولا شرفٍ قديمٍ ، وهذه البيوتاتُ تَعْلُوكَ وتَغْمُرُكَ وتُسْكِتُكَ ، وتَتَقَدَّمُكَ فى المحافلِ والمَجَامِعِ عندَ بَدْأَةِ الأمورِ وأبوابِ الخلفاء ، ولولا ما أَحَبَّ أميرُ المؤمنين مِنْ رَدِّ غَرْبِكَ ، لَعاجَلَكَ بالتى كنتَ أهلَها ، وإنها منكَ لَقَريبٌ مأخذُها ، سريعٌ مكروهُها ، فيها إن أَبْقَى اللهُ أميرَ المؤمنين زوالُ نِعَمِهِ عنكَ ، وحلولُ نِقَمِهِ بكَ ، فيما ضَيَّعْتَ وارتكبتَ بالعراقِ ، منَ استعانتك بالمجوسِ والنصارَى ، وتَوْلِيَتِهم رقابَ المسلمينَ وجِبْوةِ خراجِهم ، وتَسَلُّطِهِمْ عليهم ، نَزَعَ بك إلى ذلك عِرْقُ سَوْءٍ فيهم من التى قامتْ عنك ، فبئس الجَنِينُ أنتَ يا عُدَيَّ نفسِهِ ! وإن اللهَ عز وجل لمّا رأى إحسانَ أميرِ المؤمنين إليك ، وسوءَ قيامكَ بشكره ، قَلَبَ قَلْبَه فأسخطه عليك ، حتى قَبُحَتْ أمورُكَ عنده ، وآيَسَهُ من شكرِكَ ما ظَهر من كفركَ النعمةَ عندكَ ، فأصبحتَ تنتظرُ سُقوطَ النعمة ، وزوالَ الكرامة ، وحلولَ الخِزْيِ ، فتأَهَّبْ لنوازلِ عقوبةِ الله بك ، فإن الله عليكَ

أوْجَدُ ، ولِمَا عَملتَ أكْرَهُ ، فقد أصبحتَ وذُنوبُك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يُبَكِّتَكَ ، إلاّ راتباً بين يديه وعندَه من يُقرِّرُكَ بها ذنباً ذنباً ، ويُبَكِّتُكَ بما أتيتَ أمْرًا أمْرًا ، فقد نَسِيتَه وأَحصاه الله عليكَ ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عَرَفَكَ به من التَّسرُّعِ إلى حَماقتِك فى غيرِ واحدةٍ ، منها القُرَشِيُّ الذى تناولتَه بالحجاز ظالماً ، فضربَكَ اللهُ بالسَّوْطِ الذى ضربتَه به مُفْتَضِحًا على رُؤوسِ رعيتِكَ ، ولعلَّ أميرَ المؤمنين يعودُ لكَ بمثل ذلك ، فإنْ يَفعلْ فأَهلُهُ أنتَ ، وإنْ يَصْفَحْ فأَهلُه هُو ، ومن ذلك ذِكْرُكَ زَمْزَمَ ، وهى سُقْيَا اللهِ وكرامتُه لعبدِ المطلب وهذا الحىِّ من قريشٍ تُسمِّيها « أُمَّ جِعَارٍ » فلا سَقَاكَ اللهُ من حوضِ رسولهِ ، وجَعَلَ شَرَّكُما لِخَيْرِكُما الفِداء ، وواللهِ أنْ لو لم يَسْتَدْلِلْ أميرُ المؤمنين على ضَعْفِ نَحائزِكَ وسُوءِ تدبيرِكَ إلاّ بِفَسَالَةِ دَخائِلِك وبطانتك وعُمَّالك ، والغالبةُ عليك جارِيَتُكَ الرَّائِقَةُ ، بائعة الفُهُودِ ومُسْتَعْمِلَةُ الرجالِ ، مع ما أَتْلَفْتَ من مالِ اللهِ فى المُبارَكِ ، فإنك ادَّعَيْتَ أنك أنفقتَ عليه اثنى عَشَرَ أَلفَ أَلفِ درهمٍ ، واللهِ لو كنتَ من ولد عبد الملك بن مروانَ ما احْتَمَلَ لَكَ أميرُ المؤمنين ما أفسدتَ من مال الله ، وضَيَّعْتَ من أُمور المسلمين ، وسَلَّطْتَ من وُلاة السَّوْء على جميعِ أهل كُوَرِ عَمَلك ، تَجْمَعُ إليك الدَّهاقِينُ هَدايا النَّيْرُوزِ والمِهْرَجانِ ، حابسًا لِأَكْثَرِه ، رافعاً لِأَقَلِّه ، مع مَخابِثِ مَساوِيكَ التى قد أَخَّرَ أميرُ المؤمنين تَقْرِيرَكَ بها ، ومُناصَبَتِك أميرَ المؤمنين فى مولاهُ حَسَّانَ ووكيلِه فى ضِيَاعِه وأَحْوازِه فى العراق ، وإقدامِكَ على ابنِه بما أَقْدَمْتَ به ،

وسيكونُ لِأميرِ المؤمنين فى ذلك نَبأٌ إنْ لم يَعفُ عنك ، ولكنَّه يظنُّ أنَّ اللهَ طالِبُكَ بأُمورٍ أتيتَها ، غيرَ تاركٍ لِتكشيفِكَ عنها ، وحَمْلكَ الأموالَ ناقصةً عن وظائفِها التى جباها عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ ، وتوجيهكَ أخاكَ أسَدًا إلى خُراسانَ ، مُظْهِرًا العَصَبِيَّةَ بها ، مُتَحامِلًا على هذا الحىِّ من مُضَرَ ، قد أتَتْ أميرَ المؤمنين بتصغيرِه بهمْ واحتقارِه لهم ورُكوبه إيّاهم الثِّقاتُ ، ناسِيًا لحديثِ زَرْنَبٍ وقِصَصِ الهَجَرِيِّينَ كيفَ كانتْ فى أسَد بن كُرْزٍ ، فإذا خلوتَ أو توسّطتَ مَلَأً فاعْرِفْ نفسَك ، وخَفْ رَوَاجِعَ البَغْىِ عليك ، وعاجلاتِ النِّقَمِ فيكَ ، واعلم أنَّ ما بعدَ كتابِ أميرِ المؤمنين هذا أشدُّ عليك ، وأفسَدُ لك ، وقِبَلَ أميرِ المؤمنين خَلَفٌ منك كثيرٌ : فى أحْسابِهم وبُيوتاتِهم وأدْيانهم ، وفيهم عِوَضٌ منك ، واللهُ من وراء ذلك . وكَتَبَ عبدُ الله بن سالم سَنَةَ تِسْعَ عشْرَةَ ومِائَةٍ .

[قال أبو العباس : قوله « القُرَشِيُّ الذى تناولتَه بالحجاز ظالمًا فضربكَ اللهُ بالسوط الذى ضربتَه مفتضِحًا على رؤوس رعيَّتك » فهذا رجلٌ من بنى عبد الدار بن قُصَىّ ، من ولد شَيْبَةَ ، وكان خبرُ الشَّيبِىِّ أن خالدًا كان عاملًا لسليمانَ بن عبد الملك على مكة ، فوفَد هذا الشيبىُّ على سليمانَ ، فسأله عن خالد ، فقال : يأميرَ المؤمنين ! مَرْجِعِى إليه وهو علىَّ عاملٌ ، فقال : لا سلطانَ له عليك ، فذكَرَه بِشَرٍّ ، فكتب إلى خالدٍ إنَّه لا سبيل لك على فلان ولا على أحدٍ من أسبابه ، فأخذ خالدٌ ابنًا له ومَوْلًى فضربهما بالسياط ضربًا مُبرِّحًا ، فوجّها بقميصَيْهِما إلى الشيبىِّ وفيهما الدماء ، فدفعهما إلى سليمانَ ،

فأمر سليمانُ رجلاً من كَلْبٍ أن يَسيرَ إلى خالدٍ فيقطعَ يَدَه ، فقال له يزيدُ بن المُهَلّبِ ، وكان غالباً عليه : يأميرَ المؤمنين ! أُشيرُ برأيٍ ؟ قال : قُلْ ، قال : إن كان ضَرَبَهُمَا بعد قراءةِ الكتاب قَطعتَ يده ، وإن كان ضَرَبهما قبلَ أن يقرأه أُقِيدَ ، فأمر سليمان بذلك ، فشَهِدَ عند الكلبيّ رجلانِ أحدُهما داودُ بن عليّ بن عبد الله بن عباسٍ أنه ضَرَبَهما قبلَ أن يقرأَ الكتابَ ، ففي ذلك يقولُ الفرزدقُ :

فَلَوْلاَ يزيدُ بن المهلّبِ حَلَّقَتْ ... بِكَفِّكَ فَتْخَاءُ الجناحَيْنِ طائِرُ

يعني بقوله « فتخاء الجناحين » العُقابَ ، والفَتَخُ لِينٌ في جناحها واسترخاء من أجله تَكسِرُ إذا حَلَّقَتْ . فضُرِبَ خالدٌ كما ضَرَبَهما ، وأَمَرَ سليمانُ أن يُشَهَّرَ ويُلْبَسَ مِدْرَعَةً ويمشي إلى الشأمِ . قال : فيقال إن الفرزدقَ مَرَّ به وهو يُضْرَبُ وهو ضامٌّ يديه ، فصاح به : انْشُرْ جَناحَيْكَ يابنَ النصرانية ! فبهذا السببِ نال خالدٌ من الفرزدق المكروهَ حيثُ وَلِيَ العراقَ ، حتى تَخَلَّصَهُ أسدُ بن عبد الله وشَفَعَ فيه مرارًا ، وفي ضربِ خالدٍ يقول الفرزدقُ :

لَعَمْرِي لقد صُبَّتْ على ظَهْرِ خالدٍ ... شآبيبُ ما اسْتَهْلَلْنَ مِنْ سَبَلِ المَطَرِ

لَعمري لقد سارَ ابنُ شَيْبَةَ سَيْرَةً ... أَرَتْكَ نُجُومَ الليلِ مُظْهِرَةً تَجْرِي

فما أَفْلَحَتْ رُومِيَّةٌ أنتَ نَسْلُهَا ... غَذَتْكَ بألبانِ الخنازيرِ والخمرِ

« الشُؤْبُوبُ » الدُّفْعَةُ من المطَر ، وجمعها « شآبيبُ » و « سَبَلُ المطرِ » ما نزل منه . وقوله « سارَ ابنُ شَيبةَ سَيْرَةً » مثلَ خَرَجَ خَرْجَةً ، يعني حين وَقَعَ بخالدٍ عند سليمانَ بن عبد الملك . وقوله « ومُنَاصَبَتُكَ

أميرَ المؤمنين فى مولاه حسانَ ووكيلِه فى ضياعِه وأحوازه بالعراق وإقدامِك على ابنِه بما أقدمتَ عليه فى أمرِ خالدٍ واحتجانَه الأموالَ وذكره هشامًا بالتقصير » وقوله : « وما ولاّنى إلاّ ما كان يتولاّه مَنْ هو دُونى » شَكَا ذلك هشامٌ إلى رجل من أصحابه ، غاب اسمُه عن أبى العباس ، وكان ذَا أدبٍ وذَا عقْلٍ وفَهْمٍ ، فدَعَا به يومًا وهو يَسيرُ ، فذكَر ذلك له ، فقال له الرجلُ : يٰأميرَ المؤمنين ! ما أعْلَمُ أحداً يَصْدُقُكَ عنه إلاّ حسانٌ ، فإنه نَبَطِىُّ الخوفِ نَبَطِىُّ الرجاء ، فامْلأْ قَلْبَه خوفًا وَوَجْهَهُ أَلِيَّةً ، فتقَدَّمَ هشامٌ إلى الرَّجُل بما يَذْعَرُ به حسَّانًا ، قال ذلك الرجلُ : فانصرفتُ عن مُسَايَرة هشامٍ إلى حسانَ وهو يرانى ، ثم دعوتُ حسانًا فقلتُ له وقد أظهرتُ حُزْنًا : وَيْحَكَ يا حسانُ ! اعْهَدْ إلىَّ فى أهلكَ وولدكَ ، فكاد يَخِفُّ على سَرْجه ، قال : وما ذاكَ جعلنى اللهُ فِداكَ ؟ قلتُ : أَمَا رأيتَ تَرْدادَ الكلام بينى وبينَ أمير المؤمنين ؟ قال : قد رأيتُ ، قلتُ : فما أخالُكَ ناجيًا مما كُنَّا فيه ولا مُفْلِتًا من الموتِ ، قال : جعلنى اللهُ فِداكَ وما عسيْتُ أن أقولَ فى الأهل والولد ؟ إذا ذَهبتُ فعليهم العَفاء ! قلتُ : ويحك يا حسَّانُ ، إنى ما أرجو لك النجاةَ إلا بواحدةٍ ، إن سألكَ أميرُ المؤمنين فاصْدُقْهُ وما أراكَ إلاّ بعيداً ، ثم فارقتُه وقد كادتْ نفسُه تَزْهَقُ ، فلم يَنْشَبْ أنْ دعاه هشامٌ ، فتَرَجَّل وجعل يَسْعَى ، فقال له : اركبْ لا أُمَّ لك ! فزَجَرَه ، ثم أَسَرَّ إليه ما أَحَبَّ ، وتقدم إليه أن يُحْصِىَ على خالدٍ أنفاسَه فضلاً عن غيرها ، وكتب إلى خالدٍ يخبره أنه قد وَجَّهَ حسَّانًا لعِمارة ضِياعِهِ ، فاستهان به خالدٌ وأقصاهُ وثَقُلَ عليه مكانُه ،

فأقام عنده أَشْهُرًا ، ثم كتب إليه هشامٌ يأمرُه أن يَستخلفَ ابنَه ويَشْخَصَ إليه ، قال حسانُ : فدخلتُ إليه وعندَه رجلٌ من قريشٍ يشكو خالدًا ، فقال له هشامٌ : أما سمعتَ قول القائل « اسجُدْ للقِرْدِ فى زمانه » ! ثم خرَج القرشىُّ وسألنى عن خالدٍ ، فقلت : إنه لا فَضْلَ فيه ياأَميرَ المؤمنين ، إنه دمن النقرس ، فقال هشامٌ : لَوَدَّ أميرُ المؤمنين أنَّ خالدًا بقُرْبه حتى يتَوَلَّى علاجَه بيده ، قال حسانُ : فعلمتُ أن الشكوى لا تنفعُ ، قال : فأثْنَيْتُ ! قال : فأقام ابنى معه فأنكرَ منه شيئًا فضَرَبَه بالسياط ضربًا مُبَرِّحًا ، فوجَّه إلىَّ بقميصه ، فاحْتَلْتُ له حتى دُخِلَ به على هشامٍ ، فوَقَرَ ذاك فى قلبه ، وجعلتُ لأحدِ الخدَمِ مالاً عظيماً على أن يَضربَ أحدَ صبيان هشامٍ على أول ذَنْبٍ بحيثُ يَسْمَعُ هشامٌ ويقولُ له فى عَقِبِ ذلك الضربِ : واللهِ أَنْ لو كنتَ ابنَ خالدِ بن عبد الله القَسْرِىِّ الذى يَسْتَغِلُّ فى كل سنةٍ بِضْعَةَ عشَرَ ألف ألف درهمٍ ما عَدَا ، ففعل الخادم ، فعلمتُ أنِّى قد أَوْقَعْتُ فى قلبه ما يَكْرَهُ ، فعند ذلك كتَبَ هشام الكتابَ الذى ذكرناه ، فلما ورد على خالد هذا الكتابُ تَسامَعَ به عُمَّالُه ، فكُلُّهُم استأذن فى أن يَصيرَ إليه فيُحْدِثَ به عَهْدًا ، فاجتمعوا عنده ، فكان مُتَكَلِّمُهُمْ بلالُ بن أبى بُرْدَةَ ، فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنَّ مِنْ أَيادِيكَ عندنا وفَضْلِكَ علينا ما لا نَسْتَكْثِرُ معه كثيراً فى صلاح أمرِكَ ، وإنك تَعْلَمُ مُنافَسَةَ هذا الحىِّ من قريشٍ فى المال ، وهذا الرجلُ خاصةً ، وهو أَعْذَرُ منك ، يقول وَلَّيْتُكَ فاتَّخَذْتَ الضِّياعَ لنفسكَ ، فاكتب إليه فاعْرِضْ عليه هذه الضِّياعَ أن يأخُذَ منها

ما أَحَبَّ ، فإنه لا يَفْعَلُ ، وإن فَعَلَ اسْتَدْرَكْتَ بحُسْنِ رأيه أَكْثَرَ منها ، فقال خالد : إذًا واللهِ لا أَفعَلُ ولا أُعْطِي على هذا شيئًا أبدًا ، واللهِ لَهُوَ أَحْوَجُ إلىَّ مِنّي إليه ! فقال له بِلالٌ : أَيَقْدِرُ أن يُرْسِلَ فيأخذَها منك ؟ قال : نعم ، قال : فواللهِ لَأَنْ تَدْفَعَها إليه فيأخُذَها أو بعضَها أو يَصْفَحَ عن الجميعِ أَحْظَى وأَحْسَنُ بك ، قال : إنّي واللهِ لا أَفْعَلُ ، قال بلالٌ : فإني أقولُ عن نفسي وعن أصحابي فإنّا نُعْطِيكَ ممّا كَسَبْنَاهُ بك ما يَفِي بأَكْثَرَ من هذه الضِّيَاعِ فتوجه به إليه مالاً وتعرضُ عليه حالاً فإنك تعتاضُه وإنا سَنَكْسِبُ إنْ بَقِينا ! ! قال : إذًا واللهِ لا أفعلُ ، وأَلَحُّوا عليه ، فقال خالدٌ : أَنْظِرُ ، وارْجِعُوا أنتم إلى أعمالكم ، فرجَعَ القومُ وبعضُهم يقولُ لبعضٍ : اسْتَعِدُّوا للعَزْلِ ! !][1]

[وهذا بابٌ من مُتَنَخَّلِ طَرِيفِ الشِّعرِ وذِكْرِ آياتٍ من القُرآن رُبَّما غَلِطَ في مَجازِها النحويُّونَ . قال أبو العباس][2] :

هذا الكتابُ قد وَفَّيْناهُ جَمِيعَ حقوقِهِ ، وَوَفَيْنا بجميعِ شُرُوطِهِ ، إلاَّ ما أَذْهَلَ عنه النسيانُ ، فإنه قَلَّ ما يُخْلَى من ذلك ، ونحنُ خاتِموهُ

(١) هذه الزيادة من إحدى نسخ الكتاب « الكامل » والظاهر لنا أنها مما سمع أحد تلاميذ المبرد منه حين القراءة تفسيرا لبعض ما فيه ، فأثبتها في صلب الكتاب ، ويؤيد ذلك قوله فيها « شكا ذلك هشام إلى رجل من أصحابه غاب اسمه عن أبي العباس » فالذي يقول هذا تلميذ أبي العباس ، فيما نرجح ، وهذه النسخة المزاد عنها أثبت في آخرها ما نصه : « هذا آخر كتاب الكامل والحمد لله كثيراً وصلى الله على محمد وآله الطيبين الأخيار وسلم تسليما . فرغ من نسخه في النصف من جمادى الأخرى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بخط يحيي بن المبارك الصحاوى . حسبنا الله ونعم الوكيل » .

(٢) هذه الزيادة من ب و س و د و ف .

بأَشعارٍ طَريفةٍ ، وآخِرُ ذلكِ الذى نَخْتِمُ به آياتٌ من كتابِ الله عز وجل ، بالتوقيفِ على معانِيها إن شاء اللهُ .

قال الشاعرُ :

أُذْكُرْ مَجالِسَ من بنى أُسَدٍ بَعُدُوا وحَنَّ إليهمُ القَلْبُ
الشَّرْقُ منزلُنا ، ومنزلُهُمْ غَرْبٌ ، وأَنَّى الشَّرْقُ والغَرْبُ
مِنْ كلِّ أَبْيَضَ جُلُّ زِينتِهِ مِسْكٌ أَحَمُّ وصارِمٌ عَضْبُ

وقال آخرُ :

حياةُ أَبِى العَوَّامِ زَيْنٌ لقومِه لِكلِّ امْرِئٍ قاسَ الأُمورَ وجَرَّبَا
ونَعْتِبُ أَحْيانًا عليه ولو مَضَى لَكُنَّا على الباقى من الناس أَعْتَبَا

وقال مُسْلِمٌ :

حَيَاتُكَ يا أبْنَ سَعْدَانَ بنِ يَحْيَى حياةٌ لِلمَكارِمِ والمَعالِى
جَلَبْتُ لك الثناءَ فجاء عَفْوًا وتَقْسُ الشُّكْرِ مُطْلَقةُ العِقَالِ
وتَرْجِعُنى إليكَ ، وإن نَأَتْ بِى دِيَارِى عنكَ ، تَجْرِبَةُ الرِّجالِ

وقيلَ فى المثلِ : المبالغةُ فى النصيحةِ تَقَعُ بكَ على عظيمِ الظِّنَّة .

وأنشدنى العباسُ بن الفَرَجِ الرِّيَاشِىُّ :

وكم سُقْتُ فى آثارِكم مِن نصيحةٍ وقد يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ

وأنشدنى الرِّيَاشِىُّ :

إذَا الأَمْرُ أَغْنَى عنكَ حِنْوَيْهِ فاجْتَنِبْ مَعَرَّةَ أمرٍ أنتَ عنه بِمَعْزِلِ

وقال العَتَّابِيُّ :

لا ترْجُ رَجْعَةَ مُذْنِبٍ   خَلَطَ احتجاجًا باعْتذارْ

وقال أيضاً :

وَفيْتُ كلَّ خليلٍ وَدَّنِي ثَمَنَا   إلاَّ المُؤَمِّلَ دَوْلاَتِي وأيَّامِي

وقيلَ للعَتَّابِي : ما أقْرَبُ البلاغةِ ؟ قال : ألاَّ يُؤْتَى السامعُ من سُوء إفهامِ القائلِ ، ولا يُؤْتَى القائلُ من سُوء فهمِ السامعِ . وقال ابنُ يَسيرٍ :

اِقْدِرْ لِرِجْلِكَ قبلَ الخَطْوِ منزلَهَا   فمَن عَلاَ زَلَقًا عن غِرَّةٍ زَلِقَا

وكان يقالُ : اصْمُتْ لِتفْهَمَ ، واذْكُرْ لِتَعْلَمَ ، وقُلْ لَتَذْلُقَ .

⁂

وَنَذْكُرُ آياتٍ من القرآن ربما غَلِطَ فى مجازِها النحويُّون . قال الله عز وجلَّ : ﴿ إنَّما ذلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أولياءه ﴾ مجازُ الآية أنَّ المفعولَ الأوَّل محذوفٌ ، ومعناه : يُخَوِّفُكم مِنْ أوليائِه . وفى القرآن : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ منكمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ والشَّهْرُ لا يَغيبُ عنه أحدٌ ، ومجازُ الآية : فمن كان منكم شاهدًا بَلَدَه فى الشهر فَلْيَصُمْهُ ، والتقديرُ « فمن شهد منكم » أى : فمن كان شاهدًا فى شهر رمضانَ فَلْيَصُمْهُ ، نَصْبَ الظُّروفِ لا نَصْبَ المفعولِ به . وفى القرآن فى مخاطبة فرعونَ : ﴿ فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيةً ﴾ فليس معنى « نُنَجِّيكَ » نُخَلِّصُكَ ، ولكن نُلْقِيكَ على نَجْوةٍ من الأرضِ « بِبَدَنِكَ » بِدِرْعِكَ ، يَدُلُّ على ذلك

« لتكونَ لمن خَلْفَكَ آيةً » وفى القرآن : ﴿ يخْرِجُونَ الرّسُولَ وإيَّاكم ، أنْ تُؤْمِنُوا باللهِ ربِّكم ﴾ فالوقفُ « يخرجون الرسولَ وإيّاكم » أىْ ويُخرِجُونَكم لأَنْ تُؤْمِنُوا باللهِ رَبِّكُمْ .

☆☆☆

هذا آخِرُ الكتابِ الكاملِ ، والشُّكْرُ للهِ والحمدُ لَهُ ، وصلى اللهُ على رسولِ اللهِ ، ونستغفرُ اللهَ مما قُلْناه من عَمْدٍ وقَصْدٍ وزَلَلٍ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين .

تم تحقيق « الكتاب الكامل » وقد كنت أود أن أزيده إتقاناً وتحبيراً ، لولا أن الفرصة لم تسعف ، ولأنى لم أتعهد الكتاب من أوله ، وكان فى عزمى أن أضع له فهارس متقنة مفصلة ، أدق مما وضع لطبعة أوروبة ، ولكن حالت دون ذلك الظروف القاسية ، بسبب هذه الحرب التى ثارت بين أمم أوربة واكتوينا بنارها ، ووقفت كثيراً من الأعمال النافعة ، بما قطّعت السبل وضيقت من وسائل النقل . وأسأل الله أن يهيئ لى فرصة أخرى أخرج فيها الكتاب على ما أحب ، وعلى ما يحق له ، وأسأله الهداية والتوفيق والعصمة والسداد .

كتب

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

عن العباسية بمصر ضحوة الجمعة { ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — ٧ مايو سنة ١٩٤٣ }

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب الكامل للإمام أبي العباس المبرد في يوم الاثنين المبارك ١٦ رجب من سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ١٩ يولية من سنة ١٩٤٣ م ؟

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي